
بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والشكر وبه نستعين







بحوثُ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الثَّاني

عَن سيِّدةِ نساءِ العَالمينَ فاطِمَة الزَّهراء عليها السلام

بشعار

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام

ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَشَجَرَةُ الإِمَامَةِ

الجُزْءُ الأَوَّلُ

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَيْنِ الحُسَيْنِيَّةِ وَالعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى ولادَتِها المباركة عليها السلام

أَقامهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ في مَقَامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

وَمَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

مِنْ ١٨-١٩ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٤هـ/ ١١-١٢ كانون الثاني ٢٠٢٣م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

العِرَاقُ / بَابِل

الحِلَّة مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة
مركز تراث الحِلَّة

موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثاني : ٢٠٢٣ : بابل، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة. الجزء الأوَّل / أقامه قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة بالتعاون مع كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة بابل ومركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدسة.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل (العراق). كليَّة العلوم الإسلاميَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢/٩٠١

ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة -
العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الحلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
E-mail: hilla@alkafeel.net
٢٤ × ١٧,٥سم
بحوث - دراسات

م/ و
٢٧٧٨/ ٢٠٢٣م

المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٨) لسنة ٢٠٢٣م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة (الجزء الأوَّل).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾

سورة الشورى، من الآية ٢٣

قال النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم:

«فاطمةُ سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة»

وقال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم:

«فاطمةُ بضعةٌ منِّي فَمنْ أَغضَبهَا أَغضَبَني»

صحيح البخاري، ج٤، في باب مناقب فاطمة

دِيبَاجَةُ المُؤْتَمَرِ

الزَّهْرَاءُ فَاطِمَةُ عليها السلام خُلَاصَةُ هَذَا الـخَلْقِ الذِي أَحْسَنَ اللهُ تَكْوِينَهُ وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ سِيمَائِه، وَوَهَبَ لَهُ مَقَالِيدَ الكَوْنِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، كَائِنًا قَبْلَ الأَشْيَاءِ يَمُدُّهَا بِبَقَائِهَا، وَيَخْتَطُّ لَهَا مَدَارَاتِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَصَلَوَاتِهَا الدَّائِبَةَ حَوْلَ العَرْشِ.

وَالزَّهْرَاءُ نُقْطَةُ الْتِقَاءِ العَوَالِمِ الـمَهِيبَةِ، فَهِيَ حَوْرَاءُ مِنْ عَالَمِ الـمَلَكُوتِ، وَإِنْسِيَّةٌ مِنْ عَالَمِ الـمُلْكِ، تَوَاشَجَ فِيهَا العَالَـمَانِ، وَتَعَانَقَا؛ لِيَنْبَثِقَ مِنْ بَيْنِهِمَا نُورُها السَّرْمَدِيُّ، رَافِدًا لِكُلِّ نُورٍ، وَحَرْبًا عَلَى كُلِّ دَيْجُورٍ.

وَالزَّهْرَاءُ فَيْضٌ مِنْ عَطَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَمِشْكَاةٌ لِنُورِهِ العَظِيمِ، فَهِيَ شَمْسُ الـخُلُودِ السَاطِعَةُ عَلَى الوُجُودِ، يَقْتَفِي خُطَاهَا الـمُقَدَّسَةَ ظِلًّا لِطُهْرِهَا وَأَلَقِهَا.

الزَّهْرَاءُ وَآلُهَا الأَقْدَسُونَ نَفْحَةُ الخَيْرِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ، وَخِتَامُ الخِلَافَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَمِرْآةٌ يَتَجَلَّى فِيهَا رِضَا اللهِ تَعَالَى لِـمَنِ ارْتَضَتْهُ، وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ نَبَذَتْهُ، فَهِيَ بِذَلِكَ تَفْرُقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى وَأَعْدَائِهِ، وَتَفْصِلُ بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلَالَةِ، وَتَعْصِمُ الفِكْرَ مِنْ أَنْ يَنْزَلِقَ إِلَى مَهَاوِي الـجَهْلِ وَالظَّلَامِ، وَتَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَى رِحَابِ العِلْمِ وَالضِّيَاءِ، فَمَنْ يَـهْتَدِي بِـهُدَاهَا، وَيَسْتَنِيرُ بِنَهْجِهَا، لَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ.

مِنْ هَذَا الـمُنْطَلَقِ العِلْمِيِّ الكَبِيرِ، تَأْتِي أَهَمِّيَّةُ دِرَاسَةِ سِيرَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا الـمُشْرِقَةِ، وَبِجَمِيعِ مَا تُتِيحُهُ الـمَعْرِفَةُ مِنِ اتِّجَاهَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَمَنَاهِجَ عِلْمِيَّةٍ، تَضَعُ هَذِهِ الـمَرْأَةَ العَظِيمَةَ فِي دَائِرَةِ أَضْوَائِهَا، وَتَسْتَخْلِصُ مِنْهَا ثِمَارًا يَانِعَةً مِنْ شَجَرَةٍ

﴿طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، وَلِذَلِكَ الْتَزَمَ قِسْمُ الشُّؤُونِ الفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ رَدِّ الشَّمْسِ لِأَمِيرِ الـمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالتَّوْصِيَاتِ الـمُنْبَثِقَةِ مِنْ خِتَامِ الـمُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الأَوَّلِ الذِي عَقَدَهُ العَامَ الـمَاضِيَ بِشِعَار: (فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام سِرُّ الخَلِيقَةِ وَصَوْتُ الحَقِيقَةِ)، وَمِنْ أَهَمِّهَا عَقْدُ هَذَا الـمُؤْتَمَرِ الـمُبَارَكِ بِنُسْخَتِهِ الثَّانِيَةِ؛ لِيُعَمِّقَ البَحْثَ، وَيُوَسِّعَ دَائِرَتَهُ فِي رِحَابِ السِّيرَةِ العَطِرَةِ لِبِنْتِ النَّبِيِّ الأَعْظَمِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا)، وَيَكُوْنَ هَذَا العَامَ بِشِعَار:

((فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَشَجَرَةُ الإِمَامَةِ))

أَهْدَافُ الْمُؤْتَمَرِ

١. تَلَمُّسُ الأَبْعَادِ الفِكْرِيَّةِ والعَقَائِدِيَّةِ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، وَمَا يَتَرَشَّحُ عَنْهُ مِنْ قِيَمٍ رُوحِيَّةٍ، وَمَفَاهِيمَ أَخْلَاقِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ، وَمُعْطَيَاتٍ وَعْظِيَّةٍ.

٢. تَبْصِرَةُ الأَجْيَالِ بِشَخْصِيَّةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام العَظِيمَةِ، فِي ضَوْءِ قِرَاءَةِ الـمَوَاقِفِ والأَحْدَاثِ وَالتَّجَلِّيَاتِ فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهَا العَظِيمَةِ، وَلَاءً، وَجِهَادًا، وَعَطَاءً.

٣. تَهْيِئَةُ الـمُنَاخَاتِ الـمَعْرِفِيَّةِ الـمُنَاسِبَةِ لِكَشْفِ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ التِي تُثْبِتُ النَّقَاءَ الرُّوحِيَّ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، والكَمَالَاتِ النَّفْسِيَّةَ التِي تَتَمَتَّعُ بِهَا؛ حَتَّى صَارَ فِعْلُهَا مِرْآةً لِلْحَقِّ، وَتَرْجَمَةً لِلْقِيَمِ، وَامْتِثَالاً لِإِرَادَةِ السَّمَاءِ.

٤. فَضْحُ الـمُدَوَّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الزَّائِفَةِ التِي ابْتَعَدَتْ عَنْ عَنَاصِرِ الانْتِمَاءِ الحَقِيقِيِّ لِلْعَتْرَةِ الـمُطَهَّرَةِ، وَارْتَكَنَتْ إِلَى رُؤًى مُشَوَّشَةٍ، وَأَفْكَارٍ مُضْطَرِبَةٍ، وَقَادَتْ إِلَى الاسْتِكَانَةِ إِلَى مُعْطَيَاتٍ عَقَائِدِيَّةٍ وَفِقْهِيَّةٍ مُضَلِّلَةٍ.

٥. التَّنْقِيبُ فِي التَّأْرِيخِ بِآلِيَّاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ مُمَنْهَجَةٍ؛ لِكَشْفِ خَفَايَا الـمَاضِي، وَالتَّوَسُّعِ فِي دِرَاسَتِهِ بِرُوحٍ عِلْمِيَّةٍ، تَكُونُ فِي خِدْمَةِ النَّصِّ والحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ.

٦. اسْتِجْلَاءُ الـمُنْطَلَقَاتِ القَانُونِيَّةِ لِـمَوَاقِفِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي إِثْبَاتِ أَحَقِّيَّةِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام فِي الإِمَامَةِ.

٧. إِنْعَامُ النَّظَرِ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، وَوَضْعُهُ فِي دَائِرَةِ الضَّوْءِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لِبَيَانِ مَقَاصِدِهِ وَدَلَالَاتِهِ وَوَسَائِلِهِ الإِقْنَاعِيَّةِ والحَجَاجِيَّةِ فِي نُصْرَةِ الحَقِّ وَالدِّفَاعِ عَنِ الإِسْلَامِ.

٨. الوُقُوفُ عِنْدَ الأَسَالِيبِ الجَمَالِيَّةِ فِي أَدْعِيَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، والكَشْفُ عَنْ تَمَظْهُرَاتِهَا البَلَاغِيَّةِ والأُسْلُوبِيَّةِ، وَمَعْرِفَةُ أَبْعَادِهَا الدَّلَالِيَّةِ، وَمَقَاصِدِهَا التَّعْبِيرِيَّةِ.

شُرُوطُ المُشَارَكَة

١. تَقْدِيمُ مُلَخَّصٍ بالبَحْثِ لَا يَزِيدُ عَلَى ٣٠٠ كَلِمَةٍ.

٢. تُقْبَلُ الأَبْحَاثُ بِاللُّغَاتِ الآتِيَةِ: العَرَبِيَّةِ، وَالْإِنْكِلِيزِيَّةِ، وَالفَارِسِيَّةِ.

٣. أَنْ يَكُونَ البَحْثُ غَيْرَ مُسْتَلٍّ وَغَيْرَ مَنْشُورٍ أَوْ مَقْبُولٍ لِلنَّشْرِ.

٤. أَنْ يَتَّبِعَ البَاحِثُ شُرُوطَ البَحْثِ العِلْمِيِّ الرَّصِينِ.

٥. تَخْضَعُ الأَبْحَاثُ إِلَى تَقْوِيمِ لَجْنَةِ التَّحْكِيمِ العِلْمِيِّ، فَضْلاً عَنْ بَرْنَامَجِ الِاسْتِلَالِ العِلْمِيِّ.

٦. يُقَدَّمُ البَحْثُ مَطْبُوعًا عَلَى وَرَقَةِ (A4) بِصِيغَةِ (Word)، وَبِحَجْمِ خَطٍّ ١٤ لِلْمَتْنِ، و١٢ لِلْهَوَامِشِ، وَنَوْعِ الْخَطِّ (Simplified Araic)، وَعَلَى قُرْصِ CD.

٧. أَلَّا تَقِلَّ عَدَدُ صَفَحَاتِ البَحْثِ عَنْ ١٥ صَفْحَةً، وَلَا تَزِيدَ عَلَى ٣٠ صَفْحَةً.

٨. أَنْ يَكُونَ البَحْثُ من ضِمْنَ الـمَحَاوِرِ العَامَّةِ الـمُعْلَنَةِ، وَأَنْ يُحَدِّدَ البَاحِثُ الكَرِيمُ الـمِحْوَرَ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ.

٩. يَحِقُّ لِلْبَاحِثِ الكَرِيمِ الكِتَابَةَ فِي العُنْوَانَاتِ اَلـمُقْتَرَحَةِ، أَوْ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا ضِمْنَ اَلـمُحَاوِرِ.

١٠. آخِرُ مَوْعِدٍ لِتَسَلُّمِ اَلـمُلَخَّصَاتِ هُوَ: ١/ ١١/ ٢٠٢٢م.

١١. آخِرُ مَوْعِدٍ لِتَسَلُّمِ اَلْبُحُوثِ كَامِلَةً هُوَ: ١/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

١٢. تُرْسَلُ اَلـمُلَخَّصاتُ واَلأَبْحَاثُ عَلَى الإِيمِيلين الْآتِيينِ:

- maqamrdshams@gmail.com.
- Turathhi@gmail.com.

١٣. يُمْكِنُ اَلتَّوَاصُلُ مَعَ اَللَّـجْنَةِ اَلتَّحْضِيرِيَّةِ عَلَى اَلْوَاتْسَاب أَوْ اَلتِّلكَرَام عَلَى اَلأَرْقَامِ اَلآتِيَةِ:

07721559258 , 07805072163 , 07810669707

الْجَوَائِزُ وَالْهَدَايَا

- البَحْثُ الْفَائِزُ بِالْجَائِزَةِ الأُوْلَى: جِهَازُ لَابْتُوب، نَشْرُ الْبَحْثِ فِي مَجَلَّةٍ مَحَكَّمَةٍ، رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.
- الأَبْحَاثُ الخَمْسُ الْفَائِزَةُ بالْـجَائِزَةِ الثَّانِيَةِ: خَمْسُمِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ عِرَاقِيٍّ لِكُلِّ بَحْثٍ، نَشْرُ الْبَحْثِ فِي مَجَلَّةٍ مَحَكَّمَةٍ، رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.
- الأَبْحَاثُ الخَمْسُ الْفَائِزَةُ بالجَائِزَةِ الثَّالِثَةِ: ثَلَاثمِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ عِرَاقِيٍّ لِكُلِّ بَحْثٍ، نَشْرُ الْبَحْثِ فِي مَجَلَّةٍ مَحَكَّمَةٍ، رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.
- الأَبْحَاثُ الخَمْسُ الْفَائِزَةُ بالجَائِزَةِ الرَّابِعَةِ: مِئَتَا أَلْفِ دِينَارٍ عِرَاقِيٍّ لِكُلِّ بَحْثٍ، رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.
- الأَبْحَاثُ الخَمْسُ الْفَائِزَةُ بالجَائِزَةِ الْخَامِسَةِ: مِئَةُ أَلْفِ دِينَارٍ عِرَاقِيٍّ لِكُلِّ بَحْثٍ، رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

- الْأَبْحَاثُ الـمُشَارِكَةُ الـمَقْبُولَةُ الأُخْرَى: رَايَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام
- تُطْبَعُ الْأَبْحَاثُ الْـمَقْبُولَةُ جَمِيْعُها فِي إِصْدَارٍ خَاصٍّ بِالـمُؤْتَمَرِ.

الإشراف العام

- خادم الزَّهراء سماحة السيِّد رسول الموسويّ.

اللَّجْنَةُ العِلْمِيَّةُ

١. السيد حسين الشريفي، الحوزة العلميَّة، النجف الأشرف.
٢. السيِّد أحمد الموسويّ، الحوزة العلميَّة، النجف الأشرف.
٣. السيِّد يوسف الموسويّ، الحوزة العلميَّة، النجف الأشرف.
٤. الشيخ محمَّد العتائقيّ، الحوزة العلميَّة، النجف الأشرف.
٥. الشيخ صادق الخويلديّ، الحوزة العلميَّة، النجف الأشرف.
٦. أ.د. جبَّار كاظم الملَّا، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٧. أ.د. حسن كاظم أسد، مركز تراث الحِلَّة.
٨. أ.د. رحيم كريم الشريفيّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٩. أ.د. رياض طارق العميديّ، جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.
١٠. أ.د. زيد خليل القراله، جامعة آل البيت، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، الأردن.
١١. أ.د. سعيد جاسم الزبيديّ، جامعة نزوى، سلطنة عمان.
١٢. أ.د. الشيخ صاحب محمَّد حسين نصَّار، جامعة الكوفة، كليَّة الفقه.
١٣. أ.د. صالح مهدي المعموريّ، جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.
١٤. أ.د. صباح عطيوي عبُّود، مركز تراث الحِلَّة.

١٥. أ.د. عليّ عبَّاس الأعرجيّ، مركز تراث الحِلَّة.

١٦. أ.د. عليّ رضا قائمي نيا، عضو اللجنة العلميَّة في معهد أبحاث الثقافة والفكر في قم المقدَّسة، جمهورية إيران الإسلاميَّة.

١٧. أ.د. محمَّد حمزة الشيبانيّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.

١٨. أ.د. محمَّد طالب الحسينيّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.

١٩. أ.د. مفلاح بن عبد الله، جامعة غليزان، كليَّة الآداب واللغات، الجزائر.

٢٠. أ.د. يوسف كاظم الشمَّريّ جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.

٢١. أ.م.د. أحمد رشيد وهاب الدَّده، مركز تراث الحِلَّة.

٢٢. أ.م.د. حسن جاسم الخاقانيّ، كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام، أقسام بابل.

٢٣. أ.م.د. حسين ناظري، جامعة فردوسي، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، إيران.

٢٤. الشيخ الدكتور غفُّوري نژاد، جامعة الأديان والمذاهب، جمهورية إيران الإسلاميَّة.

٢٥. أ.م.د. قحطان حسين اللاونديّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.

٢٦. أ.م.د. كاظم عبد نور، جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.

٢٧. أ.م.د. كريم حمزة حميدي، كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام، أقسام بابل.

٢٨. أ.م.د. ماهر محسن الخيكانيّ، جامعة بابل، كليَّة القانون.

٢٩. الشيخ الدكتور وسام عبَّاس السبع، البحرين.

اللَّجْنَةُ التَّحْضِيرِيَّةُ

١. أ.د. دريد موسى الأعرجيّ، جامعة بابل، كلية العلوم الإسلاميَّة.

٢. أ.د. شعلان عبد علي سلطان، جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.

٣. أ.م.د. حسن عبيد المعموريّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٤. أ.م.د. حسين هادي المحنَّا، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٥. أ.م.د. حيدر شوكان سعيد، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٦. أ.م.د. عليّ حسوني الشريفيّ، جامعة بابل، كليَّة العلوم الإسلاميَّة.
٧. د. عبَّاس حسن الجبوريّ، مركز تراث الحِلَّة.
٨. د. عيَّاد حمزة الويساويّ، مركز تراث الحِلَّة.
٩. الأستاذ سمير فيَّاض عبد السادة، تربية بابل.
١٠. الأستاذ عبد الرضا مخيف الشمَّريّ، مقام معجزة ردِّ الشمس.
١١. الأستاذ عقيل عبد العبَّاس الربيعيّ، مقام معجزة ردِّ الشمس.
١٢. الأستاذ فاضل گطران حمزة، تربية بابل.
١٣. الأستاذ محمَّد حسين عبُّود، تربية بابل
١٤. المخرج الطباعيّ أحمد عبد العالي الكعبيّ، مركز تراث الحِلَّة.

اللَّجْنَةُ الإِعْلَامِيَّةُ

١. أ.م.د. حمزة خضير القريشي، جامعة بابل، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة.
٢. د. أحمد حسن عبُّود، كليَّة الإمام الكاظم عليه السلام، أقسام بابل.
٣. السيِّد أحمد غني الزامليّ، مقام معجزة ردِّ الشمس.
٤. السيِّد حازم عسكر شبَّر، ديوان الوقف الشيعيّ.
٥. السيِّد حيدر عبد العزيز العنزيّ، مركز تراث الحِلَّة.
٦. السيِّد حيدر عليّ تويج، قناة كربلاء.
٧. الأستاذ رافد عبد الحسن، تربية بابل.

٨. الأستاذ علي دينار حميد، تربية بابل.

٩. الأستاذ عماد مصطفى محمَّد، قناة العراقيَّة.

١٠. الأستاذ قاسم عبد الرضا الشمَّريّ، جريدة صباح بابل.

١١. السيِّد كاظم راضي حمزة، مقام معجزة ردِّ الشمس.

١٢. الأستاذ وسام العقابيّ، إذاعة بابليُّون.

١٣. الأستاذ وليد الباويّ، إذاعة الروضة الحسينيَّة المقدَّسة.

١٤. الأستاذ يوسف عبد عون الجمل، نقيب الصحفيِّين، فرع بابل.

مَحاوِرُ المُؤْتَمَرِ

أَوَّلًا: الدِّرَاسَاتُ القُرْآنيَّةُ

١. الـمَقَاصِدُ القُرْآنِيَّةُ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٢. القِيَمُ القُرْآنِيَّةُ الحَضَارِيَّةُ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٣. صِنَاعَةُ النُّخَبِ القُرْآنِيَّةِ والوَعْيِ الرِّسَالِيِّ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٤. القُرْآنِيَّةُ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٥. تَفْسِيرُ القُرْآنِ الكَرِيمِ عِنْدَ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

ثَانِيًا: الدِّرَاسَاتُ العَقَدِيَّةُ والفِكْرِيَّةُ

١. الأَبْعَادُ الفَلْسَفِيَّةُ والعَقَدِيَّةُ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٢. مِحْوَرِيَّةُ الإِمَامَةِ فِي مَوَاقِفِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَاحْتِجَاجَاتِهَا.

٣. اسْتِرَاتِيجِيَّاتُ العَمَلِ الرِّسَالِيِّ فِي سِيرَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٤. التَّوْحِيدُ وَالتَّنْزِيهُ فِي رِحَابِ تَسْبِيحِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَأَذْكَارِهَا.

٥. الـمَلْكُوتِيَّةُ فِي شَخْصِيَّةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام حَسْبَ رِوَايَاتِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام.

٦. الآخَرُ فِي مَنْظُورِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٧. الرَّدُّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الـمُتَعَلِّقَةِ بِقَضِيَّةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٨. دَوْرُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي الدِّفَاعِ عَنْ حَقِّ الإِمَامَةِ.

ثَالِثًا: الدِّرَاسَاتُ الحَدِيثِيَّةُ والفِقْهِيَّةُ

١. الدِّرَاسَاتُ الفِقْهِيَّةُ مِنْ مُعْطَيَاتِ النُّصُوصِ النَّقْلِيَّةِ لِلسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٢. أَحَادِيثُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي الكُتُبِ الـمُعْتَبَرَةِ لَدَى الـمُسْلِمِينَ.

٣. الأَحَادِيثُ الوَارِدَةُ فِي حَقِّ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٤. حَجْبُ الـمَرْوِيَّاتِ الوَارِدَةِ عَنِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام؛ الأَسْبَابُ والآثَارُ.

٥. التَّأْصِيلُ لِـمَبَاحِثِ الأَلفَاظِ فِي مَرْوِيَّاتِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

رَابِعًا: السِّيرَةُ وَالدِّرَاسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ

١. سِيرَةُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَمَكَانَتُهَا بَيْنَ وُجُودِ أَبِيهَا صلى الله عليه وآله وَفَقْدِهِ.

٢. الدِّرَاسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ القَدِيمَةُ والحَدِيثَةُ عَنِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٣. الخَصَائِصُ والـمَنَاقِبُ الفَاطِمِيَّةُ.

٤. الجَوَانِبُ الاجْتِمَاعِيَّةُ فِي سِيرَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٥. السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام فِي ضَوْءِ السُّنَنِ التَّارِيخِيَّةِ.

٦. دِرَاسَةُ الـمُسْتَشْرِقِينَ لِسِيرَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

خَامِسًا: الدِّرَاسَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ وَالنَّفْسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ

١. السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام القُدْوَةُ الحَسَنَةُ.

٢. الفِكْرُ التَّرْبَوِيُّ فِي سِيرَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٣. السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام فِي الـمَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ.

٤. آلِيَّاتُ غَرْسِ الفِكْرِ التَّرْبَوِيِّ لِلسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي الـمُجْتَمَعِ.

٥. سِيرَةُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَالنَّظَرِيَّاتُ التَّرْبَوِيَّةُ الحَدِيثَةُ.

سَادِسًا : الدِّرَاسَاتُ القَانُونِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ والإِعْلَامِيَّةُ

١. تَجْسِيدُ الإِعْلَانِ العَالَمِيِّ لِحُقُوقِ الإِنْسَانِ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٢. أَدِلَّةُ الإِثْبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ والقَانُونِيَّةِ فِي الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ.

٣. مِلْكِيَّةُ فَدَكَ مِنَ المَنْظُورِ القَانُونِيِّ وَالشَّرْعِيِّ.

٤. السُّلُوكُ السِّيَاسِيُّ لِلسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام تُجَاهَ السُّلْطَةِ والمُجْتَمَعِ.

٥. سِمَاتُ الفِكْرِ السِّيَاسِيِّ عِنْدَ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٦. نَقْدُ السُّلْطَةِ فِي خِطَابِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٧. احْتِرَامُ الـحُقُوقِ والـحُرِّيَّاتِ فِي الـمَبْنَى الفِكْرِيِّ لِلسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٨. مَلَامِحُ الخِطَابِ الإِعْلَامِيِّ عِنْدَ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٩. البُعْدُ السِّيَاسِيُّ فِي الـحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الـخَاصِّ بِالسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

سَابِعًا : دِرَاسَاتُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا

١. التَّشْكِيلُ الأُسْلُوبِيُّ فِي أَدْعِيَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

٢. جَمَالِيَّةُ الصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ فِي الصَّحِيفَةِ الفَاطِمِيَّةِ.

٣. الخِطَابُ الشِّعْرِيُّ فِي مَا قِيلَ عَنِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام السِّمَاتُ والمَوْضُوعَاتُ.

٤. المَسْكُوتُ عَنْهُ فِي السِّيرَةِ الفَاطِمِيَّةِ فِي ضَوْءِ مَنَاهِجِ النَّظَرِ الأَدَبِيَّةِ.

٥. جُهُودُ الشُّرَّاحِ فِي شَرْحِ الخُطْبَةِ الفَدَكِيَّةِ.

٦. خِطَابُ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام فِي ضَوْءِ النَّظَرِيَّاتِ اللِّسَانِيَّةِ.

٧. الـمَأْثُورُ عَنِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام دِرَاسَةٌ فِي الـمُسْتَوَيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ.

٨. الاسْتِدْلَالُ القُرْآنِيُّ فِي خُطْبَتِي السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

ثَامِنًا: دِرَاسَاتٌ بِاللُّغَةِ الإِنْكِلِيزِيَّةِ

1. Slef Presentation in Al-Zahraa's (pbuh) Speeches: A Pragmatic Analysis.
2. Slef Presentation in Al-Zahraa's (pbuh) Speeches: A Stylistic Analysis.
3. Power in Al-Zahraa's (pbuh) Political Speeches: A Critical Discourse Analysis.
4. A Linguistic Analysis of Rhetorical Devices in Al-Zahraa's (pbuh) Speeches.
5. Al-Zahraa's (pbuh) Speeches: A Pragmatic Perspective.
6. Persuasive Devices in Al-Zahraa's (pbuh) Speeches.

كلمة اللجنة العلميَّة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنزل كتابه المبين، هدًى وبشرى للمؤمنين، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على النبيِّ الصادق الأمين، أبي الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

السادة الحاضرون جميعًا، محفوظةٌ ألقابهم ومراتبهم، ساميةٌ أسماؤهم ومناقبهم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لي الشرف في أن أقف بحضرتكم؛ لأنوبَ عن اللجنة العلميَّة لهذا المؤتمر المبارك، وألقي كلمتها الخاصَّة به، ولكنِّي قبل ذلك أستميحكم عذرًا في أن نقف جميعًا إكرامًا واستذكارًا لفقيد العلم والأدب، وعالم الجامعة والحوزة، الأستاذ المتمرِّس الدكتور محمَّد حسين عليّ الصغير، الذي فُجِعنا بفقده قبلَ يومَين؛ لنقرأ لروحه الطيِّبة سورة الفاتحة المباركة، مشفوعة بالصلاة على محمَّد وآل محمَّد.

الزَّهْرَاءُ فَيْضٌ مِنْ عَطَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَمِشْكَاةٌ لِنُورِهِ العَظِيمِ، فَهِيَ شَمْسٌ سَاطِعَةٌ بِالْخُلُودِ، يَقْتَفِي خُطَاهَا الْمُقَدَّسَةَ ظِلًّا لِطُهْرِهَا وَأَلَقِهَا.

الزَّهْرَاءُ وَآلُهَا الأَقْدَسُونَ نَفْحَةُ الخَيْرِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ، وَخِتَامُ الخِلَافَةِ الإِلَـهِيَّةِ، وَمِرْآةٌ يَتَجَلَّى فِيهَا رِضَا اللهِ تَعَالَى لِـمَنِ ارْتَضَتْهُ، وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ نَبَذَتْهُ، فَهِيَ بِذَلِكَ تَفْرُقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى وَأَعْدَائِهِ، وَتَفْصِلُ بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلَالَةِ، وَتَعْصِمُ الفِكْرَ مِنْ أَنْ يَنْزَلِقَ إِلَى مَهَاوِي الجَهْلِ وَالظَّلَامِ، وَتَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَى رِحَابِ العِلْمِ وَالضِّيَاءِ، فَمَنْ يَهْتَدِي بِهُدَاهَا، وَيَسْتَنِيرُ بِنَهْجِهَا لَنْ يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ.

مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ العِلْمِيِّ الكَبِيرِ، تَأْتِي أَهَمِّيَّةُ دِرَاسَةِ سِيرَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا الْمُشْرِقَةِ، وَبِجَمِيعِ مَا تُتِيْحُهُ المَعْرِفَةُ مِنِ اتِّجَاهَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَمَنَاهِجَ عِلْمِيَّةٍ، تَضَعُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ العَظِيمَةَ فِي دَائِرَةِ أَضْوَائِهَا، وَتَسْتَخْلِصُ مِنْهَا ثِمَارًا يَانِعَةً مِنْ شَجَرَةٍ ﴿طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، وَلِذَلِكَ الْتَزَمَ قِسْمُ الشُّؤُونِ الفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ رَدِّ الشَّمْسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالتَّوْصِيَاتِ الْمُنْبَثِقَةِ مِنْ خِتَامِ الْمُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الأَوَّلِ الذِي عَقَدَهُ العَامَ المَاضِيَ عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وَمِنْ أَهَمِّهَا عَقْدُ هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْمُبَارَكِ بِنُسْخَتِهِ الثَّانِيَةِ؛ لِيُعَمِّقَ البَحْثَ وَيُوَسِّعَ دَائِرَتَهُ فِي رِحَابِ السِّيرَةِ العَطِرَةِ لِبِنْتِ النَّبِيِّ الأَعْظَمِ وروحه التي بين جنبيه (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا)، لِيُعقد هَذَا العَامَ بِشِعَار: (**فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وشجرةُ الإِمَامَةِ**).

إذ شمَّرت الجهة المنظِّمة عن ساعدَيها، واستدعت الجهات الساندة، فاستجابت بكلِّ سرور، فعملوا جميعًا خليةَ نحلٍ واحدةً، تقدِّم نتاجَ صنيعها شهدًا علميًّا وفكريًّا تضعه على مائدة البحث، ليرتشف منه الباحثون في رحاب سيِّدة نساء العالمين، ما يبُل غُلتهم ويشفي غليلهم، وذلك أن أعلن قِسْمُ الشُّؤُونِ الفِكْرِيَّةِ فِي مَقَامِ رَدِّ الشَّمْسِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عن إقامة هذا الْمُؤْتَمَرِ العِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام تيمُّنًا بذكرى ولادتها العطرة، وبالتعاون مع جامعة بابل/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة، ومركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة؛ لتهيئة الأجواء العلميَّة والبحثيَّة المناسبة للتزوُّد من سيرة الزَّهراء عليها السلام المشرقة من جميع جوانبها.

وصل عدد البحوث التي تزيَّنت بذكر الزَّهراء عليها السلام ودراستها مشارِكةً في هذا المؤتمر المبارك مئةً وثمانيةَ عشر بحثًا، منها عشرة أبحاث جادت بها أنامل باحثين من خارج العراق، إذ كان لبريطانيا وسوريا ولبنان وإيران حضور طيِّب في ما وصلنا من بحوث.

خضعت البحوث جميعها للتقويم العلميّ الدَّقيق، الذي يتمثَّل بعرضها على برنامج الاستلال الإلكترونيّ، وعلى خبراء مختصِّين أكفاء، فلم يسمح لتسعةَ عشرَ بحثًا بالمرور

من هذه البوَّابة المحكمة، بواقع ثمانيةِ أبحاث رُفِضت بسبب نسبة استلالها العالية غير المسموح بها، وأحدَ عشرَ بحثًا رُفِض بسبب تقويم الخبراء، بينما واصل تسعة وتسعون بحثًا طريقها نحو القبول والمشاركة في فعَّاليَّات المؤتمر، ويجري اصطفاء واحد وعشرين بحثًا منها للظفر بجوائز المسابقة التي يشتمل عليها المؤتمر، مقسَّمة على فئات الجوائز المختلفة، كما سيتمُّ الإعلان عنها لاحقًا.

ويعدُّ تضمين هذا المؤتمر لمسابقة الأبحاث المشاركة سمة واضحة من سماته الكثيرة؛ لأن ذلك يحفِّز الباحثين على توخِّي الدقَّة والرصانة والتمحيص فيما يكتبون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

أيُّها الأحبَّة الكرام: إنَّ قلوبًا تصافت، وأفكارًا تلاقحت، ورؤًى تشابكت، وأوقاتًا صُرِفت، وجهودًا حثيثة بُذِلت، كلّها في رحاب سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، وفي سبيل خدمتها، وقد توَّج الله تعالى ببركتها هذا الصنيع كلّه، بأن ينعقد اليوم هذا المؤتمر المبارك، ويكون ملتقى العلماء والباحثين، يخطُّون بمِداد أقلامهم حروفًا ممزوجة بالولاء للنبيِّ وآله الطاهرين، ويدوِّنون نتاجًا علميًّا يبتغي وسيلتهم، ويحيي فكرهم، ويستجلي نهجهم سبيلًا مهيعًا إلى رضوان الله تعالى.

وفي الختام نتقدَّم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى كلِّ من سعى في إنجاح هذا المؤتمر المبارك، راعين وقائمين وباحثين وإعلاميِّين وغيرهم.

ونسأل الله تعالى أن يتقبَّل من الجميع خدمتهم لسيِّدة نساء العالمين عليها السلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ابتداءً وانتهاءً، والصلاة والسلام على النبيِّ وآله الطَّاهرين.

أ.د. حسن عبيد المعموري

عضو اللجنة العلميَّة

كلمة مركز تراث الحِلَّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد بلا علَّة، والموجود بلا قِلَّة، ثمَّ الصلاة والسلام على خير خلقه وسادة رسله، هدية الحقِّ إلى الخلق، أبي القاسم محمَّد، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد.

لا يخفى على كلِّ ذي لُبٍّ ما للسيِّدة الزَّهراء صلوات الله عليها من دورٍ مهمٍّ وأساسيّ في حفظ العقيدة والدين، وترسيخ دعائم مذهب الحقِّ، إذ إنَّها روحي فداها قد وقفت موقفها الواضح تجاه الخطِّ أو الاتِّجاهات الأخرى المناوئة، التي أرادت تسوية القضيَّة، وجعلها من الأمور السطحيِّة، بل وجعل الأحكام مسلوخة عن واقعها السماويّ، فها هي روحي فداها قد علَّمتنا بموقفها أنَّ الحقَّ والباطل خطَّان متوازيان، لن يلتقيا إلى قيام القائم، بل وحتَّى يوم القيامة، فخرجت وخطبت وأحدثت موجة عارمة من المعارضة الفعليَّة، وأنَّ القوم بعضهم أجهش بالبكاء، وأيّ بكاء، ولاتَ حين مندم.

فهي قبل ذلك تمثِّل الامتداد الحقيقيّ والاتِّصال الفعليّ بين النبوَّة والإمامة، وخير شاهد ودليل على ذلك مسألة المباهلة، عندما باهل رسول الله ﷺ نصارى نجران، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فلمَّا أراد رسول الحقِّ ذلك، أخرج مِن النساء فاطمة صلوات الله عليها، ومِن الأبناء الحسن والحسين، ومِن الأنفس صنوه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فهي امتدادٌ بين

النبوَّة والإمامة، لذلك استشهد في هذا الشاهد بعض الأدباء:

روحُ الحياة، فلولا لُطفُ عنصرِها
لم تأتَلِفْ بَينَنا الأرواحُ والصُّوَرُ

ومن هذا المفهوم والمنطلق، انطلق أصحاب الأيادي البيضاء في تأسيس جملة من المشاريع الفاطميَّة في الحِلَّة الفيحاء، والهدف من ذلك والغاية هو إشاعة العقيدة الولائيَّة لدى الجيل الصاعد، والشباب الواعد، وكان من جملتها المسابقة الفاطميَّة التي وصلت إلى جميع أنحاء البلاد، وتعرَّف عليها جُلّ العباد. ولله الحمد، وله المنَّة، أنَّ هذه المشاريع كانت تُرعى مِن قِبَل أهل العلم والفضيلة، وكان لجناب السيِّد الحسيب النسيب، والفاضل الأريب المجاهد، الأخ المخلص عبد الرسول الموسويّ معتمد المرجعيَّة، اليد الطولى فيها، وتبلورت الأفكار، وأُثيرت دفائن العقول؛ لتوجِد مؤتمرًا مهمًّا تنبثق منه البحوث والدراسات إلى عالم النور؛ لتزرع في أذهان أجيالنا مفاهيم وقيم الزَّهراء، ودفاعها عن الإمامة وأصول العقيدة والإسلام المحمَّديّ الأصيل، ولكي تعالج ما أوجده الجهل والجهلاء والمغرضون من التصحُّر الفكريّ الذي لازلنا نعاني منه أيّما معاناة، فجادت يراع الباحثين والكتَّاب الموفَّقين في ذلك، فكلٌّ بحسب قدرته، انتهل من فيض تراثها وسيرتها وعطرها صلوات الله عليها، فللَّه درُّهم، وعلى الله أجرهم.

وإيمانا من جناب السيِّد الموسويّ، وثقةً منه بالمركز المعطاء (مركز تراث الحِلَّة) في دوره العلميّ، آلى على نفسه إلَّا أن تكون للمركز مشاركة في هذا المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني، فبادر بذلك جزاه الله خيرًا، وقام المركز بدوره العلميّ، بكلِّ ثقة وأمانة علميَّة، وساهم مع الإخوة في اللجان العلميَّة والتحضيريَّة، تحت رعاية الإشراف العام مِن قِبَل السيِّد نفسه، فتبنَّى المركز تقويم بعض البحوث وتدقيقها، وعرضها على اللجان، وما شاكل ذلك، وكذلك قام بدوره من جَبنة التصميم والإخراج الفنِّيّ، وكلُّ متعلَّق عمليّ، أو ما يتعلَّق في الجنبات المؤسَّساتيَّة التي حرص المركز أن يحذو حذوها، بل يسارع

الخطى بالاتِّجاه الصحيح والسَّير العمليّ السليم، فكان ما كان من النتاج الذي تضافرت عليه جهود أبناء مدينة عليّ صلوات الله عليه، هذه المدينة المعطاء بعلمائها وبإرثها وثرها، وما خلَّفه الخَلَف من جهابذة الإسلام وحصونه، وأمناء الله على الحلال والحرام، فكان اليوم، ولله الحمد وله المنة، لأبنائها الدور الأكبر من حمَلَة العلم، وأعني طلبة العلوم الدينيَّة في حوزة النجف الأشرف، على مشرِّفها آلاف التحيَّة والسلام، فجزاهم الله خير جزاء المحسنين.

ولا يسعني وأنا أجلس في هذا الصرح العمليّ، أن أتقدَّم بالشكر الجزيل، والثناء الجميل، لشيبة النجف الأشرف وحارسها، الإمام السيستانيّ صاحب الفتوى المعظَّمة، إذ لولا فتواه، لما بقي حجر على حجر، وانبرى وتصدَّى أربع ملايين متطوِّع من الكهول والشيوخ والشبَّان، كلُّهم ممَّن لبس القلوب على الدروع، وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفس.

ولا أنسى أن أتقدَّم بالشكر الجزيل لصاحب اليد البيضاء، والشخصيَّة المعظَّمة المعطاء، السيِّد السَّند، والحجَّة المعتمد، المتولِّي الشرعيّ للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، الذي لم يدَّخر جهدًا في دعم مركزنا والمؤتمر، فللَّه درُّه وعليه أجره.

وكذلك أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى سماحة الشيخ الكربلائيّ، المتولِّي الشرعيّ للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة، فجزاه الله عن الزَّهراء صلوات الله عليها خيرًا.

وأشكر الإخوة العاملين في اللجان العلميَّة والتحضيريَّة، جزائهم على أمِّ الأئمَّة صلوات الله عليها. وأشكر الإخوة العاملين والمخرجين الفنيِّين في المركز، لاسيما الأخوَين حيدر عبد العزيز العنزيّ، والأخ أحمد عبد العالي الكعبيّ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

صادق الشيخ عبد النبيّ الخويلديّ

مدير مركز تراث الحِلَّة

محور الدِّراسات القرآنيَّة

النُّصُوصُ القُرْآنِيَّةُ النَّازِلَةُ بِحَقِّ فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام
دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ

أ.د. سكينة عزيز الفَتْلِيّ
جَامِعَةُ بَابِلَ
البَاحِثَةُ عَبِيرُ جبَّار المُلا
تَرْبِيَةُ بَابِلَ

ملخَّص البحث

نهدفُ في هذا البحث إلى الوقوف على (النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ مولاتنا فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام) بمستوياتها المتعدِّدة: مستوى (الإفراد)، ومستوى (ضمن أهل الكساء)، ومستوى (ضمن أهل البيت) صلوات الله عليهم أجمعينَ، ثمَّ عقَّبْنا الوقوف بـ(دِرَاسَة وَتَحْلِيل). وفي هذا كشفٌ لأحقِّيَّة سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام (قرآنيًّا)، وبيان لمظلوميَّتها الَّتي ثبتَتْ (تأريخًا)، و(واقعًا)، وهو أمرٌ بخلاف (القُرآن) الَّذي عظَّم شأنها، وبيَّن حقَّها، وأكَّدتْه السُّنَّة الشَّريفة بشكلٍ مفصَّلٍ.

الكلمات المفتاحيَّة: نصوص، قرآن، فاطمة، زهراء، حق، دراسة، تحليل.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف خلقه، وصفوته من عباده، المبعوثُ رحمة للعالمينَ، الَّذي كانَ نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين، الذي بُعِثَ إلى الأمِّيِّينَ، حاملًا لهم الدِّين، ليعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويخرجهم من الظُّلمات والفتنة، محمَّدصلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلوات الله عليهم)، وصحبه الأخيار المنتجبينَ.

أَهَمِيَّةُ البَحْثِ: تظهر أهميَّة البحث لكونه يقفُ على النُّصوصِ القرآنيَّة النَّازلة بحقِّ مولاتنا فاطمة الزَّهراءعليها السلام، ويُخْضِعُ تلك النَّصوص للدِّراسة والتَّحليل؛ لذا سميناه (النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ فاطِمَةِ الزَّهْرَاءِعليها السلام؛ دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ).

أَهْـدَافُ البَحْثِ: يهدف هذا البحث إلى تحديد النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ فاطِمَةِ الزَّهْرَاءِعليها السلام، محاولًا دراستها وتحليلها، مبيِّنًا أنماطها، والمستويات القرآنيَّة الَّتي تضمَّنَتْها.

مُشْكِلَةُ البَحْثِ: إنَّ مولاتنا فاطمة الزَّهراءعليها السلام غير مصرَّحٍ بها بالاسم قرآنيًّا، تصريحًا مباشرًا، وبهذا تشبَّثَ المعترضونَ على النَّصوص القرآنيَّة الَّتي قيلَ إنَّها نازلةٌ بحقِّ مولاتنا الزَّهراءعليها السلام، وهؤلاء، يقينًا، إمَّا أنَّهم أغمضُوا الأعينَ عن أسباب النُّزول، وإمَّا أنَّهم نبذُوا الرِّوايات المصرِّحة بذلك وراء ظهورهم، وإمَّا أنَّهم فاتهم أنَّ التَّفسير، تارةً، يكونُ بالمصداق.

وبعبارةٍ أخرى، إنَّ النُّصوص القرآنيَّة الَّتي قالُوا عنها إنَّها نزلَتْ بحقِّها، فهي إمَّا

أنْ تكونَ نازلةً بحقِّ (أهل البيت عليهم السلام)، والزَّهراء عليها السلام داخلة ضمنًا، وإمَّا أنْ تكونَ نازلةً بحقِّ (أهل الكساء عليهم السلام)، والزَّهراء عليها السلام داخلة ضمنًا، وإمَّا أنْ تكونَ نازلةً بحقِّها عليها السلام على نحو التَّفرُّد، وهي، هنا، إنْ لم تكنْ بنحو (النُّزولِ)، فهي بنحو (المصداق)، وعلى فرض الثَّاني، فهي إنْ لم تكنْ مصداقَها الوحيد، فهي أرقى مصاديقها.

فَرَضِيَّةُ البَحْثِ: يفترض البحث أنَّ النُّصوص القرآنيَّة المقدَّمة هي بحقِّ الزَّهراء عليها السلام، إمَّا نزولًا، وإمَّا مصداقًا، ويسعى جاهدًا لإثبات هذه الفرضيَّة. وبهذا يردُّ على المعترضينَ في مشكلة البحثِ؛ لأنَّ «التَّشخيص الصَّحيح للمشكلة هو نصف الطَّريق إلى العلاج، أو حتَّى ثلاثة أرباعه»[1].

خُطَّةُ البَحْثِ: قامَتْ على مقدِّمة، وثلاثة مباحث، تضمَّنتِ المقدِّمة أهميَّة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والسُّؤال الَّذي يريد الإجابة عليه في تحديد مشكلة البحث، وأمَّا المَبْحَثُ الأَوَّلُ فقد كانَ بعنوان (النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ فاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام؛ ضمنَ أهلِ البيتِ عليهم السلام)، وأمَّا المبحث الثَّاني فقد كانَ بعنوان (النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ فاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام ضمنَ أهلِ الكساء عليهم السلام)، وأمَّا المَبْحَثُ الثَّالث فقد كانَ بعنوان (النُّصُوص القُرْآنِيَّة النَّازِلَة بِحَقِّ فاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام على نحو التَّفرُّد)، إنْ لم تكنْ على نحوِ النُّزول، فهي على نحوِ المصداق.

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ: اعتمدْنا مناهج عدَّة: المنهج (الاستقرائيّ)، والمنهج (التَّحليليّ)، والمنهج (القرآنيّ)، والمنهج (الرِّوائيّ)، والمنهج (التَّأريخيّ)، والمنهج (العقليّ)، والمنهج (التَّأويليّ) بضمَّ بعضها إلى بعض؛ للكشف عن قضيَّة غير مصرَّح بها قرآنيًّا، وتفريع بعضها على بعض، ووظَّفْنا في هذا البحث أسباب النُّزول، وشأن النُّزول، والقراءات القرآنيَّة، ودليل (الإشارة)، والملازمات (العقليَّة)، و(الواقع)، و(الاستشهاد)، و(المصداق)؛ لإثبات أنَّ النُّصوص القرآنيَّة الَّتي هي محلّ (الدِّراسة والتَّحليل) نازلة

(١) د. هاشم صالح، أركُون وتشخيص المرض الإسلاميّ: ٧.

بحقِّ مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ: إنَّ (المصادر والمراجع)، قد كانَتْ ثلاثة أقسامٍ رئيسةٍ، أمَّا القسم (الأوَّل) فهو (المصادر القديمة)، وهي الَّتي وفاة أعلامها محصورة من بداية السَّنة الهجريَّة الأولى إلى سنة (١٢٥٠هـ)، وهذه رُتِّبَتْ على النَّحو الآتي: الشُّهرة، الكنية، اللَّقب الاسم الثَّلاثيّ (سنة الوفاة بالسَّنَة الهجريَّة)، والمصادر الرئيسة في هذا القسم (كتب التَّفسير) عند مدرسة الحِلَّة التَّفسيريَّة.

وأمَّا القسم (الثَّاني) فهو (المراجع الحديثة)، وهي الَّتي تستقي معلوماتها من المصادر القديمة، وهي الَّتي وفاة أعلامها بعد سنة (١٢٥٠هـ) حتَّى يومنا هذا، فتدخل ضمنها مصادر (المتأخِّرينَ)، ومصادر (متأخِّري المتأخِّرينَ)، ومصادر (المعاصرينَ)، الَّذينَ أدركْنا حياتَهم، فعاصْرناهم، ومصادر هذا القسم رتَّبْناها على النَّحو الآتي: الاسم الثُّلاثيّ (سنة الوفاة بالسَّنَة الهجريَّة)، وإنْ كانَ حيًّا نعقِّب اسمه بالقول: (معاصر)، وإنْ كانَ من حملة الدُّكتوراه نعقِّب اسمه بالقول: (الدُّكتور).

وأمَّا القسم (الثَّالث) فهو (مقدَّمات الكتب).

وآخرُنا دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ

الباحثتان

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

النُّصُوصُ النَّازِلَةُ بِحَقِّهَا عَلَى نَحْوِ الانْفِرَادِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: آيةُ (الطَّاعَة)

في هذه الآية الكريمة المباركة فُسِّرتْ لفظة (الصَّالحينَ) بـ(الزَّهراءِ)؛ على النَّحو الآتي:

الفَرْعُ الأَوَّلُ: تحديدُ النَّصِّ القُرآنيّ

قـالَ تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

الشَّاهد فيه: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾.

الفَرْعُ الثَّاني: بيانُ تفسيرِ النَّصِّ

بيَّنُوا أنَّ اللَّفظة يُرادُ بها (فاطمة الزَّهراء)عليها السلام[2]؛ استنادًا لما رُوي عن النَّبيّ الأكرم محمَّدصلى الله عليه وآله؛ إذ قالَ: «**النَّبيُّونَ أنا، والصِّدِّيقونَ عليّ، والشُّهداء حمزة، والصَّالحونَ فاطمة...**»[3]. وحريٌّ بنا أنْ نُنَوِّهَ أنَّ البيان هنا من قبيل (المصداق)، لا من قبيل التَّفسير، لكنَّه غير منحصرٍ به، وبعبارةٍ أخرى: ناظرٌ إلى أرقى المصاديق، فمولاتنا فاطمة الزَّهراءعليها السلام هي من أرقى مصاديق الصَّالحينَ.

---

(١) النِّساء: ٦٩.

(٢) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٧٠.

(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٥/ ١٦.

الفَرْعُ الثَّالثُ: تحليلُ تفسيرِ النَّصِّ

إنَّ هـذا البيان، وإنْ كـانَ بالمصداق، قائمٌ على المنهج الأثـريّ، أي: (بيان القرآن بالسُّنَّة)، ووردَ هنا بما رُوِيَ عن النَّبيّ الأكـرم محمَّدصلى الله عليه وآله[1]. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ قبول هذا النَّوع من البيان متوقِّفٌ على صحَّة (الرِّواية) المفسِّرة للنَّصِّ القرآني (متنًا)، و(سندًا)، مع التَّسليم التَّامِّ بصحَّة هذا المنهج المتَّبع للوصول إلى (المصداق).

ولعلَّ أوَّل من ذكرَ هذا البيان (المصداقيّ)، بحسب تتبُّعنا، هو الطَّبريّ الصَّغير: أبو جعفر، محمَّد بن جرير بن رستم الآمليّ الإماميّ (حيٌّ بعد ٤١١هـ)[2]، ثمَّ جاء بعده البِرْسِيّ (الحافظ): رضيّ الدِّين رَجَب بن محمَّد الحِلِّيّ (ت ٨١٣هـ)، وتلاه شرف الدِّين عليّ الحسينيّ الإسترآباديّ النَّجفيّ (ت ٩٤٠هـ)[3].

أمَّا الحديث الشَّريف فلم نجدْهُ بسوى (البحار) للعَلَّامَة المجلسيّ (ت ١١١٠هـ)؛ ورُبَما أخذه من (الدُّرُّ الثَّمين) للبِرْسِيّ؛ لأنَّ الأخير مصدرٌ من مصادر البحار. والَّذي نُحبُّ أنْ نلفتَ الانتباه له أنَّنا وجدْنا المصاديق الَّذي ذكرها الحديث الشَّريف في بعض الكتب المعتبرة عند مدرسة أهل البيتعليهم السلام[4]. أمَّا تقديم حمزة بن عبد المطلب (ت ٣هـ) بكونه أرقى مصداق للشُّهداء في هذا النَّصِّ القُرآنيّ، فيمكن حمله على الشُّهداء من غير المعصومينَ صلواتُ الله عليهم أجمعينَ.

وممَّا يؤيِّد ما ذهبْنا إليه أنَّ مولاتنا الزَّهراءعليها السلام هي مصداق للصَّالحينَ، إلَّا أنَّ المصداق غير منحصرٍ بها، أنَّ ابن عبَّاس (ت ٦٨هـ) قالَ: «هذه الآية تختصُّ بأمير المؤمنينَعليه السلام عدا النُّبوَّة؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ صدِّيق، وليس كلُّ صدِّيقٍ نبيٍّ شهيدٍ، وأمير المؤمنينَ صدِّيق وشهيد

(١) ظ: د. محمَّد حسين الصَّغير، المبادئ العامَّة لتفسير القرآن: ٩٤.
(٢) ظ: الطَّبريّ الصَّغير، نوادر المعجزات: ٢/ ٨٣.
(٣) ظ: شرف الدِّين الإسترآباديّ، تأويل الآيات: ١/ ١٣٩.
(٤) ظ: الكُلينيّ، الكافي: ١/ ٤٥٠.

وصالح...»[1]، فأمير المؤمنينَ عليه السلام هو الآخر من أرقى مصاديق الصَّالحيَن، أمَّا قول ابن عبَّاس بكون الآية تختصُّ بأمير المؤمنينَ عليه السلام، فمحمول على (الصِّدِّيق الأكبر)، فهو من مختصَّاته؛ وممَّا يؤيِّد ذلك أحاديث كثيرة نصَّتْ على أنَّ (الصِّدِّيق الأكبر) من مختصَّات أمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد ذكرَتْها كتب المناقب[2]، وكتب الأخلاق[3]، والمصادر المهدويَّة[4]، وكتب المأثور من مدرسة أهل البيت عليهم السلام[5]، وكتب السُّنن من مدرسة الصَّحابة[6].

المَطْلَبُ الثَّاني: آيةُ (الكَوْثَرِ)

في هذه الآية الكريمة المباركة، فُسِّرتْ لفظة (الكَوْثَرِ) بـ (الزَّهراءِ)؛ على النَّحو الآتي:

الفَرْعُ الأوَّلُ: تحديدُ النَّصِّ القُرآنيّ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[7].

الشَّاهد فيه: ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾.

الفَرْعُ الثَّاني: بيانُ تفسيرِ النَّصِّ

بيَّنُوا أنَّ اللَّفظة يُرادُ بها (فاطمة الزَّهراء)عليها السلام[8]؛ استنادًا إلى (ظاهر اللَّفظ)، إلَّا أنَّه ليس من جنس الظُّهور (الواضح)، الَّذي لا يَخفى على كلِّ أحدٍ؛ وإنَّما هو من

(١) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٧٥.
(٢) ظ: محمَّد بن سليمان الكوفيّ، مناقب الإمام أمير المؤمنيَن: ٢/ ٢٧٧.
(٣) ظ: الصَّدوق، الخصال: ١٨٤.
(٤) ظ: الطُّوسيّ، كتاب الغيبة: ٩٦-٩٧.
(٥) ظ: أبو شجاع الدَّيلميّ، الفردوس بمأثور الخطاب: ٢/ ١٢١.
(٦) ظ: المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١١/ ٦١٢.
(٧) الكوثر: ١.
(٨) ظ: محمَّد رضا المظفَّر، أصول الفِقْه: ٣/ ١٣١.

جنس الظُّهور (التَّأمُّليّ) الَّذي يَخفى على كثيرٍ من النَّاس؛ لأنَّه يحتاجُ إلى تأمُّلٍ وبصيرةٍ، وهـؤلاءِ لا تأمُّلَ لديهم ولا بصيرةَ عندهم، لكنَّه لا يَخفى في الحقيقة على أصحاب (التَّأمُّلِ والبصيرة)[1].

الفَرْعُ الثَّالثُ: تحليلُ تفسيرِ النَّصِّ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[2]، هذه الآية الكريمة المباركة ظاهرة في أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أنعمَ على النَّبيّ الأكرم محمَّدصلى الله عليه وآله بإعطائه (الكوثر). وهذا الظُّهور بهذا المقدار لا شكَّ فيه لكلِّ أحدٍ، ولكنْ ليسَ كلُّ النَّاسِ فهمُوا المرادَ من (الكوثر)[3]

فهناك عدَّةُ أقوالٍ قيلَتْ في المراد من الكوثر: أمَّا القول (الأوَّلُ): فقد ذهبَ أصحابُه إلى أنَّ المراد بالكوثر (نهر في الجنَّة)، وأمَّا القول (الثَّاني): فقد ذهبَ أصحابُه إلى أنَّ المراد بالكوثر (القرآن والنُّبُوَّة)، وأمَّا القول (الثَّالثُ): فقد ذهبَ أصحابُه إلى أنَّ المراد بالكوثر (فاطمة الزَّهراء)عليها السلام، وقيل غير ذلك[4].

ولكن من يدقِّق في سورة (الكوثر) يجد فيها قرينةً تدلُّ على أنَّ المراد بالكوثر (فاطمة الزَّهراء)عليها السلام دون سواها، والقرينة هي الآية الكريمة المباركة التي وردَت بعدها، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[5]. والأبـتر: هو الَّـذي لا عَقِبَ له، وبمقتضى المقابلة بين (إعطاء الكوثر)، و(بُغض الأبتر) يُفهَم أنَّ المراد بـ(إعطاء الكوثر): الإنعام عليه بـ(كَثْرَةِ العَقِبِ والذُّرِّيَّة).

وكلمة (الكوثر) لا تأبى عن ذلك، فقد جاءَتْ على وزن: (فَوْعَل) الدَّالة على

(١) ظ: محمَّد رضا المظفَّر، أصول الفِقْه: ٣/ ١٣١.
(٢) الكوثر: ١.
(٣) ظ: محمَّد رضا المظفَّر، أصول الفِقْه: ٣/ ١٣١.
(٤) ظ: المصدر نفسه: ٣/ ١٣١.
(٥) الكوثر: ٣.

(المبالغة)، فيراد بها المبالغة في الكثرة، والكثرة نماء العدد فيكون المعنى : إنَّا أعطيناك الكثير من (الذُّرِّيَّة والنَّسل).

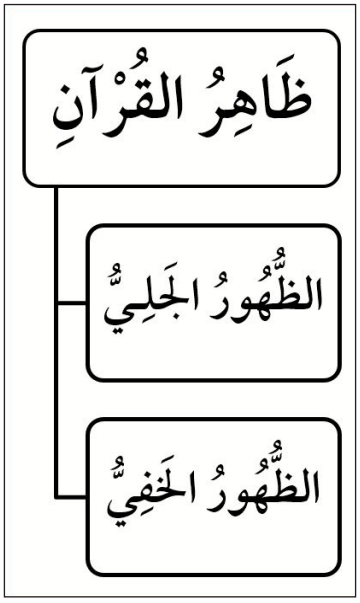
وبهذا يكون هذا الظُّهور للآية الكريمة المباركة هو الظُّهور الَّذي يَصِحُّ الاحتجاج به؛ لأنَّه ظهور تحقَّقَ بعد (التَّأمُّل والتَّبصُّر). وكشفَ لنا صحَّة تفسير كلمة (الكوثر) بـ(فاطمة الزَّهراء)عليها السلام؛ لانحصار ذرِّيَّة النَّبيّ الأكرم محمَّدصلى الله عليه وآله الكثيرة من طريقهاعليها السلام، لا على أنَّ الكوثر من أسمائها[1].

إنَّ (ظاهر القرآن) ليسَ على نسقٍ واحدٍ، بالنِّسبة إلى أكثر النَّاس، فهو يختلف (ظهورًا وخفاءً) من شخصٍ لآخر، وهذا الاختلاف لا يُخرِجُ الكلام عن كونِهِ (ظاهرًا) يَصْلَحُ الاحتجاج به عند أهلِهِ[2].

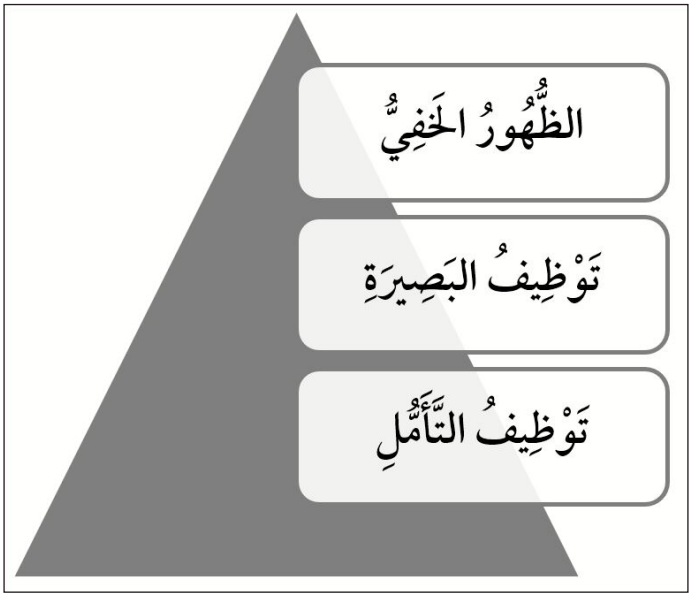
فقد يكون للآية الواحدة ظهورانِ، أحدهما: ظهور (جليٌّ): لا يَخفى على أحدٍ، فالعقل (التَّفسيريّ) هنا متساوٍ في الإدراك، والآخر: ظهور (خفيٌّ): يخفى على كثيرٍ من النَّاس، إلَّا أنَّه لا يَخفى على أهل (التَّأمُّل)، و(البصيرة)، فهؤلاءِ هم من يدركونَ ظهوره هنا، وإدراكهم هو الَّذي يكون حُجَّةً، فهم أهلُهُ[3].

فالعقل (التَّفسيريّ) هنا تصنَّفَ على صنفينِ: صنفٌ وظَّف (التَّأمُّل)، و(البصيرة) للوصول إلى الظُّهور (الخفيّ)، فأدركَه، وصنفٌ لا يجيد هاتينِ الخصيصَتَينِ، فتعذَّرَ عليه الوصول إلى الظُّهور (الخفيّ).

(١) (١) ظ: محمَّد رضا المظفَّر، أصول الفِقْه، ٣، ١٣١.
(٢) (٢) ظ: المصدر نفسه، ٣، ١٣٠.
(٣) (٣) ظ: المصدر نفسه، ٣، ١٣١.



مخطَّطُ يوضِّحُ أَصْنَافُ (ظَاهِرِ القُرْآنِ)



مُخَطَّطٌ يُوَضِّحُ الوُصولَ إلى الظُّهُور الخَفِيِّ

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: آيَةُ (القَطْعِ)

الفَرْعُ الأَوَّلُ: تَحْدِيدُ النَّصِّ القُرْآنِيِّ

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

الشَّاهد فيه: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾.

الفَرْعُ الثَّانِي: بَيَانُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ يُراد به «يقطعونَ فاطمةَ عن إرثِها، وقد أمرَ اللهُ أنْ يَصِلُوها»[2].

الفَرْعُ الثَّالِثُ: تَحْلِيلُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

يبدو أنَّ هذا القول مأخوذٌ من قول الإمام الحسن العسكريّ: أبي محمَّد، الحسن ابن عليّ (ت ٢٦٠هـ): «**ويقطعُونَ ما أمرَ اللهُ به أَنْ يُوصلَ منَ الأرحامِ والقراباتِ أنْ يتعاهدُوهم، ويقضُوا حقوقَهم، وأفضلُ رَحِمٍ وأوجبُهُ حقًّا محمَّد، فإنَّ حقَّهم بمحمَّد، كما أنَّ حقِّ قراباتِ الإنسانِ بأبيهِ وأمِّهِ، ومحمَّد أعظمُ حقًّا منْ أبويهِ، كذلك حقُّ رحمِهِ أعظمُ وقطيعتُهُ أفظعُ وأفضحُ**»[3].

---

(١) البقرة: ٢٧.

(٢) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٤٤.

(٣) الإمام العسكريّ، تفسير الإمام العسكريّ: ٢٠٧، شرف الدِّين الإسترآباديّ، تأويل الآيات: ١/ ٢٣٢.

المَبْحَثُ الثَّاني

النُّصُوصُ النَّازِلَةُ بِحَقِّ الزَّهْرَاءِ مَعَ عِتْرَتِهَا

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: آيَةُ (الإِيْتَاءِ)

الفَرْعُ الأَوَّلُ: تَحْدِيدُ النَّصِّ القُرْآنِيِّ

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

الشَّاهد فيه: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

الفَرْعُ الثَّانِي: بَيَانُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يُراد به «صلة الزَّهراء وعترتها الهداة الميامينَ عليهم صلوات المصلِّينَ»[2].

الفَرْعُ الثَّالِثُ: تَحْلِيلُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، أي: إعطاء المال لذوي القرابة، وهو من أفراد الإحسان خُصَّ بالذِّكر؛ ليدلَّ على مزيد العناية بإصلاح هذا المجتمع الصَّغير الَّذي هو السَّبب لانعقاد المجتمع الكبير، فالمجتمعات المدنيَّة العظيمة ابتدأت من مجتمع بيتي عقدَهُ الازدواج، ثمَّ بسطَهُ التَّوالد والتَّناسل ووسَّعه حتَّى صارَ قبيلةً وعشيرةً، ولم يزل يتزايد ويتكاثر حتَّى عادَتْ أمَّةً عظيمةً. فالمراد بذي القربي الجنس دون الفرد، وهو

(١) النَّحل: ٩٠.
(٢) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ١٤٠.

عامٌّ لكلِّ قرابة[1].

وفي التَّفسير المأثور عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام أنَّ المراد بذي القربى الإمام من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله من عترة الزَّهراء عليها السلام، والمراد بالإيتاء إعطاء الخمس الَّذي فرضَهُ الله سبحانه وتعالى لهم[2]. في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[3].

ولعل التَّعبير بالإفراد: (ذي القربى)، ولم يقل: (ذوي القربي) بالجمع كما وردَ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[4]، أو (أولي القربى) بالجمع أيضًا، كما وردَ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[5]، يؤيِّد ذلك[6].

«واحتمال إرادة الجنس من ذي القربى يُبعده ما وقع في سياق آية (الخُمْسِ) من ذِكر (اليتامى والمساكين) معه بصيغة الجمع، مع عدم ظهور نكتة يختصُّ بها ذوي القربي أو اليتامى والمساكين تقضي الفرق»[7].

المَطْلَبُ الثَّاني: آيَةُ (الأئمَّة)

الفَرْعُ الأَوَّلُ: تَحْدِيدُ النَّصِّ القُرْآنِيِّ

قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ

(١) (٣) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ، الميزان، ١٢، ٣٣٢.
(٢) (١) ظ: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ، الميزان، ١٢، ٣٣٢.
(٣) (٢) النساء: ٨.
(٤) (٣) البقرة، ١٧٧.
(٥) (٤) النِّساء، ٨.
(٦) (٥) ظ: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ، الميزان، ١٢، ٣٣٢.
(٧) (٦) المصدر نفسه، ١٢، ٣٣٢- ٣٣٣.

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1].

الشَّاهد فيه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾.

الفَرْعُ الثَّانِي: بَيَانُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ يُراد به أولاد فاطمة الزَّهراء عليها السلام[2].

الفَرْعُ الثَّالِثُ: تَحْلِيلُ تَفْسِيرِ النَّصِّ

الأئمَّة هم أولاد فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الأحد عشر) عليهم السلام؛ بدلالة وصفهم بقوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، فهم قرناء القرآن وعدله الَّذي قالَ عنه جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[3].

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ التَّفسير قائم على (المنهج الأثريّ)، تفسير القرآن برواية أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قالَ: «**يعني: الأئمَّة من وُلْدِ فاطمة يُوْحَى إليهم بالرُّوحِ**»[4]. وبه قالَ ابن عبَّاس (ت ٦٨هـ)[5].

(١) الأنبياء، ٧٣.
(٢) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ١٩١.
(٣) الإسراء: ٩.
(٤) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٤/ ١٥٨.
(٥) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ١٩١.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

النُّصُوصُ النَّازِلَةُ بِحَقِّهَا ضِمْنَ أَهْلِ الكِسَاءِ

المَطْلَبُ الأوَّلُ: آيَةُ (المُبَاهَلَةِ)

الفَرْعُ الأوَّلُ: تحديدُ النَّصِّ القُرآنيّ

قالَ تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

الشَّاهد فيه: ﴿وَنِسَآءَنَا﴾.

الفَرْعُ الثَّاني: بيانُ تفسيرِ النَّصِّ

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾، أخرجَ النَّبِيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء، بوصفها تمثِّل نساء النَّبِيّ، قبالة نساء نصارى نجران[2].

الفَرْعُ الثَّالثُ: تحليلُ تفسيرِ النَّصِّ

واضحٌ من هذا النَّصِّ أنَّ (العقل التَّفسيريّ) ارتكز على (الرِّوايات التَّفسيريَّة)[3]، و(المرويَّات التَّأريخيَّة)[4]، وهما هنا لم يختلفا بكون لفظة (نساءنا) الواردة في النَّصِّ القرآنيّ (فاطمة الزَّهراء عليها السلام)، من دو خلافٍ بين المفسِّرينَ، سواء من مدرسة

(١) آل عمران: ٦١.
(٢) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٦٣.
(٣) ظ: الترِّمذيّ، صحيح الترِّمذيّ: ٥/ ٢٢٥.
(٤) ظ: عبد الله السَّبيتيّ، المباهلة: ٦٦.

(أهل البيت)[1] كانُوا، أم من مدرسة (الصَّحابة)؟ من الأشاعرة[2] كانُوا، أم من المعتزلة[3]؟.

فقد وردَ أنَّ (الأبناء) هما (الحسن، والحسين عليهما السلام)، و(النِّساء) هي (فاطمة الزَّهراء)، و(النَّفس) هو (عليّ) أمير المؤمنين عليه السلام، بهؤلاءِ باهَلَ النَّبيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله أعداءه آنذاك، نصارى (نجران)[4].

فقد خرجَ رسولُ الله محمَّد صلى الله عليه وآله، وعليه مِرْط من شَعْر أسود، وقد كانَ قدِ احتضنَ (الحسين عليه السلام)، وأخذ بيده (الحسن عليه السلام)، و(فاطمة الزَّهراء عليها السلام) تمشي خلفه، و(عليّ عليه السلام) خلفها[5]، وهو يقول، أي النَّبِيّ: «**إِذَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا**»[6].

ولا دليلَ أقوى من هذا الدَّليل على فضل فاطمة الزَّهراء عليها السلام على سائر النِّساء، وسائر الصَّحابة؛ لأنَّ النَّبِيّ محمَّد صلى الله عليه وآله لـمَّا نزلَتْ (آية المباهلة)، دعا فاطمة الزَّهراء عليها السلام تمثِّلُ قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءَنَا﴾، وأنَّ أبناءها يسمَّونَ (أبناء النَّبِيّ)، وينتسبونَ إليه، وهي نسبة صحيحةٌ نافعةٌ في الدُّنيا والآخرة[7].

وهنا يحقُّ أنْ نتساءلَ: إنْ كانَتْ لفظة (النِّساء) منسوبةً إلى النَّبِيّ محمَّد صلى الله عليه وآله فُسِّرَتْ بـ(فاطمة الزَّهراء)، ولم تُفسَّر بـ(نساء النَّبِيّ)، فكيفَ تفسَّرُ لفظة (أهل البيت) في (آية التَّطهير) بـ(نساء النَّبِيّ)، في بعض المرويَّات التَّأريخيَّة[8]؟.

---

(١) ظ: البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٦٣.
(٢) ظ: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: ٨/ ٨٠.
(٣) ظ: الزَّمخشريّ، الكشَّاف: ١/ ٤٣٤.
(٤) ظ: البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ٦٣.
(٥) ظ: الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: ٨/ ٨٠.
(٦) المصدر نفسه: ٨/ ٨٠.
(٧) ظ: الزَّمخشريّ، الكشَّاف: ١/ ٤٣٤.
(٨) ظ: الطَّبريّ، جامع البيان: ١٩/ ١٠١.

المَطْلَبُ الثّاني: آيَةُ (الكَنْز)

الفَرْعُ الأوَّلُ: تحديدُ النَّصِّ القُرآنيّ

قالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾[1].

الشّاهد فيه: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾.

الفَرْعُ الثّاني: بيانُ تفسيرِ النَّصِّ

إنَّ (الكنز) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب مكتوب عليه: «﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] **عجبْتُ لمن أيقنَ بالدَّهر كيف يحزن، وعجبْتُ لمن أيقنَ بالنَّار كيف يفرح، وعجبْتُ لمن يعرف الدُّنيا كيف يطمئنُّ إليها، وعلى الجانب: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب حبيبه، الحسن والحسين سبطاه يُقتلانِ ظلمًا، فاطمة الزَّكيَّة حياتها بعد أبيها ستَّةُ أشهرٍ**»[3].

الفَرْعُ الثّالثُ: تحليلُ تفسيرِ النَّصِّ

إنَّ هذا الخبر قد نقلَتْهُ كتب (الأخلاق)[4]، وكتب التَّفسير ذات الاتجّاه (الأخباريّ)[5]، وكتب (الحديث)[6].

---

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الفاتحة: ١.

(٣) البِرْسِيّ، الدُّرُّ الثَّمين: ١٦٥-١٦٦.

(٤) ظ: عليّ الطَّبْرَسِيّ، مشكاة الأنوار: ٥٢٠.

(٥) الفيض الكاشانيّ، التَّفسير الصَّافي: ٣/ ٢٥٧.

(٦) المجلسيّ، بحار الأنوار: ١٣/ ٢٨٨.

الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

وما خلَصْنا إليه في هذا البحث يمكننا أنْ نجملَه، بما يأتي:

١. إنَّ النُّصوص القرآنيَّة الَّتي نزلَتْ بحق مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام أربعة أضرب، أمَّا الضَّرب الأوَّل: فهو نصوص نزلَتْ بحقِّها على نحو (الانفراد)، وأمَّا الضَّرب الثَّاني: فهو نصوص نزلَتْ بحقِّها ضمن أبنائها، وأمَّا الضَّرب الثَّالث: فهو نصوص نزلَتْ بحقِّها ضمن أهل الكساء، وأمَّا الضَّرب الرَّابع: فهو نصوص نزلَتْ بحقِّها ضمن أهل البيت عليهم السلام، وقد تناولنا في هذا البحث الأضرب الثَّلاثة الأولى.

٢. إنَّ النُّصوص الَّتي نزلَتْ بحقِّ الزَّهراء عليها السلام بعضها من باب التَّفسير، وبعضها من باب المصداق، فالزَّهراء من مصاديقها الرَّاقية؛ إلَّا أنَّ المصداق غير منحصرٍ بها.

٣. ظاهر القرآنِ صِنفانِ: ظاهرُ (جَلِيٌّ)، وظاهر (خَفِيٌّ)، ومن صنفِ الثَّاني تفسير لفظة (الكوثر) في الآية الأولى من سورة (الكوثر) بـ(الزَّهراء) عليها السلام، وهو ظاهر لا يتحصَّل إلَّا بأمرينِ: (التَّأمُّل)، و(البصيرة)؛ لذا يَخْفَى على كثيرٍ من النَّاسِ ممَّن يفتقرونَ إلى هاتينِ الخصيصَتَينِ.

٤. إنَّ العقل (التَّفسيريّ)، في تأمُّلِهِ وبصيرتِهِ، للوصول إلى الظُّهور (الخَفِيِّ)، قد يوظِّفُ المنهج القُرْآنيّ، قاعدة (تفسير القُرْآن بالقُرْآن)، وذلك باعتماد إحدى الآيتَينِ قرينةً على تشخيص الظُّهور (الخَفِيِّ) للآية الأخرى.

٥. صحَّة تفسير كلمة (الكوثر) بـ(فاطمة الزَّهراء)عليها السلام؛ لانحصار ذرِّيَّة النَّبيّ الأكرم محمَّدصلى الله عليه وآله الكثيرة من طريقها عليها السلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فهو قرينة شخَّصَتِ الظُّهور بمقتضى أنَّها تقابلُ (إعطاء الكوثر)، الدَّالِّ على (كَثْرَةِ العَقِبِ والذُّرِّيَّةِ)، وعدم صحَّة حمَلِ (الكوثر) على أنَّها اسمٌ من أسماء الزَّهراء عليها السلام.

٦. إنَّ للأصوليِّينَ نصيبٌ في تفسير القرآن، وتفسيرهم لا يقتصر على (آيات الأحكام)، وإنْ كانَتْ مساحتهم الرَّئيسة هي، إلَّا قواعدهم الأصوليَّة قد تكون عامَّةً تنطبق على القرآن كلِّه، وإنْ أجـرُوا تطبيقها على (آيات الأحكام).

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

خيرُ ما نبتدئُ به: القرآنُ الكريمُ.

أوَّلًا: المَصَادِرُ القَدِيمَةُ

١. البِرْسِيّ (الحافظ): رضيّ الدِّين رَجَب بن محمَّد الحِلِّيّ (ت ٨١٣هـ)، الدُّرُّ الثَّمين في خمسمِائَة آية نزلَتْ في حقِّ أمير المؤمنينَ عليه السلام بإجماع أكثر المفسِّرينَ من أهل الدِّين، تحقيق: عليّ عاشور، ط٣، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلاميّ، قم المشرَّفة، ١٤٣٠هـ.

٢. التِّرمذيّ: أبو عيسى، الحافظ محمَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، المعروف بـ(سنن التِّرمذيّ)، تحقيق: د. بشَّار عوَّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣. الرَّازيّ: أبو عبد الله، فخر الدِّين محمَّد بن عُمَر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، المعروف بـ (تفسير الرَّازيّ)، أوِ (التَّفسير الكبير)، ط٣، دار الكتب العلميَّة، طهران، ١٤٢٠هـ.

٤. الزَّمخشريّ: أبو القاسم، جار الله محمود بن عُمَر (ت ٥٣٨هـ)، تفسير الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تـح: محمَّد عبد السَّلام شاهين، ط٤، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٥. أبو شجاع الدَّيلميّ: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه الهمذانيّ (ت ٥٠٩هـ)،

الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: السَّعيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٦. شرف الدِّين عليّ الحسينيّ الإسترآباديّ النَّجفيّ (ت ٩٤٠هـ)، تأويل الآيات الظَّاهرة في فضائل العترة الطَّاهرة، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ط١، منشورات: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المشرَّفة، ١٤٠٧هـ.

٧. الصَّدوق: أبو جعفر، رئيس المحدِّثينَ محمَّد بن عليّ بن بابويهِ القُمِيّ (ت ٣٨١هـ)، الخصال، تحقيق: عليّ أكبر الغفَّاري، منشورات: جماعة المدرِّسينَ، قم المشرَّفة، ١٤٠٣هـ.

٨. الطَّبَريُّ: أَبو جعفر، محمَّد بن جَرِير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بـ (تفسير الطَّبريِّ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التُّركيِّ، مطابع الشَّبانات الدَّوليَّة، د.ط، منشورات: دار عالم الكتب للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ١٤٣٦هـ.

٩. الطَّبْرَسِيّ: أبو الفضل، عليّ بن الحسن (٦هـ)، مشكاة الأنوار في غُرَر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، ط١، دار الحديث، د.م، ١٤١٨هـ.

١٠. الطَّبريّ الصَّغير: أبو جعفر، محمَّد بن جرير بن رستم الآمليّ الإماميّ (حيٌّ بعد ٤١١هـ)، نوادر المعجزات في مناقب الأئمَّة الهداة عليهم السلام، تحقيق: الشَّيخ باسم محمَّد الأسديّ، ط١، منشورات: دليل ما، قم المشرَّفة، ١٤٢٧هـ.

١١. الطُّوسيّ: أبو جعفر، شيخ الطَّائفة محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، كتاب الغيبة، تحقيق: الشَّيخ عباد الله الطهرانيّ، الشَّيخ عليّ أحمد ناصح، ط١، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم المشرَّفة، ١٤١١هـ.

١٢. عبد الله السَّبيتيّ: السَّيِّد (معاصر)، المباهلة، تقديم: صدر الدِّين شرف الدِّين الموسويّ، ط٢، مكتبة النَّجاح، بغداد، ١٤٠٢هـ.

١٣. العسكريّ (الإمام): أبو محمَّد الحسن بن عليّ (ت ٢٦٠هـ)، التَّفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ط١، منشورات: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم المشرَّفة، ١٤٠٩هـ.

١٤. الفيض الكاشانيّ: محمَّد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٩١هـ)، تفسير الصَّافي، ط٢، مؤسَّسة الهادي، قم المشرَّفة، ١٤١٦هـ.

١٥. الكُلينيّ: أبو جعفر، ثقة الإسلام محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: عليّ أكبر الغفَّاريّ، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٤٠٥هـ.

١٦. المتَّقي الهنديّ: علاء الدِّين عليّ بن حسام الدِّين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيَّاني، صفوة السَّقَّا، ط٥، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٧. المجلسيّ: محمَّد باقر (ت ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدُرَر أخبار الأئمَّة الأطهار، ط٢، دار الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٨. محمَّد بن سليمان الكوفيّ: أبو جعفر، الحافظ الصَّنعانيّ الزَّيديّ (من أعلام القَرْن الثَّالث الهجريّ)، مناقب الإمام أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: الشَّيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، مجمع إحياء الثَّقافة الإسلاميَّة، قم المشرَّفة، ١٤١٢هـ.

ثَانِيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

١٩. محمَّد حسين الصَّغير (الدُّكتور): الأُستاذ الأوَّل المتمرِّس في جامعة الكوفة، المبادئ العامَّة لتفسير القرآن الكريم بين النَّظريَّة والتَّطبيق، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٠. محمَّد رضا المظفَّر: مؤسِّس كلِّيَّة الفِقْه في النَّجف الأشرف (ت ١٣٨٣هـ)، أصول الفِقْه، ط١١، منشورات: إسماعيليَّان، قم المشرَّفة، ١٤٢٤هـ.

ثَالِثًا: مُقَدَّمَاتُ الكُتُبِ

٢١. هاشم صالح (الدُّكتور)، أركُون وتشخيص المرض الإسلاميّ؛ مجرَّد خواطر شخصيَّة، لا رثاء، مقدَّمة كتاب (تحرير الوعي الإسلاميّ؛ نحو الخروج من السِّياجات الدوغْمَائيَّة المغلقة) للدُّكتور محمَّد أركُون، ط١، دار الطَّليعة للطِّباعة والنَّشر، بيروت، ٢٠١١م.

آثار المضمون القرآنيّ من خطاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تحليليَّة للخطبة الفدكيَّة

الشيخ حيدر العريضي
ماجستير علوم القرآن

ملخَّص البحث

يتلخَّص بحثي الموسوم بـ(آثارُ المضمونِ القرآنيّ من خطاب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام – دراسة تحليليَّة للخطبة الفدكيَّة)، وبعد استعراض أهمِّ أسباب إلقاء تلك الخطبة الكبرى، وآثارها على مسامع المسلمين في المسجد النبويّ الشريف.

لقد استعملت السيِّدة الزَّهراء في خطبتها الكبرى (الفدكيَّة) نص الآيات القرآنيَّة كثيرًا، وكان من جملة خطابها القرآنيّ ما استعارته من الفاظٍ قرآنيَّة جاءت ضمنًا في جدالها مع القوم؛ لغرض تأدية معاني قرآنيَّة تفيد في إثبات حقِّها الشرعيّ من تركة النبيّ الأكرم وإرثه، وهذا ما ينقض دعوى الحاكم وقتها بأنَّه سمع حديثًا نبويًّا يمنعها من الإرث المادِّي، حيث استندت السيِّدة الزَّهراء في جدالها مع القوم بالاقتباس المعنويّ لآيِ القرآن الكريم (التناص)؛ لغرض إيصال مرادها للقوم، ومنه تنطلق لإثبات حقِّها المهتضَم، ممَّا دلَّ على معرفة السيِّدة التامَّة بأسرار القرآن ووحيه، وقد تنوَّعت الأساليب إلى ثلاثة، هي: أسلوب التذكير ترغيبًا، وأسلوب التحذير ترهيبًا، وأسلوب الإنكار والوعيد.

عند استقراء كلم الخطبة الفدكيَّة، يجد المتأمِّل فيها أنَّ مضامين الآيات القرآنيَّة قد توزَّعت في استعمالها الجدليّ إلى ثلاثة أقسام، فقسمٌ للتذكير والتحذير، وثانٍ للوعيد والترهيب، وثالث للتقريع والإنكار، حيث جاءت تلك المحاججة في تدرُّجٍ حكيمٍ يتناسب وكيفيَّة الإقناع العقليّ، وإلقاءً للحُجَّة البالغة، فظهر من البحث الكثير من أوجه التداخل في النظم الكلاميّ لفظًا ومعنى، بين خطاب السيِّدة الزَّهراء والمضمون القرآنيّ، وهو ما يُعرَف بـ(التناصِّ الواعي)، وقد اتَّسمَّ بالتحليل العميق على مستويات النظم الظاهر، والمعنى العميق للنصِّ.

ممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم كان منطقها عليها السلام ومنهجها في الحياة، فقد استشهدت كثيرًا بآياته المباركة ما بين نصٍّ ومضمون، أمَّا النصُّ القرآني فله نصيبه من مقالٍ كتبتُه سابقًا بعنوان (أثر النصِّ القرآني في خطاب فاطمة الزَّهراء)، واليوم أشرع في اقتناص جملة من المضامين القرآنيَّة المتخلِّلة بين طيَّات الخطبة الكبرى، ويكون منهجي البحثيّ هو التحليل لآراء المفسِّرين، وصولًا لأتمِّ المعاني وأغزرها.

اتَّسم البحث باعتماد المصادر التفسيريَّة لكِلَا المدرسَتَين (العامَّة والخاصَّة)، حيث ظهر مدى دقَّة السيِّدة الزَّهراء في استعمال المضمون القرآنيّ، ومطابقة تلك المضامين مع دعواها في مسألة أرض فدك وإرثها المادِّي والمعنويّ، فقد اتَّخذت عليها السلام سبيل التذكير للقوم بفضل أبيها المصطفى وبعلها المرتضى، ثمَّ حذَّرتهم من مغبَّة التمادي في ظلامتها، وبعد اليأس من الاستجابة أظهرت عليها السلام إنكارها لهم على عنادهم وتخاذلهم.

وتناولت في هذا البحث أهمَّ مخرجات الجدل الذي دار بين السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع أصحاب السقيفة، فقد ألقت عليها السلام خطبتها الكبرى المعروفة بالـ(الفدكيَّة) مستشهدةً بالكثير من الجمل الحواريَّة المستوحاة من الآيات القرآنيَّة، فقد اقتبستْ عليها السلام تلك النظم البديعة في جدالها مع القوم، كما استعملت عليها السلام النصَّ القرآنيّ أكثر ممَّا استعملتْ المضامين القرآنيَّة، فكان للأولى حظَّها الكثير من البحث في مقالٍ مستقل.

جاءت هذه الدراسة التحليليَّة لمضامين الآيات المباركة بعد إرجاعها إلى النصِّ الذي تضمَّنته، فهذه الرؤية العلميَّة استندت إلى جملة من التفاسير المعتبرة لدى الخاصَّة والعامَّة، وقد توزَّعت تلك المضامين القرآنيَّة إلى ثلاثة أقسام، بحسب متطلَّبات الجدل والإقناع للمخاطَب، وهذا التقسيم جاء متوافقًا مع البنى التحتيَّة للحوار العقلائيّ والحكيم، وهذه الأقسام الحواريَّة كما يلي:

أوَّلًا: المضامين القرآنيَّة الواردة لغرض التذكير بسوء الفعال، والتحذير من سوء عاقبة هذه الأفعال، كغصب فدك من يد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وغصب حقِّها وحقِّ بعلها عليه السلام في الخلافة.

ثانيًا: المضامين القرآنيَّة المتعلِّقة بموارد الوعيد للعصاة ترهيبًا من عقاب الجبَّار عزَّ وجلَّ، فالترغيب معلوم لديهم سلفًا ولا حاجة لذِكره.

ثالثًا: المضامين القرآنيَّة التي استعملت الإنكار على القوم الظالمين تقريعًا لما جنت أيديهم من منكر القول والعمل.

هكذا جرى الجدال الفاطميّ مع مغتصبي حقِّها عليها السلام، وشدَّة العتاب لبقيَّة القوم من الأنصار الذين سكتوا عن تلك الظلامة، ولم ينبسوا ببنت شفة، ولم يحرِّكوا ساكنًا منهم، فقرعتهم عليها السلام توبيخًا، وهم باكون تأثُّرًا ببلاغة بيان خطابها حول مبلغ ظلامتها عليها السلام وفداحته.

لقد خرجتُ بعدَّة نتائج مهمَّة تتناسب وأهميَّة ذلك الحدث وخطورته العقديَّة والتأريخيَّة، فتلك الخطبة البليغة بقيت على طول الزمان وثيقةً صارخةً بوجه الظلم والغاصبين.

وآخر الدعاء أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على خير خلقه المصطفى نبيِّنا محمَّد وعلى آله الطاهرين.

مقدِّمة

يؤلِّف الضدُّ النوعي غالبًا أهمَّ أدوات الحرب الناعمة التي يستعملها العدو تمهيدًا لغزوه، فمقارعة المجتمع المتديِّن لا تكون ناجعة إلَّا باسلوبٍ دينيٍّ، وينبغي التصدِّي لهذا العدوان بما يماثل أدواته الثقافيَّة، ومثله ما جرى من تعدٍّ على حرمة بضعة المصطفى ومهجته، فكانت تلك الظُّلامة أول مفرزات الانقلاب العقديّ وما جرى في السقيفة من إرتدادٍ على الأعقاب.

يلحظُ النُقَّاد هيمنة المضمون القرآنيّ على نفوس الأدباء؛ بسبب ثراء آياته المباركة بمعانٍ لا تنفد، وسيطرة نُظم أسلوبه الفنيِّ المعجز[1]، ولأجله فقد استعملت السيِّدة الزَّهراء في خطبتها الكبرى (الفدكيَّة) نصَّ الآيات القرآنيَّة كثيرًا، وكان من جملة خطابها القرآنيّ ما استعارته من ألفاظٍ قرآنيَّة جاءت ضمنًا في جدالها مع القوم؛ لغرض تأدية معاني قرآنيَّة تفيد لإثبات حقِّها الشرعيّ من تِركَة النبيّ الأكرم وإرثه، وهذا ما ينقض دعوى الحاكم وقتها، بأنَّه سمع حديثًا نبويًّا يمنعها من الإرث المادِّي[2].

عند استقراء كلمات الخطبة الفدكيَّة يجد المتأمِّل فيها أنَّ مضامين الآيات القرآنيَّة قد توزعتْ في استعمالها الجدليّ إلى ثلاثة أقسام، فقسمٌ للتذكير والتحذير، وثاني للوعيد والترهيب، وثالث للتقريع والإنكار، حيثُ جاءت تلك المحاججة في تدرُّجٍ حكيمٍ يتناسب وكيفيَّة الاقناع العقليّ، وإلقاءً للحُجَّة البالغة.

(١) يُنظر: د. خليل كاظم غيلان، تمظهرات التناص القرآنيّ في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الفدكيَّة، مقال، مجلَّة أدباء ذي قار، العدد ١٦، ق٢، ص٢٥٧.

(٢) الفخر الرازي، أبو عبد الله محمَّد بن عمر البكريّ، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.

ممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن الكريم كان منطقها عليها السلام ومنهجها في الحياة، فقد استشهدت بآياته المباركة كثيرًا ما بين نصٍّ ومضمون، حيث حمل خطابها القرآنيّ رؤى فكريَّة وضعت حدًّا لتخرُّصات الجاهليَّة.

لقد كان للنصُّ القرآنيّ نصيبُهُ من مقالٍ كتبتُه سابقًا بعنوان (أثر النصِّ القرآنيّ في خطاب فاطمة الزَّهراء)، واليوم أشرع في اقتناص جملة من المضامين القرآنيَّة المتخلِّلة بين طيَّات الخطبة الكبرى، ويكون منهجي البحثيّ هو التحليل لآراء المفسِّرين؛ استنارةً بآرائهم في معرفة دلالة هذا التوظيف للمضمون القرآنيّ.

سوابق بحثيَّة

أوَّلًا: تمظهرات التناصِّ القرآنيّ في خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الفدكيَّة. د. خليل كاظم غيلان، د. ستَّار قاسم عبد الله.

ثانيًا: تداعيات (التناص الواعي) في النصِّ المعصوم. م.د. عماد صالح جوهر.

ثالثًا: الاقتباس والتضمين في الخطبة الفدكيَّة. م.د. فضيلة عبّوسي محسن العامريّ.

رابعًا: الاقتباس القرآنيّ في خطبة الزَّهراء الفدكيَّة. الشيخ فوزي السيف.

وغيرها الكثير من البحوث النقديَّة والعقديَّة.

تنويه..

تلافيًا للاطالة وتجنُّبًا للتكرار، سأُورد هنا مصادر الخطبة الفدكيَّة.

١. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص٢٣-٢٧.
٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١١-٢٤٩.
٣. العلَّامةالمجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٨.

تمهيد
معاني المفردات

معنى الأثر لُغةً واصطلاحًا

الْأَثَرُ في اللغة يعني: بقيةُ ما يتركه كُلِّ شيءٍ حيّ من الأثر، وذهبتُ في إِثْرِهِ، أي: استقفيته وتبعته، وأَثْرُ الحديث: أن يَأْثِرَهُ قومٌ عن قومٍ، أي: يُحدّث به في آثَارِهِمْ[1].

إنَّ معنى الأثر في الاستعمال اللغويّ هو: «وجاء على أثَرِه وإِثْرِه، وكان هذا إِثْرَ ذاك أي: بعده. وما تأَثَّر إليّ أَثَرًا إذا لم يَصْطَنِعْك بشيء. ووجدتُ ذلك في الأَثَرِ أي: السُّنَّة، وفلان من حَمَلة الآثار، وحديثٌ مأثورٌ يَأثِرُه»[2].

وفي الاصطلاح يعني الأثر: «هو ربَّما يخصَّص بما ورد عن المعصوم من الصحابيّ أو التابعيّ، وربَّما يستعمل مرادفًا للحديث، وهو الأكثر»[3].

معنى ضمن لُغةً: «الضمين يعني: الكفيل. وضمنه إياه: كفله.. وضمَّنته الشيء تضمينًا فتضمَّنه عنِّي: مثل غرمته.. وضمن الشيء الشيء: أودعه إيَّاه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر.. والمضامين: ما في بطون الحوامل.. وضمن الشيء بمعنى تضمَّنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا، وأنَّ التضمين ليس بعيب مذهب تراه العرب وتستجيزه»[4].

(١) يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٨، ص٢٣٧، أثر، ص٢٣٦.
(٢) الزمخشريّ، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ج١، ص١١.
(٣) السبحانّي، الشيخ جعفر، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، ص٢٠.
(٤) ابن منظور، محمَّد بن مكرم المصريّ، لسان العرب، ج١٣، ص٢٥٧-٢٥٩.

إذًا التضمين هو اِسْتِعَارَةُ الشَّاعِر أو الخطيبِ شَطْرًا أَوْ بَيْتًا مِنْ غَيْرِه، أَوْ آيَةً قرآنيَّة أوحَديثًا نَبَوِيًّا فِي الشِعْرِ أو الخطاب.

معنى الخطاب لُغةً واصطلاحًا

الخطاب لُغةً: «هو المراجعة في الكلام، ومنه: الْخُطْبَةُ والْخِطْبَةُ لكن الْخُطْبَةُ تختصُّ بالموعظة، والخِطْبَةُ بطلب يدِ المرأة.. وفصل الخِطَاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب»[1]. والخطب هو: «الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخطبُ أي: عظم الأمر والشأن، وهو يدلُّ على توجيه الكلام لمن يفهم»[2]، فالخطاب يعني مراجعة الكلام، أو المواجهة بالكلام، وعلى المستوى الدلاليّ، فالخطاب يعني كلامًا أو رسالةً أو محاضرةً يتمُّ تبادلُ الكلام فيها بين طرفَين أو أكثر بقصد الإفهام من خلال رسائل لغويَّة.

وفي الاصطلاح الخطاب هو: «الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يُقصد به إفهام المستمع، فإنَّه لا يُسمَّى خِطابا»[3].

إذًا يتحصّل من مفهوم (الخطاب) معنى مطلق الكلام الذي قد يُقال في خطبة، أو في محاورة جدليَّة، وغيرها من اصدار الكلام.

(١) الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمَّد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٨٦.
(٢) ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص٣٦٠.
(٣) الكفوي، أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليَّات، ص٤١٩.

توطئة: أسباب الخطبة وآثارها

تُوعز أسباب إلقاء السيِّدة الزَّهراء خطبتها الكبرى إلى ما وصفته عليها السلام بقولها: «**ما هذه الغميزة- الغميضة- في حقِّي، والسِّنَة عن ظلامتي؟**»[1]، فالغميزة تعني في اللغة: ضعفٌ في العمل، ونقصٌ في العقل[2]، والإغماض هو غضُّ النَّظر والتَّعامي عن تلك الظُّلامة، وأمَّا السِّنَة فتعني: النُّعاس والخمول والغفلة[3]، وكانت لتلك الخطبة الكبرى أهميَّة بالغة من حيث أنَّها صدرت عن لسان أهل بيت النبوَّة، وفي فترة تاريخيَّة خطيرة، تمثَّلتْ في الانعطافة الارتداديَّة، وبعد جهود النبيّ الأكرم المُفضية إلى ترسيخ كلمة التوحيد في قلوب المسلمين، والعمل الدؤوب على توحيد كلمتهم تحت لواء الاسلام بقيادة وصيِّه الشرعيّ الذي بُويع في يوم غدير خُم، ولكن كانت للسقيفة كلمتها المخالفة لمعطيات ذلك اليوم العظيم بعد رحيل المصطفى، فوقع ما تنبَّأ به القرآن الكريم تحذيرًا للمنقلِبين بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[4]، فصدحت السيِّدة الزَّهراء بخطبتها معترضةً على مباني الدولة المخالفة لمنهج العترة الطاهرة، ونادتهم برفيع صوتها مذكِّرةً إيَّاهم بيعتهم يوم الغدير بقولها: «**وإمامتنا أمانًا من الفرقة**»، ومستنكرةً عليهم مقالتهم «**أتقولون مات محمَّد صلَّى**

(١) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص٢٥؛ والمعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٢؛ وآخرون.
(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٨٩.
(٣) مصدر نفسه، ج١٣، ص٤٤٩.
(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

الله عليه وآله؟ فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه.. إيهٍ بني قيلة، ءَأُهضَمُ تراث أبي، وأنتم بمرأىً مِنِّي ومسمع؟!»، فتُفصِح هذه الخطبة عن محنة الانقلاب على الأعقاب بعد الهداية لولاية العترة، وعِظَم التَّجاسر على حقِّ أهل بيت النبيّ ظلمًا لهم(١).

إذًا كانت المطالبة بالإرث وحقّ أرض فدك هي الظاهر من أسباب الصدح بالخطبة، وأمَّا ما خُفي من الأسباب فيستبطن فيه مطالبة القوم بعدولهم عن الارتداد العقديّ، وترك الانقلاب على خلافة الامام عليّ عليه السلام للنبيّ الأكرم، وكان تخاذل القوم متوقَّعًا لدى السيِّدة الزَّهراء، برغم تأثُّرهم بالخطاب، حيث قالت عليها السلام في خطبتها: «**ألا وقد قلتُ ما قلتُ هذا على معرفة منِّي بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنَّها فيضة النفس**»، فبثَّت تلك النفثات الغائضة من ذلك الارتداد القهقهري عن أصول الدين وجوهره، وبقيتْ عليها السلام غاضبة عليهم حتَّى آخر نَفَسٍ من حياتها المباركة، فماتت وهي واجدة عليهم، وغير راضية(٢)؛ لإصرارهم على غصب حقِّ أهل البيت في الخلافة، هذا وقد أوصت عليها السلام بعلها الإمام عليّ عليه السلام أن تُدفَن سِرًّا، ولا يشهدُ جنازتَها من أغضبَها أو من سَمِع بأمرها ولم ينصرها، كما أوصته عليها السلام أن يخفي قبرها عن أعين الظالمين، والإخفاء هو من أهم آثار خطبتها الكبرى.

لقد قام الإمام عليّ عليه السلام ببناء سبعة قبور في البقيع، أو أربعين، رمزيَّة؛ إيهامًا للقوم الظالمين عن معرفة قبرها، وحينما أرادوا نبش القبور، خرج الإمام عليّ مغضبًاعليهم، وهو متكئ على سيفه ذي الفقار، حتَّى ورد البقيع ووقف أمامهم بحزمٍ وشدَّةٍ، ومنعهم من ذلك، فرجع الناس عنه، وهكذا مضتْ الأمور ولم يعرف أحدٌ قبرَها غير من حضر

(١) يُنظر: د. مهدي صالح، خطبة الزَّهراء سيِّدة النساء، ص١١-١٢.

(٢) يُنظر: البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل الجعفيّ، صحيح البُخاريّ، ج٥، ص٨٢-٨٣، كتاب المغازي- باب غزوة خيبر؛ والدينوريّ، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠.

الدفن ليلا[1].

ممَّا اعتاد المسلمون وغيرهم عليه وجود مقابر لرموزهم الدينيَّة، ولِمن أتَّبعَ ديانتهم بإحسان؛ تخليدًا لما قدَّموه من جهودٍ فكريَّةٍ وماديَّة.

إنَّ أكثرَ ما يُثيرُ دهشةَ العُرفِ الإسلامي ذهولًا هو غيابُ قبرِ السيِّدة الأولى في الإسلام، بل سيِّدة نساء العالمين، وهي أُمِّ سِبطَي النبيّ الأكرم، ثمَّ مجرى نسله الأوحد، وهذا ما دعا الشاعر أن يظهر تعجُّبُه استغرابًا وإنكارًا في قوله:

ولِأيِّ الأمـــــورِ تُـــدفـــن سِرًّا
بَـضـعـةُ المـصـطـفـى ويُـعـفـى ثَـراهـا
وثـــوَتْ لا يَـــرى لهـا الـنـاسُ مـثـوًى
أيُّ قُـــدسٍ يـضـمُّـه مـثـواهـا؟[2]

يبقى هذا الحدث العظيم خالدًا في ضمير الأمَّة، والسؤال دائمًا لمَ لا نشهد للسيِّدة الأولى في الاسلام قبرًا؟!! والجواب على مثل هذه التساؤلات يتضمَّن التأكيد على أهميَّة إقامة دولة الحقِّ التي أسَّسها النبيّ الأكرم في يوم الغدير، ويكون القائد لهذه الحكومة هو الممثِّل الشرعيّ والخليفة الحقيقيّ للنبيّ الأكرم، فلن يظهر أثر ذلك القبر إلَّا بظهور بقيَّة الله في أرضه، والحجَّة البالغة على عباده، وهو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف[3]، والذي يملأها قسطًا وعدلًا.

لقد أتسم الخطاب الفدكي باحتفائه القرآني -نصّا ومضمونا- في جميع مفاصله، فالمضمون القرآني الذي استعملته عليها السلام جاء على ثلاثة مضارب، فضربٌ ورد للتذكير

(١) يُنظر: التبريزيّ الأنصاريّ، اللمعة البيضاء، ج١، ص٨٦٩؛ والمرنديّ، الشيخ أبو الحسن، مَجمع النورين، ج١، ص١٥٧.
(٢) الأزريّ، الشيخ محمَّد كاظم، الأزريَّة في مدح النبيّ والوصيّ والآل، ص١٤٣.
(٣) يُنظر: الباحث حيدر العريضي، أسباب خفاء قبر فاطمة الزَّهراء وأسراره، ص١٠-١٥. المقال تمَّ مشاركته في مؤتمر السيِّدة الزَّهراء الدولي الأوَّل الذي أقامته ادارة مسجد ردِّ الشمس

ترغيبًا لهم بحسن العاقبة، والثاني جاء لغرض التحذير من سوء العاقبة والوعيد بالعذاب الأليم، وضربٌ ثالث سيقَ تسخيرًا لتقريع القوم على ظلمهم إيّاه، وإنكارًا لما جنتْ أيديهم بحقّها، وعليه انقسم البحث على غرار تلك الضروب إلى ثلاثة مباحث ساتناولها بالتحليل والتفصيل بعونه تعالى.

المبحث الأوَّل

أثرُ التذكير بالمضمون القرآنيّ في الخطبة الفدكيَّة

تمتاز سمة أسلوب التذكير بكثرة الاستعمال القرآنيّ في محاورة المخالفين لمبادئه ومعتقداته الحقَّة، فقد ورد التاكيد على هذا الأسلوب الحواري في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[1]، فالتذكير يعني: هو الموعظة نصحًا لأجل الترغيب بثواب الآخرة[2]، وهذا الأسلوب يتماشى مع تحقيق الغاية القصوى لإنزال القرآن، ألا وهي الهداية لمن يريد النجاة، ويُحرم من منافع ذلك الغرض المعاند اللجوج.

لقد تضمَّنت خطبة السيِّدة الزَّهراء أكثر من سبعة شواهد قرآنيَّة استبطنتْ معنى التذكير، وكان أوَّل تلك الشواهد تذكيرهم بضرورة الالتزام بما أمر به اللهُ تعالى، وامتثال ما جاء به النبيّ الأكرم، والذي لا يصدر عنه من تشريعات إلَّا وكان مصدرها ربُّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3]، ومن هذا المنطلق ذكَّرتهم السيِّدة الزَّهراء بدءًا بأهميَّة الطاعة لله سبحانه بقولها عليها السلام: «**وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه**»، فالطاعة بعنوانها العريض تشمل الإيمان بالعقائد الإسلاميَّة الحقَّة، ومن بعدها أهميَّةً يأتي الالتزام بما شرَّع الله سبحانه من أحكام فقهيَّة واخلاقيَّة، وقد تواردت آراء المفسِّرين من أعلام المدرسَتَين مُجمِعةً على تلك الحقيقة القرآنيَّة،

(١) سورة الأعلى: ٩-١٠.
(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٦٦.
(٣) سورة النجم: ٣-٤.

والتي صرَّحت بها آيات مباركة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ..﴾[1]، فالمولى سبحانه أمر المسلمين بوجوب تسليم الأمانة إلى من يستحقُّها، كما نهى سبحانه عن الخيانة وسلب الناس حقوقهم ظلمًا وعدوانًا، والمعني بهذا الخطاب أوَّلًا هم ولاة الأمر من الحكَّام على رقاب المسلمين بإجماع علماء الإسلام[2]، والظاهر من أخبار المعصومين عليهم السلام يؤكِّد هذا المعنى بمسؤوليَّة الحكَّام في أداء الأمانة من السابق المستحِقِّ إلى اللاحق المتأهِّل بما أوصت الشريعة، والعمل وفق الأوامر الإلهيَّة بالحكم العادل بين الناس، وذيل هذه الصِّحاح يدلُّ على جريان هذا الأمر في سائر الحكَّام[3].

ممَّا تقدَّم من آراء المفسِّرين يُلتَمس معه أنَّ القصد من استعمال السيِّدة الزَّهراء لهذا المضمون القرآنيّ، هو تذكيرهم بحقِّها في فدك أوَّلًا، ومن ثمَّ تذكيرهم بعدها أنَّ مستحق الأمانة (بمعنى الحكم) هو بعلها (الإمام عليّ) من دون الناس، فالأمر الذي وجب إطاعته هو أداء الأمانة الشرعيَّة التي استودعها النبيّ الأكرم لدى الحكَّام وسائر المسلمين، وقد وثَّقَ هذه الوديعة الذِّكرُ الحكيم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[4]، وهي عليها السلام أقرب الناس إلى رسول الله رحمًا، ومعه يمكن القول إنَّ المقصود من الأمانة هنا هو إلزام الحكَّام بحفظ حُرمة السيِّدة الزَّهراء، والنَّهي عن إثارة غضبها بتضييع حقِّها في أرض فدك، حيثُ أوصى النبيّ الأكرم بها خيرًا حين قال صلى الله عليه وآله: «**فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فمَن أغْضَبَها**

(١) سورة النساء: ٥٨-٥٩

(٢) يُنظر: القرطبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد الأنصاريّ، الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٢١؛ وغيره كثير.

(٣) يُنظر: الطبطبائي، السيِّد محمَّد حسين، تفسير الميزان، ج٤، ص٣٨٥.

(٤) سورة الشورى: ٢٣

أَغْضَبَنِي»[1]، وكان سبب انتفاضتها عليها السلام بإعلان الخطبة الفدكيَّة، هو قيام الحاكم وقتها بطرد عمَّال السيِّدة الزَّهراء من أرض فدك بالقوَّة، وإصدار حكم مصادرتها لصالح الحكومة، وهو ما أثار غضب السيِّدة الزَّهراء بعد حادثة السقيفة حتَّى ماتتْ عليها السلام وهي غاضبة عليهم وواجِدة[2].

إنَّ الخلافة والحكم بين الناس بالحقِّ هو أحد أرجح المعاني المقصودة من الأمانة بحسب أهل التفسير، وهي قد وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3]، فالمتبادر من (الأمانة) هو الحفاظ على ما عُهِدَ به من رعاية الرعيَّة، والتذكير بنبذ الإخلال بالعهد سهوًا أو تقصيرًا، فيسمَّى تفريطًا وإضاعةً، أو عمدًا وعنادًا، فيُسمَّى خيانةً وخيسًا، وأنَّ خلافة الله تعالى في الأرض هو قرين كمال العقل؛ لأن الإنسان لا يحملها إلَّا بالعقل الكامل، فالغاية من الخلافة في الأرض هي القيام بحفظ نظامها، ويأخذ كلُّ مستحقٍّ حقَّه، والحفاظ على سلامة الفِطرة[4]، وهو التي ذكَّرتهم السيِّدة الزَّهراء بحفظه، وضرورة أمتثال الأمر الالهيّ في أدائه على أتمِّ وجه، فالخلافة الشرعيَّة حين يُعبِّر عنها القرآن الكريم باستعارة لفظ الأمانة، إنَّما يدلُّ على ثقل هذه المهمَّة العظمى وخطورتها، وهي مسؤوليَّة كبرى تُناط بعُهدة الخليفة الشرعيّ، وغايتها أداء حقوق الناس، والحكم بينهم بالعدل والسويَّة.

لقد ظهر للعيان أنَّ الخطبة الفدكيَّة امتلأتْ بذكر تلك الظُلامات حتَّى أجهش القوم بالبكاء، ولم يهدأ أنينهم وحسراتهم خلال إلقاء تلك الخطبة الغرَّاء، ومن ذلك

(١) صحيح البخاريّ، مناقب فاطمة، المناقب، رقم الحديث (٣٤٨٣)؛ وصحيح مسلم، فضائل الصحابة، فضائل فاطمة بنت النبيّ، رقم الحديث (٤٤٨٣).

(٢) يُنظر: صحيح البخاريّ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٨٢-٨٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، محمَّد بن الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٢٧-١٢٩.

التذكير هو الإشارة إلى ما لاقته عليها السلام من الظلم والحيف بعد رحيل أبيها المصطفى، وهو ما ظهر من قولها عليها السلام: «**وأضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته.. إيهٍ بني قيلة ءَأُهضَمُ تُراث أبي، وأنتم بمرأىً مِنّي ومسمع؟!**».

فلأجل التذكير بأمر الله تعالى في وجوب حفظ حقِّها عليها السلام، التجأتْ السيِّدة الزَّهراء إلى التذكير بفضل أبيها المختار صلى الله عليه وآله عليهم، والذي كان رؤوفًا بضعيفهم، ورحيمًا بفقيرهم، حيث وصفته عليها السلام قائلة: «**وداعيًا إلى سبيل ربِّه بالحِكمة والموعظة الحَسَنة**»، وهو ما يُشير إلى امتثال الخاتم صلى الله عليه وآله المطلق لأوامر الله سبحانه وإرشاداته في التعامل معهم قبل الإسلام وبعده، فقد امتثل صلى الله عليه وآله الأمر حين أرشده القرآن بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، فمن كان يتعامل مع المسلمين بهذا اللطف والإحسان، لا ينبغي معاملة بضعته الطاهرة بهذه القسوة والجفاء، فهل يُجازى المحسن بالاساءة لبضعته!!.

لقد جاهد صلى الله عليه وآله فيهم حتَّى أخرجهم من الظلمات إلى النور، وأعزَّهم بعد ما أصابهم من ذُلِّ قريش الكافرة، حين كانوا على وشك الهَلَكة تحت سطوة المشركين، وهو ما ذكَّرتهم عليها السلام بمضمونه القرآنيّ حين قالت عليها السلام: «**وكنتم على شفا حفرة من النار.. فأنقذكم الله بأبي محمَّد** صلى الله عليه وآله»، وهو ما أقتبسته عليها السلام من التذكير الإلهيّ بأهميَّة توحيد كلمة المسلمين على حفظ حرمتها حين قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟... وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]، حيث أجمع مفسِّرو الفريقَين على أنَّ معنى (حبل الله) هو عهده جلَّ جلاله، والمتمثِّل بكتابه العزيز الذي تُدرأ به الفِتَن، وفيه من الأنباء الماضية والإنباء بالأحداث الآتية

(١) سورة النحل: ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

ما فيه العِظة والعبرة، وهذا الحبل فيه سرُّ وحدة المسلمين ومصدر قوَّتهم[1].

ولـمَّا بيَّن سبحانه لعباده النعمة الدنيويَّة من الوحدة والأمن، ذكر بعدها النعمة الأخرويَّة، وهي ما ذكره في آخر هذه الآية (فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا)، والمعنى أنَّ الناس زمن الجاهليَّة كانوا مشرفين بكفرهم على جهنَّم، وكادوا السقوط في حفرتها، فبيَّن تعالى أنَّه أنقذهم من هذه الحفرة بسبب إرسال النبيّ الأكرم إليهم بنور الهداية، وقد كادتْ أن تُهلكهم النار بكفرهم، لولا أن يدركهم اللطف الإلهيّ ببعثة الرسول إليهم، مع سائر ألطافه حتَّى آمنوا ونجوا[2].

إنَّ في مفهوم (حبل الله) إشارة إلى «أنَّ الإنسان سيبقى في حضيض الجهل، والغفلة، وفي قاع الغرائز الجامحة، إذا لم تتوفَّر له شروط الهداية.. فلا بدَّ من وجود حبل متين يتمسَّك به؛ ليُخرجه من بئر الماديَّة والجهل والغفلة، وهذا الحبل ليس إلَّا حبل الله المتين، وهو الارتباط بالله عن طريق الأخذ بتعاليم القرآن الكريم، والقادة الهداة الحقيقيِّين.. ويقول (جان ديون پورت) العالم الإنجليزيّ المشهور: «لقد حول محمَّد العربيّ البسيط، القبائل المتفرِّقة والجائعة والفقيرة في بلده إلى مجتمع متماسك منظَّم»[3]، وهؤلاء القادة هم الخلفاء الشرعيون الذين أشارت إليهم الآيات والأخبار الكثيرة بالتصريح والتلويح، فقد أخبر النبيّ الأكرم أمَّته بضرورة التمسُّك بهذا الحبل المتين مع صنوه بقوله: «**إِنِّي تاركٌ فيكم خليفتينِ: كتابُ اللهِ حبلٌ ممدودٌ ما بينَ السَّماءِ والأرْضِ، وعترتي أهلُ بيتي، و إِنَّهما لن يتفرقا حتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحوْضَ**»[4].

---

(١) يُنظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير (مفاتح الغيب)، ج٨، ص٣١١-٣١٢؛ والفضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان، ج٢، ص٨٠٥.

(٢) يُنظر: الفخر الرازي، مفاتح الغيب، ج٨، ص٣١٣.

(٣) الشيخ مكارم الشيرازيّ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، ج٢، ص٦٢٢-٦٢٣.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل، المسن، ح (٢١٥٧٨) ؛ وأب أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن أبي شيبة، المصنف، ح (٣٢٣٣٧)؛ وعبد بن حميد الكسيّ، سير أعلام النبلاء، ص٢٤٠؛ ومحمَّد بن=

لقد بات واضحًا سبب اختلاف الأمّة، وكثرة الفتن التي وقعتْ بين المسلمين بعد رحيل المصطفى، فلم تلتزم الأمّة بالميثاق والعهد الذي أعطته للامام عليّ بالبيعة له خليفةً بعد النبيّ الأكرم، بل أنقلبت الأمّة على أعقابها، وتركت ميثاقها، وسرَّ وحدتها، الّا القليل ممّن وفى بعهده، وتمسّك بحبل الله المتين.

ثُمَّ تُذكِّرهم السيِّدة الزَّهراء بجهاد المصطفى في سبيل تأمين دولة الإسلام، وتحصين ثغورها من كيد الأعداء، حيثُ خاض النبيّ الأكرم ما ينيف عن الثمانين حربٍ وغزوة، وقد أيَّدهم الله في تلك الشدائد، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[1]، حتى فتح الله سبحانه وبحمده للمسلمين مكَّة المكرمة، وهي قبلتهم في صلاتهم وحجِّهم، وهو ما عمدتْ عليها السلام إلى تذكيرهم بجهود النبيّ الأكرم بقولها عليه السلام: «**يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتَّى انهزم الجمع وولُّوا الدُّبر.. لا تأخذه في الله لومة لائم**»، كنايةً عن الوعد الإلهيّ بالنصر، والذي جاء ذِكره من قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2]، وبقيَّة الصفات من قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[3]، وفيه دلالة غيبيَّة أثبتت صدق النبوَّة بعد تحقُّق الإخبار القرآنيّ بها، فكان يقول الكفَّار: نحن قوم مجتمعون متَّحدون، ننتقم ممَّن أراد آلهتنا بسوء فلا نَنهزم، فجاء قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، فاللام في (الجمع) للعهد الذِّكري، وفي (الدبر) للجنس، وتولَّى الدبر يدلُّ على الفرار بعد التبجُّح بالنصر، وفي الآية إخبار غيبيّ ثبت صدقه عند انهزام تحالف الكفَّار

=يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٢٩٤؛ والعلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٤٥.

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) سورة القمر: ٤٥.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

والمشركين، وهذا من ملاحم القرآن الكريم[1].

ثُمَّ استرسلت السيِّدة الزَّهراء في سرد أحوال العرب قبل البعثة النبويَّة المباركة، حيثُ كانت العرب تعيش حالة من الخوف، وعدم الأمان من الحرب فيما بين القبائل، والتي كانت تمتهن الغزو لقبائل، والسطو على الجار؛ للحصول على المغانم، فوثَّقتْ السيِّدة الزَّهراء تلك الحقبة الحرجة من دولة الإسلام الفتيَّة بالمدينة المنوّرة، والتي شهدت الكثير من المؤامرات على المسلمين من قِبَل التحالف بين جبهة الشِّرك مع جبهة الكفر (اليهود)، فذكَّرتهم بتلك النوازل قائلة عليها السلام لهم: «**كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها**»، وهو ما اقبسته عليها السلام من منطوق الآية المباركة التي وصفت حال اليهود، ومدى حنقهم على المسلمين وبغضهم بالعداوة لهم، وهو ما ذكره المولى حين قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]، أي إنَّ وجود النبيّ الأكرم بين المسلمين يُشكِّل عامل قوَّة بتوحيدهم على كلمةٍ سواء بينهم، وفي المقابل لا تجتمع قلوب اليهود ومن تحالف معهم من المشركين، بل تجد العداوة واقعةً فيما بينهمً دائمًا، ومعنى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أنَّهم كلَّما عقدوا أسبابًا يكيدون بها الإسلام، ويحاربون بها النبيّ الأكرم وأنصاره، أبطلها الله وجعلها في نحورهم، وحاق مكرهم السيِّء بالمشركين، ومعنى ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: من سوء طباع المشركين أنَّهم دائمي السَّعي في إفساد الناس وإضلالهم[3].

ممَّا حدى بالسيِّدة الزَّهراء استعمال التذكير بفضائل أبيها المختار على سائر المسلمين، هو حثُّهم على مقابلة الإحسان بمثله، وأن لا يقابلوا تلك الجهود الكبيرة التي بَذَلها

(١) يُنظر: السيِّد محمَّد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص٨٤.

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

(٣) يُنظر: محمَّد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج٦، ص٥١-٥٢.

النبيّ الأكرم بالإساءة لبضعته الطاهرة، ولا يتعرَّضوا لنِعَم الله تعالى عليهم بالجحود والعصيان.

إنَّ زبدة المقال ممَّا ذكَّرت به السيِّدة الزَّهراء في خطبتها الكبرى للقوم، هو حضّهم على أداء الأمانة لأهلها، وحفظ حقِّها عليهم، النابع من حقِّ أبيها المختار عليهم، فطالما جاهد الأعداء لتثبيت دولة الاسلام، وفيها شهدوا نقلة كبيرة من الظلمات إلى النور، ومن الذلِّ وظلم المشركين إلى عزِّ الاسلام وهيبته، فطالبتْ عليها السلام بردِّ أرض فدك إليها، وتسليم منصب الخلافة للوصيِّ الشرعيّ، والذي بايعوه قبل أيَّام في غدير خُم.

المبحث الثاني

أثرُ التحذير بالمضمون القرآني في الخطبة الفدكيّة

التحذير بالوعيد هو أسلوبٌ حواريٌّ يعتمده المتحاجُّون في خصومتهم مع المخالفين، والهدف منه رجوع الإنسان إلى نفسه إعمالًا لعقله في معرفة عاقبة أمره، فالهدفُ من الوعيد هو التخويف زجرًا من فعلٍ ما، كتنبيهات القضاة[1]، ومن شواهده القرآنيَّة قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[2].

إنَّ الوعيد هو ما يُقابل الوعد في الحساب والجزاء على الإعمال الاختياريَّة، فالوعد هو مقابلة الامتثال بالإحسان، وأمَّا الوعيد فهو معاقبة المسيء على ارتكاب ما نُهيَ عنه، فكلُّ من وجد الثواب فبوعد مولاه، وكلُّ من ذاقَ العقاب فبوعيده، وهو ما تقتضيه الحكمة عند العقلاء، فالمعارف كلُّها معقولة بالعقل، وواجبة بنظره، وشكر المنعم واجب كوجوب دفع الضرر عن النفس[3].

حينما أحسَّتْ السيِّدة الزَّهراء أنَّ القوم قد بلغت بهم قساوة القلب ما يمنعهم من الانتفاع بالتذكير، وحين استياست عليها السلام نهضتهم ضدَّ الظالم استجابةً لخطابها الترغيبيّ، عمدت عليها السلام إلى أسلوب التحذير بالوعيد من عقاب الآخرة وسوء المنقلب فاستعملتْ عليها السلام عددًا من المضامين القرآنية مقارب لما استعملته في أسلوبها الترغيبي.

(١) يُنظر: ابن عبد البر، الاستذكار، ج٢، ص٢٨٩.
(٢) المائدة: ٩٢
(٣) يُنظر: الشهرستانيّ، أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج١، ص٤٢.

تبتدأ عليها السلام بمضمون قرآنيّ يحذِّر الناس من اتِّباع وساوس الشيطان الرجيم، وتبيين سوء عاقبة الاستجابة لنداء إبليس وهتافه، حين قالت عليها السلام: «**وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين**»، وهذه الاستجابة تعكس حالة الارتداد عن قيم الإسلام الحنيف ومبادئه العليا، وهذا التحذير مقتبسٌ معناه من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، فالنهي عن عبادة إبليس يعني الحذر من طاعته، ثُمَّ إنَّ الانقياد لأمره والطاعة له هي عبادة، ولا بُدَّ من إطاعة من أمرنا الله سبحانه بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾[2]؛ لأنَّ طاعتهم ما كانت الَّا بأمر الله عزَّ وجلَّ، فلا تكون إلَّا عبادة له وطاعة له عزَّ وجلَّ، وإنَّما تكون عبادة الأمراء من غير الله عزَّ وجلَّ هو طاعتهم فيما خالف الأمر الالهيّ، والمائز بين طاعة الشيطان، وهو لا يُرى، من طاعة الرحمن، هو أنَّ عبادة الشيطان تكمن في مخالفة أمر الله عزَّ وجلَّ، أو الامتثال لأمر الله عزَّ وجلَّ، لا لأنَّه أمر به، فأحيانًا يتمثَّل الشيطان في بشرٍ يأمر وينهى، حينما يصدر من شخص أمرًا، فلو كان الأمرُ موافقًا لأمر الله عزَّ وجلَّ فهو طاعةٌ له عزَّ وجلَّ، أو كان مخالفًا لأمره عزَّ وجلَّ، فذلك الشخص مع الشيطان يأمر الناس بما يأمر إبليس به، فإنَّ أطاعه الإنسان، فقد عَبَدَ الشيطان[3].

إذًا لا بُدَّ أن تكون الاستجابة لصوت الحقِّ المطلق المتمثِّل بالمعصوم، والذي دعتهم السيِّدة الزَّهراء إليه من خلال التحذير من مغبَّة الاستجابة لصوت غريمه المضاد له في الوسائل والأهداف، وهو ما يُقابل دعوة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[4]، فلقد دعاهم قبلًا لحفظ مقام

(١) سورة يس: ٦٠.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) يُنظر: الفحر الرازي، تفسير مفاتح الغيب الكبير، ج٢٦، ص٨٥.
(٤) سورة الأنفال: ٢٤.

العترة الطاهرة بالامتثال لأوامرهم النابعة من وحي القرآن وهديه، ووجه الحذر من الاستجابة لصوت إبليس وجنده هو ما يتركه من سوءٍ في المنقلب، حيث الخسران المبين وصولًا إلى العذاب في جهنّم كما أخبر تعالى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، وهذا ما يلحظه كلُّ منصفٍ في وصفِ حال المسلمين حين استجابوا لدعوة أصحاب السقيفة، وتركوا الوصيّ الشرعيّ، ولم يتخذوه خليفة، فأصاب الأمَّة الخمول والضياع حين فقدت حياة الولاء للحقِّ، والبراءة من الباطل.

ثُمَّ بعد كلِّ هذا الوعيد تحذيرًا من سوء المنقلب، تجدْ القوم كأنَّما أصابهم الصمم والعمي، فلم يستجيبوا لصوت العدالة الانسانيَّة حتَّى بُحَّ، فأنكرتْ عليهم تجاهلهم هذه التحذيرات حين قالت عليها السلام: «**أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟**»، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ومستوحى من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[3]، وهجر القرآن لا يعني ترك تلاوته هنا، بل يعني: بالقول السيِّء في القرآن ووصفه بغير الحقِّ[4]، والمستفاد هنا من الهجر هو شكوى الرسول من ترك الاعتناء بالقرآن العظيم، حيثُ هجرته القلوب بترك التدبر فيه[5]، «والقول ممَّا يقوله الرسول يوم القيامة لربِّهِ على طريق البثِّ والشكوى، وعلى هذا فالتعبير بالماضي بعناية تحقّق الوقوع، والمراد بالقوم عامَّة العرب، بل عامَّة الأمَّة باعتبار الكفرة منهم.. والمراد بالقوم هم القادحون في رسالته

(١) سورة فاطر: ٦.
(٢) سورة البقرة: ١٠١.
(٣) سورة الفرقان: ٣٠.
(٤) يُنظر: محمَّد بن جرير الطبري (جامع البيان)، تفسير الطبريّ، ج١٩، ص٢٦٤.
(٥) يُنظر: محمَّد أبو زهرة، زبدة التفاسير، ج١٠، ص٥٢٧٣.

الطاعنون في كتابه»[1]، فالسيِّدة الزَّهراء ضمَّنت معنى هذه الآية المباركة في خطابها؛ لتبُثَّ شكواها من ظلم القوم لها تحذيرًا من تركِ محكم القرآن الكريم، وتأويله وفقًا لما تشتهيه أنفسهم وتميل أهوائهم.

إنَّ كلَّ ما صدر من تحذير لهم في هذه الخطبة، بما اشتملت عليه من مضامين قرآنيَّة، إنَّما يعود في أصله لتحذير أبيها المختار لهم من ترك العمل بفحوى الكتاب المجيد، ولأجله أرادتْ عليها السلام تأكيد وحدة الإنذار مع ما ورد على لسان النبيّ الأكرم، فقالت عليها السلام لهم: «**وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون**»، وهذا المعنى يؤكِّد ما جاءت به الآيات القرآنيَّة على سبيل الموعظة لمن أعرض عن الذِّكر، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2]، وفي الآية وجه تعجيز للقوم إفحامًا لهم، فلا يسعهم إنكار علوِّ شأن أبيها المختار، وما له من درجات كمالٍ وفضلٍ عليهم، وفيه ما ألزمتهم الحُجَّة لما ورد بعده ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ويعني أنَّكم تعرفونه بكمال عقله، فهو رسول لما تبيَّن أنَّه ليس مجنونًا، فهو إذًا نذير ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، وفيه إشارة إلى قرب العذاب، كأنَّه حاضر يمسُّ الظالمين عن قريب[3].

لقد شمل هذا الإنذار أكثر القوم من المسلمين وقتها، وهم يُمثِّلون الأغلبية الساحقة ممَّن اهتدوا على يدَي النبيّ الأكرم، ولكنَّهم أنكروا وصيَّته في ابن عمِّه وأهل بيته الطاهرين، وبعد أن أخذ عليهم المواثيق بالمبايعة للامام عليّ بالخلافة في غدير خُم، فكانوا من المسلمين مع ظاهر إيمانهم بالتوحيد والنبوَّة، ولكنَّهم كفروا بولاية الإمام عليّ وخلافته الشرعيَّة، علاوةً على ظلمهم لمقام السيِّدة الزَّهراء وغصبهم حقَّها، وهي بضعة

(١) السيِّد محمَّد الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص٢٠٥.
(٢) سورة سبأ: ٤٦.
(٣) يُنظر: الفخر الرازي، مفاتح الغيب، ج٢٥، ص٢٦٩.

نبيّهم، وصاروا مصداقًا للجاحدين في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]، فكانوا أكثرهم مع يقينهم بالحقِّ من الكافرين بهذه النِّعم السابغة عليهم بدل الشكر، وليس المعيار في الكثرة لإثبات سلامة الموقف وأحقيَّته، فقابلتهم السيِّدة الزَّهراء بمعادلةٍ الهيَّة لتصحيح المفاهيم لديهم، حيث خاطبت القوم بضمير الحاضر بقولها عليها السلام: «**فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإنَّ الله لغنيٌّ حميد**»، والقول هذا هو عين ما قاله النبيّ موسى عليه السلام من قبل لبني إسرائيل، فجاء بالحكاية عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2]، وفيه تذكير لنعمة الله عليهم بالهداية قبل التحذير من الكفر؛ لما فيه من الترغيب والترهيب، كون الشكر الذي حقيقته استعمال النعمة بنحو يظهر إنعام المولى عزَّ وجلَّ وإحسانه، ويدلُّ بمقتضاه على الإيمان به عزَّ وجلَّ موجِبًا لمزيد من النعم، والكفر يجلب شديد العذاب، وأنَّ الله غنيٌّ مطلقٌ بذاته، وإن كفر مَن في الأرض جميعًا، فلا ينتفع جلَّ جلاله بشكر عبده، ولا يتضرَّر بكفره، وإنَّما تنعكس آثارهما على الإنسان فيما عمل[3].

إنَّ كلَّ ما جرى ويجري من أحداثٍ لا تخرج عن قدرة الله عزَّ وجلَّ، وهي حاضرة بسابق علمه عزَّ وجلَّ الأزليّ، ولا يعزب عنه شيئًا، فينطبق على الكفر ما تقدَّم من التحذير بالعذاب الشديد في الآخرة، وتجري عليه سُنَّة التبديل للكافرين بالمؤمنين في الدنيا، وهو ما يتأمله من يتلو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ..﴾[4]، وهو وعدٌ إلهيّ لا يتخلَّفُ بحالٍ من الأحوال، فحتميَّة أن يعود الإسلام بحُلَّته الأصيلة على يدِ ثلَّة من الآخرين في آخر

(١) سورة النمل: ١٤.

(٢) سورة ابراهيم: ٨.

(٣) السيِّد محمَّد الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٢٢-٢٣.

(٤) سورة المائدة: ٥٤.

الزمان هي من السنن الإلهيَّة الثابتة، وأمَّا في الآخرة، فالتحذير قائمٌ لكلِّ من سوَّلت له نفسه السَّير على منهج الارتداد العقديّ الأوَّل، فلا يفوت الله عزّ وجلّ معاقبة من أدرك حقيقة الإيمان بالخليفة الشرعيّ، ثُمَّ يكفر بإمامته، فقد ختمتْ السيِّدة الزَّهراء تحذيرها للقوم من مغبَّة عنادهم، حيث أُعدَّ لهم العذاب يوم القيامة بقولها عليها السلام: «**فنعم الحَكَم الله، والزعيم محمَّد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قُلتم إذ تندمون، ولكلِّ نبأٍ مستقرّ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلَّ عليه عذاب مقيم**».

وتلك المضامين العالية في أصلها مستوحاة من آيتين مباركتين، فالأولى يمكن تشخيصها من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1]، فالخسارة تقع على من يكفر بالمالك المطلق للوجود، وهو الخالق المُبدِأ للحياة بإبداعه، والمُبطِل هو من يجحد الحساب في يوم القيامة جُملةً أو تفصيلًا، فيكون من جحد ولاية أهل البيت- مع علمه بحقيقتها- بمقام الكافر بالمبدأ والمعيد على اختلاف درجات الإنكار ليوم الحساب بالجملة، أو تفاصيله من الحقائق الجزئيَّة، فلمَّا كان المولى سبحانه مالكًا للوجود الواسع، وحاكمًا عليه، فمن البداهة أن يكون قادرًا على بعث النفوس للحساب، فقد جُعلتْ الدنيا مزرعةً للآخرة، وسبب خسارة المبطلين لنعيم الآخرة؛ لأنَّهم أضاعوا العمر ولم يفلحوا فيه، فالحياة والعقل ونِعمُ الحياة هي رأس مال الإنسان، لكن أتباع الباطل يبادلونه بمتاعٍ فانٍ سريع الزوال، ولذلك فإنَّهم حين يأتون يوم القيامة سيرون خسارتهم الفادحة، فالخسران هو فقدان رأس المال، وينسب أحيانًا إلى نفس الإنسان أو تجارته، وأنَّ أعظم الخسارة ما تُصيب النفس من فقدان رأس مال العقل والإيمان والثواب[2].

---

(١) سورة الجاثية: ٢٧.

(٢) يُنظر: الشيخ مكارم الشيرازيّ، تفسير الأمثل، ج١٦، ص٢٢٥-٢٢٦.

وأمَّا الآية الثانية التي أشارت اليها السيِّدة الزَّهراء فهي من قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالنبأ هو الخبر العظيم والنافع، وله واقع مصدق يفيد اليقين أو الظن، وهي الأخبار المتواترة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[2]، و(مستقر) من القرار بمعنى الثبوت والتحقُّق والوجود، فمدلوله هو لكلِّ خبرٍ عظيم بالإنذار، أو البشارة لا بدَّ أن يتحقَّق مضمونه يومًا ما، وفي ذيل الآية: ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي إنَّكم حتمًا ستعلمونه علم اليقين[3].

إذا كان منشأ الاختلاف في وجهات النظر مرجعهُ إلى أنَّ رؤية السيِّدة الزَّهراء كانت معنويَّة، ونظرة القوم إلى الأمور كانت ماديَّة بحتة، ولكلٍّ من شفافيَّة الروح وسلامة القلب دوره في منحى الإنسان وتوجُّهه.

ممَّا ظهر من محاججة يمكن الخروج بنتيجة من هذا المطلب، وتتلخَّص باعتماد السيِّدة الزَّهراء أسلوب التحذير، والوعيد ترهيبًا، بعد أن استنفدت عليها السلام التذكير ترغيبًا، حيثُ حشدت عليها السلام جملة من المضامين القرآنيَّة في سبيل إنقاذ القوم من ورطة اتبِّاع الشيطان ووسواسه وأمانيه لهم، وتبيِّن أنَّ شياطين الأنس أخطر من غيرهم وأدهى، وبالأخص حين يتلبَّس هؤلاء بلباس الإسلام وزيِّه، فهم من عمد إلى انحراف مسيرة الإسلام عن جادَّة الحقِّ، ومن علل الاستجابة لأهل الباطل هو هجر القرآن الكريم، وترك العمل بتعاليم وعقائده، فقد تركه لهم رسول الله حبلًا وملاذًا يُنجيهم من أباطيل المارقة وزيفهم، لكنَّهم خلَّفوه خلف توجُّهاتهم بدل أن يجعلوه دليلًا لهم، فأنذرتهم السيِّدة الزَّهراء من سوء عاقبة ترك الثقل الأوَّل، وحذرتهم من خذلان الثقل الثاني ومناكفته، فمَن ترك الثَّقَلين أصاب تجارته الخسران الكبير، وكان موقفه يوم القيامة لا يُحسد عليه.

(١) سورة الأنعام: ٦٧.

(٢) سورة هود: ٤٩.

(٣) يُنظر: محمَّد ابو زهرة، زهرة التفاسير، ج٥، ص٢٥٤٤.

المبحث الثالث

أثر الإنكار بالمضمون القرآنيّ في الخطبة الفدكيَّة

يُعدُّ إنكار الباطل والنهيّ عنه لأجل تغييره من أعظم الواجبات الدينيَّة، فقد ورد في أهميَّة فريضة النهي عن المنكر من الأوصاف العظيمة ما يلزم المرء المسلم الامتثال لأمرها، فتلك الفريضة مقدِّمة للجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وبها تُقام الحدود على الخوارج، وتكون الأمَّة بخير وقوَّة، وبها تُصان الحرمات والحقوق، فهي سبيل الأنبياء، وهي نصيرٌ لكُلِّ مظلوم، وفيها الكثير من المنافع(١).

ومعنى الإنكار في اللغة: هو الجحود، والمناكرة هي: المحاربة، وناكره أي: قاتله وعاداه، وفي البلاغة يكون الإنكار بمعنى: الاستفهام عمَّا ينكره، وحين إنكار ثبوت رأي المقابل، والاستنكار هو استفهامٌ مجازيّ لإنكار أمرٍ ما، والمنكر من الأمر: خلاف المعروف، فهو الباطل(٢).

ومن الناحية البلاغيَّة يحتلُّ الإنكار مرتبة عالية من الاستعمال في الحوار بين المتخاصمِين، ويُصاغ بهيئة استفهام مجازيّ لا حقيقيّ، وهو ما يُعرف بالاستفهام الإنكاريّ، فحينها يخرج الاستفهام الحقيقيّ عن معنى الطَّلب إلى معنى مجازيّ يُفيد استنكار وقوع الخطأ، كأن يقول أحدهم: أتُخون الوطن؟ أتضحِّي بالشرف؟ ومنه قوله

(١) يُنظر: عبد العزيز الراجحيّ، شرح الوصيَّة الكبرى لابن تيمية، ج١٢، ص٣؛ ومحمَّد الريشهريّ، ميزان الحكمة، ج٣، ص١٩٤٣.

(٢) يُنظر: محمَّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٣٣.

تعالى: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[1]، ومن لوازم الاستفهام الإنكاريّ هذا أن يكون المستفهَم عنه باطلًا وغير واقع، أو أن يكون حقٌّ مدَّعيه كاذبًا[2].

يحدِّد علم النفس مفهوم الإنكار في أصله بأنَّه آليَّة عقليَّة للدفاع عن فكرةٍ ما، وينطوي هذا الإنكار على رفض حقيقةٍ غير مناسبة للمبادئ السامية، وتكون مؤلمة جدًّا بحيث يتعذَّر على الشخص قبولها[3].

تبتدأ السيِّدة الزَّهراء بالإنكار على القوم لتركهم العمل بالقرآن الكريم، فبدل أن يجعلوه إمامًا للأمَّة، وهاديًا لها تركوه خلفهم هجرانًا لتعاليمه القيِّمة، فقد كانت شرعته تعمل على وحدتهم وقوَّتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فباغتتهم السيِّدة الزَّهراء بإنكارٍ شديدٍ حين قالت عليها السلام: «**قد خلَّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون وبغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلًا**»، فالسؤال الإنكاريّ كان يدور حول استبدال أحكام القرآن الكريم بقول شيطان الأنس وأوامره، وهذا البدل يُورث الندامة كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[4]، والذي استعملته السيِّدة الزَّهراء من مضمونٍ قرآنيٍّ، هو مستوحى من قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[5]، فالمولى عزَّ وجلَّ يُنكر هنا على عباده إطاعة أبليس وذريته ممَّن تبعهُ بالفكر والعقيدة الفاسدة، والتي لا تستحقُّ أصلًا أن تكون بدلًا عن طاعة القرآن الكريم، فالهمزة في ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ هي للإنكار والتعجيب، فبعد ما عرفوا أبليس عدوًّا لهم اتَّخذوه وليًّا لهم بدلًا عن مولاهم الحقّ، وكفروا بنعمة القرآن الكريم وهدايته، فبئس البدل من الله تعالى إبليس لمن ظلم

(١) سورة الصافات: ١٤٩.
(٢) يُنظر: محمَّد أحمد قاسم، علوم البلاغة، ص٢٩٧.
(٣) يُنظر: روزين جوزيف، فرويد قراءة عصريَّة، ص٣٢٥-٣٢٦.
(٤) سورة الفرقان: ٢٩.
(٥) سورة الكهف: ٥٠.

نفسه والأمّة بهذا الحكم، فأطاع أبليس بدل طاعة الله عزَّ وجلَّ بعد اتّخاذه شريكًا لله عزَّ وجلَّ في العبادة[1]، فالطاعة لأبليس كانت متمثّلة بالاستجابة لصوت الارتداد العقديّ لدعاة السقيفة، وهي بديل الاستجابة لصوت القرآن الكريم باتّخاذ الامام عليّ وليًّا وخليفةً.

واصلت السيِّدة الزَّهراء إنكارها لموقف القوم الظالم لأهل البيت عليهم السلام، فشبَّهتْ إنكارها اتّخاذهم إبليس الأنس وتسويلاته وليًّا بمحنة النبيّ يعقوب في ولده النبيّ يوسف عليهما السلام بعد ادِّعاء إخوته مقتله، فقالت لهم: «**كلَّا، بل سوَّلت لكم أنفسكم أمرًا فصبرٌ جميلٌ، والله المستعان على ما تصفون**»، ثُمَّ اردفتْ عليها السلام بانكارٍ آخر استوحته من القرآن الكريم، ولكنَّه كان حكايةً عن بني اسرائيل في اتِّهام السيِّدة مريم، حيث قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾[2]، وذلك حين أنكرت عليهم ادِّعاءهم زورًا منع النبيّ الأكرم أخذ ذريِّته إرثه، فخاطبتهم بقولها عليها السلام: «**أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا على الله ورسوله**»، وتوجَّت إنكارها عليها السلام بتركهم لفحوى القرآن وتعاليمه السامية، وعدم الانقياد لأوامره وأحكامه، وعلى وجه الخصوص ما أنكروه من خلافة الإمام عليّ عليه السلام وإمامته، «والتناص هنا يمكن أن يخلق حالة من الذهول الذهنيّ عند المتلقِّي؛ فعلى الرغم من أنَّ المجتمع المسلم آنذاك كان قريبًا من العهد النبويّ، وكان يعيش أجواء النزول القرآنيّ.. إلَّا أنَّهم بعد رحيله بمدَّة وجيزة نبذوه وراء ظهورهم، ولم يأخذوا بإحكامه، وهذا الوضع يعدُّ أمرًا عظيمًا وعجيبًا (فريًّا)؛ لذا كشف النصُّ عن حالة التعجُّب من خلال طرحها استفهامًا استنكاريًّا»[3].

(١) يُنظر: جار الله الزمخشري، تفسير الكشَّاف، ج٣، ص٥٩٢.

(٢) سورة مريم: ٢٧.

(٣) م.د.عماد التميميّ، تداعيات (التناص الواعي) في النصِّ المعصوم، مقال، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة شتاء ٢٠٢٠م/ ١٤٤١هـ، ص٢٨.

بعد سلسلة الانكارات سألتْ عليها السلام مرَّةً أخرى منكرةً بقولها: «**أفلا تتدبَّرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها؟**»، فلولا ما تسبَّب في قفل عقولهم من ذنوبٍ وخطايا منعتهم من تدبر القرآن ومراده، فجاء عقبه تعليل السيِّدة لذلك الإقفال بقولها: «**كلَّا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم**»، ومثل هذا الانكار ورد مضمونه في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]، فالظاهر وحدة الدلالة بين القفل والرين الذي يصيب القلوب فيمنعها من التفكير الصحيح، والسؤال يفيد التعجيب انكارًا لإعراضهم عن الذكر، «فلا يتدبَّرون القرآن مع فهمه، أو لا يفهمونه عند تلقِّيه وكِلَا الأمرَين عجيب، والاستفهام تعجيب من سوء علمهم بالقرآن»[2]، فهؤلاء المنافقون لا يتدبَّرون مواعظ الله جلَّ جلاله الواردة في آي القرآن، ولا يتفكَّرون في بيِّناته فيدركوا خطأ ما ارتكبوه، وبسبب الإعراض قفل القلب فلا يصل إليه ذِكر، وتنكير (قلوب) للإشعار بفرط قساوتها ونكرها[3]، فالتنكير للقلوب جاء للتنبيه على إنكار القلوب للحقّ وهو منكرٌ عقلًا؛ لأن القلب خُلِقَ للمعرفة، فإذا لم تكن فيه المعرفة فهو نكرة، ولا يستحق أن يقال له قلب، فلم يُضف القلوب إليهم ﴿قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾؛ لعدم نفعها إيَّاهم بالمعرفة، وأضاف الأقفال إلى قسوة القلوب لكونها مناسبةً لجهلهم وعنادهم، وأراد به أقفالًا مخصوصة، هي أقفال الكفر والعناد[4].

لقد سطَّر الشاعر هذا المعنى من القفل وقساوة القلب في هذا البيت بقوله:

قسَتِ القلوبُ فلم تَمِلْ لهدايه

تبًّا لهاتيكَ القلوب القاسيه[5]

---

(١) سورة محمَّد: ٢٤.

(٢) محمَّد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧، ص١١٤.

(٣) يُنظر: محمَّد جمال الدين القاسمي، مجالس التأويل، ج١٥، ص٥٣٨٨.

(٤) يُنظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨، ص٦٥-٦٦.

(٥) بيت من قصيدة للشاعر النجفي محمَّد علي الأعسم (ت١٢٣٣هـ)، موقع مجلَّة المصطفى=

وفي إشارة السيِّدة الزَّهراء لسوء عاقبة من ظلمها وغصب حقَّ بعلها، قالت عليها السلام: «**وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون**»، وهذا المعنى مقتبسٌ من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[1]، فلقد ظهر لهم ما لم يتوقَّعوه؛ بسبب ما ارتكبوه قبلًا من آثامٍ أرانت القلب، وجعلته قاسيًا لا يتقبَّل الذِّكر، ولا يتأثَّر بالموعظة حتَّى ورود الحامية، وهذا ما أشارت إليه الآية التي بعدها تعليلًا لسوء عاقبتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[2]، فهم إمَّاعملوا أعمالًا سيِّئة، وتوهمَّوا أنَّها حسنات، وإمَّا أنَّهم عملوا أعمالًا سيِّئة ظنًّا أنَّهم يتوبون منها، فماتوا قبل التوبة، فظهر لهم عقاب سيِّئاتهم وما كسبوا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم عذاب ما استصغروه من الجرائم، فباغتهم دخول النار بلا احتساب[3].

الأمر الذي حدا بالسيِّدة الزَّهراء أن تنكر عليهم سوء أفعالهم تجاه من يرضى الله تعالى لرضاها، ويسخط بسبب سخطها عليهم، ولا مناص من نزول العذاب عليهم من دون إرضاء بضعة المختار وبقيَّته، فهم قد انزلقوا بمتاع الدنيا الزائل، وسقطوا بحبائل فتنته، وقد أنكرت عليهم السيِّدة من الوقوع بتلك الفتنة لسوء عاقبتها بقولها عليها السلام: «**ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين**»، وهذا الجواب كان ردًّا على طلب المتخاذلين عن نُصرة النبيّ الأكرم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[4]،

=الالكتروني (https://al-mostafa.co/magazine/?cat=3).

(١) سورة الزمر: ٤٧.

(٢) سورة الزمر: ٤٨، وسورة الجاثية: ٣٣.

(٣) شمس الدين أحمد القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٢٣٧.

(٤) سورة التوبة: ٤٩.

والآية في صدد وصف حال المنافقين، وفيها كشف سوء أقوالهم وأفعالهم، وخفايا أوصافهم وعقائدهم الضالَّة، فالقصد من الفتنة هنا إمَّا الخشية من الغرور؛ لما في هذه الغزوة من نفائس الغنائم، وإمَّا الخوف من بلاء القتل؛ لما في الحرب من المحن والبلايا، فالقصد إذًا من تضمين المعنى هو أنَّهم يحترَّزون بحسب زعمهم عن فتنة مترقَّبة بسبب قتالهم، وقد أخطأوا، فإن الذي هُم عليه من التقاعس هو الكفر والنفاق، فهو بعينه فتنة قد سقطوا فيها حين فتنهم بها إبليس الإنس، وسقطوا بجنَّهم نار فتنته[1].

لقد استنكرت السيِّدة الزَّهراء موقف الأنصار المتخاذل لثورتها عليها السلام، ولم تعهد منهم هذا التثاقل عن نصرتها بعد ما بَدَر من نصرتهم لأبيها المختار، فتعجَّبت عليها السلام من إصغائهم لصوت الباطل خضوعًا له، وتعاميهم عن نصرة الحقِّ والاستجابة لندائها عليها السلام، فصدر منها ما يكسر القلب بلومها لهم حين قالت عليها السلام : «**أتخشونهم فالله أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**»، وهذا المعنى قد استوحته عليها السلام من قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، فالأمر من الأهميَّة بمكان ما يجعل المسلم بين حدي الإيمان والكفر، فخشية الشياطين والكافرين تورث موجبات الكفر والارتداد حيث جهنَّم وبئس المصير، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، فالشيطان يعمل بوسوسته على تخويف المؤمنين بالكافرين ويرهبهم بالمنافقين، فبيَّنت السيِّدة الزَّهراء للقوم مَن هو أحقُّ بالتخوُّف منه وخشيته، فكيد أبليس محكومٌ بالوهن والزوال، أمَّا سخط الله سبحانه فهو المؤثِّر في الذين اتَّبعوا خطوات إبليس، واستجابوا لدعوته في خذلان أولياء الله عزَّ وجلَّ، ونصبوا لهم العداء، فآثار السخط الإلهيّ ظاهرة في الآخرة وهي الباقية، فختمت

(١) يُنظر: السيِّد محمَّد حسين الطبطبائي، الميزان، ج٩، ص٣٠٥.

(٢) سورة التوبة: ١٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٥.

السيِّدة الزَّهراء إنكارها سوء أفعال القوم من غصب حقِّها، وحقِّ بعلها بالخلافة، بوعيدٍ يناسب سوء فعلهم بقولها عليها السلام: «**فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف باقية العار، موسومة بغضب الجبَّار وشنار الأبد**»، وهذا الغضب الإلهيّ يتمثَّل لهم بالرصد يوم القيامة، وإنزال أشدِّ العذاب الموسوم «بنار الله الموقدة التي تطلَّع على الأفئدة»، وهذا الوعيد قد ذكره المولى سبحانه في تهديد الكافرين والمستكبرين في الأرض، حيث قال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[1]، فنسبة النار إلى لفظ الجلالة يشير إلى أنَّها نارٌ خالدة وغير عاديَّة، ثُمَّ إنَّ تلك النَّار تخترق أجوافهم بلهبها المستعر، حتَّى تصل إلى صدورهم وتحرق قلوبهم التي اساؤا التفكير بها[2]، «وقلوب هؤلاء الطاغين مركز للكفر والكبر والغرور، وبؤرة حبِّ الدنيا والثروة والمال؟!.. وهم في هذه الدنيا أحرقوا قلوب المؤمنين بسخريَّتهم وهمزهم ولمزهم؟! فالعدالة الإلهيَّة تقتضي أن يرى هؤلاء جزاءً يشبه أعمالهم»[3].

إنَّ محور الإنكار الذي وجَّهته السيِّدة الزَّهراء للقوم هو إيثارهم الدنيا الزائلة، على حساب زهدهم بالآخرة الباقية، فالدنيا إن حصل فيها نعيم، فهو زائل لا محالة، وأمَّا عذاب الآخرة، إن كان استحقاقًا للانسان حال كفره وظلمه، فهو يبقى ولا يزول أثره عليه، فما غصبوه من أرضٍ أو خلافةٍ يعتبرونها مُلكًا دنيويًّا لم يدم معهم، وبقي عليهم غضب الله سبحانه بسبب غضب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عليهم، مع كلِّ ما تقدم من تحذيرٍ وتذكيرٍ وإنكار.

خلاصة المطلب الأخير، الذي تناول أسلوب الإنكار في حوار السيِّدة الزَّهراء مع القوم، فمنهم من تعمَّد ظلمها وغصب حقَّها، ومنهم من لم يحرِّك ساكنًا لنصرتها، ولم ينبس ببنت شفة، فوجهة الإنكار تستهدف هجرهم للقرآن الكريم، وهو الثقل الأوَّل

(١) سورة الهمزة: ٦-٧.
(٢) يُنظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٢، ص٢٨٦.
(٣) الشيخ مكارم الشيرازيّ، تفسير الأمثل، ج٢٠، ص٤٥٣.

من تركة النبيّ الأكرم لهم، واستبداله بالإصغاء إلى صوت الشيطان وجنوده الذين تعمَّدوا غصب حقِّ أهل البيت؛ اقصاءً لهم عن مراتبهم التي خصَّهم الله بها، فكان الأجدر بهم أن يخافوا وعيدَ الله سبحانه بدل خوفهم من الطاغوت الذي يحكم دولة الإسلام؛ لأنَّ أثر الطاغوت وظلمه زائل لا محالة، وأمَّا عذاب الله تعالى فهو خالد لا يزول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على نبيِّنا المصطفى محمَّد وعلى آله الطاهرين، والرحمة لأنصاره الصالحين، واللعنة على أعدائهم أجمعين.

نتائج البحث

١. استندتْ السيِّدة الزَّهراء في جدالها مع القوم بالاقتباس المعنويّ لآي القرآن الكريم (التناص)؛ لغرض إيصال مرادها للقوم، ومنه تنطلق لإثبات حقِّها المهتضَم، ممَّا دلَّ على معرفة السيِّدة التامَّة بأسرار القرآن ووحيه، وقد تنوَّعت الأساليب إلى ثلاثة، هي: أسلوب التذكير ترغيبًا، وأسلوب التحذير ترهيبًا، وأسلوب الإنكار والوعيد.

٢. ساد أسلوب التذكير واستبق بقيَّة الأساليب الحواريَّة، وكان من أهمِّ النِّعم التي ذكَّرتهم بها هي نعمة القرآن الكريم، ونعمة الوجود المبارك للنبيّ الأكرم وجهوده في تحريرهم، ونعمة بسالة بعلها الإمام عليّ ومساندته للدعوة الإسلاميَّة نصرةً للحقِّ، فالشكر يقتضي حفظ أمانة النبيّ الأكرم لديهم بإكرام السيِّدة الزَّهراء.

٣. لمست عليها السلام قساوة القلوب وتخاذل القوم، فعمدت إلى أسلوب التحذير من مغبَّة عنادهم في ظلمها، وتثاقلهم عن نصرتها، وأهم موارد الحذر التي أنذرتهم بها، هو الندامة على خذلانها، وإحباط أعمالهم السابقة حتَّى خسران حرث الآخرة، فختمت السيِّدة الزَّهراء جدالها مع القوم بأسلوب الإنكار العقليّ لسوء اختيار القوم، فبدل أن يختاروا الخشية من الله سبحانه وعذابه، تجدهم خافوا إبليس وذريَّته من أعوانه وأنصاره، وبدل أن يطيعوا الكتاب العزيز ويحفظوا حدوده، دأبوا على الاستماع لوساوس الشيطان وهمزاته،

وبدل أن ينصروا ذريَّة رسول الله وأهل بيته، صاروا سندًا للطغاة والمرتدِّين عن وصايا النبيِّ الخاتم.

٤. استعملت السيِّدة الزَّهراء مفهوم الكفر بمعنى إنكار ولاية الإمام عليّ عليه السلام، واقتبست ما حُكي بالقرآن الكريم عن الكافرين في الـردِّ على المنافقين، ونسبت عليها السلام صفة الشيطان إلى أبالسة زمانها من الذين تعمَّدوا ظلمها وغصب حقِّها، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العليِّ العظيم.

٥. ظهر من البحث كثير من أوجه التداخل في النظم الكلاميّ- لفظًا ومعنى- بين خطاب السيِّدة الزَّهراء والمضمون القرآنيّ، وهو ما يُعرف بـ(التناصِّ الواعي)، وقد اتَّسمَّ بالتحليل العميق على مستويات النظم الظاهر، والمعنى العميق للنصِّ.

توظيف النصوص القرآنيَّة في الخطبة الفدكيَّة
(دراسة تفسيريَّة تاريخيَّة)

م.د. مازن خضير عبّاس الغزّي

ملخَّص البحث

تعدُّ خطبة الزَّهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله من أهمِّ النصوص التاريخيَّة في عصر صدر الإسلام؛ لما احتوته هذه الخطبة من معلومات جمَّة، وأحداث مهمَّة عبَّرت عن الواقع الحقيقيّ الذي عاشه المسلمون في عصر صدر الإسلام، وحالة التحوُّل التي تلت وفاة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، فكانت هذه الخطبة مصدرًا تاريخيًّا مهمًّا لتلك الحقبة، وقد انطوت هذه الخطبة على نصوص عديدة، منها آيات قرآنيَّة، وأحاديث نبويَّة، واستدلالات مهمَّة تتعلَّق بموضوع إرث الزَّهراء عليها السلام من أبيها ، فكانت سفرًا معرفيًّا ثرًّا يمكن أن يستقي منه الباحثين جوانب كثيرة، ومن هذه الجوانب المهمَّة ما تناولناه في بحثنا الموسوم (توظيف النصوص القرآنيَّة في الخطبة الفدكيَّة)؛ وذلك للاطِّلاع على هذه النصوص، وما الغاية من إيرادها في نصوص الخطبة؟ وهل هناك موائمة بينها وبين ما موجود في الخطبة من أفكار ومطالبات حقَّة تتعلَّق بإثبات الأحكام الشرعيَّة؟.

المقدِّمة

تعدُّ خطبة الزَّهراء عليها السلام من أهمِّ النصوص التاريخيَّة المعاصرة لبدايات تأسيس الدولة الإسلاميَّة، ورسم معالم المجتمع المسلم الناشئ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي ألقتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أيَّام السقيفة، واستيلاء أبي بكر على الخلافة، وعلى أرضها فدك، وأبى أن يعطيها حقَّها من ميراث أبيها، على مرآى ومسمع من الناس جميعًا، إذ احتجَّ عليها بحجج واهية، ليس لها أصل في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله، فضلًا عن مخالفتها لصريح النصوص القرآنيَّة الواضحة وأحكامه الجليَّة التي لا تقبل النقاش في المجتمع المسلم، وذلك من خلال ادِّعاء أحاديث مزعومة لم نجد لها طريقًا آخر غير بيعة السقيفة.

ولذلك قصدت السيِّدة فاطمة عليها السلام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن يَئِست من الخليفة الجديد المصرُّ على سلب نِحلتها، وسكوت المسلمين على ذلك، فرأت ضرورة المطالبة بحقِّها بنفسها، عسى أن يرجع عمَّا بدا له، فألقت خطبتها المشهورة التي عُرِفت بخطبة الزَّهراء عليها السلام أو الخطبة الفدكيَّة، والتي احتوت على جوانب كثيرة من العقائد والمبادئ الأخلاقيَّة والمعرفة التاريخيَّة، فضلًا عن أنَّها رسمت لنا صورة واضحة عن طبيعة المجتمع المسلم المعاصر لها، وكلُّ ذلك من خلال العبارات الفصيحة العالية المستخدمة في سطور الخطبة المباركة، وتوظيف النصوص القرآنيَّة المباركة والأحاديث النبويَّة الشريفة شواهدَ آنيَّة وواقعيَّة للفترة التي عاشتها في ظلِّ أبيها، فكان استخدامها للآيات القرآنيَّة دقيقًا ومعبِّرًا عن الحال الذي مرَّت به سلام الله عليها.

وقد استخدمت عليها السلام خمس وعشرون آية قرآنيَّة صريحة في خطبتها، فضلًا عن

النصوص المتضمِّنة لمعاني القرآن الكريم السامية، تلك النصوص التي اتَّسمت في غالبها بالتعبير عن الألم الذي مرَّت به، والاستدلال على حقِّها، وتحذير الخصوم من عذاب الله تعالى يوم القيامة، فجاءت هذه النصوص منسجمة بشكلٍ كبيرٍ مع فكرة الخطبة والأهداف المرجوَّة من طرحها.

ولو أمعنَّا النظر في هذا العدد المميَّز، لوجدنا أنَّه بعدد الأنبياء الذين ذُكِروا في القرآن الكريم من آدم عليه السلام إلى محمَّد صلى الله عليه وآله، وهذا يدلُّ على الامتداد الطبيعيّ للنبوَّة والوحي والرسالة، وأنَّها عليها السلام لا تخرج عن هذا الخطِّ الإلهيّ المبارك، وأنَّ ما ذكرته من الآيات المباركة إنَّما هو ما جاء به الأنبياء والرُّسل جميعًا، لا فرق بينهم، ولذا فإنَّ مخالفة أصحاب السقيفة لهذه النصوص المباركة إنَّما هو مخالفة لما جاء به الأنبياء جميعًا، ويمثِّل ذلك خروجًا عن دين الله تعالى، الذي مثَّله الأنبياء على طول الخطِّ زمانًا ومكانًا.

ولذا قُسِّم هذا البحث بحسب تسلسل الآيات الواردة في الخطبة، مع تفسير كلِّ آية على حِدَة، من الرقم (١) إلى رقم (٢٥)، فضلًا عن التعليق عليها، وربط ذلك بالحدث العام.

وفي الهتام، أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا في مسعانا هذا، وأنَّ نتمكَّن من تقديم ما يخدم مسيرة أهل البيت عليهم السلام، وإن كان ما نقدِّمه بسيطًا ومتواضعًا، إلَّا أنَّه في عين الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام، راجين القبول بحقِّ محمَّد وآله الطاهرين.

النصوص القرآنيَّة الواردة في خطبة الزَّهراء عليها السلام

أشرنا في المقدِّمة الموجزة من البحث، أنَّنا سنورد الآيات تباعًا بحسب تسلسلها في فقرات الخطبة، وبحسب الترقيم من (١) إلى (٢٥)، وكما يأتي:

١. قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢.

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ**﴾: «أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يكفر»[١].

قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح موقوف»[٢]؛ وقد رواه بنصِّه الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام[٣]؛ وراه الحاكم النيسابوريّ، وقال: «صحيح على شرط الشيخَين ولم يخرِّجاه»[٤]؛ وروي بنحو ذلك عن طرقٍ مختلفة.

وروي عن سعيد بن جبير أنَّه نسخ بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٥]، إلَّا أنَّ الروايات عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ**﴾ قال: «لم تُنسَخ[٦]، ولكن حقَّ تقاته أن يجاهدوا في سبيله حقَّ جهاده،

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ج٣، ص٧٢٢.
(٢) ابن كثير: التفسير، ج١، ص٦٣.
(٣) معاني الأخبار، ص٢٤٠.
(٤) الحاكم: المستدرك، ج٢، ص٢٩٤.
(٥) سورة التغابن، آية: ١٦.
(٦) ينظر: الطبريّ، التفسير، ج١، ص٦٣، النحَّاس، الناسخ والمنسوخ، ص٨٨-٨٩.

ولا تأخذهم في الله لومة لائـم، ويقوموا بالقسط ولـو عـلى أنفسهم وآبائهم وأبنائهم»[1].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، أي: «حافظوا على الإسلام في حال صحَّتكم وسلامتكم؛ لتموتوا عليه، فإنَّ الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنَّه مَن عاش على شيء مات عليه، ومَن مات على شيء بُعِث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك»[2].

إنَّ التفاسير المتقدِّمة للنصِّ القرآنيّ تكاد تتَّفق على هدف واحد، وهو الالتزام بتقوى الله والابتعاد عن معصيته مهما كانت الظروف، وهذه الدعوة هي التي أرادتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عندما خاطبت المجتمع بهذه الآية الكريمة، إلَّا أنَّ الملاحَظ من مجتمع المسلمين الذين كانوا يستمعون خطابها عليها السلام أنَّهم لم يمتثلوا لهذه الدعوة وكأنَّهم ربطوا هذه الدعوة بشخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، وليست مبدئًا قرآنيًّا يجب مراعاته في كلِّ وقتٍ ومكان.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ سورة فاطر: ٢٨.

قال الطباطبائيّ: «... إنَّ الخشية حق الخشية، إنَّما توجد في العلماء، والمراد بالعلماء العلماء بالله، وهم يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامَّة تطمئن بها قلوبهم، وتزيل وصمة الشكِّ والقلق عن نفوسهم، وتظهر آثارها في أعمالهم، فيصدق قولهم فعلهم، والمراد بالخشية حينئذ حق الخشية، ويتبعها خشوع في باطنهم، وخضوع في ظاهرهم، هذا ما يستدعيه السياق في معنى الآية»[3].

يقول المجلسيّ: «... شرط الخشية معرفة المخشيّ، والعلم بصفاته وأفعاله، فمن

(١) الرازي، تفسير ابن أبي حاتم الرازي، ج٣، ص٧٢٢، القرطبيّ، تفسير القرطبيّ، ج١٨، ص١٤٤، الشوكانيّ، فتح القدير، ج١، ص٣٦٨.
(٢) ابن كثير، التفسير، ج١، ص٦٣.
(٣) تفسير الميزان، ج١٧، ص٤٣.

كان أعلم به كان أخشى منه، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنِّي أخشاكم لله وأتقاكم له**»(١).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يعني بالعلماء من صدق قوله فعله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم، وفي الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله**»، وعنه أيضًا: «**دليل الخشية التعظيم لله والتمسُّك بخالص الطاعة وأوامره والخوف والحذر، ودليلها العلم**»، ثمَّ تلا هذه الآية، وعن الإمام السجَّاد عليه السلام قال: «**وما العلم بالله والعمل إلَّا إلفان مؤتلفان، فمن عَرَف الله خافه، وحثَّه الخوف على العمل بطاعة الله، وإنَّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه**»(٢).

قال الزمخشريّ: «المراد بالعلماء، العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، ما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظَّموه وقدَّروه حقَّ قدره، وخشوه حقَّ خشيته، ومن ازداد به علمًا ازداد منه خوفًا، ومن كان علمه به أقل كان آمن»(٣).

ويتَّضح ممَّا تقدَّم أن تفسير النصِّ القرآنيّ المتقدِّم تمَّ إيضاحه من خلال أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة الأطهار وجمهور العلماء، وقد اتَّفقوا على أنَّ المشمول بهذا النصِّ هم المؤمنون الذين لا يعصون الله أبدًا؛ لعلمهم العالي به، ومعرفتهم التامَّة له، فهم يخشونه على الدوام ويخافون سخطه عليهم، وما ذلك إلَّا لأنَّ إيمانهم بالله يجعلهم يشعرون بوجود الله تعالى معهم على الدوام، فهو حاضر معهم في كلِّ زمان ومكان، ولذلك يتجنَّبون معصيته، وهذا المعنى هو الذي كانت تستهدفه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من توظيف هذا النصِّ في خطبتها المباركة، فهي أرادت أن توصِل رسالة للمجتمعين في المسجد مع خليفتهم أنَّهم بعملهم هذا قد نسوا أن الله تعالى حاضر معهم، يرى ويسمع ما يفعلون من غصب حقِّها وحقِّ زوجها عليّ عليه السلام، وما هذا إلَّا للجهل الذي سيطر عليهم وأخرجهم من دائرة أهل العلم بالله الذين يخشونه.

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٤٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٣٤٤.
(٣) الكشَّاف، ج٣، ص٦١٠.

٣. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة التوبة: ١٢٨.

قال الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره للعرب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ أيُّها القوم رسول الله إليكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفونه، لا من غيركم فتتَّهمونه على أنفسكم في النصيحة لكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقَّة عليهم والمكروه والأذى، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يقول: حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحقِّ، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ أي: رفيق ﴿رَّحِيمٌ﴾»[١].

وذكر القرطبيّ في تفسيرها عن ابن عبَّاس: «ما من قبيلة من العرب إلَّا ولدت النبيّ صلى الله عليه وآله، فكأنَّه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل... قوله تعالى: من أنفسكم، يقتضي مدحًا لنسب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّه من صميم العرب وخالصها، وقرأ عبد الله بن قسيط المكِّيّ (من أَنفَسِكم) بفتح الفاء من النَّفاسة، وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن فاطمة عليها السلام، أي جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم، وقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يعزُّ عليه مشقَّتكم»[٢].

وقال البغويّ في تفسيرها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون نَسَبهُ وحَسَبهُ، وروي عن جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام: **لم يصبه شيء من ولَّاد الجاهليَّة من زمان آدم** عليه السلام، وذكر أنَّ ابن عبَّاس والزهريّ وابن محيص قرأوا (من أَنفَسِكم) بفتح الفاء أي: من أشرفكم وأفضلكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وهو دخول المشقَّة والمضرَّة عليكم، وقال ابن عباس: ما ضللتم»[٣].

ويبدو من استعمال السيِّدة الزَّهراء لهذه الآية المباركة هو لتذكير المسلمين بمقام النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم، ومدى حرصه على صلاح أمرهم، وحبِّه لهم، وكلُّ ذلك كانوا قد

(١) تفسير الطبري، ج، ص٢٠٧.
(٢) تفسير القرطبي، ج، ص٢٠٧.
(٣) تفسير البغوي، ج، ص٢٠٧.

عايشوه في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي حقيقة قرآنيَّة أكَّدها كتاب الله العزيز، وكانت ترجو من ذلك رجوع المسلمين عن فعلهم ومساندتهم لأهل الباطل في سلب حقوق أهل بيته إن كانوا يخجلون من أفعالهم ويقدِّرون تضحيات النبيّ من أجلهم، ولكن من دون جدوى.

٤. قال تعالى: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ سورة الأنفال: ٢٦.

ذكر الطباطبائيّ أنَّ المقصود بالناس في الآية الكريمة «هم مشركو العرب وصناديد قريش، والتخطُّف هو أخذ الشيء بسرعة انتزاع»(١)؛ وذكر ابن أبي حاتم الرازي أنَّ المقصود بالناس هم فارس والروم(٢)، وذكر القمِّيّ أنَّ المقصود بها قريش(٣).

ونلاحظ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام استخدمت هذا النصَّ القرآنيّ بعد أن ذكَّرت المسلمين بمقام أبيها وحرصه عليهم، ثمَّ تبع ذلك تذكيرها لهم بحالهم قبل مجيء النبوَّة، حيث كانوا يخشون سلطان الدول الكبرى المحيطة بهم، من أمثال إمبراطورية الفرس والروم، إذ كانت قريش لا تعدو كونها قرية صغيرة وضعيفة في قِبَال هذه الدول العملاقة، ثمَّ أقام لهم النبيّ صلى الله عليه وآله دولة كبيرة يُحسَب لها حساب في المنطقة بعدما كانوا ضعفاء؛ عسى أن يعودوا لرشدهم، ويذكروا أيَّامهم والبؤس الذي أنقذهم منه النبيّ صلى الله عليه وآله.

٥. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ سورة المائدة: ٦٤.

ذكر الحويزيّ في تفسيرها عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كلَّما أراد جبَّار من الجبابرة هلكة آل محمَّد عليهم السلام قصمه الله»(٤)، وذكر الطوسيّ أنَّ المقصود من الآية الكريمة هم اليهود الذين كلما حاولوا أن يوقدوا نارًا لحرب النبي محمَّد صلى الله عليه وآله أطفأها

(١) تفسير الميزان، ج٩، ص٥٤.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ج٥، ص١٦٨٣، وينظر: السيوطيّ، الدرُّ المنثور، ج٣، ص١٧٧.
(٣) تفسير القمِّيّ، ج١، ص٢٧١، وينظر: الحويزيّ، تفسير الحويزيّ، ج٢، ص١٤٣.
(٤) تفسير الحويزيّ، ج١، ص٦٥٠.

الله وردَّهم خائبين، وفي ذلك معجزة؛ لأنَّ الله أخبر عن الغيب، وكان كما أخبر؛ لأنَّ اليهود كانوا أشدَّ أهل الحجاز بأسًا وأمنعهم دارًا حتَّى أن قريشًا وقبائل العرب كانت تعتضد بهم، فأباد الله خضراءهم واقتلع أصلهم، فأجلاهم النبيّ صلى الله عليه وآله صاغرين أذلَّاء[1].

والنصُّ هنا أيضًا في مقام التذكير بالحال الذي كان عليه المسلمون أيَّام النبيّ صلى الله عليه وآله، عندما كان أعداؤهم يكيدون بهم باستمرار للإضرار بهم، ولكنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان لهم بالمرصاد، فيكشف مكائد الأعداء لهم، فيتخلَّصوا منهم بقتالهم، أو إخراجهم من المدينة، حتَّى صار المسلمون هم أصحاب الكلمة الفصل في المدينة، وهم أسيادها، فسرعان ما استعملوا هذه السلطة التي اكتسبوها بفضل النبيّ ودينه بشكلٍ سلبيّ، وأوَّل ما بدأوا به هو سلب أهل بيت النبيّ حقوقهم المشروعة من الله تعالى، فبئس الحال حال المسلمين آنذاك.

٦. قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ سورة التوبة: ٤٩.

ذكر ابن حجر في تفسير ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾، أي: «ألا في الأثم سقطوا»[2]، وذكر الطوسيّ: «لا تفتنِّي أي لا تؤثمني بأن تكلِّفني المشقَّة في ذلك، فأهمُّ بالعصيان... فقال تعالى ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾، أي وقعوا في الكفر والمعصية، بهذا القول، وبهذا الفعل، والسقوط الوقوع إلى جهة الأسفل... وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إخبار منه تعالى أنَّ جهنم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين، والإحاطة والإطافة والإحداق نظائر في اللغة، ولا يدلُّ ذلك على أنَّها لا تحيط بغير الكفَّار والفسَّاق»[3].

(١) التبيان، ج٣، ص٥٨٣.
(٢) فتح الباري، ج٨، ص٢٣٥.
(٣) التبيان، ج٥، ص٢٣٣.

وذكر الزمخشريّ في تفسير ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي إنَّ الفتنة هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة التخلُّف، ﴿لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾ يعني أنَّها تحيط بهم يوم القيامة، أو هي محيطة بهم الآن؛ لأنَّ أسباب الإحاطة معهم، فكأنَّهم في وسطها[1].

وذكر الطباطبائيّ في تفسير ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ معناه أنَّهم يحترزون بحسب زعمهم عن فتنة مترقَّبة من قبل الخروج، وقد أخطأوا، فإنَّ الذي هم عليه من الكفر والنفاق وسوء السريرة، ومن آثار هذا القول الذي تفوَّهوا به هو بعينه فتنة سقطوا فيها، فقد فتنهم الشيطان بالغرور، ووقعوا في مهلكة الكفر والضَّلال وفِتَنِه، هذا حالهم في هذه النشأة الدنيويَّة، وأمَّا في الآخرة فإنَّ جهنَّم لمحيطة بالكافرين، على حذو إحاطة الفتنة بهم في الدنيا وسقوطهم فيها، فقوله ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وقوله ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾ كأنَّهما يفيدان معنًى واحد، وهو أنَّ هؤلاء واقعون في الفتنة والتهلكة أبدًا في الدنيا والآخرة[2].

ويتَّضح من التفاسير لهذه الآية الكريمة أنَّ الفتنة المقصودة في الآية هي فعل محرَّم وقع به مجموعة الأفراد، وتحمَّلوا الإثم بسببه، وأصرَّوا عليه؛ لافتتانهم به، وعزمهم على المضيِّ عليه، وهذا الأمر يحصل غالبًا في المغريات التي تجرُّ الإنسان إلى الوقوع في المعصية، من قبيل المناصب والأموال والنساء وغيرها من المغريات؛ ولذلك لحقه الوعيد بالنار التي جعلها الله للعاصين المعاندين المصرِّين على فعالهم، ولم يفكِّروا بالتوبة لله تعالى، وهذا النصُّ نلاحظه ينطبق تمامًا على المسلمين الذين اجتمعوا في السقيفة، والذين سلبوا الزَّهراء عليها السلام إرثها من أبيها، وعلى الرغم من تذكيرهم بأنَّ فعلهم محرَّم، إلَّا أنَّهم أصرُّوا عليه وأظهروا العناد على لغة العقل، ولذلك كان توظيف هذا النصِّ في الخطبة موفَّق ودقيق جدًّا.

(١) تفسير الكشَّاف، ج٢، ص١٩٤.
(٢) تفسير الميزان، ج٩، ص٣٠٦.

٧. قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ سورة الكهف: ٥٠.

ذكر الطبرسيّ في تفسيرها: «بئس ما استبدلوا بعبادة ربِّهم، إذ أطاعوا إبليس، وقيل بئس البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن»(١)، وقال النحَّاس: «أي بئس ما استبدلوا من طاعة الله طاعة إبليس»(٢)، وقال الثعلبيّ: «بئس ما استبدلوا بعبادة ربِّهم طاعة إبليس وذريَّته»(٣).

ونلاحظ أنَّ استخدام هذا النصِّ القرآني جاء على إثر النصِّ الذي تقدَّمه، والذي حذَّر من الفتنة، كونها تؤدِّي إلى النار، ولكنَّ العناد منعهم من الاستجابة لنداء العقل والحكمة، فجاء قوله تعالى ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾؛ ليوضِّح لنا أنَّهم بقوا على عنادهم وظلمهم، واستبدلوا طاعة الله بطاعة الشيطان، وقدَّموا رضا أنفسهم على رضا خالقهم، فبئس البدل وما قدَّمت أيديهم، فالنار صارت حقًّا عليهم.

٨. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ سورة آل عمران: ٨٥.

روى مجاهد في تفسيرها أنَّها لـمَّا نزلت قال أهل الملل كلُّهم نحن مسلمون، فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٤)، فحجَّه المسلمون، وتركه المشركون(٥).

وقال الطبريّ في تفسيرها: «من يطلب دينًا غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عزَّ وجلَّ، وذكر أنَّ أهل كلِّ ملَّة ادَّعوا أنَّهم هم المسلمون لـمَّا نزلت هذه الآية

(١) مجمع البيان، ج٦، ص٣٥٥.
(٢) معاني القرآن، ج٤، ص٢٥٦.
(٣) تفسير الثعلبي، ج٦، ص١٧٧.
(٤) سورة آل عمران: ٩٧.
(٥) تفسير مجاهد، ج١، ص١٣٠.

فأمرهم الله بالحجِّ إن كانوا صادقين؛ لأنَّ من سنَّة الإسلام الحجّ، فامتنعوا، فأدحض الله بذلك حجَّتهم»[1]، وروى ابن كثير عن ابن عبَّاس في تفسيرها: إخبار عن أنَّه لا يُقبَل من أحد طريقة ولا عملًا إلَّا ما كان موافقًا لشريعة محمَّدصلى الله عليه وآله بعد أن بعثه به[2].

ويظهر من تفسير هذا النصِّ وما أورده مجاهد والطبريّ أنَّ الذين ادَّعوا الإسلام من أهل الملل والمنافقين، فضحهم الله تعالى بعد أن اختبرهم بسنَّة الحجِّ التي ينكرونها في حقيقتهم، ولذا فإنَّ ما كان يدَّعيه أصحاب السقيفة في سلب حقِّ السيِّدة فاطمة الزَّهراءعليها السلام ليس بحقٍّ، والدليل أنَّها عندما أوقفتهم على أحكام الله تعالى، رفضوا الحقَّ وأظهروا حقيقة عنادهم، وأنهم لم يأخذوا حقَّها وإرثها لكونه ليس لها، بل تجبُّرًا وسلبًا للحقوق، ولذلك أشبهوا في حقيقتهم حقيقة من ادَّعوا الإسلام، والذين تحدَّثت عنهم الآية المتقدِّمة.

٩. قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ سورة المائدة: ٥٠.

قال القطب الراونديّ: «... ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ إنَّها كناية عن اليهود؛ لأنَّهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إيَّاه، وإذا وجب على أقويائهم لم يأخذوا به، ومن أحسن من الله حكمًا، أي فصلًا بين الحقِّ والباطل ومن غير محاباة؛ لأنَّه لا يجوز للحاكم أن يحابي في الحكم بأن يعمل على ما يهواه بدلًا ممَّا يوجبه العدل، وقد يكون حكمٌ أحسن من حكم، وكذا لو حكم بحقٍّ يوافق هواه أحسن ممَّا يوافقه»[3].

قال مقاتل في تفسير ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي الذي كانوا عليه من الجور من قبل أن يبعث محمَّدصلى الله عليه وآله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ أي فلا أحد أحسن من الله حكمًا لقوم

(١) جامع البيان، ج٣، ص٤٥٩، وينظر ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج٢، ص٦٩٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ج١، ص١٠٧.

(٣) فقه القرآن، ج٢، ص١٥.

يوقنون بالله عزَّ وجلَّ[1]، وفسَّرها الطبريّ: «أي حكم أحسنُ من حكم الله إن كنتم موقنين أنَّ لكم ربًّا، وكنتم أهل توحيدٍ وإقرارٍ به»[2].

وبعد أن أوضحت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّ ما حصل عليها من سلب للحقوق إنَّما هو بسبب الجور من الحاكم ومَن وافقه على ذلك، وكانت عليها السلام في حالة استغراب من حال المسلمين الذين شهدوا ما حصل ولم يحرِّكوا ساكنًا، ولم ينصروها للمطالبة بحقِّها، بل إنَّ جلَّهم وقف ناصرًا للخليفة الجديد، لا لشيء سوى أنَّه الحاكم، فعسى أن يناله بحظوة منه، وقد أشبه هذا الفعل فعل الجاهليَّة عندما كانوا لا يحاسبون أصحاب المقامات إذا أحدثوا أمرًا باطلًا، فقد عُرِف عن العرب في الجاهليَّة أنَّهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ.

ولذا فقد أوضحت لنا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّ ما حصل معها في سلب نِحلَتها هو من أحكام الجاهليَّة، وليس من الإسلام في شيء، فإنَّ الإسلام يأمر بإرجاع الحقوق ونصرة المظلوم، مهما كانت الظروف والأشخاص، ولذلك حاولت تذكير المسلمين باستخدام قوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، وأمَّا تكملة الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ هو تذكير للمسلمين الذين عانوا من ظلم الجاهليَّة وأحكامها الجائرة، فخلَّصهم منها رسول الله صلى الله عليه وآله بأحكام الإسلام، الذي ساوى بين الناس، وتعامل معهم على أساس التقوى والعمل الصالح، ورفض فكرة السيادة والشرف على حساب الحقِّ، ثمَّ أختتمت الآية بقوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وهذه الإشارة تفيد بأنَّ الكلام قد ينفع الذين يملكون يقينًا بالله تعالى فيتذكَّروا، أمَّا الذين استحوذ عليهم الشيطان، فلا يرجعوا إلى رشدهم.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج١، ص٣٠٥.

(٢) جامع البيان، ج٦، ص٣٧١.

١٠. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ سورة مريم: ٢٧.

قال مجاهد في تفسير ﴿فَرِيًّا﴾ «أي عظيمًا»(١)؛ وقال النحاس: «وكأنَّ معنى افترى على الله، جاء بأمر بديع جديد لم يكن»(٢)؛ وقال السمرقنديّ: «يعني أتيت وفعلت أمرًا منكرًا عظيمًا لا يعرف منك ولا من أهل بيتك»(٣).

وبعد أن ذكرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المسلمين بحقيقتهم التي يجب أن يكونوا عليها، التفت إلى أبي بكر الذي أصرَّ على سلب حقِّها، فأخبرته بأنَّ هذا الأمر افتراء وكذب، وليس له من الحقيقة شيء، وأنَّه أمر عظيم لا يتوقَّع من أي مسلم مؤمن، فضلًا عمَّن نصب نفسه خليفة للمسلمين.

١١. قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ سورة النمل: ١٦.

قال الطبرسيّ في تفسيرها: «في هذا دلالة على أنَّ الأنبياء يورِّثون المال كتوريث غيرهم، وقيل معناه أنَّه ورث علمه ونبوَّته وملكه دون سائر أولاده، ومعنى الميراث هنا أنَّه قام مقامه في ذلك، فأطلق عليه اسم الإرث، كما أطلق على الجنَّة اسم الإرث، وهذا خلاف للظاهر، والصحيح عند أهل البيت عليهم السلام هو الأوَّل»(٤).

وبعد أن أوضحت الزَّهراء عليها السلام من خلال الآيات المتقدِّمة بطلان ادِّعاء الخليفة، وتذكير المسلمين بأحكام الله تعالى، عمدت إلى الاستدلال القرآنيّ والفقهيّ والتاريخيّ لإثبات حقِّها، فذكرت قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وذلك ردًّا على ادِّعاء أبي بكر من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنَّا لا نورِّث ما تركنا صدقة»(٥)، وهذا الحديث لم نعرف له طريقًا

(١) تفسير مجاهد، ج١، ص٣٨٦.
(٢) معاني القرآن، ج٤، ص٣٢٦.
(٣) تفسير السمرقنديّ، ج٢، ص٣٧٣.
(٤) مجمع البيان، ج٧، ص٣٦٨.
(٥) محيي الدين النووي، كتاب المجموع، ج١٩، ص٣٧٦، الإمام مالك، كتاب الموطأ، ج٢، ص٩٩٣.

غير أبا بكر وعمر، وهما يشكّلان جبهة الخصم للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد استندت كتب الحديث والصِّحاح في إثبات هذا الحديث على هذا الطريق فقط.

١٢. قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ سورة مريم: ٥-٦.

أخرج ابن كثير في تفسيره عن قتادة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «يرحم الله زكريَّا وما كان عليه من وراثة ماله...»، ثمَّ ذكرَ أنَّ هذه مرسلات لا تعارض الصِّحاح والله أعلم[١]، وذكر الغرناطيّ في تفسيره: «يعني وارثًا يرثني، قيل يعني وراثة المال، وقيل وراثة العلم والنبوَّة، وهو أرجح لقوله صلى الله عليه وآله نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث»[٢].

وذكر التبريزيّ الأنصاريّ قوله: «واختلف المفسِّرون في أنَّ المراد بالميراث العلم أو المال، فقال ابن عبَّاس والحسن والضحَّاك أن المراد به في قوله تعالى (يرثني و يرث من آل يعقوب) ميراث المال، وقال أبو صالح: ميراث النبوة، وقال السدي ومجاهد والشعبي المراد به في (يرثني) ميراث المال، وفي ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ميراث النبوَّة، وحكي هذا القول عن ابن عبَّاس والحسن والضحَّاك، وحكي عن مجاهد أنَّه قال: المراد من الأوَّل العلم، ومن الثاني النبوَّة»[٣].

وذكر الشريف المرتضى قوله: «فأمَّا قوله متعلِّقًا في أنَّ الميراث محمول على العلم بقوله ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ «لأنَّه لا يرث أموال آل يعقوب في الحقيقة، وإنَّما يرث ذلك غيره، فبعيد عن الصواب؛ لأنَّ ولد زكريا يرث بالقرابة من آل يعقوب أموالهم، على أنَّه لم يقل: يرث آل يعقوب، بل قال: يرث من آل يعقوب، منبِّهًا بذلك على أنَّه يرث من كان أحقُّ بميراثه بالقرابة»[٤].

(١) تفسير ابن كثير، ج٣، ص١١٧.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ج٣، ص٢.
(٣) اللمعة البيضاء، ص٨١١.
(٤) الشافي في الإمامة، ج٤، ص٨٠.

والنصُّ المتقدِّم أيضًا يعدُّ من الاستدلالات التي طرحتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام للمطالبة بحقِّها، وهذا النصُّ من أوضح الآيات دلالةً على حقِّ الإرث لأولاد الأنبياء من أبائهم، حتَّى أنَّ المفسِّرين انقسموا حياله فريقَين بعد أن اصطدم بالحديث المزعوم «معاشر الأنبياء لا نورث»، لكون النصِّ يتعارض مع ما ورد في الحديث، هذا عند من يعتقد بصحَّة الحديث، وهم غالبية أبناء المذاهب الإسلاميَّة.

١٣. قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ سورة الأحزاب: ٦.

ذكر العيَّاشيّ عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**الخال والخالة يرثان إذا لم يكن معهم أحد غيرهم، أن الله تعالى يقول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ...﴾ إذا التقت القرابات، فالسابق أحقُّ بالميراث من قراباته**»[١]، وذكر الطوسيّ: «وفي الآية دلالة على أنَّ من كان قرباه أقرب إلى الميت كان أولى بالميراث، سواء كان عصبة أو لم يكن، أو له تسمية أو لم يكن؛ لأنَّ مع كونه أقرب تبطل التسمية»[٢].

وذكر الطبريّ في تأويل الآية: «والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث»[٣]، وذكر النحَّاس: «إلَّا أن تُوصوا لمن حالفتموه من المهاجرين والأنصار، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المهاجرين، فكانوا يتوارثون حتَّى هذا، وأُبيحت لهم الوصيَّة، وهذا قول بيِّن؛ لأنَّه بعيد أن يقال للمشرك: ولي»[٤].

وبحسب آراء المفسِّرين في هذه الآية، فإنَّ النصَّ يؤكِّد توارث الأقارب بعضهم لبعض، وكلَّما ازدادت نسبة القرابة، كان الوارث أحقُّ من غيره، ولذلك أوردت السيِّدة

(١) تفسير العيَّاشي، ج٢، ص٧١.
(٢) التبيان، ج٥، ص١٦٥.
(٣) تفسير الطبريّ، ج١٠، ص٧٥.
(٤) معاني القرآن، ج٥، ص٣٢٥.

الزّهراء عليها السلام هذه الآية زيادة للتأكيد على حقِّها في الميراث من أبيها؛ لأنَّها أقرب الناس له، ولم يستثنِ النص أولاد الأنبياء من هذا الحقِّ، بل إنَّ المفسِّرين أشاروا إلى أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله شمل حتَّى المهاجرين بالميراث من الأنصار في بداية الهجرة.

١٤. قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ سورة النساء: ١١.

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس أنَّه قال: «كان المال للولد، وكانت الوصيَّة للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذَّكر مثل حظِّ الأُنثَيَين»[١].

والنصُّ واضح في بيان الحكم الشرعيّ للمال الموروث من الميت، وهذا ما يقول به جميع المسلمين باختلاف مشاربهم، إلَّا أنَّ الغريب أنَّهم يمنحون هذا الحقَّ لجميع المسلمين، ويمنعون منه بنت نبيِّهم!.

١٥. قال تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة: ١٨٠.

ذكر الشافعيّ في تفسيرها قال: «فكان فرضًا في كتاب الله عزَّ وجلَّ على من ترك خيرًا، والخير المال أن يوصي لوالديه وأقربيه، وزعم بعض أهل العلم بالقرآن أنَّ الوصيَّة للوالدين والأقربين الوارثين منسوخة... لأنَّه إنَّما أمر بها إذا كانت إنَّما يورث بها فلمَّا قسَّم الله الميراث كانت تطوُّعًا... واحتجَّ الشافعيّ في عدم جواز الوصيَّة للوارث بآية الميراث، وبما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله: لا وصيَّة لوارث»[٢].

وذكر الصنعانيّ عن قتادة: «إن ترك خيرًا الوصيَّة للوالدين والأقربين، قال نسخ الوالدين منها، وترك الأقربين ممَّن لا يرث»[٣].

(١) تفسير ابن أبي حاتم الرازي، ج٣، ص٨٨٠.
(٢) أحكام القرآن، ج١، ص١٤٩.
(٣) تفسير القرآن، ج١، ص٦٨.

وبعد ذلك تُشير السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أنَّ مال الوارث أمكن الاستفادة منه لغير وارثيه، إذا كانت هناك وصيَّة من قبل الموروث نفسه، وشمل بذلك أقرباء الموروث بدون تحديد، ومع ذلك فإنَّ ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله تُحرم من ميراث أبيها، أفبعد هذا ظلم؟، سبحان الله! تعالى الله عمَّا يشركون علوًّا كبيرًا.

١٦. قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ سورة الأنعام: ٦٧.

أي إنَّ كلَّ خبر أخبركم به الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الدنيا أو في الآخرة موضوع ومقَر وسوف يتحقَّق في موعده المقرَّر، وعندئذ ستعرفون ذلك[١]، وقال القمِّيّ: «النبأ يعني الحقيقة»[٢]، وقال الزمخشريّ: «لكلِّ نبأ: لكلِّ شيء يُنبِئ به، يعني إنباءهم بأنهَّم يعذَّبون، وإيعادهم به (مستقرٌّ) وقت استقرار وحصول لا بدَّ منه»[٣].

وبعد أن أثبتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حقَّها بالأدلَّة الشرعيَّة والفقهيَّة، فقد اتَّخذت منحًى آخر في خطابها، وهو تحذيرهم من وعيد الله تعالى لشِرار خلقه، وأن إصرارهم على الذنب يسوقهم إلى العذاب لا محالة، وأنَّ ما بينهم وبين ذلك هو مسألة وقت فقط، فالحقيقة مستقرَّة، ولا مجال لتغييرها، وأنَّ العذاب نازل بهم مهما طالت المدَّة الزمنيَّة.

١٧. قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ سورة هود: ٣٩.

ذكر الطوسيّ في تفسير هذه الآية أنَّ معناها ستعلمون في المستقبل أيُّنا يأتيه عذاب يخزيه، والخزي: العيب، الذي تظهر فضيحته والعار به، ومنه الذلِّ والهوان، وقوله ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ معناه: ينزل عليه، والحلول: النزول للمقام، وهو من الحِلِّ خلاف الارتحال، وقوله ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: دائم لا يزول[٤].

(١) الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٤، ص٣٣٠.
(٢) تفسير القمي، ج١، ص٢٠٤.
(٣) الكشاف، ج٢، ص٢٦.
(٤) التبيان، ج٥، ص٤٨٤.

وأمَّا الطبرسيّ، فقد ذكر في تفسيرها ما معناه: فسوف تعلمون أيُّنا أحقُّ بالسخرية، أو تعلمون عاقبة سخريَّتكم ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هذا ابتداء كلام من نوح، والأظهر أن يكون متصلًا بما قبله، أي: فسوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يهينه ويفضحه في الدنيا، والخزي صفة العذاب، قوله ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة[1].

وفسَّرها الطبريّ بقوله: «فسوف تعلمون إذا عاينتم عذاب الله من الذي كان إلى نفسه مسيئًا منَّا»[2]، وقال النحَّاس: «أي من يؤول أمره إلى هذا، فهو الجاهل»[3].

ولو تمعنَّا في تفسير النصِّ المتقدِّم، نلاحظ أنَّ النصَّ يتحدَّث عن أمر واقع في المستقبل لا محالة، وهو الفضيحة والعار والعذاب الأليم، وليس الأمر على نحو الاحتمال، بل على نحو اليقين بوقوعه، إذ إنَّ المتكلِّم يتحدَّث بثقة عالية عن حاله وحال خصومه في المستقبل، وإنَّ الذي بدر من الخصوم هو إساءتهم لأنفسهم، وهذا لا يصدر إلَّا عن جهل وعناد ومعصية لأوامر الله تعالى، وإنَّ صفة العذاب الذي سينزل مستقبلًا، أنَّه دائمٌ لا ينقطع.

١٨. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ سورة آل عمران: ١٤٤.

فسَّر مجاهد الانقلاب في هذا النصِّ بالردَّة[4]، وفسرَّها مقاتل بقوله: «وهل محمَّد عليه السلام لو قُتِل إلَّا كمن قُتِل قبله من الأنبياء...»، وفسَّر (انقلبتم) بمعنى: رجعتم إلى دينكم الأوَّل الشِّرك[5].

(١) مجمع البيان، ج٥، ص٢٧١.
(٢) جامع البيان، ج١٢، ص٤٦.
(٣) معاني القرآن، ج٣، ص٣٤٧.
(٤) تفسير مجاهد، ج١، ص١٣٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، ج١، ص١٩٤.

وورد في تفسير هذه الآية «إنَّ الدرس الذي تعطيه هذه الآية في مكافحة عبادة الشخصيَّة، وتقديس الفرد هو أبلغ وأفضل درس لجميع المسلمين في جميع العصور والأزمنة، فعليهم جميعًا أن يتعلَّموا من القرآن أن لا يربطوا القضايا الإستراتيجيَّة والأهداف العليا والمصيريَّة بالأشخاص، بل لا بدَّ أن يلتفُّوا حول الأُسس والمبادئ الخالدة التي لا تفنى ولا تتغيَّر، ولا تتأثَّر بتغيُّر الأشخاص أو غيابهم عن الساحة بسبب الموت أو القتل، حتَّى لو كان ذلك هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، لكيلا تتوقَّف عجلة المسيرة عن الحركة، ولا يتعطَّل دولاب العمل عن الدوران، بل إنَّ ذلك هو رمز الخلود في أي مبدأ وحركة أساسًا»[1].

والظاهر من التفسيرات المطروحة على النصِّ المتقدِّم أنَّها أركان متوفِّرة كلُّها في النصِّ، وإن اختلف المفسِّرون القائلون بها، فالردَّة التي أشار إليها مجاهد حصلت فعلًا بعد موت النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ مقتل محمَّد الذي أشار إليه مقاتل سنَّة جرت على الأنبياء، وليس بغريب أن تجري عليه، وكذا رجوع بعض المسلمين إلى دينهم الأوَّل، وأمَّا الدرس المهم الذي أوضحته الآية في مكافحة عبادة الشخصيَّة، فهو ركن آخر تجسَّد فعلًا بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، ولذا نستنتج ممَّا تقدَّم أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أرادت من توظيف هذا النصِّ في خطبتها الإشارة إلى جميع الأركان المتقدِّمة التي أوردها المفسِّرون، إذ إنَّ المسلمين بعصيانهم لأوامر الله تعالى، وسلبهم حقوق المؤمنين المتمثِّلين بعليّ وزوجته عليهما السلام، وعنادهم وإصرارهم على فعلهم، ردُّوا عن دينهم وأشركوا بربِّهم، وأمَّا عبادتهم للشخصيَّات فقد تمثَّل بربطهم خلافة المسلمين وقيادتهم بقريش، والسابقة في الإسلام، وقربى النبيّ صلى الله عليه وآله، والتي لم يعملوا بها، وإنَّما كانت أركان مزعومة، وقد كان حريًّا بهم أن يختاروا لقيادتهم من هو أهل لها دينًا وعلمًا وفهمًا وحزمًا وشجاعةً، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولو عملوا بذلك، فما كان لهم أن يجدوا غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(١) تفسير الأمثل، ج٢، ص٧١٧.

١٩. قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ سورة التوبة: آية ١٣.

ذكر الزمخشريّ أنَّ النصَّ القرآنيّ المتقدِّم فيه حضٌّ على سبيل المبالغة، ويبيِّن صفات المنافقين، وبما أنَّهم بدأوا بالقتال من غير موجِب حقيقي بأن لا تترك مصادمتهم، وأن يوبِّخ من فرَّط فيها، وأنَّ الله أحق بالخشية من المشركين والمنافقين، فتقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين، يعني أنَّ قضيَّة الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلَّا ربه، ولا يبالي بمن سواه[١].

وذكر ابن كثير في تفسيرها أيضًا أنَّ فيها تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين بإيمانهم، الذين همُّوا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكَّة، ثمَّ يتبع ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، يقول: «لا تخشوهم واخشونِ فأنا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي، فبيدي الأمر وما شئت كان وما لم أشأ لم يكن»[٢].

ويبدو جليًّا أنَّ الذين نكثوا إيمانهم يوم السقيفة هم الذي أخرجوا سلطان محمَّد من داره إلى دورهم، وخالفوا وصيَّته واضطهدوا أهل بيته، ومثل هؤلاء لا ينفع معهم الكلام، لذا يبدو أنَّ الزَّهراء عليها السلام بتوظيفها لهذه الآية كانت تخاطب عموم المسلمين الذين شهدوا الظلم الذي وقع عليها، وأنَّها أرادت أن تستنهضهم للوقوف معها والمطالبة بحقِّها، إذ إنَّ قتال القوم صار واجبًا بارتكابهم أكبر المعاصي وأفضعها، وأنَّ خشيتهم من الناس لم تكن في محلِّها، فالأَولى بالإنسان المؤمن أن يخشى ربَّه.

---

(١) الكشَّاف، ج٢، ص١٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٥٢.

٢٠. قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُواْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ سورة إبراهيم: ٨.

قال الطوسيّ: «ثمَّ أخبر أنَّ موسى قال لقومه إن تكفروا نِعَم الله وتجحدونها أنتم وجميع من في الأرض من الخلق، فإنَّه لا يضرُّ الله، وإنَّما يضرُّكم ذلك أن تستحقُّوا منه العذاب والعقاب، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي غنيٌّ عن شكركم، حميدٌ في فعاله، والغنيُّ هو الحيُّ الذي ليس بمحتاج، والحميد الكبير لاستحقاق الحمد بعظم أنعامه، وهي صفة مبالغة في الحمد»[١].

وذكر السلميّ أنَّ الغنيّ في الحقيقة من لم يزل غنيًّا ولا يزال غنيًّا، ما زاده إيجاد الخلق غنى، بل خلقهم على حدِّ الافتقار إليه، وهو الغنيُّ الحميد[٢]، وقال البغويّ: «أي غنيٌّ خلقه، حميدٌ محمود في أفعاله؛ لأنَّه متفضِّل وعادل»[٣].

وبعد أن أوضحت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حال قومها ومنازلهم الدنيويَّة والأخرويَّة، وفضحت أكاذيبهم، أحتسبت نفسها وأهل بيتها عند الله تعالى؛ لأنَّ الله هو الغنيّ الحميد، وأنَّ ما عند الله خير ممَّا في أيدي الناس، وأنَّ ما قامت به من دور إرشاديّ توعويّ تذكيريّ، هو برجاء أن يهتدوا ويرجعوا عن ارتكابهم الذنوب الكبيرة.

٢١. قال تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ سورة الشعراء: ٢٢٧.

ذكر الزمخشريّ: «وقرأ ابن عبَّاس: أي منفلتٍ ينفلتون، ومعناها: إنَّ الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات، وهو النجاة»، وذكر الطبرسيّ في تفسير ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قال: «وعيد بليغ وتهديد شديد» وقوله ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ أي منصرف ينصرفون، أي سيعلمون أن ليس لهم

(١) التبيان، ج٦، ص٢٧٦، وينظر الطبريّ، جامع البيان، ج١٣، ص٢٤٤.
(٢) تفسير السلميّ، ج١، ص٣٤١.
(٣) تفسير البغويّ، ج٣، ص٢٧.

وجه من وجوه الانقلاب، وهو النجاة، وقرأ الإمام الصادق عليه السلام: «**وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد صلى الله عليه وآله حقّهم**»، ويشبه أن تكون قراءة على سبيل التأويل[1]، وفسَّرها السمرقنديّ بقوله: «يعني أيَّ مرجع يرجعون إليه في الآخرة، يعني إلى الخسران والنار»[2].

والإشارة واضحة في النصِّ المتقدِّم أنَّ الذين ظلموا الزَّهراء عليها السلام سوف ينزل بهم العذاب لا محالة، وأنَّهم لا ركن إليهم يلجؤون إليه من معاصيهم وظلمهم، بل هم خاسرون، وعاقبة أمرهم إلى النار، ولا مهرب من ذلك.

٢٢. قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ سورة هود: ١٢١-١٢٢.

قال الثعلبيّ في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما يحلُّ بنا من رحمة من الله، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يحلُّ بكم من نقمة[3]، وقال النسفيّ ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ على حالكم ووجهتكم التي أنتم عليها، ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على مكانتنا، ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتصَّ الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم[4].

وقال ابن الجوزيّ: «هاتان الآيتان اقتضتا تركهم على أعمالهم والاقتناع بإنذارهم، ثمَّ نسختها بآية السيف»، وذكر أيضًا أنَّ هذا تهديد ووعيد، معناه اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، وانتظروا ما يعدكم الشيطان، إنَّا منتظرون ما يعدنا ربّنا، وهذا لا ينافي قتالهم، فلا وجه للنسخ[5].

وبعد أن أثبتت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حقَّها في القرآن الكريم وسنَّة النبيّ صلى الله عليه وآله على مرأى ومسمع من الناس، وفضحت كذب أعداءها وزيف ادِّعائهم، أمهلتهم إلى أن

(١) جوامع الجامع، ج٢، ص٦٩٧.
(٢) تفسير السمرقنديّ، ج٢، ص٥٧١.
(٣) تفسير الثعلبيّ، ج٥، ص١٩٦.
(٤) تفسير النسفيّ، ج٢، ص١٧٦.
(٥) نواسخ القرآن، ص١٨٣.

يحكم الله تعالى بينها وبينهم، فيأخذ بحقِّها منهم، فأوكلتهم إلى الانتظار.

٢٣. قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ سورة يوسف: ١٨.

قال مجاهد في تفسير ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ يقول: صبر ليس فيه جزع، وفي تفسير مقاتل قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ يعني «زيَّنت»، ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾ يعني «وكان الذي أردتم هو منكم»، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾ يعني «صبري صبرًا حسنًا لا جزع فيه»، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يقول: «بالله أستعين على ما تقولون حين تزعمون أنَّ الذئب أكله»[١].

قال الطبريّ في تفسير ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ «... ما الأمر كما تقولون، بل سولت لكم أنفسكم أمرًا، بل زيَّنت لكم أنفسكم أمرًا في يوسف وحسَّنته، ففعلتموه»[٢]، وأشار ابن الجوزيّ في تفسير ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾، فيه قولان:

١. على ما تصفون من الكذب.

٢. على احتمال ما تصفون[٣].

وبعد كلِّ تلك الأحداث التي جرت، أوكلت مولاتنا الزَّهراء عليها السلام نفسها إلى الصبر الحسن الذي ليس فيه جزع ممَّا فعل معها الناس؛ لأنَّها تأمل من الله تعالى أن يأخذ بحقِّها، وهو ما سيجري على نحو الحقيقة لا الاحتمال، وأنَّ ما قاموا به من ظلمها إنَّما هو من تسويلات الشيطان والنَّفس الأمَّارة بالسوء، والتي سرعان ما أجابوها، فاتَّبعوا هواهم، وضلُّوا عن سواء السبيل.

٢٤. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ سورة محمَّد: ٢٤.

قال الطوسيّ: «معناه أفلا يتدبَّرون القرآن بأن يتفكَّروا فيه ويعتبروا به، أم على

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٢، ص١٤٢.
(٢) جامع البيان، ج١٢، ص٢١٦.
(٣) زاد المسير، ج٤، ص١٤٩.

قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك؛ تنبيهًا لهم على أنَّ الأمر بخلافه، وليس على ما يمنع من التدبُّر والتفكُّر، والتدبُّر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبُّر القرآن، وفي ذلك حجَّة على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلَّا بخبر وسمع»[1].

قال الطبريّ: «أفلا يتدبَّر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظِّم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيِّه (عليه الصلاة والسلام)، ويتفكَّرون في حججه التي بيَّنها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون، أم على قلوب أقفالها، يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر»، وعن قتادة قوله: «أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها، إذًا والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله، لو تدبَّره القوم فعقلوه، ولكنَّهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك»[2].

والنصُّ المتقدِّم يعبِّر عن حالة الاستغراب التي عاشتها مولاتنا الزَّهراء عليها السلام من فعل المسلمين معها، إذ من غير المعقول أنَّهم يقرأون القرآن، ثمَّ يعمدون إلى فعل الكبائر من الذنوب، ولكنَّ قراءتهم للقرآن كانت خالية من التدبُّر و التأمُّل في آياته المباركات، ولو أنَّهم تدبَّروه لعلموا أنَّه ليس لهم أن يظلموها حقَّها في وضح النهار.

٢٥. قال تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ سورة غافر: ٧٨.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ المبطلون يجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته، وضعف ما في يده حجَّة له على باطله[3]، وقال الطوسيّ في تفسيرها: أي إنهَّم يخسرون الجنَّة ويحصلون في النار بدلًا منها[4]، وأمَّا الزمخشريَّ فقد ذكر في تفسيرها: أي

(١) التبيان، ج٩، ص٣٠٣.
(٢) جامع البيان، ج٢٦، ص٧٤.
(٣) تفسير الإمام العسكريّ، ص٥٢٩.
(٤) التبيان، ج٩، ص٩٦.

أنَّهم خسروا وقت مجيء أمر الله، أو وقت القضاء بالحقِّ[1].

وقال الطباطبائيّ في تفسيرها: «وقوله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي فإذا جاء أمر الله بالعذاب قضي بالحقِّ فأظهر الحقَّ وأزهق الباطل، وخسر عند ذلك المتمسِّكون بالباطل في دنياهم بالهلاك، وفي آخرتهم بالعذاب الدائم»[2].

وبعد كلِّ ما تقدَّم من دلائل وبراهين على أحقيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مطالبتها بحقِّها، وظلم الخلافة وحاشيتها لها، وسكوت المسلمين عن ذلك، كلُّ ذلك يعود عليهم بالخسران المبين يوم يجتمعون عند الله تعالى، فلا يتمكَّنون من الكذب والافتراء والهروب من سطوته تعالى، بل إنَّه الخسران الذي وعدهم به القرآن الكريم، وذكَّرتهم به سيِّدة النساء فاطمة عليها السلام، إذ إنَّ الباطل لا يدوم.

(١) الكشَّاف، ج٣، ص٤٣٨.
(٢) الميزان، ج١٧، ص٣٥٣.

الخاتمة

وفي ختام البحث يمكن أن نستنتج مجموعة من النقاط المهمَّة التي استفدناها من خلال السياحة الجميلة في الآيات المباركات التي وردت في خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من بدايتها إلى نهايتها، وقد توصَّلنا إلى مجموعة نتائج، هي:

١. إنَّ عدد الآيات المستعملة في الخطبة المباركة هي خمسٌ وعشرون آية من سور مختلفة في القرآن الكريم، ويبدو أنَّ استعمال هذا العدد من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ليس عبثيًّا، أو بحسب السياق، بل إنَّ هذا العدد هو نفسه عدد الأنبياء الذين ورد ذِكرهم صراحةً في القرآن الكريم، وهذا الأمر يدلُّ على أنَّ السيِّدة الزَّهراء أرادت أن تشير للقوم أنَّها تمثِّل امتداد النبوَّة ووحي السماء، فلا فصل بينها وبين ما جاء به القرآن الكريم، وهي مندرجة في الحديث النبويّ الذي يشير إلى أنَّ أهل البيت عليهم السلام عِدْل القرآن، حيث يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا، كتاب الله وعترتي فإنَّهما لن يفترقا حتَّى يرِدَا عليَّ الحوض**»، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أرادت أن تثبت للحضور بأنَّها ربيبة الوحي وبيوت العلم، فهي عالمة بالقرآن وعلومه.

٢. كان خروج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لدعوة الناس إلى تقوى الله تعالى، والخشية من سخطه، والخضوع لأوامره ونواهيه، ولا يكون ذلك بمعزل عن العلم والمعرفة.

٣. إنَّ تعريف السيِّدة عليها السلام بنفسها وبأبيها كانت تروم من خلاله تنبيه الناس أنَّها

ليست بحاجة إلى ما في أيدي الناس، فهي بنت سيِّد الناس باختلاف طبقاتهم، وإنَّما خرجت للمطالبة بحقِّها، لما يمليه عليها الواجب الشرعيّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤. ذكَّرت الزَّهراء عليها السلام المسلمين بحالهم قبل الإسلام، وما كانوا يقاسونه من أنواع البؤس من العبودية والاضطهاد والخضوع والظلم، فأنقذهم النبيّ صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى، عسى أن يتذكَّروا ويعودوا لرشدهم، بالإضافة إلى أنَّها أرادت أن توضِّح للحضور أنَّها محيطة بما يحصل في المنطقة من تقلُّبات سياسيَّة و عسكريَّة، وما ذلك إلَّا من علم القرآن وعلم أبيها صلى الله عليه وآله.

٥. ثمَّ عوَّلت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على بيان حال المنافقين الذين عاصروا النبيّ صلى الله عليه وآله، والذين كان همُّهم الأوَّل هو الكيد بالنبيّ صلى الله عليه وآله، والذين أثَّروا في عدد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله؛ فسلكوا معهم مسلكهم في عصيان أوامر النبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من الأحيان، وقد أكَّد ذلك القرآن في عدد من آياته، ومنها قصَّة الإفك، وقصَّة توزيع غنائم حنين، وقصة الحديبيَّة، وغيرها كثير.

٦. إنَّ المنافقين هم مصدر الفتن على المسلمين؛ لذلك أوضحت الزَّهراء عليها السلام معنى الفتنة التي وقع فيها المسلمون، ثمَّ ربطت ذلك بالعناد والإصرار على الذنب، الأمر الذي أخرجهم من ملَّة الإسلام الذي يريده الله تعالى، إذ إنَّ الإسلام تطبيقًا عمليًّا وليس قول مجرَّد، ثمَّ أكَّدت لهم ذلك من خلال بيان حالهم في إحياء أحكام الجاهليَّة التي حاربها الإسلام، إلَّا أنَّهم سرعان ما أحيوا أمرها، واستدلَّت على ذلك بمجموعة من الآيات القرآنيَّة التي بيَّنت من خلالها بطلان ادِّعائهم على سلب نِحلتها، ووقوفهم مع الباطل بكلِّ جرأة، وما ذلك إلَّا من أخلاق الجاهليَّة، وليس الإسلام.

٧. ثمَّ بيَّنت للحاضرين الذين وقفوا إلى جانب الباطل الصريح أنَّ عذابهم واقع لا محالة، وأنَّ الله توعَّد الظالمين بدوام عذابه عليهم، وأنَّ حال أهل السقيفة كان حال الظَّلَمة المعاندين المستحقِّين للعذاب، إذ إنَّهم لم يخشوا ربَّهم فيما فعلوا، وبعد أن يئست منهم أوكلت أمرها إلى الله تعالى، وأوكلت أمر الظالمين إلى الزمان وسوء العاقبة التي منوا بها أنفسهم، وما ذلك الإصرار على الذنب إلَّا بسبب النفس الأمَّارة بالسوء، وتسويلات الشيطان، وقد عالجت كلَّ ذلك بالصبر المصحوب بالاستغراب الذي لم يفارق فكرها؛ لأنَّ الجميع كانوا يعلمون أنَّ عاقبة أمرهم إلى النار والخزي والخسران بمحاربتهم لله ورسوله ودينه، وكانت هي التي تمثِّل ذلك الخطَّ الإلهيّ الرساليّ وسط ذلك الحضور البائس للمسلمين في ذلك اليوم.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. البغويّ (ت ٥١٠هـ)، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢. التبريزي الأنصاري، محمَّد علي بن أحمد القراجه داغي (ت ١٣١٠هـ)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء، تحقيق: هاشم الميلاني، مؤسَّسة الهادي، قم، إيران، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣. الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تفسير الثعلبي، تحقيق: محمَّد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٤. ابن جزي الكلبيّ: أبو عبد الله محمَّد القاسم ابن أحمد بن محمَّد (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥. ابن الجوزيّ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن القريشيّ البغداديّ (ت ٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٦. ابن الجوزيّ: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن القريشي البغداديّ (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧. الحاكم، أبي عبد الله النيسابوريّ (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحَين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٨. ابن حجر، شهاب الدين العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ط٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩. الحويزيّ، عبد عليّ بن جمعة العروسيّ (ت ١١١٢ هـ)، تفسير نور الثَّقلين، تحقيق: هاشم الرسوليّ المحلَّاتي، ط٤، مؤسَّسة إسماعيليان، قم، ايران، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠. الرازي، أبو محمَّد بن أبي حاتم محمَّد بن إدريس (ت ٣٢٧ هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمَّد الطيِّب، المكتبة العصريَّة، صيدا، (د.ت).

١١. الزمخشريّ: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزميّ (ت ٥٣٨هـ)، الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة الحلبي، مصر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

١٢. السلميّ (ت ٤١٢ هـ)، تفسير السلميّ، تحقيق: سيِّد عمران، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٣. ابن سليمان، مقاتل (ت ١٥٠ هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٤. السمرقنديّ: أبو الليث نصر بن محمَّد بن إبراهيم (ت ٣٨٣هـ)، تفسير السمرقنديّ، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٥. السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٦. الشوكانيّ: محمَّد بن عليّ بن محمَّد (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، منشورات عالم الكتب، (د.م.ط).

١٧. الشريف المرتضى، عليّ بن الحسين الموسويّ (ت ٤٣٦ هـ)، الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزَّهراء الحسينيّ الخطيب، مؤسَّسة الصادق، طهران، إيران، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٨. الشيرازيّ، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (د.م.ط).

١٩. الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٨م.

٢٠. الصنعانيّ، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمَّد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٢١. الطباطبائيّ، محمَّد حسين الحكيم، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرِّسين، قم، إيران.

٢٢. الطبرسيّ، أبي عليّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقِّقين، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٣. الطبرسيّ، أبي عليّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، منشورات جماعة المدرِّسين، قم، إيران، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٤. الطبريّ، أبي جعفر محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: خليل الميس وصدقي جميل العطَّار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٥. الطوسيّ: أبي جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٦. العسكري: ابي محمَّد الحسن بن عليّ الهادي الهاشميّ (ت ٢٦٠ هـ)، تفسير الإمام العسكريّ، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط١، مطبعة مهر، قم، إيران، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢٧. العيَّاشي، أبو النظر محمَّد بن مسعود السلميّ السمرقنديّ (ت ٣٢٠هـ)، كتاب التفسير، تحقيق: هاشم الرسولي المحلَّاتي، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، إيران.

٢٨. القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردونيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٩. القطب الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، فقه القرآن، تحقيق: أحمد الحسينيّ، ط٢، مطبعة الولاية، قم، إيران، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٠. القمِّيّ: أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ)، تفسير القمِّيّ، تحقيق: طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣، دار الكتاب، قم، إيران، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣١. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٢. الإمام مالك، ابن أنس (ت ١٧٩هـ)، كتاب الموطأ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٣٣. مجاهد: أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر التابعيّ المكِّي المخزوميّ (ت ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمَّد السورتيّ، مجمع البحوث الإسلاميَّة، إسلام آباد، باكستان.

٣٤. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٥. النحَّاس، أبو جعفر (ت ٣٣٨هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمَّد عليّ الصابونيّ، ط١، جامعة أمِّ القرى، السعوديَّة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٦. النسفيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٥٣٧هـ)، تفسير النسفيّ، (د.م.ط).

٣٧. النوويّ، أبو زكريَّا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، كتاب المجموع (شرح المهذّب)، دار الفكر، (د.م.ط).

المقاصد القرآنيِّة في خطاب فاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام الحِجاجيّ
دراسة في الدلالة العقديَّة والتشريعيَّة

الشيخ حيدر كاظم العريضي
ماجستير علوم القرآن/ جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله

ملخَّص البحث

تناولتُ في هذا البحث الموسوم بـ(المقاصد القرآنيَّة في خطاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام الحِجاجيّ) أهمَّ الجدليَّات العقديَّة والتشريعيَّة بعد تحليل خطابها القرآنيّ، فقد دارتْ محاورة بين السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع الحاكم السياسيّ وقتها، ومَن وافقه الرأي أو سكت عن ظلامتها، إذ استفادتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من النصوص القرآنيَّة في حِجاج القوم بالحُجَّة الساطعة والدلائل القاطعة.

إنَّ كثرة استعمال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لآيِ الكتاب العزيز يدلُّ على مدى الارتباط الوثيق بينهما، فكان القرآن الكريم يُمثِّلُ مرجعًا فكريًّا أصيلًا في ثقافتها عليها السلام؛ لكثرة تداخل الآيات المباركة مع مفاصل خطابها الجدليّ في علاقةٍ تفاعليَّةٍ كبيرة، كما يدلُّ على أهميَّة الآيات المباركة؛ باعتبارها المصدر الأوَّل للمسلمين في صياغة دستورهم، ومعرفة أحكامهم الشرعيَّة.

لقد استفادتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من الآيات المُحكمة التي لا تقبل التأويل في إلزام الخصم بالبرهان القطعيّ على بُطلان حُكمِ منعها عليها السلام حقَّها من نِحلتها، ومن إرث أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله الذي ثَبُتَ لجميع الأنبياء في حقِّ التوارث الماليّ العام، فقد أنكرت عليها السلام

عليهم تخصيص الآية المباركة بعد دلالتها على العموم، كما تعجبت عليها السلام تهكُّمًا من تفسيرهم بالرأي لآيات القرآن الكريم، مع وجود الإمام عليّ عليه السلام، وهو الأعلم بدقائقه وحقائقه وقواعد تفسيره.

ما كانت محاولة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في حِجاجها القرآنيّ مع خصومها إلَّا تمهيدًا لإثباتِ حقِّ الخلافة للإمام عليّ عليه السلام؛ باعتباره الوصيّ الشرعيّ للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد استعملت عليها السلام الآيات المباركة لإظهار منزلته في الإسلام وفضائله عليه السلام، وحين أحسَّت عليها السلام فشلَ محاولتها في ثني القوم عن التمادي في ظلامتها عليها السلام، ويئست عليها السلام من ردعهم عن اتِّقاء غضبها وسخطها، عمدت عليها السلام إلى بيان حقيقة نزع صفة الإيمان عنهم، بل ووسمتهم بالنفاق والكفر؛ بسبب ارتدادهم بعد وفاة أبيها المختار صلى الله عليه وآله، وقدَّمت عليها السلام لهم الوعيد بالنار وغضب الجبَّار.

مقدِّمة

كثيرٌ من استشهد بالقرآن الكريم في خطابه الجدليّ مع خصومه، مُحقًّا كان أم زائفًا، ولكن لم يشهد التأريخُ آثارًا واقعيَّة لخطابٍ قرآنيٍّ كالذي شَهِدَهُ لأهل بيت النبوّة من بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، إذ اتَّسمَ بالإخلاص لله عزّ وجلّ، فأمسى ينمو ببركاته، حتَّى صار كلامُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام إمامًا للكلام، وكان خطابُ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدًا للخطاب، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «**وَإِنَّا لأمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصونُهُ**»(١).

إنَّ المُتدبِّرَ في خطابِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يجدُ كلامًا متوشِّحًا بالقرآن في نصِّه ومضمونه من جهة الدلالة والإشارة، فلم يُسجِّل لنا التأريخ سوى خُطبةً واحدةً لها عليها السلام في المسجد النبويّ الشريف، مع كلامٍ موجَّهٍ لنساء الأنصار ملؤه الحِجاج خصامًا، حيثُ ابتدأتْ خطبتَها الكبرى بأنَّةٍ أجهش لها القوم بالبكاء خُشَّعًا؛ لما فيه من مضامين أثَّرتْ فيهم، وأثارتْ اهتمام الباحثين في جميع المجالات، كالبلاغة والبيان والتفسير؛ لعمق دلالته.

لقد شكَّكَ البعضُ بنسبة الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام من جهة السَّند، بالرغم من كثرةِ تحقيقه، ويُمكن إجمال الردِّ عليه إثباتًا لصحَّة صدورها بدراية: «إنَّ هذا النصيب من البلاغة إذا استُكْثِرَ على السيِّدة فاطمة، فما من أحدٍ في عصرِها لا يُستكثَر عليه»(٢)، فهذا المستوى البلاغيّ لا يليق إلَّا بأهل بيت النبوَّة وربيبة المدرسة القرآنيَّة.

(١) المعتزليّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٦. في ذِكر اللسان.
(٢) العقَّاد، عبَّاس محمود، فاطمة الزَّهراء والفاطميُّون، ص٤٠.

وسيرًا مع ركب الطالبين لآثاره، ارتأيتُ أن أبحثَ في موارد استعمال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام للنصِّ القرآنيّ في حِجاج الغاصبين لحقِّ أهل البيت، وبعد استقراء خطابها عليها السلام، جاء البحث منقسمًا الى مطلَبَين، تناولتُ فيهما أهمَّ محاور التوظيف للنصِّ القرآنيّ في جدالها عليها السلام، وهما: محور الاحتجاج العقائديّ، ومحور الاحتجاج التشريعيّ.

مشكلة البحث:

لقد وظفتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام النصَّ القرآنيّ كثيرًا في خطابها الجدليّ، ولم يحظَ هذا الكمّ الهائل من الآيات بالجمع والتصنيف على أساسٍ موضوعيٍّ؛ لغرض دراسته بمنهجٍ علميّ.

أهميَّة البحث:

تظهر أهميَّة البحث في قوَّةِ توظيفِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لآيات القرآن الكريم، وبيان آثارها الجدليَّة في إثبات حقِّها، وحقيقة خصمها عليها السلام، وذلك من خلال الفهرسة الموضوعيَّة للآيات المباركة، والغَور في معرفة تفسيرها من خلال مصادر التفسير المُعتبرة.

منهج البحث:

اعتمدتُ المنهج التحليليّ لآراء المفسِّرين أداةً لمعرفة الغاية من احتجاج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بآيات الكتاب العزيز، ومعرفة أهمِّ آثارها العقديَّة والتشريعيَّة.

ملحظ:

تناولتُ الآيات المباركة بحسب التسلسل الموضوعيّ للحِجاجِ الوارد في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهو ما كان موافقًا- غالبًا- لنسقِ نُظمِ ذلك الخطاب المبارك، ونظرًا لانحصار البحث بخطبَتَي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الكبرى (الفدكيَّة)[1]، والصغرى

(١) بعض مصادر الخطبة الفدكيَّة، يُنظر: ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص١٩-٢٢، والطبرسيّ، أبو الفضل أحمد بن عليّ، الاحتجاج، ج١، ص١٢٦-١٤٠،=

مع نساء المهاجرين والأنصار[1]، وروماً للاختصار، سأكتفي بذكر مصادر الخطبَتَين هنا في الهامش، مع التنويه لاسم الخطبة ومصادرها في بداية ذِكر المطلب؛ تجنُّبًا للتكرار، واقتصادًا في عدد الصفحات، مع إيراد الملحق الذي يتضمَّن ما أتُّفق عليه من خطبَتَي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومصدرهما في ملفٍ منفصل للمراجعة.

=وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١١-٢٤٩، والمجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٨.

(١) بعض مصادر الخطبة الصغرى، يُنظر: أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، بلاغات النساء، ص٢٢-٢٣، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٣٣، والمجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٦٠.

تمهيد

تنحصر معاني مفردات عنوان البحث في مفهومَي (الحِجاج والخطاب)، وفيما يأتي بيان معنى كُلٍّ منهما، مقتصرًا بما يتعلَّق بالبحث، لُغةً واصطلاحًا.

معنى الحِجاج لُغةً واصطلاحًا

الحِجاجُ في اللغة يعني: من «المَحَجَّة: قارعة الطريق الواضح. والحُجَّة: وجه الظفر عند الخصومة.. والحِجَاج المصدر»[1]. أي: مرادف الجدل في القصد إلى إلزام الخصم بعد إقامة الحُجَّة والدليل على صدق مُدَّعاه. وحَاجَّ خصمَه فغلبه، فهو مَحْجُوجٌ، وكانت بينهما مُحَاجَّةٌ ومُلاجَّةٌ. واتبع المَحَجَّةَ البالغة بالمناهج النَّيِّرة، والمَحَاجُّ الواضحة فيها حِجَّةً كاملة[2].

وفي الاصطلاح: «هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة؛ لإلزام الخصم»[3].

وفي الاستعمال القرآنيّ: يعني الحوار والخطاب بقصد إبانة الحقائق الإيمانيَّة بأسلوبٍ إقناعيٍّ يهدي إلى الحقِّ[4].

معنى الخطاب لُغةً واصطلاحًا

الخطاب لُغةً: «هو المراجعة في الكلام، ومنه: الْخُطْبَةُ والْخِطْبَةُ لكن الْخُطْبَةُ تختصُّ بالموعظة، والْخِطْبَةُ بطلب يدِ المرأة.. وفصل الْخِطَابُ: ما ينفصل به الأمر من

(١) الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٣، ص١٠.
(٢) يُنظر: الزمخشريّ، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص١١٣.
(٣) ميارة، د. لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، ص٥٠٩. مقال.
(٤) يُنظر: البرواريّ، د. آماد كاظم، المحاججة بمفهومها القرآنيّ، ص٢. مقال.

الخطاب»[1]، والخطب هو: «الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جلَّ الخطبُ أي: عظم الأمر والشأن، وهو يدلُّ على توجيه الكلام لمن يفهم»[2]، فالخطاب يعني مراجعة الكلام، أو المواجهة بالكلام، وعلى المستوى الدلاليّ، فالخطاب يعني كلامًا أو رسالةً أو محاضرةً، يتمُّ تبادلُ الكلام فيها بين طرَفَين أو أكثر بقصد الإفهام، من خلال رسائل لغويَّة.

وفي الاصطلاح الخطاب هو: الكلام الذي يُقصَد به الإفهام، إفهام مَن هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يُقصد به إفهام المستمع، فإنَّه لا يُسمَّى خِطابًا[3].

(١) الراغب الأصفهانيّ، حسين بن محمَّد، مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٨٦.
(٢) ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص٣٦٠.
(٣) الكفويّ، أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسينيّ القريميّ، الكليَّات، ص٤١٩.

توطئة

تطرَّقَ أربابُ السِّيرِ والتاريخِ لسيرةِ السيِّدةِ الزَّهراءعليها السلام كثيرًا؛ لأنَّها من الناحية العقديَّة هي بضعة النبيّ الأكرم، وحليلة الإمام عليّعليه السلام[1]؛ ولأنَّها مصدرٍ من مصادر القوَّة التاريخيَّة التي تتابعتْ آثارها في دعوات الخلافة من صدر الإسلام إلى الزمن الأخير[2]، وكان من أسباب ثورة السيِّدة الزَّهراءعليها السلام- التي ظهرت معالمها جليًّا في خطبتها العصماء (خطبة اللُّمَّة)[3]- ظاهرًا هو منعهاعليها السلام حقَّ إرث أبيها المصطفىصلى الله عليه وآله، وإنكار نِحلته فدكًا إيَّاهاعليها السلام، وأمَّا حقيقة دوافع ولوج السيِّدة الزَّهراءعليها السلام معترك الحياة السياسيَّة، هو الخلاف على ميراث الخلافة من بعد وفاة أبيها النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله، لا خلاف على تركةٍ قليلةٍ لا تستحقُّ هذه الوثبة من لبوةٍ مكسورةٍ الجناح[4].

لقد انتفضتْعليها السلام ضدَّ الانقلاب القريشيّ على خلافة الوصيِّ الشرعيّ من بعد فَقدِ أبيها خاتم الأنبياءصلى الله عليه وآله، فكان مصابها مضاعفًا جللًا، أَنحَلَ عودها وأَقَضَّ مضجعها، فرامتْ رجوع الحقِّ إلى نصابه؛ حفظًا للنظام القيميّ، وأمانًا للأمَّة وضمانًا لنجاتها، ولكنَّ نكراء الخونة وشيطنتهم أفشل مخطَّطها، وزاد من علَّتها داءً حتَّى ماتتْ شهيدةً صابرةً، وليمضي على إثر نهضتهاعليها السلام ابنها السبط الشهيدعليه السلام في نينوى، وقد جعلهما

(١) يُنظر: الآغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢١، ص١٢٦.

(٢) يُنظر: عبَّاس العقَّاد، فاطمة الزَّهراء والفاطميون، ص٩.

(٣) سُمِّيت بخطبة اللُّمَّة؛ لأنهَّا عليها السلام أقبلت في لُـمَّةٍ من حَفَدَتِها تطأ ذيولها، وللخطبة عدَّة أسماء، منها الخطبة الفدكيَّة.

(٤) يُنظر: عبَّاس العقَّاد، مصدر سابق، ص٤٣، وأيضًا: الصدر، محمَّد باقر، فدك في التاريخ، ص١٧.

الله عزّ وجلّ آيةً لأُولي الألباب، كما جعل النبيّ عيسى عليه السلام وأمُّهُ العذراء عليها السلام آيةً من قبلُ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1].

لقد لاثتْ عليها السلام خمارها على رأسها في مِشيةٍ لا تخرمُ مِشية أبيها الخاتم شيئًا[2]، وكان من طبيعة خطابها عليها السلام أن يكونَ مستندًا للحُجَّة البالغة نُذرًا وعُذرًا، ونابعًا من وحي معجزة الدهر الخالدة، ومصدر الأمَّـة، وأساس فكرها وعقيدتها. لقد مثَّل القرآن الكريم عند خطابها عليها السلام مرجعًا فكريًّا، ومصدرًا هامًّا؛ لتداخله التفاعليّ مع طيَّات خطابها الجدليّ[3]، فجاء خطابها عليها السلام متوشِّحًا بالقرآن الكريم نصًّا ومضمونًا.

إذًا سيكون هذا البحث منقسمًا إلى مطلبَين: الأوَّل الحِجاج العقديّ في خطابها القرآنيّ، والثاني الحِجاج التشريعيّ في خطابها القرآنيّ، سأورد تفصيلهما بما يتناسب مع مقام البحث سعةً وحدودًا.

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) يُنظر: أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، مصدر سابق، ص٢٠-٢٣، وأيضًا: المعتزلّي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٣٣.

(٣) يُنظر: لعيبي، محمَّد قاسم، التفاعل النصِّي مع القرآن الكريم في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ص٣٢١. مقال

آثار النصِّ القرآنيّ الجدليّ في خطابها عليها السلام

يُوعز كثرةُ استدلال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بآي القرآن الكريم، واستعمالها لنصِّه المقدَّس في بلوغ مرامها، إلى عوامل ذاتيَّة، وأُخرى دوافع خارجيَّة، فالذاتيَّة منها تتمثَّلُ في كون منطقها عليها السلام هو القرآن؛ لأنَّها عليها السلام نشأتْ في حضن النبوَّة، ورضعت من ثدي الإيمان، حتَّى صار القرآنُ سجيَّتَها، وأمَّا الدوافع الخارجيَّة فتكمُن في ثبوت حُجيَّة القرآن على جميع المسلمين بوصفه المصدر الأوَّل لعقيدتهم وشريعتهم، ولم يختلف على تواتره اثنان، حيثُ تمَّ الاطمئنان بحفظه من التَّحريف نقصًّا وزيادةً، كما وعد تعالى في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، ولم تستدل بالسنَّة الشريفة في خطابها عليها السلام، إلَّا في حديث المناشدة، وبعد اليأس من صلاح القوم وهدايتهم، فلربَّما استشعرت رفض الحاكم الذي منعَ نقل الحديث الشريف وتدوينه بذريعة اختلاطه بالقرآن الكريم، والعجب في المفارقة بين منع الحاكم وصاحبه رواية الحديث، وبين استدلاله بالسُّنَّة على منع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حقَّها من إرث أبيها صلى الله عليه وآله بروايةٍ مختلَقةٍ مفادها (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث..)، وهو صاحب المقولة المشهورة (حسبُنا كتاب الله)، حتَّى بلغَ الأمر معاقبةَ المخالف، وإحراق كتب الحديث[2].

بعد مراجعة خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وجدتُ أنَّها ذكرتْ شواهد من النصِّ القرآنيّ قُرابةَ الثلاثين موضعًا من خطابها، فقد يتكرَّر الشاهدُ القرآنيُّ في أكثر من موضعٍ؛ ليُعطي دلالةً أبلغ في الحُجيَّة، ويُورِثُ تحذيرًا في النفوس أعمق تأثيرًا، حيث

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) يُنظر: عبد الغني عبد الخالق، حُجيَّة السُّنَّة، ص٣٩٠-٣٩٥.

انقسمتْ شواهدها بالنصّ القرآنيّ بين الأصول العقديَّة (الفقه الأكبر)، وبين الأحكام الفقهيَّة العامَّة.

وفيما يأتي بيان الأمرين في مطلَبَين بشكلٍ مفصَّلٍ، مع تحليلٍ لآراءِ المفسِّرين ومناقشتها.

المطلب الأوَّل

حِجاجها عليها السلام العقديّ في خطابها القرآنيّ

استعملتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام آي القرآن في خطبتيها الفدكيَّة (الكبرى)[1]، و(الصغرى)[2] مع النساء كثيرًا، وتمهيدًا لِحجاجها مع القوم، استهلَّتْ عليها السلام خطبتها الفدكيَّة بآية التقوى في أوَّلِ شاهدٍ قرآنيّ بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه، وتمجيد كتابِهِ المُنزل، وبعد بيان فضل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على الأمَّة، وتحرير منافع الشريعة الإسلاميَّة وعللها، فقد استعملتْ عليها السلام آية التقوى دون صدرها من قوله عز وجل: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[3]، واتبعتها بموعظة «**وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه**»، فتقوى الله عز وجل أصلٌ أخلاقيٌّ عظيم، وملازمٌ عقديٌّ لأصل توحيد الطاعة بدلالة عطف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام «وأطيعوه..»، وبقرينة ذيلِ الآية ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ**﴾ هو النَّهي عن الاعتقاد بغير الإسلام الحنيف حتَّى الموت؛ ضمانًا لحسن العاقبة[4]، والنُّكتة هنا أنَّها عليها السلام اقتصرتْ على ذِكر الآية المباركة في خطاب الناس دون صدرها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

(١) بعض مصادر الخطبة الفدكيَّة، يُنظر: ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص١٩-٢٢، والمعتزليّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١١-٢٤٩، والمجلسيّ، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٨.

(٢) بعض مصادر الخطبة الصغرى، يُنظر: ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص٢٢-٢٣، والمجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٦٠، وأيضًا: المعتزليّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٣٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، محمَّد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج٤، ص٣٠-٣١.

ءَامَنُواْ﴾؛ لمناسبة المقال لمقتضى صفة حال المُخاطَب، ولما ألمَّ بها من أذىً منهم، حيثُ اكتفت عليها السلام في بدء خطابها بالإشارة إليهم تنبيهًا بصيغة: «**ثمَّ أنتم عباد الله**»، فلقد ورد في تفسير آية التقوى بالمأثور رواية عن ابن عبَّاس قوله: «أن يجاهدوا في سبيله حقَّ جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم..»[1]. وأفضل الجهاد هو كلمة حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ، ومَنْ لم يُجاهد امتثالًا لأمر التقوى، فقد خرج من دائرة الإيمان، ويبقى متزلزلًا في حقيقة إسلامه.

بعد التذكير بالتقوى انتقلتْ عليها السلام إتمامًا لقصدها بشاهدٍ قرآنيّ آخر يدعو إلى الخشية من الله عز وجل؛ باكتساب العلم وتنوير القلب، فكان الحثُّ بشهادة الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2]، والخشية هي رسوخ الإيمان بتأثُّر الجوانح (قلبي)، ومختصًّا بالخوف من الله عز وجل اتِّقاءً لغضبه، وأمَّا عموم الخوف فهو تأثُّر الجوارح العمليّ، بمعنى التهيُّؤ لاتِّقاء كُلِّ محذور وإن لم يتأثَّر القلب[3]، وهو ما أشارت إليه الآية المباركة ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]، فيكون مقصد الخشية من الآيتَين هو الاستجابة للأمر الإلهيّ بلزوم وصلِ ما أمر به الله عز وجل أن يُوصلَ من أمرِ المودَّةِ لأهلِ بيتِ الرحمة، والمودَّة هي أجرُ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله مقابل أدائهِ الأمانة الإلهيَّة الثابت في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5]، وينبغي ألَّا يخافوا تأدية حقِّ بضعة المصطفى وروحه صلى الله عليه وآله، والدفاع عنه بلا خشية من سخط ظالم ولا لومة لائم، وليكونوا في حضيرة الذين أنعم الله عز وجل عليهم، ومصداقًا لوصفه عز وجل في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

(١) يُنظر: أبو الفداء بن كُثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٨٧.
(٢) سورة فاطر: ٢٨.
(٣) يُنظر: الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص٣٤٣.
(٤) سورة الأحزاب: ٣٩.
(٥) سورة الشورى: ٢٣.

وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[1]، فخيرُ الوصال وأولاه هو وصال أهل بيت الرحمة وذريّة نبيّ الأُمة صلى الله عليه وآله الذين أمر الله عز وجل ورسوله بلزوم طاعتهم، فهم من عصمهم الله عز وجل وطهّرهم من الرجس تطهّيرا، ولكن حين رأتْ عليها السلام منهم النكوص إعراضًا عن نصرتها وبَّختهم بشاهدٍ قرآني من قوله عز وجل: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[2]، وفي الآية المباركة يظهر معنى التحضيض على الهياج لمنازلة الظالمين، شريطة توافر عنصر الإيمان[3]، ومع انتفائه لا يتحقَّق الامتثال لحكم الله عز وجل.

بعد أن دخل القوم في مخاض الحيرة، وصراع النفس بين اللوم والخنوع خُشَّعًا لخطابها عليها السلام في بُكاءٍ ونحيب، يستمرُّ الخطاب في ذكر سِلسلة شواهده القرآنيَّة، مُذكِّرةً إيَّاهم بنسبها ومنزلتها عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيثُ خصَّه القرآن الكريم بجميل المقال وأحسنه، فأردفت عليها السلام بشاهدٍ قرآنيّ تذكيرًا برابط صِلَتها الوثيقة مع النبيّ الأكرم من خلال شهادة قوله عز وجل: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]، فالنبوَّة ثاني أصول الدين بعد أصل التوحيد، قد تمثَّلتْ برسالة النبيّ الخاتم، المسندة بالإعجاز القرآنيّ كأعظم تحدٍّ للناس، وقد سبقت هذا الشاهد بتعريف نفسها عليها السلام تذكيرًا: «**أيُّها النَّاس اعلموا أنِّي فاطمة وأبي مُحمَّد** صلى الله عليه وآله»، ذلك النبيّ مَن عرفتم رأفته صلى الله عليه وآله بالمسلمين، ومَن كان يَعزُّ عليه أن تُصيبهم مخمصةٍ أو أذىً، بل ويدفع عنهم المشقَّة باليُسر والرحمة، فلقد كان أبو الزَّهراء صلى الله عليه وآله حريصًا على هدايتكم؛ لتحقيق السعادة لكم في الدنيا والآخرة[5]، فَجاءَتْ خاتِمَة السورة بِالمِنَّةِ بِبِعْثَةِ النبيّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، والتَّنْوِيهِ بِصِفاتِهِ الجامِعَةِ لِلْكَمالِ.

(١) سورة الرعد: ٢١.
(٢) سورة التوبة: ١٣.
(٣) يُنظر: ابن كثير، أبو الفداء، تفسير بن كثير، ج٤، ص١١٨.
(٤) سورة التوبة: ١٢٨.
(٥) يُنظر: أبو الفداء بن كُثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢١١.

ومِن أخَصِّها حِرْصُهُ عَلى هُداهم؛ لِيَكُونَ رَؤُوفًا عليهم ورَحِيمًا بِهِمْ، ولِيَعْلَمُوا أنَّ ما لَقِيَهُ المشركون مِنَ الشدَّة عَلَيْهِم ما هو إلَّا لأجل هدايتهم، فالنبيّ الأكرم مِن أجلى مَظاهِرِ الرَّحْمَةِ الالهيَّة[1].

لقد تمَّ التذكير برأفة أبيها صلى الله عليه وآله ورحمته في حياته، فحريٌّ بهم أن يحفظوا حقَّ ابنته بعد مماته صلى الله عليه وآله، المرء يُحفظ في وُلدِه صلى الله عليه وآله، ويسمعوا شكايتها، ثُمَّ ألحقتْ الآية بذِكر نسبها ونسب الإمام عليّ عليه السلام ومنزلته من رسول الله، بقولها عليها السلام: «**فإن تَعْزُوهُ وتَعْرفوهُ تَجِدوهُ أبي دون نسائِكمْ وأخَ ابن عمِّي دون رجالِكم**»، وبعد كلِّ هذا البيان، أنكرتْ عليها السلام على مشايخ قريش ظُلمَهم إيَّاها، وقرَّعتْ المهاجرين توبيخًا لتخاذلهم عن نصرتها، وأخذتْ عليها السلام تُنكر عليهم لمخالفتهم شرعَ الله عز وجل بخطابٍ من سنخ خطاب الله عز وجل للمنافقين، فاستهجنت اعتذارهم عن نصرتها بعد وحشتها من فَقْدِ أبيها صلى الله عليه وآله وغربتها، بقولها عليها السلام: «**ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة**»، وتردفه بشاهدٍ قرآنيّ من قوله عز وجل: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وأيُّ فتنةٍ أشدُّ من مخالفة تعاليم القرآن وأحكامه الخاصَّة بعقيدة الولاية وكمال الدين؟! فمن رفعه القرآن بالفضل، فقد وضعه الناس بالضِّعة؛ «وذاك أنَّ الخطر الأكبر في ذلك اليوم إنَّما كان من فتنة السقيفة»[3]، فالاستفتاح بـ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ..﴾ للتنبيه على غرابة ما دار في خلدهم، حيثُ احترزوا عن توهُّم فتنة الاقتتال، فوقعوا في فتنة الدين، فما وقعوا فيه أشدُّ ممَّا تفصوا منه، حيثُ وقعوا في فتنة الشرك والنفاق[4].

وفي صدد بيان هذه المؤامرة الكبرى، استعرضت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام منجزات أبيها المختار وفضله على الناس، وذكَّرتهم بمناقب بعلها الوصيّ، ومواقفه في نصرة

(١) يُنظر: ابن عاشور، محمَّد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٣٨.
(٢) سورة التوبة: ٤٩.
(٣) العقَّاد، عبَّاس محمود، فاطمة الزَّهراء والفاطميُّون، ص٤٤.
(٤) يُنظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج١١، ص٢٢١.

الدين، وهم في غمرة لذَّاتهم مُترفون، ثمَّ كشفتْ عليها السلام خيوط حركتهم الانقلابيَّة وجذورها بعد رحيل المصطفى عن الدنيا، تأكيدًا لنفاقهم ووقوعهم في فتنة الشيطان، فقالت عليها السلام: «**ظهر فيكم حسكة النفاق.. وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفًا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين**». لقد استجابوا لدعوة الشيطان في مخالفة صريحة لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾[1]، برفضهم وصيَّة نبيِّهم الأكرم في مشايعة الإمام عليّ عليه السلام وموالاته، وحفظ حقِّ أهل بيته، فوقعوا في شرك طاعة الشيطان وعبوديَّته، كفرًا ببلاغ الله عزَّ وجلَّ من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[2]، فقد ورد في الأثر الصحيح: «من أصغى إلى ناطق، فقد عبده.. وإن كان الناطق يؤدِّي عن الشيطان، فقد عَبَد الشيطان»[3].

ثُمَّ توجهتْ بالإنكار تعجبًّا من رجال الأنصار بحرقةٍ ولوعةٍ علَّهم يثيبوا إلى رُشدهم بقولها عليها السلام: «**أيهٍ بني قيلة أأُهضَم تراث أبي وأنتم بمرأى منه ومسمع!**»، وتذكِّرهم عواقب التورُّط بشرك الانقلاب القريشيّ على خلافة ابن عمِّها الوصيّ، والعود إلى غيِّ الجاهليَّة وعصبيَّتها بعرضها عليها السلام شهادة الآية المباركة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۚ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4]، والانقلاب لُغةً يعني: الرجوع إلى المكان، يُقال: انقلب إلى منزله، وهو مجاز في الرجوع إلى الشِّرك الذي كانوا عليه بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا الارتداد لا يضرُّ سوى الناس؛ لأنَّ الارتداد عن الدِّين إبطال لما فيه صلاح النَّاس، ولا يضرَّ الله والدين شيئا[5]، وهذا المعنى البالغ

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة يس: ٦٠.

(٣) الكليني، محمَّد بن يعقوب، الكافي، ج٦، ص٤٣٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) يُنظر: ابن عاشور، محمَّد طاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٣٩-٢٤٠.

لمسامع الظالمين قد يردعهم عن الطغيان؛ لما يُحدثه من إحباط في نفوسهم بعد علمهم بارتداد الضرر عليهم، دون إطفاء نور الإسلام الخالد، ويتأكَّد المعنى حين ذكَّرتهم السيِّدة عليها السلام بشاهد قرآنيّ يدلُّ عليه، من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، وقد تضمَّنتْ آية الانقلاب توبيخًا مفاده: أنَّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله ليس إلَّا بشرٌ مرسلٌ من الله عزّ وجلّ، ومأمور بتبليغ رسالة ربّه لا غير، و إنَّما الأمر لله والدين دينه باق ببقائه عزّ وجلّ، فلا معنى لتوقُّف إيمانكم على حياته، حتَّى إذا ماتَ أو قُتِل تركتم العمل بالدين، ورجعتم إلى أعقابكم القهقرى، وهذا يدلُّ على أنَّ إيمانهم إنَّما كان متزلزلًا يرنو نحو إرادة ثواب الدنيا وزخرفها بلبوس الإسلام، وهو سبب تقريعهم[2].

إنَّ معنى الارتداد بالآية هو الرجوع إلى عبوديَّة الأشخاص (من حكَّامٍ وأحبار) من دون الله عزّ وجلّ، وهذه العبوديَّة من سنخ عبادة الناس لأصنامها في زمن الجاهليَّة؛ لأنَّها تعني الطاعة لغير الله عزّ وجلّ[3].

لقد استبدلُّوا خير شرعة الإسلام بشرِّ ضلالة الجاهليَّة، والهداية الإلهيَّة بالغواية الشيطانيَّة، وهذا القرار لا يتَّخذه إنسان عاقل؛ لأنَّه ترجيحٌ بلا مرجَّحٍ عقليٍّ يستهجنه العقلاء، فموقفهم كان متخاذلًا في نصرتها عليها السلام، وعلى إثره جاءتْ بشاهدٍ قرآنيّ: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾[4]، فَمَا لَهمْ كَيْفَ يَحْكُمُونَ باتِّباع ذُؤبان الأعراب[5]، وتركوا أئمَّة الهدى.

(١) سورة إبراهيم: ٨.

(٢) الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٧-٣٨.

(٣) يُنظر: العقل، ناصر عبد الكريم، شرح باب توحيد الألوهيَّة من فتاوى ابن تيميه، ص٤.

(٤) سورة يونس: ٣٥.

(٥) لا يُقصد من الأعراب هنا بأهل البادية، بل استعمله القرآن مجازًا عن التعرب بعد الهجرة، والنفاق بعد الإسلام، والردَّة بعد الإيمان، يُنظر: ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج١٠، ص٨٣.

لقد أنكرتْ عليها السلام عليهم سوء تدبيرهم بمخالفة الكتاب العزيز استجابةً لغواية أبليس، فاستعانتْ عليها السلام بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[1]، فلا أثر لأداء مناسك الإسلام من عبادات وإحياء شعائره، مع مخالفة أحكامه العامَّة وأصوله العقديَّة، فمن يتخَّذ الشيطان وليًّا، فقد خسر ولاية الله عزّ وجلّ كُفرًا بنعمه المعنويَّة المنتجة لزوال النِّعم الماديَّة؛ لأنَّ النتائج تتبع أخَسَ المقدِّمات، كما أشارَ إليه النصُّ القرآنيّ من شهادة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها الصُغرى، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2]، فالاعتقاد القلبيّ بالرسول وتصديقه، مع العمل بشرعته، هما مقدِّمة للخير والبركة، وخلافه مقدِّمة لهلاك الأمم، مع خصوصيَّة أمَّة الإسلام (الأمَّة المرحومة) بنوعٍ خاصٍّ من العذاب، كفقدِ الأمن والصحَّة دون الهلاك الجماعيّ؛ لكرامة نبيِّهم الخاتم صلى الله عليه وآله، «ومحلّ التعجيب هو تواطؤهم على هذا الغرور، أي يترتَّب على حكاية تكذيبهم وأخذهم استفهام التعجُّب من غرورهم، وأمنهم غضب القادر العليم.. من إتيان بأس الله في مستقبل ذلك الوقت»[3].

إنَّ أهميَّة الاعتقاد بأصول الدين الاسلاميّ، والعمل وفق مبادئه وشرعته، تكمن في رهن قبول العمل الصالح كمقدِّمة لسعادة الدَّارَين، ومن هذا المنطلق أعقبتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام استدلالها على بطلان عمل الظالمين لها بشهادة الآية المباركة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]، ومن أظهر مصاديقه مخالفة ما أمرَ به رسول الله صلى الله عليه وآله ونهى عنه، فَلَنْ يُقْبَلَ عملٌ مِن المخالف له، فكيف يُقبلُ منه الضلالُ بعد الإيمان! فلا يُقبل من الْقَوْمَ المتمرِّدين بظلمهم، بل أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ

(١) سورة الكهف: ٥٠.
(٢) سورة الأعراف: ٩٦.
(٣) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢١.
(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ[1]، فقد لعن الله عزّ وجلّ أُمَّةً بعصيانِ أمره في ناقةٍ وفصيلها؛ وذلك «لأنَّ الدين إذا لم يصل بصاحبه إلى هذا الخضوع والانقياد لله عزّ وجلّ، كان رسومًا وتقاليد لا تُجدي شيئًا، بل تزيد النفوس فسادًا»[2].

لقد خصَّ أغلب مفسِّرو العامَّة شأنيَّة هذه الآية في أهل الكتاب، والحال أنَّ لسانها عام لا يمكن تخصيصه إلَّا بدليلٍ معتبَر، فالتعبُّد بغير دين الإسلام مصاديقه كثيرة، لا يقتصر على أهل الكتاب فحسب، بل يتعدَّاه سعةً ليشمل جميع المنافقين، والكافرين من المشركين، والمرتدِّين عن الإسلام بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ولو سلَّمنا جدلًا برأيهم، ففي الصِّحاح ورد أنَّ بعض الصحابة كانوا يرجعون للتوراة حتَّى نهاهم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، كما ورد في صحاحهم خبرُ نهيِّ النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب عن تلاوة التوراة[3].

إنَّ معنى الآية يتَّضح بجلاء بعد معرفة معنى (الدِّين) لُغةً واصطلاحا، ففي اللغة يعني: الملَّة بالذات، وبالاعتبار هو العمل بالشريعة، والملَّة هي العقيدة والشريعة، وما يرجع إليه هو المذهب، وهو وضعٌ إلهيّ يدعو أصحاب العقول إلى امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله[4]. إذًا معنى الدين شامل للشريعة والعقيدة معًا، ويتحدَّد معناه بحسب الاستعمال القرآنيّ وتوظيفه لكلمة (الدين)، وقد أُستعمِل قرآنيًا للعقيدة والشَّريعة، سواء أكانتا حقًّا أم باطلًا بحسب النسبة المضافة إليه[5].

ويتحصَّل ممَّا تقدَّم أنَّ عملَ كُلِّ من لم يؤمن بنبوةِ خاتم الرسل صلى الله عليه وآله بعد بلوغه الحُجَّة القاطعة، أو عملَ كُلِّ من آمن ولم يمتثل لأوامره صلى الله عليه وآله، هو عملٌ باطلٌ، وإن كان صالحًا،

(١) يُنظر: البلاغيّ، محمَّد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٣٠٩.
(٢) مراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، ج ٣، ص٢٠٤.
(٣) يُنظر: العسقلانيّ، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ج١٣، ص٥٢٥.
(٤) يُنظر: الجرجانيّ، عليّ بن محمَّد، كتاب التعريفات، ص١٠٥.
(٥) يُنظر: الطبطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٥١-٥٣.

فلا ينتفع منه يوم القيامة، وهو من الخاسرين لثواب الجنَّة، وهذا ما بيَّنته أمُّ أبيها عليها السلام في خطبتها الصُّغرى، وهي على بيِّنةٍ من أمرها، ولا سلطانَ لها يلزمهم الهدى غير إلقاء الحُجج البالغة، كما دلَّ عليه شاهدها من قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[1]، في إشارةٍ إلى رين قلوبهم المُفضي إلى تعمية بصيرتهم وضلالهم.

بعد سلسلة الاستدلال القرآنيّ على بطلان عمل من تعمَّد غصب حقِّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وسكتَ عن هذه الظلامة، ولم ينصرها بيده ولسانه، قامتْ عليها السلام بدعم موقفها من خلال أسلوب الترهيب، في محاولة ردعهم من خلال شهادتها بآيات التخويف الموسومة بغضب الجبَّار، ولبوس العار الأبديّ، موصولًا بنارٍ تحطِّم كبرياءهم وتذلُّ عزيزهم، كما جاءتْ بشاهدٍ من وعيد الله عزَّ وجلَّ من قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[2]، ثُمَّ أردفتها عليها السلام بآيةٍ أُخرى تذكِّرهم بسوء العاقبة لكلِّ من أقترف ظُلمًا بحقِّها، وهي الصادقة التي لا ينبغي تكذيبها، فشاهدها كان من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3]، وهذا المعنى أكَّدته عزَّ وجلَّ في جوابها لنساء الأنصار والمهاجرين، حيثُ استعملتْ عليها السلام آية الوعيد من قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[4]، وشاهد قرآنّي آخر من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[5]، فالإشارة بـ(هؤلاء) إلى قوم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وتخاطبه الآية أنَّ الظالمين من بعدك لهم عذابُ مَنْ قبلهم بسيئاتهم، ووبال عملهم، وما هم بفارِّين من الله عزَّ وجلَّ[6].

---

(١) سورة هود: ٢٨.

(٢) سورة الهمزة: ٦-٧.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٤) سورة المائدة: ٨٠.

(٥) سورة الزمر: ٥١.

(٦) يُنظر: الطبطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان، ج١٧، ص٢٧٤.

وفي ختام خطبتها تمسَّكت عليها السلام بمنزلتها من النبيّ الأكرم، وباهلتهم بمقامه الأقدس، واظهرتْ تحدِّيًا لمؤامرتهم رغم انكسارها، حيث قالت عليها السلام: «**وأنا ابنةُ نذيرٍ لكُم بينَ يديَّ عذابٍ شديد، فاعملوا إنَّا عاملون وانتظروا إنَّا منتظرون**»، لقد كان سرُّ قوَّتِها في يقينها بصدق كتاب الله عزوجل، وما وعد أولياءه من نصرٍ، إن لم يكُ عاجلًا، فقد أذَّخرَهُ لهم آجلًا، والعاقبة والحسنى لمن أتَّقى، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المطلب الثاني

الحِجاج التشريعيّ في خطابها عليها السلام القرآنيّ

على غرار استدلال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالنصِّ القرآني على إثبات حقِّها في جدالها العقدي، يُلاحِظُ المُتتبعُ الأثرَ القرآنيّ ذاتَهُ في أسلوب خطابها التشريعيّ استدلالًا على إثبات حقِّها في نِحلة أبيها المختار، وإرثه تمهيدًا لإثبات حقِّ بعلِها في الوصاية والخلافة من بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

سارتْ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وفقًا للنهج القرآنيّ في جدال القوم، فقد استعملتْ في خطبتها الكبرى أسلوب السؤال المجازيّ كثيرًا في حِجاجهم؛ لقوَّة حُجَّةِ هذا الأسلوب البسيط في إفحام الخصم وإقناعه[1]، فحثَّتْ عليها السلام على تدبُّر آياته المباركة باعتبارها المصدر الأوَّل للتشريع الإسلاميّ، وقدمتْ عليها السلام شاهدًا قرآنيًّا يُعتبرُ دليلًا مشتركًا لإثبات العقيدة والشريعة من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2]، فالقُفْلُ هو الغلق كنايةً عن الإصرار والعناد، فكأنَّ على قلوبِ هؤلاء المنافقين قُفْلٌ يُناسب حالهم، وفيه إنكار لترك نعمة العقل طلبًا للهوى[3]، وعليه لا ينبغي مخالفة آيات القرآن المحكمة باجتهاد الحاكم المُتسلِّط على رقاب المسلمين، فلا اجتهاد في مُقابل النصِّ

(١) للاطِّلاع على أهميَّة أسلوب السؤال المجازيّ في الجدل القرآنّي، يُراجَع للباحث كتاب (الأسلوب القرآنيّ في التنمية العقديَّة- السؤال المجازي أنموذجًا)، المؤلِّف: حيدر العريضي، الناشر: مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام للدراسات، النجف الأشرف.

(٢) سورة محمَّد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

(٣) يُنظر: أحمد الشيخ حطيبة، تفسير أحمد حطيبة، ج٧، ص٢٤٥.

الصريح[1]، وهذه الضابطة قد اتّفق عليها علماء الإسلام من الخاصّة والعامّة، ومستندهم القرآني في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[2]، فينبغي للمؤمن أنْ يمتثل لحكم الله عزّ وجلّ تسليمًا، ويرضى بقضائه التشريعيّ رغبةً في امتثاله.

لقد أكّدتْ أُمُّ أبيها عليها السلام أنَّ حُكمَ رفعِ يدِها عن نحلتِها من أرض فدك، وإخراج عُمّالَها منها تعسُّفًا كان حُكمًا أجنبيًّا عن شريعة دين الإسلام وأحكامه، ودينُ الإسلام بمعناه العام والشامل لكلِّ الأديان الإبراهيميَّة من غير نسخٍ بهذا الحكم المشترك فيما بينها، وهذا ما جادلتهم عليها السلام به بإنكارٍ تَعَجُبيٍّ في شاهدٍ قرآنيٍّ من قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3]، فالآية المباركة في صدد التعريض بقومٍ من المسلمين تولّوا اليهود في اتّباع شريعةٍ من أيّام الجاهليّة، «والاستفهام إنكاريٌّ ﴿أَفَحُكْمَ﴾؛ لأنّهم طلبوا حكم الجاهليَّة.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾.. واو الحال، وهو اعتراض، والاستفهام إنكاريٌّ في معنى النفي.. وهو خطاب للمسلمين، إذ لا فائدة في خطاب اليهود بهذا»[4]. إذًا لقد كان حكمُ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خروج مشيخة قريش عن دين الإسلام مبنيًّا على إنكارهم ضروريّات الدين الإسلاميّ الأصيل، واتِّباعهم أحكامًا جاهليّةً مستبِدةً، طاعةً لأحبار اليهود المحرِّفين لأصل التوراة، فقد وصفَ القرآنُ الكريم من يخالف حكم شريعة الإسلام بالكفر والفسق والظلم.

استمرَّتْ أُمُّ أبيها عليها السلام في مواصلة حلقات سلسلة الإنكار عليهم بالأسئلة المجازيَّة التي أفحمتْهم عجزًا عن جوابها، وقبل الاستدلال القرآنيّ بحقيقة وراثة أبناء الأنبياء بعد موتهم وشرعيَّته في التراث الإسلاميّ، قالتْ عليها السلام: «**أفلا تعلمون...؟ أأُغلبْ على إرثي**

(١) يُنظر: الغزالّي، أبو حامد، المستصفى، ص٣٤٢.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٣) سورة المائدة: ٥٠.
(٤) ابن عاشور، محمَّد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٦، ص٢٢٨.

يا ابن أبي قحافة؟.. أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟!»، فهذا كتاب الله يصدح آناء الليل وأطراف النهار بما جاءتْ عليها السلام به من آيات مباركة تخالف حُكم من أدَّعى خلافة نبيِّ الإسلام عجبًا، فقد شهدتْ لهم بواقعيَّة توارث أبناء الأنبياء بدلالةِ قوله عز وجل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1]، وشاهدٌ من حكايةٍ عن النبيّ زكريا عليه السلام قوله عز وجل: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[2]، فأصل معنى الإرث لُغةً هو الميراث المادِّي، يَثْبتُ حقيقةً بالتبادر الذهنيّ، وهو انتقال التركة للورثة، فأصل الإرث إنَّما يصدق في الأعيان الماديَّة، ويُطلقُ مجازًا في المجدِ وغيره[3]، فإذا أُطلِقَ في العلم كان معناهُ مجازيًّا، كالاستعارة في المشهور: «العلماء ورثة الأنبياء»،[4] وأمَّا معنى الإرث الأعمِّ من الحقيقةِ والمجاز فيما يتعلَّق بما ترك الأنبياء من إرثٍ لأوصيائهم بوجه خاصٍّ كما ورد في الشاهد القرآنيّ للتوريث بين أنبياء بني إسرائيل ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، فقد اختلفَ فيه علماء جمهور المسلمين فيما بينهم، فبعضهم رأى أنَّ المراد من الإرث هو إرثُ المال، «فقال الحسن المال؛ لأنَّ النبوَّة عطيَّة مبتدأة ولا تُورَّث»[5]، وتمسَّك الأغلب منهم بمعنى المُلك السياسي والخلافة، وذهب الأماميَّة إلى الجمع بينهما؟ مع اتِّفاقهم على أنَّ النبوة لا تُورَّث، إنَّما هي جعلٌ الهيّ.

إنَّ أكثر مفسِّري جمهور المسلمين قالوا: إنَّ معنى الإرث هو المُلك الذي اختصَّ النبيُّ خليفتَهُ به دون المال، إذ وَرِثَ النبيُّ سليمان عليه السلام مقامَ المُلكِ خاصَّةً من أبيه داوود عليه السلام من بين تسعة عشر ولدًا، وكان داوود أكثر تعبُّدًا لربِّهِ، وسليمان أحكم قضاءً

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٥-٦.

(٣) يُنظر: الأزهريّ، محمَّد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج١٥، ص٨٥، وأيضًا: الزمخشريّ، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص٦٧١، وغيرهما.

(٤) يُنظر، الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن، تفسير التبيان، ج٨، ص٨٢-٨٣.

(٥) الرازي، الفخر محمَّد بن عمر، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.

وأكثر شُكرًا[1]، وإن كانَ الخبرُ آحادًا، فلا مانع هنا من الجمع بين المال والمُلكِ مع بيان أهميَّة المُلكِ، ولا حُجَّة لهم في حصر الإرث بالمُلك دون المال سوى ادِّعاءَ وحدة السياق تأويلًا، وخبر آحاد لا يصلح به التخصيص ما ثبُتَ عمومه بالدليل القطعيّ، أو قولًا بالنسخ لشريعة من قبلنا نقلًا عن اجتهاد أُمِّ المؤمنين، وقد بُرِّرَ منعُ الإرثِ بحكمةِ منعِ تمنِّي الأهل موت النبيّ والطمع بإرثه[2]. لقد التمسوا حُججًا واهية أدَّتْ بهم إلى الطعن بنزاهة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم، وهم الذين عصمهم الله عزّ وجلّ عن سوء الأعمال وطهَّرهم من الذنوب وخبُث السريرة.

إنَّ النبيّ زكريّا عليه السلام لم يقصد أكيدًا في قوله عليه السلام: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ معنى توريث ولده يحيى عليه السلام المُلكَ، وهو لا مُلك له أصلًا، ولا حُكم لديه وقتها؛ لانتفاء مورده وعدم تحقُّق موضوعه، فكيف أُخِذَ ببعض القرآن تأويلًا، وأُعرِضَ عن البعض الآخر! وهذا ما ورد الذمُّ فيه صريحًا في كتاب الله المجيد في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[3]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[4].

لقد اختلفَ مفسِّرو العامَّةِ في حُكمِ إرثِ أموالِ الأنبياءِ بينَ قلَّةٍ مُثبتةٍ له، وبينَ كثرةٍ مُنكرةٍ له بلوي عُنق النصِّ، مقتصرةً على توريث العلم والمُلكِ دون المالِ، كانَ دافعَهُ الانتصارَ لرأي عقيدتهم بالحاكم السياسيّ، والذي منع حقَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام من إرث أبيها المختار بروايةٍ مختلقة، فقد صرَّح أكابر مفسِّريهم أنَّ القولَ بوراثة مال ومُلك الأنبياء معًا هو الأسلم، ولا يُبطِلهُ سوى المرويّ آحادًا (نحن معاشر الأنبياء

(١) يُنظر: الزمخشريّ، تفسير الكشَّاف، ج٤، ص٤٣٨، وغيره من أغلب مفسِّري العامَّة.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، محمَّد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٢٣٦.

(٣) سورة البقرة: ٨٥.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

لا نـوِّرث..)[1]، فلقد خالفَ قناعتَهُ المنبثقة عن علمٍ ودرايةٍ بخبر آحادٍ لا يصلح أن يخصِّصَ به عموم القرآن ولا ينسخه؛ بسبب تعصُّبه لمذهبه بدلَ التجرُّد وعدم الانحياز في منهج بحثه العلميّ، فكُلُّ تفسيرٍ يُخالفُ الضوابطَ العامَّةَ والأصولَ العلميَّة هو تفسيرٌ بالرأي، وقد نهى الشارعُ المقدَّس عن هذا التفسير الباطل، وتوعَّدَ الله ﷻ صاحبَهُ عذابًا أليمًا.

إنَّ خُلاصةَ القولِ يجدُهُ المتأمِّل فيما تُقرِّرَ من تفسير الآية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ مفاده: «واختلفوا فيما وَرِثَ منه، فقال أصحابنا إنَّه وَرِثَ المالَ والحُكمَ. وقال مخالفونا: إنَّه وَرِثَ الحُكمَ، لقوله ﷺ: (نحن معاشر الانبياء لا نوِّرث مالًا..)، وهو خبر آحاد لا يُخصِّص عمومًا قد ثبُت»[2]، أي إنَّ الإرثَ والتوارث بين الآباء والأبناء عمومًا ثابتٌ بدليلٍ قطعيٍّ، بلا استثناء للأنبياء بدليلٍ معتبر، سوى خبرٍ واحدٍ لا يصلحُ بتخصيص أخبار متواترة؛ لسقوطه عن الاعتبار الشرعيّ عند جميع فقهاء الإسلام، ولا ينسخ حُكمًا ثابتًا في الاسلام، فقد تسالموا على رفض خبر الآحاد المعارض للنصِّ القرآنيّ الصريح، وما تواتر من الأخبار المعتبرة، وإن كان صحيحًا في سنده، فضلًا عن كونه ضعيفًا.

إنَّ آيات توريث الأنبياء مطلقة غير مقيَّدة، وأنَّ الإرث المقصود في الآية المباركة هو إرث المال والمُلك، وأمَّا وراثة النبوَّة والعلم فقد يرد إشكال بثبوتها، خصوصًا بين الأنبياء، وهو أنَّ النبوَّةَ لا تقبل الوراثة؛ لأنَّها بالتعيين الإلهيّ لا بالانتقال، والعلم يُقبل الانتقال إن كان فكريًّا بالاكتساب، والعلم الذي يختصُّ به الأنبياء والرُّسل حضوريّ، فهو كرامة إلهيَّة بالإلهام والهبة، وليس من جنس ما يُكتسبُ بالفكر، فغير النبيّ كالوصيّ قد يرِثُ العلمَ من النبيّ، لكنَّ النبيَّ لا يرثُ علمَهُ من نبيٍّ آخر ولا من غير نبيّ[3].

(١) يُنظر: الرازي، الفخر أبو عبد الله محمَّد بن عمر البكريّ، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص١٨٦.
(٢) الطوسيّ، محمَّد بن الحسن، تفسير التبيان، ج٨، ص٨٣.
(٣) يُنظر: محمَّد حسين الطبطبائيّ، تفسير الميزان، ج١٥، ص٣٤٩.

والثابتُ قُرآنيًّا أنَّ نبيَّ الله سليمان كان أعلمَ من أبيه داود عليه السلام في مسائل القضاء والحُكم بين الناس، وهو ما نقرأه في القرآن الكريم صراحةً: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(١)، حيثُ كان حُكم النبيّ سليمان في المتخاصمين أصوب، وملكه أوسع.

كُلُّ ما تقدَّم كان مبنيًّا على أنَّ أرض فدك هي تركة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، والحال أنَّها في الواقع نحلةٌ منحَها صلى الله عليه وآله لابنتِهِ الزَّهراء عليها السلام بأمرِ الله عز وجل المنزل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾(٢)، وقد أورد هذا الخبر جملة من مفسِّري المسلمين صراحةً وضمنًا(٣).

بعد ما تقدَّمَ من دلالة بآيات الكتاب المجيد على ثبوت التوارث بين الأنبياء وذراريهم بصورة خاصَّة، انتقلتْ عليها السلام إلى إثبات عدم التمييز في أحكام الإرث العامَّة بين الأنبياء وسائر الأمَّة، فذكرتْ عليها السلام آيات أحكام الإرث العامَّة متتالية كشواهد على صدق دعواها، وهي كما قال تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(٤)، وقوله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾(٥)، وقوله عز وجل: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٦)، وهذه الشرائع من الولاء والإرث والوصيَّة هي أحكام عامَّة تشمل جميع المسلمين، بلا استثناء للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، بلزوم التعامل وفقها.

لقد جاءتْ عليها السلام بهذه الآية ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ ..﴾ للتذكير أنَّ الولاية بين الأقارب

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.
(٢) سورة الإسراء: ٢٦.
(٣) يُنظر: ابن كُثير، إسماعيل بن عمر القريشّي، تفسير ابن كثير، ج٥، ص٦٩، وأيضًا: الطبريّ، محمَّد بن جرير، تفسير الطبريّ، ج١٧، ص٤٢٧، وغيرهما.
(٤) سورة الأنفال: ٧٥.
(٥) سورة النساء: ١١.
(٦) سورة البقرة: ١٨٠.

لا تُعتبر إلَّا بالإيمان، فأولو الأرحام من المؤمنين أولى بالولاية من الذين آمنوا ولم يهاجروا نُصرةً للدين، فالمؤمنون بعضهم لبعض أولياء ولاية الإيمان، وأولو الأرحام منهم بعضهم لبعض أولياء ولاية النسب[1]، وبناءً عليه يلزم أن تَرِثَ السيِّدة الزَّهراء أبيها صلى الله عليه وآله بالولاء إن منعَ الحاكم إرثها بالنسب بدعوى أنَّ الأنبياء لا يتركوا إرثًا؛ لذا استدلتْ عليها السلام بهذا الأثر في جدالها مع غاصبي حقِّها، حيثُ قالت عليها السلام: «**وزعمتُم ألَّا حظوةَ لي ولا إرثَ من أبي، ولا رحمَ بيننا، أخصَّكُم الله بآيةٍ أخرجَ أبي منها؟ أم هل تقولونَ إنَّا أهلُ ملَّتين لا يتوارثان؟ أو لستُ أنا وأبي من أهل ملَّةٍ واحدة؟ أم أنتم أعلمُ بخصوصِ القرآنِ وعمومِه من أبي وابن عمِّي؟**»، إنَّها سلسلةٍ من التقريع، والإنكار، والتهكُّم الاستفهامي، يعجزُ المتكلِّمون مع المفسِّرين عن الإجابة المُقنعِة عليها، فضلًا عن الجَهَلةِ بالقرآن وأحكامه، أمثال المُخاطَبين.

إنَّها عليها السلام الوريث الوحيد للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بعد إخراج ثُمن التركة قسمةً بين أزواجه، فلا أخَ لها يكسر سهم إرثها للنِّصف، فقد شاء الله عز وجل أن يموتَ أخوتُها وتبقى الوارث الوحيد، فآية الوصيَّة في إرثِ الأبناء ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ..﴾ قد انفردتْ عليها السلام بمصداق تلك الوصيَّة الالهيَّة تأكيدًا لمنزلتها عليها السلام.

فلو كانتْ عليها السلام لا ترثُ أباها صلى الله عليه وآله فرضًا من التركة، لبقي شأن آخر لأُولي الأرحام طبقًا لآية الوصيَّة، وهو لزوم الوصيَّة على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليترك لها عليها السلام بعض ما أختصَّ به من خيرٍ ممَّا أفاء الله عز وجل عليه صلى الله عليه وآله، أو غنُمَ من حربٍ، استجابةً لما تضمَّنته آية ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ..﴾، وهو مشهور ما ذهب إليه مفسِّرو جمهور المسلمين[2].

إذًا يتحصّل مما تقدّم أنّ السيِّدةَ الزَّهراء عليها السلام ترِثُ من أبيها المختار صلى الله عليه وآله بحكمِ أحدِ آيات المواريث بعد التنزُّل جدلًا عن كون فدك هي منحة خاصَّة، فإن رَفضَ أغلب

(١) يُنظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج١١، ص٩١.

(٢) يُنظر: الرازي، الفخر محمَّد بن عمر، مصدر سابق، ج٥، ص٦٤-٦٥.

مفسِّري العامَّة توريث النبيّ الأكرم لأهل بيته صلى الله عليه وآله، فقد اعترفوا بحقِّ التمليك وصيَّةً من قبل الموت؛ بسبب صلة القرابة تارةً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وبصفة الوصيَّة لأُولي الأرحام بالأولويَّة ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، فلم يبقَ لهم دليلٌ ولا حُجَّةً يستندون إليها في القول بصحَّة رأي الحاكم السياسيّ آنذاك في منعِ السيِّدةِ الزَّهراء عليها السلام حقَّها من أرض فدك، بحسب المنظور القرآنيّ، وإنَّ موقفهم التفسيريّ لآية إرث الأنبياء يدلُّ على أنَّهم يؤمنون ببعض آي الكتاب، ويكفرون ببقيَّة الكتاب العزيز.

إنَّ مظلوميَّة أُمِّ أبيها ثابتةٌ عقلًا ونقلًا في وجدان كُلِّ منصفٍ؛ ولذا تُظهر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عجبها استغرابًا من سكوت المسلمين عن هذه الظُّلامة بحقِّ أقرب الناس إلى نبيِّهم ومعلِّمهم، وهم يقرأون القرآن الكريم يوميًّا، ويتعايشون مع آياته ليلًا ونهارًا، فقارعتهم عليها السلام توبيخًا لهم إثرَ إنكارٍ عليهم، حيث قالتْ عليها السلام: «**أَلَا هلُمَّ فاستمع وما عشتَ أراكَ الدَّهرُ عَجَبًا، إلى أيِّ سنادٍ استندوا؟ وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟**»، فالمستند الأوَّل للمسلمين ومصدرهم الأقوى حُجَّةً هو القرآن الكريم، وقد خالفوه عن درايةٍ وعناد، ولأجله قدَّمتْ عليها السلام شاهدًا قرآنيًّا يكشف حقيقة خسارة صفقتهم مع ظنِّهم الظفر الواقعيّ، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، في أسلوبٍ تهكُّمي بصيغةِ الغائبِ، وإن كان الحاضُر هو المعنيُّ بالخطاب، فما يُروِّعهم إلَّا أن يعلموا أنَّ المُخبر عنهم بالخسارة هم أنفسهم؛ توبيخًا لهم لما غَفلوا عنه من خيبة سعيهم[2].

إنَّ غرضَ الانسان في حياته أن يسعى لسعادته، فإن ركب طريق الحقِّ، فقد أصاب الغرض، وهو حقُّ السعادة، وإن أضلَّ الطريق جهلًا، فقد خَسِرَ سعيُه لكنَّه مرجوُّ النجاة، وإن أصاب غير الحقِّ عمدًا رُغمَ ما لاح له لائحٌ من الحقِّ إعراضًا عنه، وإصرارًا

(١) سورة الكهف: ١٠٤.

(٢) يُنظر ابن عاشور، محمَّد الطاهر، مصدر سابق، ج١٧، ص٤٦.

على الاستكبار، وعصبيَّة الجاهليَّة، فهو الأخسرُ عملًا، وخاب سعيه؛ لأنَّه خسران لا يُرجى زواله، ولا مطمع في أن يتبدَّل يومًا سعادة[1].

بعد مباغتة القوم بحكم الخسارة الأبديَّة، بعد إصرارهم على ضلالهم الجليّ في مواصلة سبيل الظالمين، أعلنتْ عليها السلام أنَّ تعنُّتْ مشيخة قريش في موقفهم الخاطئ بحقِّها سيجعلهم في خانة من وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2]، فقد واجه فجر الإسلام جماعة لم تكن تملك الإخلاص اللازم للإيمان، ولا قدرةَ لهم لمعارضته، فحالة التذبذب وازدواج الشخصيَّة توغَّلت في نفوسهم، وشكَّلت خطرًا كبيرًا على الإسلام والمسلمين.

كان تشخيصهم صعبًا مع تظاهرهم بالإسلام، غير أنَّ القرآن بيَّنَ بدقَّةٍ مواصفاتهم، وأعطى للمسلمين في كُلِّ القرون معايير حيَّة لمعرفتهم، ومنها: أنَّهم يتشدَّقون بالإصلاح، بينَما هم يتحرَّكون على خطِّ التخريب والفساد، فالإنسانُ لو تمادى في الغيِّ والضَّلال، فإنَّه يفقد قدرة التشخيص، بل تنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب لديه حسنة، والمنافقون أيضًا بإصرارهم على انحرافهم يتراءى لهم أعمالهم بالتدريج، وكأنَّها إصلاحيَّة، وتغدو بصورةٍ ثانيةٍ لهم، وهكذا تنقلب المعايير لدى هؤلاء المنحرفين، فيرون الانصياع للحقِّ واتِّباع الدعوة الإلهيَّة خسارة، بينما يرون شيطنتهم تعقُّلًا وهداية.[3]

إذًا بالنظرِ لأهميّةِ الرسالة في هداية الناس عن ضلالتهم، ظهرتْ عليها السلام على غير سجيّتها من العكوفِ في بيتها؛ لأنّها رسالةُ حقِّها ووشيجةُ قرباها، وهما مسألة الخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ومسألة الميراث من فيئه صلى الله عليه وآله، فالأُولى- وهي أَولى- تُسمَّى بالسياسة

(١) يُنظر: الطباطبائيّ، محمَّد حسين، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٩٩.

(٢) سورة البقرة: ١١-١٢.

(٣) يُنظر: الشيرازيّ، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص٩٥.

العُليا، والثانية تُعرف بسياسة الحكومة الماليَّة أو الاقتصاديَّة، ولكُلٍّ منهما جهات يدرسها مؤرِّخو الحوادث والسياسة. أمَّا في الدراسات النفسيَّة، فالمهمُّ فيهما وفي غيرهما، هو ما تُترجمان عنه من خلائق صاحبة الخطاب وسجاياها، وما تترجمان عنه إيجازًا هو قوَّة إيمان بحقِّها تثبُتْ عليها، وشخصيَّة مستقلَّة تُمثِّل رقمًا لا يُهمل[1].

لقد أدَّتْ السيِّدةُ فاطمةُ الزَّهراء عليها السلام رسالتَها على أتمِّ وجه، وألقتْ الحُججَ على المسلمينَ بالغةً إلى يومِ الدين، ولكن لم تجدْ عليها السلام أذانًا صاغيةً بل صدَّتها قلوبٌ قاسية كالحجارة- أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا- فاستمرارُ مخالفتِها عليها السلام تعمُّدًا لإثارةِ سخطِها عليها السلام، لا يعني سوى مزيدٍ من السخطِ الإلهيّ على هذه الأُمَّة، وينتجُ الكثيرَ من الفتنِ والتناحرِ وانعدام النظام، وتسلُّط الأجنبيّ من الكُفَّار والفاسقين على رقاب المسلمين، فلا حولَ ولا قوةَ الَّا بالله العليّ العظيم.

ختامًا أبعثُ سلامي من مقامي الدَّاني إلى صاحبة المقام السامي سيِّدة نساء العالمين، والحُجَّة السائدة على سائر الحُجج الميامين، سلامًا مباركًا بحمدِ الله عزَّ وجلَّ، ومشفوعًا بالصلاةِ على مُحَمَّدٍ وعلى آله المظلومين المعصومين، واللعنة الدائمة على من تعمَّدَ ظلمهم وأذاهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

(١) يُنظر: العقَّاد، عبَّاس محمود، مصدر سابق، ص٤٨.

خُلاصة البحث

١. احتجتْ السيِّدةُ الزَّهراءُ عليها السلام بالنصِّ القرآنيّ من خطابها العقديّ، والتشريعيّ للدلالة على ظلامتها، تحذيرًا وترهيبًا، ومن أهمِّ آثار حِجاجها عليها السلام بالقرآن الكريم ما يأتي:

٢. اتَّسمَ الحِجاجُ القرآنيّ في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بقوَّةِ الحُجَّة وبلاغتها، حيث استفادتْ عليها السلام من البراهين القطعيَّة، والمقدِّمات اليقينيَّة، والأدلَّة الوجدانيَّة الواضحة، والموافقة للقواعد الشرعيَّة العامَّة في تفسير القرآن الكريم والتدبُّر في آياته.

٣. تنوَّعَ استعمال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لآيات الذِّكر الحكيم بحسب الدلالة بين الاحتجاج بالنصِّ القرآنيّ كاملًا أو مُجتزأً، وبين الاستفادة من مضامين آياته المباركة، مع التصرُّف في ضمائرها وأحوال شأنها.

٤. كَثُرَ حِجاج التحذير القرآنيّ في خطابها عليها السلام، والتنبيه من تداعيات الانقلاب القريشيّ بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله، ووصفهم بالنفاق بعد الإيمان، والردَّة بعد مخالفتهم وصايا نبيِّهم الخاتم صلى الله عليه وآله.

٥. تعدَّد أسلوب حِجاجها عليها السلام بين اللوم والتقريع تارةً، وبين التهديد والوعيد إنذارًا تارةً أخرى، وحين أحسَّتْ من خصومها العناد إصرارًا على موقفهم الظالم لحقِّها، ولحقِّ بعلِها، حكمتْ عليهم بالكفر والنفاق، وتنبَّأتْ عليها السلام بسوء عاقبة أمرهم في الدنيا من الخزي والفتن، وفي الآخرة حيث العذاب المهين، خالدين فيه أبدًا.

٦. وظَّفتْ عليها السلام الآيات في الاستدلال على ثبوت حقِّها من إرثِ أبيها المختار صلى الله عليه وآله، حيثُ بدأتْ بالنصِّ الخاصِّ بالأنبياء، ثُمَّ ختمتْ بالنصِّ العام للميراث، وقد اتَّفق مفسِّرو جمهور المسلمين ضمنًا على ثبوتِ الإرث للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام من جهة الوصيَّة والـولاء، ومنعوه برأيهم من جهة استثناء الأنبياء من توريث ذراريهـم بخبر آحادٍ ذي طابعٍ سياسّي، وقد طعن صاحب تفسير التحرير والتنوير بقدسيَّة أهل البيت عليهم السلام؛ تبريرًا لمنعِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من إرث أبيها صلى الله عليه وآله.

وآخر الدعاء أن الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله الطاهرين.

المصادر

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة: المعتزليّ، بن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، قم، مكتبة أهل البيت الإلكترونيَّة.

١. ابن عاشور، محمَّد الطاهر (ت١٣٩٤هـ)، تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسَّسة التاريخ العربيّ، ط١ (بيروت، ١٤٢٠هـ).

٢. الأزهريّ، محمَّد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربيّ، ط١ (بيروت، ١٤٢٤هـ).

٣. الأصفهانيّ، الراغب حسين بن محمَّد (ت٤٠١هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مجلَّد واحد، دار القلم للطباعة، ط١ (بيروت، ١٤١٢هـ).

٤. البلاغيّ، محمَّد جواد (ت ١٣٥٢هـ)، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: مؤسَّسة البعثة، الناشر: الوجداني، ط١ (قم المقدَّسة، ب.ت).

٥. الجرجانيّ، عليّ بن محمَّد بن عليّ الزين الشريف (ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلميَّة، ط١ (بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٦. الرازي، محمَّد فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر البكري (ت٦٠٤هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، دار الفكر للطباعة، ط١ (بيروت، ١٤٠١هـ).

٧. الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وحوه التأويل، مكتبة العبيكان للنشر، ط١ (الرياض، ١٤١٨هـ).

٨. الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، دار صادر، ط١ (بيروت، ١٩٧٩م).

٩. السبحانيّ، الشيخ جعفر، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، دار جواد الأئمَّة للطباعة والنشر، ط١ (بيروت، ٢٠١٢م).

١٠. الشيرازيّ، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الكتب الإسلامية، ط٢ (قم المقدسة، ١٤٣٣هـ).

١١. الصدر، محمَّد باقر، فدك في التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٤١٠هـ).

١٢. الطبطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١ (بيروت، ١٤١٧هـ).

١٣. الطهرانيّ، محمَّد محسن بن عليّ بن محمَّد رضا آغا بزرك النجفيّ (١٢٩٣هـ-١٣٨٩هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣ (بيروت، ١٩٨٣م).

١٤. الطبرسيّ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت القرن السادس الهجريّ)، الاحتجاج، انتشارات الشريف الرضيّ، مطبعة شريعت، ط١ (قم المقدَّسة، ١٣٨٠هـ).

١٥. الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي، ط٢ (قم المقدَّسة، ١٤٠٩هـ).

١٦. عبد الغني عبد الخالق، حُجيَّة السُّنَّة، مطبعة دار الفكر، (بيروت، ١٤٠٧هـ).

١٧. العريضيّ، الشيخ حيدر، الأسلوب القرآنيّ في التنمية العقديَّة (السؤال المجازيّ أنموذجًا)، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام للدراسات الإسلاميَّة، ط١ (النجف الأشرف، ١٤٤٠هـ). أصل الكتاب رسالة ماجستير صادرة من جامعة المصطفى العالميَّة، قم المقدَّسة.

١٨. العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن حجر أبو الفضل الشافعيّ، فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، ترقيم: محمَّد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، تعليقات العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة (بيروت، ١٣٧٩هـ).

١٩. العقَّاد، عبَّاس محمود، فاطمة الزَّهراء والفاطميُّون، مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، ٢٠١٢م).

٢٠. العليّ، ناصر عبد الكريم العقل، شرح باب توحيد الألوهيَّة من فتاوى ابن تيمية، دروس صوتيَّة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميَّة: http://www.islamweb.net، (الكتاب مرقَّم آليًا، ورقم الجزء هو رقم الدرس، ١٦ درسًا).

٢١. الغزَّاليّ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الطوسيّ (ت٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلميَّة، ط١ (القاهرة، ١٤١٣هـ).

٢٢. الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، كتاب العين، مطبعة نشرة الهجرة، مكتبة نور، ط٢ (قم المقدَّسة، ١٤٠٩هـ).

٢٣. القرشيّ، ابن كُثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقِّق: محمَّد حسين شمس الدين

الناشر: دار الكتب العلميَّة، منشورات محمَّد علي بيضون، ط١ (بيروت، ١٤١٩هـ).

٢٤. الكفويّ، أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني القريميّ (ت١٠٩٤هـ)،كتاب الكليَّات، تحقيق: عدنان درويش، محمَّد المصري، مؤسَّسة الرسالة، ط٢ (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٢٥. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب المازندرانيّ (ت٣٢٩هـ)، أصول الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، مكتبة أهل البيت، ط٣ (قم المقدَّسة، ١٣٦٧هـ.ش).

٢٦. ابن طيفور، أحمد أبي الفضل بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، شرح وتقديم: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل، ط (القاهرة، ١٩٠٨م).

٢٧. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيِّد إبراهيم الميانجي، محمَّد الباقر البهبوديّ، مؤسَّسة الوفاء للطباعة، ط٢ (بيروت، ١٤٠٣هـ).

٢٨. المراغي، أحمد مصطفى (ت١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة، ط١ (بيروت، ب.ت).

٢٩. ابن منظور، محمَّد أبو الفضل جمال الدين بن مكرم المصريّ (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار الأدب، ط١ (قم المقدَّسة، ١٤٠٥هـ).

المقالات:

٣٠. لعيبي، محمَّد قاسم، التفاعل النصِّيّ مع القرآن الكريم في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مجلَّة الأستاذ، العدد (٢٠٣)، لسنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣١. ميارة، د. لمهابة محفوظ، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم ، دراسة مصطلحيَّة، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مجلَّد (٨١)، الجزء (٣).

٣٢. البرواري، د. آماد كاظم، المحاججة بمفهومها القرآنيّ، موقع مدوَّنات، بتاريخ ٢٧/ ٧/ ٢٠١٧م.

مفهوم البيت في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة قرآنيَّة

أ.د. محمَّد حسين عبود
جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيِّد الخلق أجمعين سيِّدنا محمَّد وأهل بيته الطيِّبين الطاهرين، لاسيما سيِّدة الحجج فاطمة الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين، وأصحابه المنتجَبين.

يمثِّل الإنسان في الوجدان السماويّ والمحوريَّة الأهم في عالم الوجود، بل لم يكن ذلك الوجود ليُخلق لولا الإنسان؛ لذا فقد كلَّفه المولى سبحانه وشرَّفه بحمل الأمانة، التي تنوء بحملها السموات والأرض والجبال الرواسي، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ سورة الأحزاب/ ٧٢، والأمانة في حقيقتها الواسعة ومعناها الجليّ هي العبادة، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات: ٥٦، وقد سخَّر المولى سبحانه الشمس والقمر والنجوم والجبال وكلَّ شيء من أجل تحقيق تلكم الغاية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ سورة لقمان: ٢٠.

من هنا نعلم القيمة الإلهيَّة التي يتمتَّع بها الإنسان، والغاية المقدَّسة التي خُلق من أجلها، غير أنَّه ممَّا يستدعي التنويه والتنبيه أنَّ تلك الأمانة والغاية شاملة للجنس البشريّ

بشقَّيه الأنثويّ والذكريّ، ولم تكن محصورة بجنسٍ دون جنس من بني البشر، وقد بدأ الخلق بنبي الله آدم والسيِّدة حوَّاء عليهما السلام، في إشارة واضحة إلى أنَّ الأنثى شريكة للرجل في أداء الرسالة الموكلة إليها، وهي عبادة الله سبحانه، وفي بناء الحياة، وأنه لا يمكن لنا أن نتصور وجودا لحياة خاضعة لشرف التكليف الإلهي من غير أن تتكاتف جهودهما ؛ لذا فإن المتتبع لقائمة عظماء الإنسانية في القرآن الكريم والسيرة النبوية لا يلمس أنها لا تخلو من النساء اللواتي كتبن سيرتهن بماء الذهب لا حتى عُدْن مفاخر لأزمانهن لا بل لأقوامهن على كرور الليالي والأيام.

والحقُّ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تقبع في أعلى هرم عظيمات التاريخ، فهي سيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين، وقد تضمَّنت حياتها الشريفة على قصرها محطَّات إلهيَّة عظيمة، تستدعي البحث والتأمُّل، ومن ثمَّ التأسِّي والاقتداء بشخصها المقدَّس.

المقدِّمة

مشكلة البحث

لأنَّ البيت يمثِّل البيئة الأولى التي تحتضن الإنسان، واللبنة الأولى والأساس في بناء كلِّ مجتمع، والقناة الرئيسة في رفده بالأنبياء والصالحين والشهداء ونحوهم من بناة المجتمع الإنسانيّ، فقد اختار البحث الخوض في مفهوم البيت عند السيدة الزَّهراء، بوصفه أنموذج إنسانيّ عالٍ، يتكلَّف البحث ببيان مفهوم البيت، أسبابًا وأهميَّة، ونحو ذلك، من خلال فكر تلك السيِّدة الجليلة.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى الوقوف على أهميَّة البيت، ودوره الخطير في بناء النسيج الاجتماعيّ للمجتمع الإنسانيّ، وكيف أنَّه يشكِّل سببًا رئيسًا في استقراره، من خلال تسليط الضوء على المثال الإنسانيّ الأنثويّ الأرقى في عالم الإمكان، وهو السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وكيفيَّة إدارته للبيت، وتسنُّمه وبجدارة عالية منصب القدوة في تكوين البيت على قواعد راسخة، وتقديمه كمثالٍ إنسانيٍّ راقٍ في التربية الأسريَّة، التي أنتجت وأمدَّت البشريَّة بنماذج عالية الشأو، كالإمام الحسن والإمام الحسين والذريَّة الطاهرة من صُلبه، والسيِّدة زينب عليها السلام، والذين كان لهم دورًا رئيسًا وأثرًا باقيًا، في بناء خارطة التأريخ البشريّ.

منهجيَّة البحث

استلزم البحث أن ينقسم على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأوَّل: مكانة البيت

ومكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المنظور الدينيّ، وقد كان في مطلَبَين، فيما تضمَّن المبحث الثاني الموسوم البُعد العقائديّ لبيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد انتشر عقده بمطلَبَين.

أمَّا المبحث الثالث، المعنون في البُعد الاجتماعيّ لبيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فقد انقسم في مطلَبَين، ثمَّ نتائج البحث التي توصَّل لها الباحث، ثمَّ قائمة المصادر.

وأخيرًا وليس آخرًا، أدعو الله سبحانه أن أكون قد وُفِّقت في كتابة البحث، والحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة على سيِّد الخلق أجمعين وأهل بيته الطيِّبين الطاهرين، لاسيما فاطمة الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين، وأصحابه المخلصين.

المبحث الأوَّل

مكانة البيت والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في المنظور الدينيّ

ويتكوَّن من مطلَبين:

المطلب الأوَّل: مكانة البيت في المنظور الشرعيّ

يشكِّل البيت قطب الرحى في المنظور الشرعيّ، ليس ببُعده المادِّي من الجدران والأبواب، بل ببُعده الإنسانيّ المتمثِّل بالزوج والزوجة والأولاد، لذلك نال البيت اهتمامًا كبيرًا من لدن القرآن والسنَّة، وجُعِلت له حرمة ومقامًا، وهُيِّأت له ضوابط للدخول، وأخرى للخروج، وثالثة للإدارة، ونحو ذلك.

والواقع إنَّ مفهوم البيت يستحق وحده دراسة مستفيضة، غير أنَّ البحث سيقف على بعض الآيات والروايات، وبما يتناسب ومتطلَّبات البحث التي تدلُّنا على مكانة البيت في المنظور الشرعيّ، إذ ورد في كتاب الله جملة من الآيات التي تناولت معنى البيت، مفصلَّة على النحو الآتي:

أوَّلًا. المعنى الرساليّ: ويتناول فيه الباحث الآيات التي جسَّدت المعاني الرساليَّة للبيت، أي أن يكون حاملًا لرسالة إلهيَّة وغاية للعبادة وسبيلًا للهداية وسببًا للتوبة والأمان، فضلًا عن أن يتولَّى بناءه أنبياء مُجتبوْن من قبل الله سبحانه، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران: ٩٦، أي أوَّل بيت وُضع للناس لغرض هدايتهم، وهو وإن كان لا دلالة فيه أنَّه أوَّل بيت وُجِد على وجه الأرض، غير أنَّ المراد هو أنَّه أوَّل بيت وُضِع للطاعات والعبادات؛ لأنَّ

الناس كلُّ الناس شركاء فيه، وبديهة أنَّ الناس جميعًا لا يشتركون في بيت واحد إلَّا إذا كان موضوعًا لجهة عامَّة، كالعبادة والطاعة، أمَّا سائر البيوت فكلُّ بيت منها يختصُّ ببعض الناس دون بعض[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ سورة البقرة: ١٢٦.

ولعلَّ من أوَّل المعاني التي تُشير إليها الآية الشريفة، أنَّ الله جعل بيته رحمةً للناس «معاذًا وملجأً ومآبًا ومباءةً ومرجعًا يتوبون إليه في كلِّ عام»[2]، كما أنَّه أمر الناس بأن يتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى، تعظيمًا لإبراهيم، ولما قدَّمه في سبيل دين الله، ولذلك ورد عن ابن عبَّاس قوله «الحج كلَّه مقام إبراهيم»[3]، كما رُوي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «**نزلت ثلاثة أحجار من الجنَّة، مقام إبراهيم عليه السلام وحجر بني إسرائيل والحجر الأسود، استودعه اللهَّ إبراهيم عليه السلام حجرًا أبيضًا، وكان أشدَّ بياضًا من القراطيس فاسودَّ من خطايا بني آدم**»[4].

كما أنَّ القرآن يؤكِّد حقيقة أنَّ نبيّ الله إبراهيم وولده نبيّ الله إسماعيل عليهما السلام، هما من عهد الله لهما بتطير البيت العتيق للعاكفين على عبادته والركَّع السجود، فهو بيت يمتلك من الطهارة الحقيقيَّة والرمزيَّة ما لا يمتلكه أي مكان آخر؛ لذلك جعله الله موضعًا لعبادة أصناف من عباده، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ

(١) ظ: محمَّد جواد مغنيَّة (ت١٤٠٠هـ): التفسير الكاشف، ط٢ (١٩٨٧م)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: ٢/ ١١٦.

(٢) عليّ الحائريّ الطهرانيّ (ت١٣٥٣هـ): تفسير مقتنيات الدرر، مطبعة الحيدريّ الطهرانيّ: ١/ ٣٠٣.

(٣) عليّ الحائريّ: تفسير مقتنيات الدرر: ١/ ٣٠٣.

(٤) المجلسيّ: بحار الأنوار، السيِّد إبراهيم الميانجيّ، محمَّد الباقر البهبوديّ، ط٣، (١٤٠٣هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٩٦/ ٢٢٧.

﴿ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ سورة البقرة: ١٢٦، وفيه دعاء إبراهيم عليه السلام لله بأن يجعل هذا البيت آمنًا ويرزق أهله من الثمرات، «وحينما سُئل الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ...﴾، قال: **إيَّانا عنى، وأوليائه وشيعته وشيعة وصيِّه.** ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، قال: **عنى بذلك والله من جحد وصيَّه ولم يتبعه من أمته، وكذلك والله حال هذه الأمة**»[1]، كما قال تعالى في شأن بيته المعظم: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ سورة البقرة: ١٢٧، والآية بصدد بيان التشريف الإلهيّ الذي حضا به نبيَّا الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهو بناء بيته العظيم.

ومن ثمَّ فإنَّ الآيات تكشف عن المعاني القيميَّة التي يتَّصف بها بيت الله، غير أنَّ نسبة البيت لله سبحانه في واقعها اعتباريَّة رمزيَّة وليست حقيقيَّة؛ لأنَّه لا يُعقل أو يُتصوَّر أو يُدرك أنَّه ثمَّة بيت يسع لله سبحانه، هذا من جهة، من جهة أخرى، فإنَّ له وجود مادِّيّ متجسِّد في الكعبة المشرفة، وقد رُوي عن نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله، في بيان مقام بيت الله، قوله: «**من حجَّ البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمُّه**»[2]، كما رُوي عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**من حج البيت فقضى مناسكه، وسلم المسلمون من لسانه ويده، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3]، ليؤكِّد حقيقة ومقام بيت الله ودوره في تزكية النفوس، وأثره في نشر السلام بينهم.

ثانيًا. المعنى الأسريّ: إذ وردت آيات عدَّة تتناول مفهوم البيت بمعناه الأسريّ، وأنَّه البيئة الأولى التي تتضمَّن السكن والأمان للزوج والزوجة وأولادهم، غير أنَّ

(١) محمَّد بن مسعود العيَّاشّي (ت٣٢٠هـ): تفسير العيَّاشّي، تحقيق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران: ٢/ ١٦٤.

(٢) أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): المسند، دار صادر، بيروت، لبنان: ٢/ ٤٨٤.

(٣) الصنعانيّ: عبد الرزَّاق (ت٢١١هـ): المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، منشورات المجلس العلميّ: ٥/ ١١.

المتأمّل في تلكم الآيات، يلمس بوضوح أنَّ المولى سبحانه وتعالى، ينسب البيت مرّة للرجل وأخرى للمرأة، إذ قال تعالى مواساةً ومؤانسةً للنبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ سورة الأنفال: ٥، وقال تعالى في موضع آخر حكايةً عن بعض أحوال موسى عليه السلام مع قومه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّـَٔا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ سورة يونس: ٨٧، وقال سبحانه أيضًا حكايةً عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ سورة آل عمران/ ٤٩، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ سورة النساء/ ١٠٠، فالآيات واضحة الدلالة والمعنى في نسبة البيت للرجل من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من أقوامهم، في مقابل آيات أخرى تنسب البيت للمرأة، كقوله تعالى في الآية الأولى من سورة الطلاق مخاطبًا نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله، مبيِّنا له ولقومه ضوابط الطلاق، التي من جملتها أن لا يُخرجوا نساءَهم ما لم يأتين بفاحشة مبيِّنة، والآية تميط اللثام عن مكانة البيت من جانب، ومكانة الزوجة كربَّة بيت من جانب آخر ؛ لذا ترى المولى سبحانه نسب لها البيت حتَّى في تلك الحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ سورة الطلاق: ١، وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف: ٢٣، ويُلاحَظ في هذه الآية أنَّ زوجة العزيز، مع تلبُّسها بجريمة مزدوجة، فهي ارتكبت جريمة المراودة أوَّلًا، وكانت تُراود نبيًّا هو يوسف عليه السلام ثانيًا، غير أنَّه سبحانه نسب البيت لها، وكأنَّ القرآن بحسب تقدير الباحث يُشعرنا بقيمة البيت الكبرى من جهة؛ ولذا ينبغي على النساء تعظيمه وإكرامه من جهة أخرى، وأنَّه يجب عليهنَّ المحافظة على

شرف وعفَّة بيوتهنَّ.

من ثمَّ فإنَّه يمكن استجلاء الحقائق القرآنيَّة من الآيات أعلاه:

١. إنَّ البيت لا يختصُّ بالرجل فقط، وإن كان هو المالك الحقيقيّ لقيمته، بل إنَّ المرأة تشاركه بتلك الملكيَّة؛ لذلك جاءت بعض الآيات وهي تؤكِّد أنَّ البيت للمرأة.

٢. إنَّ كِلَا الرجل والمرأة يشتركان في صنع الحياة، وبناء الأسرة التي هي اللبنة الأساس في بناء المجتمع.

٣. تكشف الآيات عن المكانة التي تتمتَّع بها المرأة، وأنَّه لا يمكن للرجل من أن يصارع الحياة من أجل بناء الأسرة بناءً سالمًا صحيحًا، ما لم تكن شريكته ورديفته المرأة.

لذلك قال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ سورة النساء: ١٥، موضِّحًا سبحانه أنَّ البيت في الآية الشريفة لم يُنسب أوَّلًا للمرأة، بل وردت كلمة (البيوت) مجهولة النسب، والسبب بحسب قراءة الباحث يكمن في أنَّ الزوجة فقدت بارتكابها الفاحشة الأهليَّة لإدارة البيت، ولم يُنسب للزَّوج ثانيًا؛ لأنَّه من المعيب والعار أن يُنسب له البيت الذي احتضن ارتكاب الفاحشة.

وقد رُوي عن الرسول صلى الله عليه وآله، ما يُشدِّد على قيمة البيت ومركزيَّة الزوجة فيه، فعن «أحمد بن محمَّد، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن محمَّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ما حقُّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدِّق من بيته إلَّا بإذنه، ولا تصوم تطوُّعا إلَّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلَّا

بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتَّى ترجع إلى بيتها..»[1]، والحديث بصدد ضبْط آليَّة إدارة البيت من قبل الزوجة والزوج، من خلال تنظيم منظومة الحقوق والواجبات لكليهما، وواحدة من صورها أن لا تخرج منه إلَّا بإذن زوجها، وأنَّها متى ما خرجت بغير إذنه، تبقى رهينة لعن الملائكة حتَّى ترجع، الأمر الكاشف عن رعاية الشريعة وعنايتها بالبيت.

وممَّا تجدر الإشارة إليه، أن كلمة البيت في القرآن الكريم، لم تكن محصورة بجنس الإنسان فحسب، بل شملت حتَّى أجناس الحيوانات، لاسيما الحشرات، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ سورة الأنعام: ٣٨، ولأنَّها أمم، فهي تحتاج إلى سكن تعيش فيه وتتكاثر، كما أنَّها شريكة الإنسان في رسالة العبادة والتسبيح، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ سورة الإسراء: ٤٤، وقد وردت مفردة البيت في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ سورة النحل: ٦٨، وقال تعالى حكاية عن النملة التي أمرت النمل بالدخول إلى مساكنهم حماية لهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ سورة النمل: ١٨، والآيتان تتحدَّثان عن حاجة الكائنات الحيَّة غير الإنسان كالنحل والنمل، إلى المساكن والبيوت التي تأويهم وتحفظ نوعهم ووجودهم ؛ لأنَّها أمم شأنها شأن أمم بني البشر.

---

(١) الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ): الكافي، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة طهران: ١/ ١٩٥، الشيخ الحويزيّ (ت١١١٢هـ): تفسير نور الثَّقَلين، ط٤ (١٤١٢هـ)، طبع ونشر مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم: ٣/ ٥٠٦.

المطلب الثاني: مكانة الزَّهراء عليها السلام في المنظور الإسلامي

لا بدَّ من أجل استيفاء المطلب حقه، من خلال الوقوف على مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الكاشفة عن جملة من المنازل والأدوار التي تميَّزت بها عليها السلام، بناء على ما جاء في جملة من الروايات، التي سيتطرَّق لها البحث وفق المحاور الآتية:

المحور الأوَّل: مكانتها الإلهيَّة

فقد وردت كثير من الروايات والأحاديث التي تبيِّن المكانة التي حضيت بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتي تكشف عن الرتب الربَّانيَّة التي جُعلت لها، فعن «ابن عمارة عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة، لِمَ سمِّيت زهراء؟ فقال: **لأنَّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»[1]، و«عن أبي جعفر الباقر محمَّد بن عليّ عليهما السلام، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**»[2]، وفي حديث طويل يبيِّن فيه الرسول صلى الله عليه وآله مقامات العترة الطاهرة، ومنها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، يقول: «.. وأوحى الله إلى حجب القدرة انكشفي. فانكشفت، فإذا على ساق العرش: لا إله إلَّا اللهَّ، محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله»[3].

(١) الثعلبيّ (ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١ (٤٢٧هـ)، ط١(١٤٢٢هـ)، طبع ونشر دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان: ٧/ ١٠٧، السيوطيّ، جلال الدين (ت٩١١هـ): الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان: ٥/ ٥٠، ناصر مكارم الشيرازيّ (معاصر): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١١/ ١١٠، وغيرها كثير.

(٢) الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ): الأمالي، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاري، ط٢ (١٤١٤هـ)، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٣٥.

(٣) الشيخ محمَّد بن محمَّد رضا القمِّيّ المشهديّ (ت١١٢٥): تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، (١٤١١هـ)، مؤسَّسة الطبع والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ: ٣٨٥.

والروايات صادحات كاشفات عن بعض درجاتها السماويَّة وقدْرها الإلهيّ، فالزَّهراء عليها السلام نورٌ يزهر لأهل الأرض باتِّجاه أهل السماء، وهي معصومة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، كما أنَّ اسمها الطاهر كان مكتوبًا على ساق العرش مع اسم نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله وزوجها وأولادها عليهم السلام، وهو ما يكشف عن قدسيَّتها عليها السلام في عالم الملكوت.

ولا يخفى على ذي لبٍّ الشأو والعظمة المرتبطان بشخص فاطمة عليها السلام.

المحور الثاني: مراتبها الرساليَّة

ويقصد بها الباحث المكانة التي تكون للسيِّدة الزَّهراء عند النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ وردت طائفة واسعة من الأحاديث التي توضِّح منزلة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله، فعن «ابن أبي مليكة عن المسوَّر بن مخرمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني**»[1]، وقد «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمَّة من ولدها أمناء ربِّي وحبله الممدود وبينه وبين خلقه، ومن اعتصم بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم هوى**»[2]، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله قوله: «**فاطمة أمُّ أبيها**»[3].

ولا يجد البحث بدًّا من التسليم لمقام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عند الرسول صلى الله عليه وآله، فهي بضعته وثمرة فؤاده وحبَّة قلبه، وهي بعدُ أم أبيها سيِّد الخلق صلى الله عليه وآله، ولا يخالج المتتبِّع لكرامات السيِّدة الزَّهراء عليها السلام شكٌّ في تربُّعها عليها السلام على قائمة عظيمات التاريخ الإنسانيّ بشكلٍ عامٍّ، والتاريخ الرساليّ بشكلٍ خاصٍّ.

(١) البخاريّ (ت٢٥٦): صحيح البخاريّ، (١٤٠١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ٤/ ٢١٠.

(٢) القندوزيّ الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ): ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: عبَّاس جمال أشرف الحسينيّ، ط١ (١٤١٦هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر: ١/ ٢٤٣.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٧/ ٢٢٠.

المحور الثالث: منازلها لشيعتها

إذ تتمتَّع الزَّهراء عليها السلام بموقع الشفاعة لشيعتها ومحبيها، فعن «جعفر بن محمَّد عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: **هل تدري لم سُمِّيت فاطمة؟ قال عليّ: لمَ سُمِّيت فاطمة يا رسول الله؟ قال: لأنَّها فُطمت هي وشيعتها من النار**»[1]، و«عن محمَّد بن مسلم الثقفيّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنَّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينَي كلِّ رجل مؤمن أو كافر، فيؤمَر بمحبٍّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبًّا، فتقول: إلهي وسيِّدي سمَّيتني فاطمة، وفطمتَ بي من تولَّاني وتولَّى ذريَّتي من النار، ووعدك الحقّ، وأنت لا تُخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إنِّي سمَّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبَّك وتولَّاك وأحبَّ ذريَّتك وتولَّاهم من النار ووعدي الحقّ، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنَّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأُشفعك، وليتبيَّن ملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك منِّي ومكانتك عندي، فمن قرأتِ بين عينيه مؤمنًا، فخذي بيده وأدخليه الجنَّة**»[2]، وورد عن أبي جعفر عليه السلام: «.. **والله يا جابر إنَّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبِّيها كما يلتقط الطير الحبَّ الجيِّد من الحبِّ الرديء**»[3].

من هنا فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام رحمة لمحبيها من سنخ الرحمة المهداة، والدها صلى الله عليه وآله، خلقها الله سبحانه ومنح عوائدها لعباده الصالحين، وادَّخرها لشيعتها الذي أحبُّوا محمَّدا وآل محمَّد عليهم السلام، وصدقوا في حبِّهم وولائهم، فكافئهم المولى سبحانه بأن جعلها شفيعة لهم يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

خلاصة الكلام إنَّ الروايات أعلاه التي كشفت النقاب عن بعض درجات

(١) ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ): مناقب آل أبي طالب، (١٣٧٦هـ)، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف: ٣/ ١١٠.

(٢) المجلسيّ: بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣.

(٣) م.ن: ٤٣/ ٦٥.

السمو الفاطميّ عند الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله تهيِّئ العقول والأفكار إلى تصوُّر مكانة البيت الذي يكون لائقًا بتلك النسمة المحمَّدية، وماهيَّة القواعد التي سيكون عليها، ليكون بيتًا مثالًا وقدوة تتشرَّف ملائكة الجليل سبحانه بخدمته وخدمة أهله، وهذا ما سيخوض البحث غماره، ويغوص في أعماقه بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني

البُعد العقائديّ لبيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

سيشرع البحث ببيان المكانة العقديَّة التي يتمتَّع بها بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في القرآن الكريم، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: بيوت الله

وهي البيوت التي تعمر بذكر الله وتسبيحه سبحانه، وقد ورد في كتاب الله ذكْر تلك البيوت، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ سورة النور: ٣٦، وقد جاء في تفسيرها عن «.. أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال: حدَّثنا أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن سعيد الهمذانيّ بالكوفة، قال: حدَّثنا المنذر بن محمَّد القابوسيّ قال: حدَّثني الحسين بن سعيد قال: حدَّثني أبي عن أبان ابن تغلب عن نفيع بن الحرث عن أنس بن مالك، وعن بريدة قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، فقام رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: **بيوت الأنبياء**، قال: فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت عليّ وفاطمة؟ قال: **نعم من أفاضلها**»[1].

ولو تمعَّن البحث في الآية المارَّة آنفًا، والرواية المبيِّنة لها، لوقف على جملة حقائق:

(١) المجلسيّ: بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣.

أوَّلها: إنَّ هذه البيوت تتمتَّع بالقدسيَّة والمهابة والرفعة، على النحو الذي يكسبها عصمة وحصانة إلهيَّتين؛ لأنَّها مواطن انعقدت على ذكْر الله، وتسبيحه سبحانه، فهي بيوت الله جلَّ شأنه رفعها الذِّكر والتسبيح.

ثانيها: عصمة من يعيش في كنف هذه البيوت الطاهرة من الرجال والنساء لاسيما السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّهم ذوات سامية استغرقت بتسبيح الله وذابت أفكارهم بعبادة الله، لا يشغلهم شيء عن هذه المهمَّة والغاية، حتَّى أنَّ المولى سبحانه أنزل فيهم قرآنًا يُتلى آناء الليل وأطراف النهار ؛ تعظيمًا لشأنهم وإقرارًا بإخلاصهم.

ثالثها: إنَّ وصْف النبيّ صلى الله عليه وآله لهذه البيوت بأنَّها بيوت الأنبياء، يحمل في طيَّاته آيات تبجيل واضح وبيِّنات تكريم لائح لساكنيها خصوصًا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ثمَّ عطْفه على أنَّها من أفاضلها، تعظيم مضاف لتلكم البيوت النبيلة، وتأكيد جديد على انتمائها الصحيح الصريح لأُسر الأنبياء عليهم السلام.

ولا يخفى ما في ذلك من بيان مبين على المقام السامي الذي يتمتَّع به بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والمكانة العقدية التي تتَّصف بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، كيف لا وآيات القرآن تترنَّم ببيان تلكم المكانة وتكشف عنها، وممَّا يؤكِّد هذا المعنى ما ورد عن «عليّ ابن محمَّد ومحمَّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمَّد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن القاسم، عن صالح بن سهل الهمدانيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ (فاطمة عليها السلام) فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ (الحسن) ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ (الحسين) ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ (فاطمة كوكب درِّي بين نساء أهل الدنيا) يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ (إبراهيم عليه السلام) وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ (إمام منها بعد إمام) يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ (يهدي الله للأئمَّة من يشاء) وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ..الخ الرواية»[1]، فالزَّهراء عليها السلام كوكب درِّي يسبح في

(١) الكلينيّ (ت٣٢٩هـ): الكافي، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران: ١/ ١٩٥، الشيخ=

سماء تسبيح الله وحمده وتعظيم شأنه، حتَّى أضحت سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين.

المطلب الثاني: أهل البيت

إذ جاء في كتاب الله سبحانه قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: ٣٣، والآية واحدة من أجلى الآيات المعبِّرة عن القيمة السماويَّة لأهل البيت عليهم السلام، لاسيما السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي من الخمسة المشمولين بآية التطهير، التي يتلوها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، منذ نزولها وإلى يومنا هذا، وقد ورد تفسيرها من طرق الفريقَين، فعن «ابن أحمد بن حنبل قال: حدَّثني أبي قال: أخبرنا ابن نمير قال: أخبرنا عبد الملك، عن عطاء ابن أبي رباح قال: حدَّثني من سمع أمّ سلمة تذكر أنَّ النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) كان في بيتها، فأتته فاطمة (رضي الله عنها) ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء عليّ وحسن وحسين، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له، وكان تحته كساء حبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلِّي، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثمَّ أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء، ثمَّ قال: اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا، قال: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله، قال: إنَّك إلى خير إنَّك إلى خير»[1].

=الحويزي (ت١١١٢هـ): تفسير نور الثَّقلين، ط٤ (١٤١٢)، طبع ونشر مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم: ٣/ ٦٢٠، وغيرها.

(١) أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): مسند أحمد، دار صادر، بيروت: ٦/ ٢٩٣، الواحديّ النيسابوريّ (ت ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، (١٣٨٨هـ)، طبع مؤسَّسة الحلبيّ وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة: ٢٣٩، الحاكم الحسكانيّ (ق٥هـ): شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، ط١، (١٤١١هـ)، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة=

وحين يقف البحث على بعض خفايا تلك الرواية المباركة، فإنَّه يصل إلى الآتي:

أوّلًا: إنَّ أحداث حديث الكساء كانت سابقة، بل كانت ممهِّدة ومهيِّئة لنزول آية التَّطهير الخاصَّة بأهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي تتجلَّى فيه المكانة السماويَّة والنبويَّة التي يتمتَّعون بها عليهم السلام، والشأو العظيم الذي عليه هذا البيت الكريم.

ثانيًا: إنَّ نزول آية التطهير حاكٍ ومؤكّد عن عصمة أهل البيت عليهم السلام، وفي مقدِّمة نسائهم السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهو ما يكشف بالتَّبع عن وجوب ولزوم وأحقيَّة اتِّباعهم دون غيرهم ؛ لأنَّ عصمتهم عليهم السلام مدعاة لحماية الأمَّة وصيانتها من الخطأ والإنحراف؛ فلذا ينبغي بذْل سبل التعلُّق بهم والاقتداء بسيرتهم عليهم السلام.

ثالثًا: إنَّ الخمسة عليهم السلام هم أهل البيت، ومنهم فاطمة عليها السلام سيِّدة هذا البيت دون من سواهم؛ ولذلك لم يكن لزوجة النبيّ صلى الله عليه وآله السيِّدة أمّ سلمة رضي الله عنها الإذن في الدخول معهم، مع كلِّ ما تتَّسم به من الفضل والمكانة العاليَتَين، ولكي تتمَّ صورة الاقتصار عليهم والانحصار بهم، فقد جللَّهم رسول الرحمة صلى الله عليه وآله بالكساء، كدلالة ساطعة قطعيَّة لا تقبل النقاش أو الجدال.

رابعًا: دعاؤه صلى الله عليه وآله لهم بإذهاب الرِّجس عنهم وتطهيرهم تطهيرًا، أمر معرب عن أنَّهم معصومون من كلِّ زلل وخطل، ومعلوم أنَّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله لا يُردُّ في حقِّ عموم الناس، فما بالك بأهل بيته عليهم السلام، إذ من الطبيعي أن يُستجاب دعاءه في حقِّهم عليهم السلام؛ ليكونوا مبرئين من كلِّ الخطايا والذنوب.

ولكي يستقر اليقين، ولا يبقى ريب في نفوس المسلمين، في أنَّ بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هو المقصود بآية التطهير، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثر من المرور عليه كلَّ

=والإرشاد الإسلاميّ، طهران، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم: ٢/ ١٢٨، السيِّد هاشم البحرانيّ (ت١١٠٧هـ): غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعام، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور: ١٧٨، السيِّد المرعشيّ (ت١٤١١هـ): شرح إحقاق الحقِّ، تحقيق: محمود المرعشيّ، ط١ (١٤١١هـ)، مطبعة الخيام، قم: ٢٤/ ٤٩، وغيرها كثير.

يوم ولأشهر عدَّة؛ ليركَّز في أذهانهم هذا المعنى، فقد رُوي «عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرُّ بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

والواقع إنَّ هذا المرور النبويّ المبارك على بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، طيلة تلك المدَّة، يُعدُّ شكلًا من أشكال السنَّة العمليَّة، ورديفًا بل مؤكِّدا وموثِّقا للسنَّة القوليَّة الصادرة عن كتاب الله، وعنه صلى الله عليه وآله، في حقِّ بيت فاطمة عليها السلام، وأنَّه بيت العصمة؛ لأنَّه بيت الله سبحانه، وبيت نبيِّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فتتمُّ بذلك الحجَّة وتكتمل البيِّنة.

ولعلَّ من نافلة القول إنَّ آية التطهير زاخرة بدلالات لغويَّة وعقديَّة وفقهيَّة، هي في حقيقتها قرائن تصدح بعصمة أهل البيت عليهم السلام، يمكن تلمُّسها على النحو الآتي:

أ. الدلالة اللغويَّة: المتمثِّلة بجملة أمور، أوَّلها: ابتداء الآية بـ(إنَّما)، وهي أداة حصْر مركَّبة من (إنَّ) و(ما)، تأتي لغرض التوكيد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ سورة ص: ٦٥، أي حصْر وتأكيد الإنذار بشخص المصطفى صلى الله عليه وآله، وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، ولكلِّ امرئٍ ما نوى**»[2]، أي إنَّما الأعمال محصورة ومنوطة بالنيَّات فحسب، ثانيها: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ﴾، وهو فعل مضارع يدل على وقوعه في زمن الحال و الإستقبال ويفيد الاستمرارية، وهو ما يشير الى استمرار إرادة الله سبحانه بأهل بيته عليهم السلام من العصمة لوقت غير محدود بزمن، ثالثها: قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ﴾ التي وردت فيها اللام هنا للتعليل، أي لبيان علَّة اختيار وإرادة التطهير لأهل البيت عليهم السلام، كما أنَّها تفيد لونًا آخر من التوكيد، رابعها: قوله تعالى: كلمة ﴿عَنكُمُ﴾ المتكوِّنة من حرف جرٍّ مرتبط

(١) الترمذيّ (ت٢٧٩): سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢ (١٤٠٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ٥/ ٣١.

(٢) المجلسيّ: محمَّد باقر (ت١١١١هـ): بحار الأنوار، السيِّد إبراهيم الميانجيّ، محمَّد الباقر البهبوديّ، ط٣ (١٤٠٣هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان: ٦٧/ ٢١٠.

بضمير، وهو تأكيد جديد على حصر التطهير بأهل البيت عليهم السلام فقط، وقد تقدَّمت كلمة ﴿عَنكُمُ﴾ المقصود بها أهل البيت عليهم السلام على كلمة ﴿ٱلرِّجْسَ﴾، أي بدلًا من القول (ليُذهب الرِّجس عنكم أهل البيت)، قال سبحانه: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وهو ما يدلُّ على عظيم مكانتهم عليهم السلام عند الباري سبحانه، كما أنَّه جلَّ شأنه قال: ﴿عَنكُمُ﴾ ولم يقل (منكم)، وهو بيان لغوي بيِّن على طهارتهم عليهم السلام الذاتية إنْ صحَّ التعبر، وهو تعبير يستبطن عصمة شخوصهم عليهم السلام، ونقاوة سرائرهم من كلِّ رجسٍ ودنس، خامسها: قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهي كلمات تضمَّنت الفعل المضارع المفيد لاستمراريَّة التطهير (يطهِّر)، والفاعل المضمر، وهو الله سبحانه، هو المتكلِّف بعملية التطهير بنحوٍ مباشر، في إشارة الى عظيم الشأن الذي يتمتَّع به أهل البيت عليهم السلام، و﴿تَطْهِيرًا﴾ مفعول مطلق يفيد التأكيد الرابع الآية الشريفة على مكانة التطهير من جهة، وأنَّ المعني بها أهل البيت عليهم السلام، دون غيرهم، من جهة أخرى.

ب. **الدلالة العقديَّة**: إنَّ كلَّ القرائن اللغويَّة المارَّة آنفًا، تُفضي الى حقيقة تحقُّق العصمة لأهل البيت عليهم السلام، وأنَّها ملتصقة بهم وقائمة عليهم بنحو اليقين، وهو ما يوثِّق حقيقة كونهم خلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصْل، وأنَّهم المنصوص عليهم من قِبَل الله، الأمر الذي يستلزم التمسُّك بهم، والسَّير على نهجهم عليهم السلام ؛ لذلك فقد نسبهم سبحانه وتعالى لبيته فقال: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ تكريمًا لهم وتبيانًا لعظيم منزلتهم، وأنَّ نسبتهم للبيت كنسبة البيت له جلَّ شأنه، بل هي حاكية عن نسبتهم له سبحانه.

ج. **الدلالة الفقهيَّة**: والمقصود بها وجوب مولاتهم عليهم السلام والتبرُّؤ من أعدائهم بنحوٍ شرعيّ ملزِم، لا مناص من الأخذ به والعمل بمضمونه ؛ ولذا رُوي عن نبيِّ الرحمة صلى الله عليه وآله: «عن القاسم بن حسَّان عن زيد بن ثابت قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنِّي تارك فيكم خليفَتَين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض**- أو ما بين السماء إلى الأرض-

وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يتفرقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوض»[1].

من هنا ينكشف لنا حجم التكريم الإلهيّ الذي يتمتَّع به بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في كتاب الله، وعظيم الرتبة التي يظفر بها أهله عليهم السلام، وما هو الواجب الملقى على عاتق المسلمين جيلًا بعد جيل، تجاههم عليهم السلام؟ وكيف يمكن أن يؤدُّوا حقَّ هذا الواجب، وبما يتناسب وقدر أهل بيت نبيِّهم صلى الله عليه وآله.

ومن ثمَّ، فإنَّ بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في جانبه العقديّ، يمثِّل أنموذجًا حيًّا لبيوت الأنبياء عليهم السلام، بل هو قدوة لها ؛ لأنَّه يتضمَّن ميراث كلِّ الأنبياء عليهم السلام، وموضع تلقِّي رسالة السماء، ووعاء لاستقبال أوامر الله، وهو بعد بيتًا من بيوت الله أُنشئ للتسبيح والتهليل والتكبير، ومثالًا للبيت الذي استوفى أسباب الكمال والاستقرار والسعادة.

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٥/ ١٨٢، وغيره كثير.

المبحث الثالث

البُعد الاجتماعيّ لبيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

سيسلِّط البحث الضوء على الجانب الاجتماعيّ المتمثِّل بالتعامل الزوجيّ بين السيِّدة الزَّهراء، وأمير المؤمنين عليه السلام، والتربويّ المتجسِّد في التعامل بينها عليها السلام وبين أولادها عليهم السلام، وكيف نهضت قوائم هذا البيت الفاطميّ، وبُنيت قواعده وأُسِّس بنيانه على تقوى من الله، حتَّى أضحى مثلًا ومثالًا لطلَّاب السعادة الأسريَّة، وهدفًا لمريدي الاستقرار، وسينفرط عقد هذا المبحث في مطلَبَين:

المطلب الأوَّل: تعاملها عليها السلام مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام

لقد بُني بيت السيِّدة الزَّهراء على أسس الرحمة وقواعد الرأفة منذ بداياته الأولى، كاشفًا عن أنماطٍ إنسانيَّة فريدة من التعامل بين الزوج والزوجة، إذ ينقل لنا المتَّقي الهنديّ (ت٩٧٥هـ) عن «عطاء بن السائب عن أبيه عن عليّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوَّج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أَدَم حشوها ليف، ورحاءين وسقاء وجرَّتين، فقال عليّ لفاطمة ذات يوم: **والله لقد سنوت حتَّى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه!** فقالت: **وأنا والله قد طحنت حتَّى مجلت يداي**، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: **ما جاء بك أي بنيَّة؟** قالت: **جئت لأسلم عليك**، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: **ما فعلت؟** قالت: **استحييت أن أسأله**، فأتياه جميعًا، فقال عليّ: **يا رسول الله لقد سنوت حتَّى اشتكيت صدري**، وقالت فاطمة: **قد طحنت حتَّى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فاخدمنا!** فقال: **والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة**

تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم! ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا، فأتاهما النبيّ صلى الله عليه وآله وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطَّيا رؤسهما انكشفت أقدامهما، وإذا غطَّيا أقدامهما انكشفت رؤسهما، فثارا، فقال: مكانكما! ثمَّ قال: **ألا أخبركم بخير ما سألتماني؟** قالا: بلى، قال: **كلمات علمنيهنَّ جبريل، تسبِّحان الله دبر كلِّ صلاة عشرًا، وتحمدان الله عشرًا، وتكبِّران الله عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، وأحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا أربعًا وثلاثين،** قالت: **والله ما تركتهنَّ مذ علمنيهنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

ولله درُّ هذا البيت، وهو بتلك البساطة الفاطميَّة العلويَّة، المتوشِّحة بالقناعة والكفاف، إذ لم يُكلِّف إنشاءه على يد أمير المؤمنين إلَّا اليسير اليسير، والرواية بيِّنة الدلالة على المهابة والجلالة التي جلَّلت هذا البيت، كما أنَّها دعوة واضحة لكلِّ الآباء والبنات معًا، خلاصتها أن لا يجعلوا من المهور العالية عقبة في الزواج، ودونهم تكاليف زواج السيِّدة الزَّهراء المثال النسائيّ الإنسانيّ الأمثل في عالم الوجود، فهي القدوة والأسوة لكلِّ النساء في بناء بيت الزوجيَّة على أسس القناعة والكفاف، استحقَّت معها ذلك الجزاء الربَّانيّ الخالد، المتمثِّل بتلك التسبيحة التي منحها لها ولأمير المؤمنين عليه السلام، نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، والتي يلهج بها مليارات المسلمين عبر التأريخ، بعد أن سبَّحت بها عليها السلام وإلى يومنا هذا.

وبذات السياق ورد «عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعليّ عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها عليّ عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وأن يجئ بالطعام، فقال لها يومًا: **يا فاطمة هل عندك شيء؟** قالت: **والذي عظَّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلَّا شيء آثرتك به،** قال: **أفلا أخبرتني؟** قالت: **كان**

(١) المتقي الهندي(ت ٩٧٥هـ): كنز العمال/ ط(١٤٠٩هـ)/ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان١٥/ ٥٠٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئًا، فقال: لا تسألي ابن عمّك شيئًا، إن جاءك بشيء عفوًا، وإلّا فلا تسأليه»[1]، والرواية بصدد بيان التقسيم العائلي للحقوق والوجبات التي نشأ وقام عليه بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي عليها السلام ضمنت لزوجها عليه السلام ما في البيت، وهو عليه السلام ضمن لها ما هو خارج البيت من توفير المؤونة المطلوبة للعائلة، غير أنَّ الذي يستوقف البحث هو ذلك السمت النبويّ السامي من التربية الفاطميَّة، إذ إنَّها عليها السلام لم تكلِّف زوجها ما لا يقدر، بل أبت أن تسأله شيئًا،وهي عليها السلام بذلك تضرب أروع الأمثلة في القناعة والإيثار والالتزام بوصايا الوالد الرحيم، هذا مع قيامها بكلِّ شؤون البيت من العجين والخبز وكنس البيت وسوى ذلك من تربية الأولاد، كما ورد بذات المعنى «عن الخدريّ وأبي هريرة أنَّ عليًا أصبح ساغبًا، فسأل فاطمة طعامًا، فقالت: **ما كانت إلّا ما أطعمتك منذ يومين آثرت به على نفسي وعلى الحسن و الحسين**، فقال: **ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء**، فقالت: **يا أبا الحسين إنِّي لأستحي من إلهي أن أكلِّفك ما لا تقدر عليه**»[2].

ولو تأمَّل البحث الروايَتَين، لوجد أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم تكلِّف زوجها ولم تسأله شيئًا، التزامًا بوصايا والدها نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله، وحياءً من ربِّها جلَّ شأنه، وهي عليها السلام تعطي بذلك دروسًا لكلِّ النساء في الحياة الزوجية السعيدة، وتضع الأسس الضامنة لنجاحها، والتي تتلخَّص في أمور:

الأوَّل: تقسيم مهام إدارة البيت بين الزوج والزوجة، على النحو الذي يضمن حقوق الطرفَين، كلٌّ بحسب قدرته، وهو ما يمكن أن يعبَّر عنه بإدارة البيت.

الثاني: أن لا تكلِّف الزوجة زوجها فوق ما يطيق، بل تؤثره على نفسها وأولادها، لتكون عونًا له في بناء الأسرة، وهي بذلك تبعث برسائل التقدير والحبِّ المتجسِّدة

(١) الفيض الكاشانيّ (ت ١٠٩١هـ): التفسير الصافي، ط٢ (١٤١٦هـ)، مطبعة مؤسَّسة الهادي، قم المقدَّسة: ٣٣٢.

(٢) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٥٠.

بقناعتها بما لديها، تلك الرسائل العمليَّة التي من شأنها أن تبني البيت وتثبِّت قواعده على السعادة والاستقرار.

الثالث: إنَّ تعامل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام يرسم خارطة طريق لربَّات البيوت، خلاصتها في أمرَين، هو أن تعرف وتحدِّد حقوقها وواجباتها أوَّلًا ؛ لكي لا يكون هناك غمط أو غبن، وأن تواسي زوجها في السرَّاء والضرَّاء، فلا تحمْله ما لا يطيق ثانيًا.

رابعًا: إنَّ الميدان الأوَّل لبناء المجتمع هو البيت، ومنه تنطلق إلى الميادين الأخرى، غير أنَّه يبقى مضمارها الأهم في الكشف عن مكانتها ومحوريَّتها في تقويم السلوك الإنسانيّ، وتربية أفراد المجتمع؛ لأنَّ البيت هو المؤسَّسة الذي ترفد المجتمع بالأنبياء والصالحين والمصلحين والشهداء وبناة الحياة، وهو نفسه الذي ينغِّص أمان المجتمع، عندما يقذف فيه الفاسدين والطواغيت والإرهابيِّين.

خامسًا: وأخيرًا فإنَّ السيِّدة الزَّهراء تضع ابتداء الحلول الناجعة للطلاق، الذي قد يحدث بسبب عدم التفاهم بين الزَّوجَين بخصوص الحقوق والواجبات، أو بسبب طلباتها المستمرَّة والكثيرة، التي قد تثقل كاهل الزوج، فيسعى إمَّا إلى بذْل جهد ووقت أكثر في العمل، وهو ما يعني غيابه لمدَّة أطول عن البيت، فيقصر في تربية ومتابعة أولاده، أو أن يعتمد الغش والحيلة في جلْب الأموال لكي يرضي زوجته، أو أن يلجأ إلى الطلاق؛ لذلك تأتي وصفة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التربويَّة لتحول دون وقوع البيت والأسرة ضحيَّة مرض الطلاق.

ولو قلَّبنا صفحات مسيرة السيِّدة الزَّهراء الزوجيَّة في بعض أدوارها، وبحثنا عن آثار ونتائج التعامل النبويّ والإنسانيّ من قِبلها مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، لوجدنا لونًا إنسانيًّا علويًّا من التعامل والتفاهم والتضحية التي تبيِّنها الرواية الآتية كمكافأة لزوجته الصبور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فعن عليّ عليه السلام قال: «**دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر، وأنا أنقِّي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبَّيك**

يا رسول الله، قال: اسمع وما أقول إلّا ما أمر ربِّي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلّا كان له بكلِّ شعرة على بدنه، عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين، وداوود النبيّ ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا عليّ من كان في خدمة عياله في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكلِّ يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكلِّ قَدم ثواب حجَّة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكلِّ عِرق في جسده مدينة في الجنَّة، يا عليّ، ساعة في خدمة البيت، خير من عبادة ألف سنة، وألف حج، وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة، وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عارٍ يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدَّق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسير اشتراها فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنَّة، يا عليّ، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنَّة بغير حساب، يا عليّ خدمة العيال كفارة للكبائر، ويطفئ غضب الرَّب، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات، يا عليّ، لا يخدم العيال إلّا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»[1].

ولا شكَّ أنَّ الرواية تضع الخطوط العامَّة للبيت السعيد، الذي تتكاتف جهود الزوج والزوجة فيه، لكي يكون سكنًا مستقرًّا وصالحًا لأداء رسالة تربية الأبناء.

من هنا يتَّضح لنا خطورة البيت؛ لأنَّه اللبنة الأولى والأخطر في بناء المجتمع الإنسانيّ، وقيام الحضارات عبر التأريخ.

والحق أنَّ ممَّا يستدعي النظر والتأمل، بل والتعجُّب في الرواية أعلاه، هو تلك الصورة من الخدمة التي ينبغي على الزوج أن يقدِّمها لزوجته وأولاده وبيته؛ ليحضى

(١) ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ): مستدرك الوسائل، ط٢، (١٤٠٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان: ١٣/ ٤٩.

بأنواع الكرامات الإلهيَّة التي وعد بها نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله، والتي لن يحصل عليها إلَّا من خلال تقديمه لهذه الخدمات البيتيَّة.

أقول: إن موضع التعجُّب والنظر يكمن في أنَّ الرواية جاءت في بيئة وزمن جاهليَّين، كانت تعاني المرأة فيهما من الظلم والإقصاء والاستعباد بأبشع صوره، فهي في الجاهليَّة لم تكن عند الرجال بأكثر من متاع من الأمتعة التي يملكونها، شأنها شأن الأموال والبهائم، ولم يكن لها حقٌّ في الإرث، بل تُقتل خشيةً العار والفقر، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ سورة النحل: ٥٨-٥٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ ﴾ سورة الإسراء: ٣١، ولنا أن نتصوَّر وزن وقيمة القيم الإنسانيَّة الاستثنائيَّة للتعاليم والوصايا النبويَّة التي احتضنها بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وتضمنتها الرواية الموجَّهة لعليّ عليه السلام كشخص ولكلِّ زوج كنوع، في مجتمع معبَّأ بتلك العادات والتقاليد البالية والظالمة، يتفنَّن في ظلم الأنثى بصورة عامَّة، والزوجة بصورة خاصَّة.

المطلب الثاني: تعاملها مع أولادها عليها السلام

لا شكَّ أنَّه يقع على عاتق الأم العبء الأكبر في تربية الأبناء، فهم ألصق بها وأقرب منها وأكثر تأثُّرًا بشمائلها، لاسيما في السنين الأولى للتربية؛ لذلك ورد في حقِّها عن «أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال: رجل يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن الصحبة؟ قال: **أمُّك ثمَّ أمُّك ثمَّ أمُّك ثمَّ أبوك، ثمَّ أدناك أدناك**»(١)، ولقد ضرب لنا بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أسمى المثل في تربية الأبناء، وتحمُّل تلك المسؤوليَّة الرساليَّة، التي أنتجت للإنسانيَّة تلك النسمات الربانيَّة المحمَّديَّة كالإمام الحسن والإمام الحسين والسيِّدة زينب عليهم السلام، الذين يفتخر بهم الإسلام والمسلمون.

(١) مسلم النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان: ٨/ ٢.

وقد درج الإمامَين الحسن والحسين والسيِّدة زينب في بيت السيِّدة الزَّهراء، لينهلوا من معينها الأخلاقيّ الذي لا ينضب، يشمُّون ريح الوحي، ويسمعون خفقات أجنحة الملائكة، فقد ورد أنَّ «الحسن بن عليّ عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمَّه فيُلقي إليها ما حفظه، كلَّما دخل علي عليه السلام وجد عندها علمًا بالتنزيل، فيسألها عن ذلك، فقالت: **من ولدك الحسن**، فتخفَّى يومًا في الدار، وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي، فأراد أن يلقيه إليها فارتجَّ عليه، فعجبت أمَّه من ذلك، فقال: **لا تعجبين يا أمَّاه فإنَّ كبيرًا يسمعني، فاستماعه قد أوقفني**، فخرج عليّ عليه السلام فقبَّله، وفي رواية: **يا أمَّاه قلَّ بياني وكلَّ لساني لعلَّ سيِّدًا يرعاني**»[1]، وفي الرواية شاهد ودليل على مشاركة الإمام الحسن عليه السلام جدّه الرسول صلى الله عليه وآله في مهام الوحي، فهو يشارك نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله فيما ينزل عليه من الوحي، فيسمعه ثمَّ يحفظه، وهو ما يكشف عن نبْل وعظمة ألوان التربية التي كان يتلقَّاها عليه السلام من والدته عليها السلام، بالتالي يبيِّن لنا كبير وشرف منزلته منذ طفولته عليه السلام، كما ورد في رواية أخرى عن «عن عبادة الكلبيّ، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن عليّ، عن أخيه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: **رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميِّهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمَّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني! الجار ثمَّ الدار**»[2]، ويستفاد من هذه الرواية أمور:

أوَّلًا: متابعة الأمام الحسن عليه السلام لوالدته، ومراقبته لعبادتها من أوَّل الليل حتَّى الفجر، والصورة حاكية عن أنَّ أوَّل وأهم خطوات التعليم بالنسبة للأطفال، هو الحركات والتصرفات التي تقوم بها الأم، وكذا الأب أمامه، وأنَّها ستكون الخيوط

(١) المجلسيّ، البحار: ٢٤٣/ ٣٨٨.
(٢) م.ن: ٤٣/ ٨٢.

الأولى لثوب تربيته ؛ لأنَّه وبحكم فطرته يراهما قدوة في كلِّ تصرُّف، حسنًا كان أو سيِّئًا، فالطفل يتأثر بسلوك الوالدين العملي أكثر من تأثره بسلوكهما القولي، وكان من الطبيعيّ في آخر المطاف أن ينتقل ذلك المثل العرفانيّ السامي المتجسِّد بعبادة فاطمة عليها السلام الى ولدها الحسن عليه السلام، فيكون نسخة منها ليكون سيِّدا لشباب أهل الجنَّة[1]، كان بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام المحطَّة الدنيويَّة الأولى لصياغة شخصيَّته عليه السلام.

ثانيًا: اتِّصاف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بفضيلة نكران الذات، التي لا يتَّصف بها إلَّا أولياء الله الصالحين، فهي تقدِّم بالدعاء جيرانها على نفسها، وهي بذلك تعلِّمنا وتضع أيدينا على صنفَين من التربية البيتيَّة الفريدة، احدهما: يتمثَّل بالجانب الأخلاقي أو العرفانيّ، وهو أنَّ واحدًا من أهم أسباب ومضان استجابة الدعاء، أن تذكر بل تقدِّم إخوانك المؤمنين على نفسك، حين تتوجَّه إلى الله بالدعاء؛ لأنَّه من أسباب الاستجابة، والآخر: يتجسَّد بالجانب العمليّ أو التربويّ في التعريف بمكانة الجار، وأنَّ له حقوقًا ينبغي القيام عليها والإهتمام بها، وهذا عين ما قامت به سيِّدة نساء العالمين عليها السلام، فالبيت إذن عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام موطن لأصناف الطاعة والتقرُّب من الله سبحانه، فهو للعبادة والتربية وأداء حقوق الجيران.

ثالثًا: إنَّ السنَّة الأخلاقيَّة التي قامت بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من الاستغراق بالدعاء للمؤمنين، لاسيما الجيران والمؤمنات، درْس تربويّ عمليّ للإمام الحسن عليه السلام، ولكلِّ الناس يحفِّز الأفكار ويلفت الأنظار إلى أنَّ واحدًا من أهمِّ الطرق الموصلة إلى الله هو الدعاء بالمقام الأوَّل، ثمَّ إشراك المؤمنين والمؤمنات به، ثمَّ تخصيص الجيران، فضلًا عمَّا يترتَّب عن ذلك من تقوية الوشائج والعلاقات الاجتماعيَّة بين مجموع المؤمنين من جهة وبين الجيران من جهة أخرى.

(١) قال أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين منعوا الحسن أن يُدفَن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة من أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**». محمَّد الزرنديّ الحنفيّ (ت٧٥٠هـ)، ط١، (١٣٧٧هـ): ٢٠٥.

خلاصة الكلام: إنَّ بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع أولادها، يعرض لنا لونًا من التعامل الأسريّ الجامع بين أنماط متنوِّعة من السلوك العباديّ والعرفانيّ والاجتماعيّ، وأنه ينبغي أن يكون مثالا للبيت المسلم الذي يخرج الولد من بين أركانه سليمًا سويًّا، خاليًا من العاهات النفسيَّة والعُقد التربويَّة.

ومن نظائر التعامل الزَّهرائيّ مع الأبناء، ما ذكره المفسِّرون في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ سورة الإنسان: ٨، إذ يذكر الواحد (ت٤٦٨هـ) وغيره عن «عطاء عن ابن عبَّاس أن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) نوبة أجر نفسه يسقى نخلًا بشيء من شعير ليلة حتَّى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوا، يقال له الخزيرة، فلمَّا تمَّ إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمَّ عمل الثلث الثاني، فلمَّا تمَّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثمَّ عمل الثلث الباقي، فلمَّا تمَّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك»[1].

والواقع أنَّ ثمَّة دروس تتجلَّى وتُستوحى من سبب النزول، وهي:

الدرس الأوَّل: إنَّ قوت بيت السيِّدة الزَّهراء، الذي كانت تهيئته من واجبات أمير المؤمنين عليه السلام، كان قوتًا متواضعًا وبسيطًا، حاكٍ عن قناعة عالية لديه ولدى أهل بيته عليهم السلام، غير أنَّه قوت ممزوج بالخير والبركة، وهو ما يعطي دروسًا ميدانيَّة واضحة للإمام الحسن والإمام الحسين والسيِّدة زينب عليهم السلام.

الدرس الثاني: إنَّ شخص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، يمثِّل الزوجة القدوة في بيتها، وهي ترضى كلَّ الرضى بما قسم الله والصبر والشكر لله سبحانه على ما أعطى ووهب، وهي

(١) الواحدي النيسابوريّ (ت٤٦٨هـ): أسباب نزول الآيات، (١٣٨٨هـ)، مؤسَّسة الحلبيّ وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة: ٢٩٦، ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، (١٤٠٧هـ)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ٨/ ١٤٥، وغيرها كثير.

بعدُ تقدِّم تجربة حيَّة لكلِّ زوجة تشارك زوجها شظف العيش، وتقاسمه هموم الحياة، وهو أيضًا عبرة لأولادها بضرورة التسليم لله سبحانه والتدرُّع بالتحمُّل والصبر.

الدرس الثالث: إنَّ إطعام هذا البيت المبارك للمسكين واليتيم والأسير، يشكِّل حلقة أخلاقيَّة خالصة ليس بالكرم فقط، بل بالإيثار، فبيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، مثال البيت الذي يعيش هموم الآخرين، ولا يستقر أو يهدأ بال أهله إلَّا بعد أن يشاركوا المحتاجين ويقاسموهم طعامهم، بل ويؤثرونهم عليهم، وكيف لا يكون بيت الزَّهراء بهذا النحو، وربُّ البيت هو القائل: «**أو أبيت مبطانًا وحولي بطون غرثى وأكباد حرَّى، أو أكون كما قال القائل:**

وحسبك داء أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأنَّ يُقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش»[1]

الدرس الرابع: إنَّ واحدًا من أهمِّ الدروس والعِبر، التي يعرب عنها عن صور التعامل البيتيّ بين السيِّدة الزَّهراء وأولادها، هو تعلمهم واستلهامهم لمعاني الإيثار والكرم، والتي تُعدُّ من أرقى الخصال، التي يجب على الآباء تعليمها للأبناء ؛ لأنَّها أخلاق الله وأنبيائه وأوليائه عليهم السلام.

لذا فلا غرابة أن ينعكس هذا الكرم العلويّ الزَّهرائيّ على الأبناء، فيكون مثال الكرم، وهذا الإمام الحسن، الذي عُرف بكريم أهل البيت، له من قصص الكرم ما تعجز الأقلام عن وصفه، فقد «وقف رجل على الحسن بن علي عليهما السلام، فقال: يا ابن أمير المؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعامًا منه عليك، إلا ما أنصفتني من خصمي فإنَّه غشوم ظلوم، لا يوقر الشيخ الكبير،

(١) محمَّد عبده: شرح نهج البلاغة، ط١، (١٤١٢هـ)، نشر دار الذخائر، قم، إيران: ٣/ ٧٢.

ولا يرحم الطفل الصغير، وكان متَّكئًا فاستوى جالسًا، وقال له: **من خصمك حتى أنتصف لك منه؟** فقال له: الفقر، فأطرق عليه السلام ساعة، ثمَّ رفع رأسه إلى خادمه وقال له: **أحضر ما عندك من موجود، فأحضر خمسة آلاف درهم،** فقال: **إدفعها إليه،** ثمَّ قال له: **بحقِّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليَّ متى أتاك خصمك جائرًا إلَّا ما أتيتني منه متظلِّمًا»**[1].

والكرم وسائر صفات الجلال تنطبق على أبناء هذا البيت كابرًا عن كابر.

وممَّا تجدر الإشارة إليه في سبب نزول سورة الإنسان أيضًا، والذي هو من جملة ما يُستفاد من جوانب التعامل الأسريّ المنطلق من بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نحو أولادها، هو بعض الإضاءات، وعلى النحو الآتي:

أوَّلها: إنَّ بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، قدَّم الطعام، وآثر على نفسه المسكين واليتيم والأسير، انطلاقًا من الهاجس والواعز الإنسانيّ، دليله أنَّه لم يفرِّق بين المسكين واليتيم المسلمَين وبين الأسير المشرك، الذي لم يُنهر أو يُطرد؛ لأنَّه ليس مسلمًا، بل أخذ نصيبه من الطعام شأنه شأن رفقيه المسكين واليتيم، ولقد كان ذلك على مرأى ومسمع من أولادها، الذين استوحوا معاني الإنسانيَّة من أكناف هذا البيت الطاهر، حتَّى صاروا مثال الإنسانيَّة وأسوتها عبر الأجيال، وها هي قبورهم الطاهرة تموج بأجناس وجنسيَّات وأديان مختلفة، ودوننا الزيارة الأربعينيَّة التي أصبحت عنوانًا إنسانيًّا عالميًّا، ولم تَعُد كربلاء مدينة عربيَّة إسلاميَّة، بقدر ما عادت حاضرة الدنيا برمَّتها، فأبوابها مشرعة لكلِّ زائر بغضِّ النظر عن دينه أو ملَّته أو قوميَّته.

ثانيها: من الإضاءات الإنسانيَّة التي تنبض بها الآية الشريفة أيضًا، هو حجم الحريَّة التي يتمتَّع بها الأسير في دولة النبيّ صلى الله عليه وآله، إذ إنَّ المعروف عن كلِّ أسير لاسيما كونه من المشركين، أن يكون داخل حدود معسكر أو سجن خاص بالأسرى، فإذا بالأسير الذي

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٠.

تذكره سورة الإنسان، يتحرَّك بحريَّة وأريحيَّة بين أزقَّة المدينة، وكان من علائم هذه الحريَّة، أن يتجرَّأ ويطرق باب أشرف بيوتها، وهو بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ليطلب أن يطعموه، ثقةً بإنسانيَّة أصحابه، وأنَّهم محض الخير والعطاء، وكان من الطبيعي أن يؤثِّر هذا السمت التربويّ الزَّهرائيّ في نفوس أولادها، ليكونوا نسخًا وصورًا من إنسانيَّة هذا التعامل.

نتائج البحث

توصلَّ البحث بعد أن خاض في جولته القرآنيَّة والروائيَّة إلى النتائج الآتية:

١. أعطت الشريعة أهميَّة كبيرة للبيت؛ كونه مؤسَّسة خطيرة ترعى الأبناء، وترفد المجتمع بالصالحين منهم.

٢. أولى القرآن الكريم بالبيت عناية ورعاية، دالَّة على محوريَّته في بناء المجتمع من جهة، ومقام المرأة والرجل في إنشائه من جهة أخرى، وذلك من خلال جملة من الآيات التي نسبت البيت للرجل تارة، وللمرأة تارة أخرى.

٣. أفصحت السنَّة الشريفة عن ضوابط وشروط تضمن حقوق البيت عند الزوج والزوجة.

٤. يشكِّل البيت في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام محوريَّة مهمَّة، كشفت عنها آيات القرآن الكريم وروايات السنَّة الشريفة.

٥. يمثِّل البيت في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعدا عقائديًّا متجسِّدًا في آية التطهير، التي كشفت عن عصمتها عليها السلام وعصمة بيتها.

٦. يجسِّد البيت في جانبه الاجتماعيّ عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الأنموذج الإنسانيّ الأرقى في عالم الوجود، الذي جمع كلَّ أسباب الاستحقاق في أن يكون قدوة وأسوة لكلِّ الإنسانيَّة.

٧. إنَّ الأسرة الإنسانيَّة، إذا أرادت أن تُنشئ بيتًا سعيدًا مستقرًّا متكاملًا، لا بدَّ لها من وضْع بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نصب العيد وقيْد الاقتداء.

٨. ينقل لنا بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام صورًا راقية وسامية من التعامل مع الزوج والأبناء، تستلزم أن تُدرَّس في المناهج الدراسية لأبنائنا الطلبة، كيما يطبِّقوها عمليًّا عند تكوينهم بيوت الزوجيَّة.

٩. إذا أراد الزوجان بيتًا خاليًا من الشجار والصوت العالي والغضب والعصبيَّة، فلا محيص لهم من الوقوف على بيت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وتلمُّس سبل وطرق حياتها عليها السلام.

١٠. تتجلَّى عوامل الاستقرار العائليّ والنجاح الأسريّ من التفاهم والهدوء وانعدام المشاكل والتضحية وتقاسم شؤون البيت ونحوها بأروع صورها في بيت السيِّدة الزَّهراء، ومن ثمَّ، فمَن رام أن يكون بيته سكنًا طيِّبًا مباركًا، لا بدَّ له من التأسِّي بهذا البيت المبارك.

مصادر البحث

* القرآن الكريم، خير الكلام وإمام الأنام.

١. أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): المسند، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢. البحرانيّ، هاشم (ت١١٠٧هـ): غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق السيِّد علي عاشور.

٣. البخاريّ (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاريّ، (١٤٠١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤. الترمذيّ (ت٢٧٩هـ): سنن الترمذيّ، تحقيق: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ط٢، (١٤٠٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥. الثعلبيّ (ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١، (ت٤٢٧هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ)، طبع ونشر دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٦. ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله، ط١، (١٤٠٧هـ)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧. الحائريّ: عليّ الطهرانيّ (ت١٣٥٣هـ): تفسير مقتنيات الدرر، مطبعة الحيدري الطهراني.

٨. الحاكم الحسكانيّ (ق٥هـ): شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمَّد

باقر المحموديّ، ط١، (١٤١١هـ)، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم.

٩. ابن حجر العسقلانيّ: أسد الغابة في معرفة الصحابة.

١٠. الشيخ الحويزيّ (ت١١١٢هـ): تفسير نور الثقلين، ط٤، (١٤١٢)، طبع ونشر مؤسَّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع

١١. السيوطي: جلال الدين (ت٩١١هـ): الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٢. الشيرازيّ: ناصر مكارم (معاصر): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

١٣. ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ): مناقب آل أبي طالب، (١٣٧٦هـ)، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

١٤. الصنعانيّ: عبد الرزَّاق (ت٢١١هـ): المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، منشورات المجلس العلميّ.

١٥. العيَّاشيّ: محمَّد بن مسعود (ت٣٢٠هـ): تفسير العيَّاشيّ، تحقيق: السيِّد هاشم الرسولي المحلَّاتيّ، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.

١٦. الفيض الكاشانيّ (ت١٠٩١هـ): التفسير الصافي، ط٢، (١٤١٦هـ)، مطبعة مؤسَّسة الهادي، قم المقدَّسة.

١٧. القندوزيّ الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ): ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: عبَّاس جمال أشرف الحسينيّ، ط١، (١٤١٦هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر.

١٨. الكلينيّ (ت٣٢٩هـ): الكافي، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

١٩. المتَّقي الهنديّ (ت ٩٧٥هـ): كنز العمَّال، (١٤٠٩هـ)، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٠. محمَّد بن محمَّد رضا القمّيّ المشهديّ (ت ١١٢٥هـ): تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، (١٤١١هـ)، نشر مؤسَّسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ.

٢١. المجلسيّ: بحار الأنوار، السيِّد إبراهيم الميانجي، محمَّد الباقر البهبوديّ، ط٣، (١٤٠٣هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢٢. محمَّد جواد مغنيَّة (ت١٤٠٠هـ): التفسير الكاشف، ط٢، (١٩٨٧م)، نشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٢٣. السيِّد المرعشيّ (ت١٤١١هـ): شرح إحقاق الحقِّ، تحقيق: محمود المرعشيّ، ط١، (١٤١١هـ)، مطبعة الخيام، قم.

٢٤. الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ): مستدرك الوسائل، ط٢، (١٤٠٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان.

٢٥. محمَّد عبده: شرح نهج البلاغة، ط١، (١٤١٢هـ)، نشر دار الذخائر، قم، إيران.

٢٦. مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٧. المفيد (ت٤١٣هـ): الأمالي، تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري، ط٢، (١٤١٤هـ)، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٨. الواحدي النيسابوريّ (ت٤٦٨هـ): أسباب النزول، (١٣٨٨هـ)، طبع مؤسَّسة الحلبيّ وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

محور الدِّراسات العَقديَّة والفكريَّة

دفع الشبهات عن الخطبة الفدكيَّة

م.د. محمَّد منصور حسين البياتيّ
المديريَّة العامَّة لتربية بابل

ملخَّص البحث

يهدف البحث إلى دفع عدد من الشبهات المزعومة ضدَّ الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ حيث عمد كثير من علماء المذاهب السنيَّة إلى التشكيك والإيهام بالخطبة الفدكيَّة؛ محاولةً منهم لتشويه الحقيقة الثابتة في مصادرهم المعتبرة؛ فلذلك جاء عدد من تلك الشبهات مناقضًا لما هو ثابت في مصادرهم المعتبرة، وبخاصَّة صحيحَي مسلم والبخاريّ.

يسعى البحث إلى إحصاء ما أمكن من المصادر المعتبرة عند المذاهب السنيَّة المثبتة للخطبة الفدكيَّة؛ بكونها من تراث أهل البيت عليهم السلام، المقطوع بصحَّته، والتي تضمُّ توثيقًا للأحداث الجارية على المسلمين بعد وفاة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، وكيفيَّة تعامل أهل البيت عليهم السلام، معها، وتصوير موقف أغلب زعماء المسلمين في تلك الفترة، وبيان هشاشة إيمانهم بتعاليم ووصايا الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، الدالَّة صراحةً على وجوب التمسُّك والاقتداء بأهل البيت عليهم السلام، إلَّا أنَّه مع ذلك كلِّه غلب منطق العصبيَّة الجاهليَّة والعنف تجاه كلِّ من حاول مخالفة أهواء السلطة الحاكمة، وإنَّ كان ذلك المخالف سيِّدة نساء العالمين.

تقوم فكرة البحث من بعد التهيد على بيان مطلبَين رئيسَين، حيث جاء المطلب

الأوَّل بعنوان (الأصول المعتبرة الموثَّقة للخطبة الفدكيَّة)، ويركِّز في هذا المطلب على إحصاء ما أمكن من المصادر السنيَّة التي أثبتت الخطبة، وبيان أهمِّ الشبهات التي أثيرت حولها، والإجابة عنها بما يقتضيه منطق البحث العلميّ.

أمَّا المطلب الثاني فجاء بعنوان (دفع الشبهات عن البعد الدلاليّ للخطبة الفدكيَّة)، يُسلَّط الضوء في هذا المطلب على بيان أهمِّ المحطَّات الدلاليَّة في الخطبة الفدكيَّة، وما أُثير حولها من شبهات؛ حيث ضمَّت خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، دلالات موافقة ونصوص قطعيَّة ثابتة في كتب الصِّحاح عند المذاهب السنيَّة.

الكلمات المفتاحيّة: دفع الشبهات، الخطبة الفدكيَّة، صناعة التشكيك.

تمهيد

امتاز المذهب الشيعيّ عن غيره من المذاهب الإسلاميَّة بتوثيق كلام أهل البيت عليهم السلام، وتتبُّع ما جرى عليهم من أحداث، سواء أكان ذلك في حياة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، أم بعد وفاته، ولعلَّ من أوائل الكتب التي وُضِعت في ذلك المجال هو كتاب: «سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام»[1]، إلَّا أنَّ الحكومات المتعاقبة عملت جاهدة على طمس تراث أهل البيت عليهم السلام الفكريّ؛ لما يتضمَّنه من نصوص صريحة تكشف موقفهم الرافض للتحوُّلات الحاصلة بعد وفاة الرسول الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، وبخاصَّة موقف السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الرافض لنتاج السقيفة وسياستها، وهذا الأمر متواتر ثبوته بالنصوص القطعيَّة عند المذاهب الإسلاميَّة جميعها؛ حيث اجتهدت عليها السلام باستثمار الأيَّام المعدودة التي عاشتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله؛ لإثبات أجلى حقوق أهل البيت عليهم السلام، والتي أُريد تشكيك عامَّة المسلمين بها، ولعلَّ أبرزها وصيَّة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالخلافة الثابتة بالنصِّ الصريح في حجَّة الوداع: «**كأنِّي قد دُعيت فأجبت، إنِّي قد تركت فيكم الثَّقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فإنَّهما لن يتفرقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوض**، ثمَّ قال: **إنَّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن**، ثمَّ أخذ بيد عليّ، فقال: **مَنْ كنت وليُّه فهذا وليُّه، اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه**»[2]، كما اجتهدت ببيان حقِّها من إرث أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، مستدلَّة على

(١) العلَّامة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد القيُّومي، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ، ص١٦٢.

(٢) النسائيّ، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفَّار وسيِّد كسروي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج٥، ٤٥.

ذلك بسلسلة من الحجج القطعيَّة الدامغة، نحو: صريح الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة، والبراهين العقليَّة، وكان أبرز خطاب لها عليها السلام، يتمثَّل بالخطبة الفدكيَّة، التي تمتاز عن غيرها من الخطب بميزات عدَّة، لعلَّ من أبرزها: طول الخطبة وإتقانها من حيث الشكل والمضمون، حيث جاءت متَّسقة، تنساب المعاني إلى ذهن المتلقِّي من دون كللٍ ولا ملل، مستعرِضة دور أهل البيت عليهم السلام الريادي في الدين الإسلاميّ، وتحاذُل الأمَّة عنهم، وقد أثبت عدد من المصادر السنيَّة الخطبة الفدكيَّة، إلَّا أنَّه لم تكن تلك الخطبة محطَّ قبول عند بعض علماء المذاهب السنيَّة؛ فحاولوا تضعيفها ورميها بالوضع، على الرغم من أنَّ الخطبة لم تنفرد بأمور خارجة عمَّا هو موثَّق وثابت في بطون المصادر السنيَّة الأخرى، بل كما سيتَّضح من البحث لاحقًا أنَّ بعض المصادر السنيَّة تُثبت ما هو أشدُّ دلالةً في ذمِّ القوم الذين اعتَدوا على أهل البيت والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ممَّا هو مثبت في الخطبة الفدكيَّة، فلذلك عملوا على تزييف الحقائق، وبخاصَّة كلُّ ما يتعلَّق بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لإخفاء الظلامة التي وقعت على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من قِبل رأس السلطة الحاكمة آنذاك، وحدث ذلك التزييف بعدَّة أساليب، لعلَّ أسهلها عليهم هو زعم الوضع أو تزييف المحتوى، من خلال تأويل تلك النصوص خلافًا لمعناها الظاهريّ؛ فعمدوا إلى ليِّ عنق المعنى وفقًا لما تهواه أنفسهم؛ محاولةً منهم لطمس الحقيقة الصادمة، ودفع الشُّبهات عن رموزهم، وبخاصَّة أبو بكر وعمر اللَّذان يمثِّلان محور السلطة التي تصدَّت حينها لإيقاع الأذى بالسيِّدة الزَّهراء وأهل البيت عليهم السلام.

نصُّ الخطبة الفدكيَّة

الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا وَسُبُوغِ آلَاءٍ أَسْدَاهَا وَتَمَامِ مِنَنٍ أَوْلَاهَا جَمَّ عَنِ الْإِحْصَاءِ عَدَدُهَا وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا وَتَفَاوَتَ عَنِ الْإِدْرَاكِ أَبَدُهَا وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِهَا وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلَائِقِ بِإِجْزَالِهَا وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَلِمَةٌ جُعِلَ

الْإِخْلَاصُ تَأْوِيلَهَا وَضُمِّنَ الْقُلُوبُ مَوْصُولَهَا وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولُهَا الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا وَأَنْشَأَهَا بِلَا احْتِذَاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَهَا كَوَّنَهَا بِقُدْرَتِهِ وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَثْبِيتًا لِحِكْمَتِهِ وَتَنْبِيهًا عَلَى طَاعَتِهِ وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ تَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ وَإِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ مِنْ نَقِمَتِهِ وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنِ اجْتَبَاهُ وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ وَبِسَتْرِ الْأَهَاوِيلِ مَصُونَةٌ وَبِنِهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ عِلْمًا مِنَ اللهِ تَعَالَى بِمَآيِلِ الْأُمُورِ وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ابْتَعَثَهُ اللهُ إِتْمَامًا لِأَمْرِهِ وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ وَإِنْفَاذًا لِمَقَادِيرِ رَحْمَتِهِ فَرَأَى الْأُمَمَ فِرَقًا فِي أَدْيَانِهَا عُكَّفًا عَلَى نِيرَانِهَا عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا مُنْكِرَةً لِلهِ مَعَ عِرْفَانِهَا فَأَنَارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلَمَهَا وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهَمَهَا وَجَلَى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيَارٍ وَرَغْبَةٍ وَإِيْثَارٍ فَمُحَمَّدٌ ﷺ، مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ قَدْ حُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْغَفَّارِ وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ صَلَّى اللهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ وَخِيرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَصَفِيِّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَالَتْ: أَنْتُمْ عِبَادَ اللهِ نُصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ وَأُمَنَاءُ اللهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَبُلَغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ زَعِيمُ حَقٍّ لَهُ فِيكُمْ وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ كِتَابُ اللهِ النَّاطِقُ وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ وَالنُّورُ السَّاطِعُ وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ بَيِّنَةٌ بَصَائِرُهُ مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ مُنْجَلِيَةٌ ظَوَاهِرُهُ مُغْتَبَطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ قَائِدًا [قَائِدٌ] إِلَى الرِّضْوَانِ أَتْبَاعُهُ مُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةُ وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةُ وَفَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ فَجَعَلَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا لَكُمْ مِنَ

الشِّرْكِ وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ وَالزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ وَالصِّيَامَ تَثْبِيتًا لِلْإِخْلَاصِ وَالْحَجَّ تَشْيِيدًا لِلدِّينِ وَالْعَدْلَ تَنْسِيقًا لِلْقُلُوبِ وَطَاعَتَنَا نِظَامًا لِلْمِلَّةِ وَإِمَامَتَنَا أَمَانًا لِلْفُرْقَةِ وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجَابِ الْأَجْرِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وِقَايَةً مِنَ السُّخْطِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْسَأَةً فِي الْعُمُرِ وَمَنْمَاةً لِلْعَدَدِ وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضًا لِلْمَغْفِرَةِ وَتَوْفِيَةَ المَكَايِيلِ وَالمَوَازِينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرِّجْسِ وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَابًا عَنِ اللَّعْنَةِ وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إِيجَابًا لِلْعِفَّةِ وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إِخْلَاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَأَطِيعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ. ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْوًا وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا، لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَعْزُوهُ وتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ وَلَنِعْمَ المَعْزِيُّ إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنِّذَارَةِ مَائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ ضَارِبًا ثَبَجَهُمْ آخِذًا بِأَكْظَامِهِمْ دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يجف [يَجُذُّ] الْأَصْنَامَ وَيَنْكُثُ الْهَامَ حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوُا الدُّبُرَ حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ وَطَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقَاقِ وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِمَاصِ وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مَذْقَةَ الشَّارِبِ وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ أَذِلَّةً خَاسِئِينَ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلَّما أَوْقَدُوا نارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ أَوْ نَجَمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا فَلَا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ جَنَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ وَيُخْمِدَ

لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللهِ مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللهِ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللهِ مُشَمِّرًا نَاصِحًا مُجِدًّا كَادِحًا لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ وَادِعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ وَتَنْكِصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ وَتَفِرُّونَ مِنَ الْقِتَالِ فَلَمَّا اخْتَارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ وَسَمَلَ جِلْبَابُ الدِّينِ وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ وَنَبَغَ خَامِلُ الْأَقَلِّينَ وَهَدَرَ فَنِيقُ الْمُبْطِلِينَ، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ هَاتِفًا بِكُمْ فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ وَلِلْعِزَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غِضَابًا فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ وَوَرَدْتُمْ غَيْرَ مَشْرَبِكُمْ هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ فَهَيْهَاتَ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ وَزَوَاجِرُهُ لَائِحَةٌ وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ وَقَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أَ رَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُهَا وَيُسْلَسَ قِيَادُهَا ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَهَا وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَهَا وَتَسْتَجِيبُونَ لِهُتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ وَإِطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ وَإِهْمَالِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ تَشْرَبُونَ حَسْوًا فِي ارْتِغَاءٍ وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الْخَمْرَةِ وَالضَّرَاءِ وَيَصِيرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى وَوَخْزِ السِّنَانِ فِي الْحَشَا وَأَنْتُمُ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا أَ فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَ فَلَا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَأُغْلَبُ عَلَى إِرْثِي يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي كِتَابِ اللهِ تَرِثُ أَبَاكَ وَلَا أَرِثُ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أَ فَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقَالَ فِيمَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِذْ قَالَ: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَقَالَ: وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ

أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ وَقَالَ: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ وَقَالَ: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ، وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُظْوَةَ لِي وَلَا أَرِثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا أَ فَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِي مِنْهَا؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ أَ وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكَهَا مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ وَالمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ وَلِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.. مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ. ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصارِ فَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلَامَتِي؟ أَ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ، سَرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ وَعَجْلَانَ ذَا إِهَالَةٍ وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ أَ تَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ وَأَكْدَتِ الْآمَالُ وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ فَتِلْكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرَى وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى لَا مِثْلُهَا نَازِلَةٌ وَلَا بَائِقَةٌ عَاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَفْنِيَتِكُمْ وَفِي مُمْسَاكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ يَهْتِفُ فِي أَفْنِيَتِكُمْ هُتَافًا وَصُرَاخًا وَتِلَاوَةً وَإِلْحَانًا وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ، وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ إِيهًا بَنِي قَيْلَةَ أَ أُهْضَمَ تُرَاثُ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأًى مِنِّي وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدًى وَمَجْمَعٍ تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ وَتَشْمَلُكُمُ الخِبْرَةُ وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ وَعِنْدَكُمُ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالنُّخْبَةُ الَّتِي انْتُخِبَتْ وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ

وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَمَ وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ لَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ وَخَضَعَتْ ثَغْرَةُ الشِّرْكِ وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ فَأَنَّى حُزْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ بُؤْسًا لِقَوْمٍ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ وَنَجَوْتُمْ بِالضِّيقِ مِنَ السَّعَةِ فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخِذْلَةِ الَّتِي خَامَرَتْكُمْ وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ وَخَوَرُ الْقَنَاةِ وَبَثَّةُ الصَّدْرِ وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبِرَةَ الظَّهْرِ نَقِبَةَ الْخُفِّ بَاقِيَةَ الْعَارِ مَوْسُومَةً بِغَضَبِ الْجَبَّارِ وَشَنَارِ الْأَبَدِ مَوْصُولَةً بِنَارِ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ فَبِعَيْنِ اللهِ مَا تَفْعَلُونَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَاعْمَلُوا إِنَّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ. فَأَجَابَهَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ وَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا رَؤُوفًا رَحِيمًا وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعِقَابًا عَظِيمًا إِنْ عَزَوْنَاهُ وَجَدْنَاهُ أَبَاكِ دُونَ النِّسَاءِ وَأَخَا إِلْفِكِ دُونَ الْأَخِلَّاءِ آثَرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ وَسَاعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ لَا يُحِبُّكُمْ إِلَّا سَعِيدٌ وَلَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا شَقِيٌّ بَعِيدٌ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ الطَّيِّبُونَ الْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنَا وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسَالِكُنَا وَأَنْتِ يَا خِيَرَةَ النِّسَاءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ صَادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ سَابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ وَلَا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ وَاللهِ مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ وَلَا عَمِلْتُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا دَارًا وَلَا عَقَارًا وَإِنَّمَا

نُورَثُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنَا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا مَا حَاوَلْتِهِ فِي الْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ يُقَاتِلُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ وَيُجَالِدُونَ الْمَرَدَةَ الْفُجَّارَ وَذَلِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَنْفَرِدْ بِهِ وَحْدِي وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِمَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدِي وَهَذِهِ حَالِي وَمَالِي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ لَا تُزْوَى عَنْكِ وَلَا نَدَّخِرُ دُونَكِ وَإِنَّكِ وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ لَا نَدْفَعُ مَا لَكِ مِنْ فَضْلِكِ وَلَا يُوضَعُ فِي فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ حُكْمُكِ نَافِذٌ فِيمَا مَلَكَتْ يَدَايَ فَهَلْ تَرَيْنَ أَنْ أُخَالِفَ فِي ذَاكِ أَبَاكِ صلى الله عليه وآله؟ فَقَالَتْ عليها السلام: سُبْحَانَ اللهِ مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتَابِ اللهِ صَادِفًا وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالِفًا بَلْ كَانَ يَتْبَعُ أَثَرَهُ وَيَقْفُو سُوَرَهُ أَ فَتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ اعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ هَذَا كِتَابُ اللهِ حَكَمًا عَدْلًا وَنَاطِقًا فَصْلًا يَقُولُ: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ، وَيَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داوُدَ. وَبَيَّنَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا وَزَّعَ مِنَ الْأَقْسَاطِ وَشَرَّعَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمِيرَاثِ وَأَبَاحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ وَالْإِنَاثِ مَا أَزَاحَ بِهِ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ وَأَزَالَ التَّظَنِّيَ وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ، كَلَّا بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى ما تَصِفُونَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ وَمَوْطِنُ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الْحُجَّةِ لَا أُبَعِّدُ صَوَابَكِ وَلَا أُنْكِرُ خِطَابَكِ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ قَلَّدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ، وَبِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ مَا أَخَذْتُ غَيْرَ مُكَابِرٍ وَلَا مُسْتَبِدٍّ وَلَا مُسْتَأْثِرٍ وَهُمْ بِذَلِكِ شُهُودٌ. فَالْتَفَتَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام إِلَى النَّاسِ وَقَالَتْ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْرِعَةَ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ الْمُغْضِيَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها؟ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ وَلَبِئْسَ مَا تَأَوَّلْتُمْ وَسَاءَ مَا بِهِ أَشَرْتُمْ وَشَرُّ مَا مِنْهُ اغْتَصَبْتُمْ لَتَجِدُنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقِيلًا وَغِبَّهُ وَبِيلًا إِذَا كُشِفَ لَكُمُ الْغِطَاءُ وَبَانَ بِإِورائه [بِإِدْرَائِهِ] الضَّرَّاءُ وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ وَخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ ، ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقَالَتْ:

قَـدْ كَـانَ بَـعْـدَكَ أَنْـبَـاءٌ وَهَـنْـبَـثَـةٌ
لَـوْ كُـنْـتَ شَـاهِـدَهَـا لَمْ تَـكْـثُـرِ الْخُـطْـبُ
إِنَّـا فَـقَـدْنَـاكَ فَـقْـدَ الْأَرْضِ وَابِـلَـهَـا
وَاخْـتَـلَّ قَـوْمُـكَ فَـاشْـهَـدْهُـمْ وَلَا تَغِبْ
وَكُـلُّ أَهْـلٍ لَـهُ قُـرْبَـى وَمَـنْـزِلَـةٌ
عِـنْـدَ الْإِلَـهِ عَـلَى الْأَدْنَـيْنَ مُـقْـتَـرِبُ
أَبْـدَتْ رِجَـالٌ لَـنَـا نَـجْـوَى صُـدُورِهِـمْ
لَـمَّا مَـضَـيْـتَ وَحَـالَـتْ دُونَـكَ التُّـرْبُ
تَجَـهَّـمَـتْـنَـا رِجَـالٌ وَ اسْـتُـخِـفَّ بِـنَـا
لَـمَّا فُـقِـدْتَ وَ كُـلُّ الْأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكُـنْـتَ بَـدْرًا وَ نُـورًا يُـسْـتَـضَـاءُ بِـهِ
عَـلَـيْـكَ يَـنْـزِلُ مِـنْ ذِي الْـعِـزَّةِ الْكُـتُـبُ
وَكَـانَ جَـبْـرَئِـيـلُ بِـالْآيَـاتِ يُـؤْنِـسُـنَـا
فَـقَـدْ فُـقِـدْتَ وَ كُـلُّ الْخَـيْـرِ مُحْـتَـجَـبُ
فَـلَـيْـتَ قَـبْـلَـكَ كَـانَ الْـمَـوْتُ صَـادَفَـنَـا
لَـمَّا مَـضَـيْـتَ وَحَـالَـتْ دُونَـكَ الْكُـثُـبُ

المطلب الأوَّل

الأصول المعتبرة التي وثَّقت الخطبة الفدكيَّة

وقف البحث على عدد من المصادر السنيَّة المختلفة التي وثَّقت الخطبة الفدكيَّة، سواء أكان ذلك من خلال إثباتها الخطبة كاملة، أم من خلال الإشارة إليها بالقرائن الصريحة، ولعلَّ أهمَّ قرينة صريحة دالَّة على الخطبة الفدكيَّة هي دخول السيِّدة فاطمة الزَّهراء في لـمَّة من نسائها وحفدتها على أبي بكر ومعه جمع من المهاجرين والأنصار، كما سيتَّضح ذلك من خلال مسيرة البحث، ويمكن بيان تلك المصادر وفقًا للسبق الزمنيّ بالنحو الآتي:

أوَّلًا. كتاب معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ): حيث أشار إلى الخطبة بقوله: «وفي الحديث: جاءت فاطمة إلى أبي بكر في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها»[1]؛ حيث أثبتت المصادر المختلفة خروج السيِّد فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بهذه الكيفيَّة عندما دخلت على أبي بكر وهو في جمع من المهاجرين والأنصار، فخطبت فيهم خطبتها المشهورة بالفدكيَّة، وحسب اطِّلاعي لم تسجل على المصدر والنصِّ أيّ شبهة أو إشكال، إلَّا أنَّه يمكن افتراض عدد من الشبهات:

١. قول الخليل السابق لا يصحُّ الاستدلال به؛ لأنَّه لم يذكر صراحة كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، خطبت بالقوم خطبتها المشهورة، بل لعلَّها دخلت على أبي بكر وكلَّمته بشأن الإرث كما هو ثابت في كثير من المصادر، من دون أن

(١) الخليل بن أحمد الفراهيديّ، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائي، دار الهجرة، قم المقدَّسة، ط٣، ج٨، ص٣٢٣.

تخطب بهم هذه الخطبة.

إنّ دخول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بهذا الوصف المحدَّد على أبي بكر في مجلسه بلمَّة من نسائها وحفدتها أثبتته جملة من المصادر عندما خطبت بالقوم خطبتها المشهورة، والظاهر أنَّ هذا الأمر بهذه الكيفيَّة الخاصَّة لم يتكرَّر مرَّة أخرى، وإلَّا لعُثر عليه في بطون الكتب، وبخاصَّة أنَّ الفترة التي عاشتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها عليه السلام، قليلة جدًّا؛ إذ أبعد الأقوال فيها ستَّة أشهر[1]؛ فلذلك استعمل الخليل لام العهد الذهنيّ، فقال: «وفي الحديث»؛ أي: إنَّ الحديث (الخطبة)، معروف في ذهن المتلقِّي حينها، فهو يُشير إلى أمر واضح ومشهور بين عامَّة المسلمين.

٢. قد يُقال: إنَّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ شيعيّ؛ وبذلك تكون شهادته مجروحة، ويمكن الردُّ على هذا الإشكال بالمفاد الآتي: الخليل وإن عدُّوه رجال الشيعة منهم، بل ومن ثقاتهم[2]، إلَّا أنَّ هذا الأمر لم يقر به أساطين علماء المذاهب السنيَّة، بل هم أيضًا نسبوه إلى مذهبهم وعدُّوه من ثقاتهم، حتَّى قيل فيه: «وكان من خيار عباد الله من المتقشِّفين»[3]، وصرَّح غير واحد من أساطين علماء السنَّة كونه ينتمي إلى المذهب السنِّيّ، منهم ابن حجر بقوله: «كان أهل البصرة، يعني أهل العربيَّة منهم، أصحاب الأهواء، إلَّا أربعة، فإنَّهم كانوا أصحاب سنَّة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس»[4]، وعليه لا يمكن الشكُّ في حجِّيَّة كلام الخليل بشكل من الأشكال سواء أكان شيعيًّا أم لا.

(١) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٥، ص١٥٥.
(٢) الخوئيّ، معجم رجال الحديث، مرجع سابق، ج٨، ص٨٠.
(٣) ابن حبَّان، الثقات، دار المعارف، حيدر آباد، ط١، ١٩٨٢م، ج٨، ص٢٨٠.
(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٤١.

ثانيًا. كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، للقاضي النعمان (ت٣٦٣هـ): حيث أورد الخطبة كاملة[١]، وذكر القاضي النعمان ضمن المصادر السنيَّة، لا يعني الشكَّ بانتمائه لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنَّما لكونه في فترة محدَّدة كان معدودًا من أساطين علماء المذهب المالكيّ الذين شهدوا له بالفضل والعلم، ومنهم ابن خلِّكان بقوله: «القاضي النعمان، أبو حنيفة، النعمان بن أبي عبد الله محمَّد بن منصور بن أحمد بن حيون، أحد الأئمَّة الفضلاء المشار إليهم، ذكره الأمير المختار المسبحيّ في تاريخه فقال: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مزيد عليه، وله عدَّة تصانيف، منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره. انتهى كلام المسبحيّ في هذا الموضع، وكان مالكيّ المذهب ثمَّ انتقل إلى مذهب الإماميَّة»[٢]، ولا شكَّ أنَّ القاضي النعمان كان مطَّلعًا في تلك الفترة على التراث السنِّيّ، ولو كانت الخطبة غير صحيحة لما أثبتها في كتابه.

ثالثًا. كتاب غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ): حيث أشار إلى الخطبة بقوله: «إنَّها خرجت في لـمَّة من نسائها تتوطَّأ ذيولها حتَّى دخلت على أبي بكر، فكلَّمته بذلك الكلام، وقد كنت كتبته وأنا أرى أنَّ له أصلًا، ثمَّ سألت عنه رجال الحديث، فقال لي بعض نَقَلة الأخبار: أنا أسنُّ من هذا الحديث وأعْرِفُ مَنْ عمله»[٣].

وإن تضمَّن النصّ إثبات الخطبة الفدكيَّة، إلَّا أنَّه عقَّب بكلام يُثير الشبهة حولها، ويمكن الجواب عنه بعدَّة نقاط:

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الجلاليّ، مؤسَّسة النشر، قم المقدَّسة، ج٣، ص٣٤.

(٢) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، لبنان، ج٥، ص٤١٥.

(٣) ابن قتيبة الدينوريّ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ج١، ص٢٦٦.

١. يتَّضح من كلام ابن قتيبة: «وقد كنت كتبته»، أنَّه وثَّق الخطبة كاملة، سواء أكان ذلك في كتاب مستقل أم ضمن أحد كتبه، إلّا أنَّه لم يصل إلينا لسبب نجهله، ولا يقال: يمكن أن يكون ابن قتيبة عمد على محوها، فإنَّه يقال: وإن أمكن ذلك، إلَّا أنَّه مجرَّد احتمال لا دليل عليه.

٢. يفيد كلامه: «وأنا أرى أنَّ له أصلًا»، اعتقاد ابن قتيبة بصحة الخطبة الفدكيَّة وعدم شكِّه فيها، وهذا المعنى ظاهر من خلال تأكيده مدلول الجملة بحرف التوكيد (أنَّ)، وبالفعل (أرى)، الدال على الاعتقاد الجازم[١]، وبتقديم المسند إليه (أنا)، على المسند (أرى)؛ للدلالة على تقوية الحكم وتقريره[٢].

٣. يظهر من كلام ابن قتيبة: «ثمَّ سألت عنه رجال الحديث»، أنَّه أثبت الخطبة الفدكيَّة ولم يسأل عنها أحد من رجال الحديث، وإنَّما اعتمد على علمه بالروايات الصحيحة عن غيرها، إلَّا أنَّه وبعد فترة سأل عنها رجال الحديث، وهذا المعنى ظاهر من خلال استعماله حرف العطف (ثمَّ)، الدال على مهلة تراخٍ بين المتعاطفين[٣].

٤. يتبيَّن من كلامه: «فقال لي بعض نَقَلة الأخبار: أنا أسنُّ من هذا الحديث وأعرف من عمله»، أنَّ من ذهب إلى عدم صحَّة الخطبة شخص واحد فقط، وهذا المعنى ظاهر من خلال مفردَتَين: (بعض)، الدالة على «تجزئة الشيء، وكلّ طائفة منه بعض»[٤]، ومن خلال مفرد: (أنا)، الضمير المنفصل للمتكلِّم الدالِّ على المفرد.

(١) رضيّ الدين الاسترآباذيّ، شرح الرضيّ على الكافية، مؤسَّسة الصادق، طهران، ١٩٧٥م، ج٤، ص١٤٩.

(٢) عبد العزيز عتيق، علم المعنى، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٣٨.

(٣) الرضيّ، شرح الرضيّ على الكافية، المصدر السابق، ص٣٨٩.

(٤) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٢٦٩، مادة (بعض).

٥. يتّضح من كلامه: «أنا أسنُّ من هذا الحديث وأعرف من عمله»، أنَّ من ذهب إلى عدم صحَّة الخطبة على أقل التقادير هو واهم؛ لأنَّ قوله: «أنا أسنُّ»؛ أي: أكبر سنًّا من تاريخ ظهور الخطبة، هو كلام منقوض برواية الخليل التي تفصله قرابة مائة عام.

بناءً على ما سبق يظهر ضعف اعتراض ابن قتيبة إن صحَّ تبنِّيه ذلك الرأي؛ لأنَّه جار وراء ظنٍّ محتمل، ومجانب ليقين ثابت عند جلِّ رواة الحديث.

رابعًا. كتاب بلاغات النساء، لأحمد بن طيفور (ت٢٨٠هـ): حيث أورد الخطبة كاملة[١]، وسُجِّلت عليه عدَّة اعتراضات يمكن بيانها بالنحو الآتي:

١. ذمُّه جعفر بن حمدان، «قال: ولم أرَ ممَّن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب وقول الشعر أكثر تصحيفًا منه ولا أبلد علمًا ولا ألحن، ولقد أنشدني شعرًا يعرضه عليَّ في إسحاق بن أيوب لحن في بضعة عشر موضعًا منه وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت، قال: وكذا قال لي البحتريّ فيه، وكان مع هذا جميل الأخلاق، ظريف المعاشرة، حلوًا من بين الكهول»[٢].

وهذا الكلام مع ما فيه من التناقض الظاهر؛ حيث يصفه بكثرة التصنيف والبلادة تارةً، وتارةً أخرى يصفه بالسرقة وحسن الخلق في آنٍ واحد، إلَّا أنَّه يتعارض مع توثيق أساطين علماء المذاهب السنيَّة له، أمثال الخطيب البغداديّ، بقوله: «كان أحد البلغاء الشعراء الرواة، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم»[٣]، ولعلَّ ما جعل جعفر بن حمدان يذمُّ ابن طيفور عدَّة

(١) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، بلاغات النساء، تحقيق: أحمد الألفيّ، مطبعة عبَّاس الأول، القاهرة، ط١، ١٩٠٨م، ص١٦.

(٢) ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ، ج٣، ص٨٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ج٤، ص٤٣٣.

أمور ترجع جميعها إلى عوامل شخصيَّة:

- مكانة ابن طيفور المرموقة عند حكَّام بني العبَّاس، حيث كان من المقرَّبين عندهم حتَّى قيل: إنَّه «من أولاد الدولة»[١]، في حين كان جعفر بن حمدان مشرَّدًا من الموصل إلى بغداد، يسعى نيل ثقة «المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما ناله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم»[٢].
- كثرة مصنَّفات ابن طيفور، كما صرَّح جعفر بن حمدان بذلك، حيث عدَّ له ابن النديم عشرات الكتب[٣]، ولعلَّه بسبب ذلك كان يحسب ابن طيفور منافسًا له، وبخاصَّة في كتب الشعر والشعراء والسرقات.
- نقد ابن طيفور البحتريّ بكتاب خاص أسماه «سرقات البحتريّ من أبي تمام»[٤]، وكان لجعفر بن حمدان علاقة حسنة بالشاعر البحتريّ، بل «وكانت بينه وبين البحتريّ مراسلة، ورثاه بعد وفاته»[٥]، ولعلَّ ذلك دفع الموصلِّيّ إلى ذمِّ ابن طيفور.

٢. قد يُقال: إنَّه شيعيّ المذهب، وبذلك تكون شهادته مجروحة، بناءً على رأي الطهرانيّ، حيث ذكر كتاب (بلاغات النساء)، في موضعَين عادَّه من تصانيف الشيعة: الموضع الأوَّل بقوله: «(بلاغات النساء)، لأبي الفضل الكاتب الورَّاق أحمد بن أبي طاهر طيفور المروزيّ الخراسانيّ البغداديّ، المولود سنة ٢٠٤هـ، والمتوفَّى سنة ٢٨٠هـ، وهو الموسوم بالمنثور والمنظوم في أربعة عشر جزءًا، طبع قطعة منه في مطبعة والدة عبَّاس سنة ١٣٢٦هـ، نقل عنه العلَّامة المجلسيّ في

(١) ابن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، مطبعة مصر، ايران، ط١، ١٩٧١م، ص١٦٤.
(٢) الحمويّ، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج٧، ١٩٤.
(٣) ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق، ص١٦٦.
(٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص١٦٤.
(٥) الحمويّ، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج٧، ١٩٢.

البحار خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالمدينة، وخطب نساء أهل البيت بالكوفة والشام»[1]، والموضع الثاني بقوله: «الذي يظهر تشيُّع مؤلِّفه»[2]، ويمكن دفع هذه الشبهة بالنحو الآتي:

- إنَّ العلَّامة الطهرانيّ لم يعتمد على بيِّنة ظاهرة عند نسبته ابن طيفور للمذهب الشيعيّ سوى أمرَين، كلاهما لا يمكن التعويل عليه، أمَّا في الموضع الأوَّل فهو يستدلُّ على نسبة ابن طيفور للمذهب الشيعيّ كما يظهر من النصِّ بنقل المجلسيّ عنه في البحار، وهذا الكلام لا يمكن قبوله؛ لأنَّ المجلسيّ لم يقتصر على مصنَّفات الشيعة في توثيق فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإنَّما اعتمد على مرويَّات جمهور المسلمين كما هو مثبت في البحار، وأمَّا في الموضع الثانيّ فهو لم ينفِ كونه سنيًّا، وإنَّما احتمل انتقاله إلى المذهب الشيعيّ، وهذا المعنى ظاهر من خلال أمرَين، الأوَّل: إنَّه لم يقطع بالقول، بل استظهر ذلك من باب الاحتمال بقوله: «يظهر»، وأمَّا الأمر الثاني: من خلال كلمة «تشيَّع»، التي استعملها على وزن: «تفعَّل»، والتي من معانيها المطاوعة الدالَّة على التأثير في حقيقة الشيء وتحوُّلها تدريجيًّا، نحو: علَّمته فتعلَّم، وكسرته فتكسر[3].
- كلُّ أصحاب التراجم من أساطين السنَّة الذين ذكروا ابن طيفور لم يذكروا كونه شيعيًّا، ولو من باب الاحتمال، مع دأبهم على إثبات مذهب المخالفين للطائفة السنيَّة، ومنهم الخطيب البغداديّ الذي دأب ذِكر مذهب الراوي أو المترجَم له إمَّا بقوله: شيعيًّا، أو بقوله:

(١) بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ج٣، ص١٤٢.
(٢) بزرك الطهراني، المصدر نفسه، ج٢٦، ص١٢٦.
(٣) رضي الدين الاسترآباذيّ، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمَّد نور وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ج١، ص١٠٣-١٠٤.

رافضيًّا[1].

- لو كان شيعيًّا لاستغلَّ ذلك أعداؤه؛ للتنكيل به أمام سلاطين بني العبَّاس، والنيل منه، وبخاصَّة أنَّه عاصر حكم المتوكِّل الذي كان «شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظًا على جماعتهم، مهتمًّا بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظنِّ والتهمة لهم»[2].

٣. قد يُقال: إنَّ رواية ابن طيفور للخطبة الفدكيَّة مقطوعة؛ فهو يروي عن زيد الشهيد (ت١٢٢هـ)، بقوله: «ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله، كلام فاطمة عليها السلام»[3]، ومن المعلوم أنَّ الفترة التي تفصل بين وفاة زيد وولادة ابن طيفور تزيد على الثمانين عامًا، وعليه كيف روى عنه وكلَّمه؟! ويمكن الإجابة عن ذلك بالنحو الآتي:

- أثبتت المصادر المعتبرة أنَّ المراد من زين بن عليّ هو حفيد زيد الشهيد، المطابق له في الكنية والاسم الثلاثيّ؛ فكلاهما يكنى بـ(أبي الحسين)، وكلاهما اسمه: (زيد بن عليّ بن الحسين)، وهذا الخلط بين اسم الحفيد والجدِّ أوضحه الشريف المرتضى مُسندًا عن عبد الله بن أحمد ابن طيفور؛ حيث قال: «وأخبرنا أبو عبد الله المرزبانيّ، قال: حدَّثني عليّ بن هارون، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن [عليّ بن الحسين بن زيد بن] عليّ ابن الحسين بن زيد ابن عليّ كلام فاطمة عليها السلام، عند منع أبي بكر إيَّاها

(١) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، مصدر سابق، على سبيل المثال ينظر: ج١، ص١٠٧، و١٣٦، و٣٢٤، و٣٤٥، و٤٥٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ط٢، ١٩٦٥م، ص٣٩٥.

(٣) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٦.

فدك»[1]، وعلى هذا يكون بين ابن طيفور وزيد الشهيد خمس وسائط، وأغلب الظنِّ أنَّه لم يُوضِّح ذلك في بلاغات النساء؛ لشهرة الحفيد حينها بين عامَّة المسلمين، فالتفريق بينهما ظاهر ولا لبس فيه، والظاهر حصول الخلط بينهما بعد تقادم الزمن، وهذا الأمر دفع أصحاب التراجم التفريق بينهما صراحة، ومنهم المزِّيّ بقوله: «وزيد بن عليّ الأصغر، وهو زيد ابن علي بن الحسين بن زيد بن عليّ الأكبر ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب»[2]، وقال ابن حجر: «تمييز: زيد بن عليّ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب أبو الحسين»[3].

- ذكر ابن طيفور في موضع آخر ما نصُّه: «حدَّثني جعفر بن محمَّد، رجل من أهل ديار مصر، لقيته بالرافقة، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا موسى ابن عيسى، قال: أخبرنا عبد الله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن عليّ رحمة الله عليه، عن عمَّته زينب بنت الحسين عليهما السلام»[4]، حيث يتضح من النص رواية ابن طيفور عن زيد الشهيد بخمس وسائط، وهذا الكلام يمكن عدّه قرينة منفصله تبيّن حلّ إشكال انقطاع الرواية.

٤. قد يقال: إنَّ ابن طيفور نفسه لم تثبت عنده صحَّة الخطبة الفدكيَّة، وهذا المعنى ظاهر بقوله في موضعَين، الأوَّل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب صلى الله عليه وآله، كلام فاطمة عليها السلام، عند منع أبي بكر إيَّاها فدك،

(١) المرتضى، الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزهرة الخطيب، مؤسَّسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٧، ج٤، ص٧٦.

(٢) أبو يوسف المزِّيّ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٢٣، ص١٩٢.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج٣، ص٣٦٢.

(٤) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٩.

وقلت له: إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّه مصنوع، وأنَّه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغة على الكلام»[1]، والثاني: قوله: «وقد ذكر قوم: إنَّ أبا العيناء ادَّعى هذا الكلام، وقد رواه قوم وصحَّحوه، وكتبناه على ما فيه»[2].

ويُردُّ على هذا الإشكال بالنحو الآتي:

- يمكن القول: إنَّ ابن طيفور لا يختلجه الشَّكُّ في صحَّة الخطبة، وهذا المعنى ظاهر من خلال استعماله مفردة «يزعمون»، الدالَّة على «القول من غير صحَّة ولا يقين»[3]، وأمَّا في الموضع الثاني فهو يصرِّح بأنَّ الخطبة رواها قوم؛ أي: جمع من الرواة، وصحَّحوا روايتها، ولم يعترض على التصحيح؛ لذلك يمكن القول بضرسٍ قاطع: الخطبة صحيحة عند ابن طيفور.
- ردَّ زيد بن عليّ الأصغر هذا الزعم، بقوله: فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلِّمونه أبناءهم، وقد حدَّثنيه أبي عن جدِّي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدُّ أبي العيناء، وقد حدَّث به الحسن بن علوان عن عطيَّة العوفي إنَّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه؟»[4].
- الظاهر من كلام ابن طيفور أنَّ المشكِّكين بالخطبة يُجمعون على أنَّ واضعها هو أبو العيناء، وهذا الاحتمال أو الزعم ظهر بطلانه بأمور ثلاثة، الأوَّل: كلام زيد بن عليّ بنفي ذلك صراحةً، والثاني: استدراك ابن طيفور بقوله: «وقد رواه قوم وصحَّحوه»، والثالث: إثبات الفراهيديّ

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٦.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء، المصدر نفسه، ص١٩.
(٣) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج٣، ص١٠، مادَّة: (زعم).
(٤) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٦.

بما يدلُّ على الخطبة، وكونها مشهورة عند عامَّة المسلمين قبل ولادة أبي العيناء بعشرات السنين.

٥. احتجَّ بعضهم على كون الخطبة موضوعة لما تتَّسم به من بلاغة عالية، وهذا المعنى أُثبت في نصِّ ابن طيفور بين قوسين: «الخبر منسوق البلاغة على الكلام»؛ أي: إنَّ الخطبة مختارةٌ ألفاظها بعنايةٍ ودقَّةٍ وتدبُّرٍ عالٍ، وهذا يخالف العفويَّة والارتجال المرويّ للحادثة، وهذا المدَّعى، على سذاجته، يمكن الإجابة عنه بالنحو الآتي:

- بغضِّ النظر عن المكانة القدسيَّة التي تمتاز بها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فلا يخفى على أحد انتماؤها إلى بيئة قريش التي تمتاز عن غيرها بالفصاحة والبلاغة، حتَّى قيل: إنَّها «أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ»[١].
- بناءً على مكانتها القدسيَّة عند المذاهب السنيَّة، فإنَّها تنتمي إلى رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، الوارد عنه في بيان فصاحته وبلاغته من الأحاديث الثابتة لديهم الكثير، منها الحديث المشهور «أنا أفصح العرب بيد أنِّي من قريش»[٢].
- بناءً على هذا الرأي، ومن باب الفرض، يمكن القول: إنَّ المصادر لم تبيِّن بشكلٍ واضحٍ حال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، قبل خطبتها من كونها أعدَّت تلك الخطبة قبل ذهابها إلى مجلس أبي بكر أم لا، وعليه فلا يبعد كون الخطبة معدَّة مسبقًا، ولا يعدُّ ذلك عيبًا على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ فلذلك جاءت بهذا النسق من البلاغة في الكلام، وعندها لا يبقى للاستغراب مجال.

---

(١) جلال الدين السيوطيّ، الاقتراح في أصول النحو، دار البيروتيّ، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦م، ص١٥٤.

(٢) العينيّ، عمدة القارئ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ج١٦، ص٦٥.

يظهر ممَّا سبق الفكر المتدنِّي لبعض رجالات المذاهب السنِّيَّة في بيان منزلة أهل بيت النبوَّة عليهم السلام؛ حيث يستكثروا عليهم خطبة منسوقة الألفاظ لا لأجل شيء، وإنَّما لأجل إثبات باطلٍ افتروه عليهم، ونفي ما ثبت من كلامهم بشتَّى المزاعم الشوهاء.

٦. قد يُقال: إنَّ ابن طيفور روى الخطبة عن زيد الشهيد عن طريق بعض المجاهيل، وهذا ثابت بقوله: «حدَّثني جعفر بن محمَّد، رجل من أهل ديار مصر، لقيته بالرافقة، قال: حدَّثني أبي، قال: أخبرنا موسى بن عيسى، قال: أخبرنا عبد الله بن يونس، قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن عليّ رحمةُ الله عليه، عن عمَّته زينب بنت الحسين عليهما السلام»[1]، حيث إنَّ جعفر بن محمَّد رجل من ديار مصر غير معروف، فضًلا عن أبيه.

يمكن الجواب عن ذلك الإشكال بما حاصله: إنَّ ابن طيفور روى الخطبة بعدَّة طرق، منها عن طريق جعفر بن محمَّد، وهو صرَّح بذلك، وأغلب الظنِّ أنَّ روايته الخطبة عن جعفر يحمل دلالة واضحة مفادها: كون ابن طيفور بهذه الرواية يريد تفنيد زعم من يذهب إلى كون الخطبة من صناعة أبي العيناء؛ وذلك من خلال إثبات شهرتها بين المسلمين وفي مختلف البلدان، والتي منها مصر، ومن عدَّة طرق، وهذا الأمر لا محالة يقطع الشكَّ عند كلِّ مُنصف؛ إذ لو كان أبو العيناء واضعًا الخطبة؛ لما اشتهرت بين مختلف أصقاع المسلمين.

خامسًا: كتاب السقيفة وفدك، لأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ (ت٣٢٣هـ): حيث ذكر الخطبة كاملة، وقد أُثير ضدَّ الكتاب ومؤلِّفه عدَّة شبهات، سنُبيِّن عددًا منها مع جوابه بالنقاط الآتية:

١. الكتاب أصله مفقود، فلا يمكن الاعتماد عليه، وجواب هذا الإشكال يمكن

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٩.

إيجازه بالبيان الآتي: حيث مُني العالم الإسلاميّ، وبخاصَّة بغداد، بكوارث أدَّت إلى ضياع كثير من شواهده التراثيَّة، حيث أدَّت الغزوات الخارجيَّة والداخليَّة إلى فقدان آلاف الكتب، وبخاصَّة التراث الشيعيّ؛ حيث أثبتت المصادر المعتبرة الاعتداء على أتباع المذهب الشيعيّ ونهب ممتلكاتهم عدَّة مرَّات، كان منها قبيل سقوط بغداد على يد المغول بسنة دارت بينهما «حرب عظيمة نُهبت فيها الكرخ ومحلَّة الرافضة حتَّى نُهبت دور قرابات الوزير»[1]، ثمَّ جاء غزو المغول، فعمدوا إلى تخريب وهدم كلِّ المراكز العلميَّة من مدارس ومكتبات ومساجد ورموا كتبها «في بحر الفرات، وكانت لكثرتها جسرًا يمرُّون عليها ركبانًا ومشاة، وتغيَّر لون الماء»[2]، فلا غرابة عندها من فقدِ آلاف من الكتب ومنها كتاب (السقيفة وفدك)، إلَّا أنَّ هذا الأمر لا يمكن عدَّه ضياعًا للحقيقة ما دام العلم محفوظًا في بطون الكتب الأخرى، وما يهمُّنا في كتاب (السقيفة وفدك)، هو ذِكر الخطبة الفدكيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، التي وثَّقتها من المصادر السنيَّة المعتبرة كتاب (شرح نهج البلاغة)؛ حيث قال: «فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم، لأنَّا مشترطون على أنفسنا ألَّا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبى بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في السقيفة وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله»[3]. وعليه تكون الغاية التي نسعى إلى بلوغها متحققة سواء أكان أصل الكتاب موجودًا

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج١٣، ص٢٣٤.

(٢) محمَّد بن أحمد النهروانّي، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجاريَّة، مكَّة المكرَّمة، ١٩٩٦م، ص٢٠٦.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، ١٩٦٢م، ج١٦، ص٢١٠.

أم لم يكن موجودًا ما دام الكلام معتمد على شاهد يوثق به، ولا ريب أنَّ من أثبت تلك الحقيقة موصوف عندهم بالفضل والوثاقة والفقاهة[١].

٢. مصنِّف الكتاب مجهول؛ فلم تثبت له ترجمة.

تعدُّ كتب التراجم من المصنَّفات التي حظيت باهتمام كبير عند علماء المسلمين وفي مختلف العصور، وبخاصَّة تراجم الرواة ورجال الحديث؛ كون «الأحاديث هي الركيزة الثانية في الشريعة»[٢] الإسلاميَّة، ويعدُّ الجوهريّ من الرواة المبرَّزين في زمانه؛ حيث اعتمد عليه في الرواية جلُّ أصحاب مصنَّفات السنن والآثار، إلَّا أنَّ من المستغرَب ندرة ترجمته سوى نزر قليل متناثر في بطون الكتب، منها ما أثبته أبو أحمد العسكريّ (ت٣٨٢هـ)، بقوله: «أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، كان ضابطًا صحيح العلم»[٣]، ومنها: ما أثبته ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، بقوله: «وأبو بكر الجوهريّ هذا عالم محدِّث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدِّثون ورووا عنه مصنَّفاته»[٤]، أمَّا ما ذُكِر في وثاقته وضبطه ضمنًا فعشرات الموارد؛ وذلك من خلال رواية أساطين علماء المذاهب السنيَّة عنه، وفي ذلك يمكن بيان عدد منهم بالنحو الآتي:

- أبو الفرج الأصفهانيّ (ت٣٥٦هـ)، حيث روى عنه في كتاب الأغاني موارد كثيرة جدًّا[٥].

(١) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج٥، ص٣٩٢.

(٢) ميمونة مرغي حمزة، دراسات في منهجيَّة البحث التاريخيّ، دار الخليج، عمان، ط١، ٢٠١١م، ص٦٤.

(٣) الحسن بن عبد الله العسكريّ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر، ص٤٥٧.

(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج١٦، ص٢١٠.

(٥) أبو الفرج الأصفهانيّ، الأغاني، إحياء التراث العربيّ، بيروت، منها: ج١، ص٢-٣، ٥، ١٠، ١٢، ١٨، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٥٤، ٦٦، ٦٨، وغيرها.

- الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، في أغلب مصنَّفاته الروائيَّة، وعدَّه من مشايخه، بقوله: «هذا أوَّل كتاب فوائد مشائخي الذين كتبت عنهم بالأمصار، خرجت عن كلِّ واحدٍ منهم حديثًا واحدًا، وجعلت أسماءهم على حروف المعجم»[١]، حيث روى عنه في معجمه الصغير[٢]، والأوسط[٣]، والكبير[٤].
- أبو أحمد العسكريّ (ت٣٨٢هـ)، حيث روى عنه في مختلف كتبه، والتي منها كتاب تصحيفات المحدِّثين[٥]، وكتاب المصون في الأدب[٦].
- القاضي التنوخيّ (ت٣٨٤هـ)، حيث روى عنه في كتبه، والتي منها: المستجاد من فعلات الأجواد[٧]، وفي كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة[٨].

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ، المعجم الصغير، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج١، ص٧.
(٢) الطبرانيّ، المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.
(٣) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ، المعجم الأوسط، تحقيق ونشر: دار الحرمَين، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٨٠.
(٤) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيُّوب الطبرانيّ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، روى عنه في عدَّة مواضع، منها: ج١، ص٢٣٨، وج٨، ص٨٩.
(٥) أبو أحمد العسكريّ، تصحيفات المحدِّثين، تحقيق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربيَّة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، حيث روى عنه عشرات المواضع، منها: ج١، ص٨٠، ١٠٧، ١٢٨، ٣٧٢، وج٢، ص٤٢٩، ٤٥١-٤٥٢، ٥٣٦، ٥٥١، ٨٣٤، وغيرها.
(٦) أبو أحمد العسكريّ، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط١، ١٩٦٠م، حيث روى عنه عدَّة مواضع، منها: ص١٣٧، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٨-١٩٩.
(٧) القاضي التنوخيّ، المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق ونشر: محمَّد كردعلّي، ١٩٧٠م، ص٩٦.
(٨) القاضي التنوخيّ، نشوار المحاظرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجيّ، بيروت، ١٩٧٣م، ج٥، ٢٠٤، وج٦، ص٥٢، وج٧، ص٣٣، وص٢٩٩.

- الدارقطنيّ (ت٣٨٥هـ)، حيث روى عنه عدَّة مواضع في سننه[١].
- أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، حيث روى عنه في كتاب الأوائل[٢].
- القضاعيّ (ت٤٥٤هـ)، حيث روى عنه في كتبه، التي منها: مسند الشهاب[٣]، ودستور معالم الحكم[٤].
- الخطيب البغداديّ (ت٤٦٣هـ)، حيث روى عنه في كتبه موارد كثيرة، منها في تاريخ بغداد[٥]، وفي كتاب تقييد العلم[٦].
- ابن عبد البرّ (ت٤٦٣هـ)، روى عنه في التمهيد[٧].
- ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، روى عنه في تاريخ مدينة دمشق مواضع كثيرة جدًّا[٨].

(١) الدارقطنيّ، سنن الدارقطنيّ، تحقيق: مجدي الشوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص١٤٧، ١٥١.

(٢) أبو هلال العسكريّ، كتاب الأوائل، روى عنه في مواضع كثيرة، منها: ص١٧، ٤٥، ٧٦-٧٧، ١٠١، ١٩٠، وغيرها.

(٣) محمَّد بن سلامة القضاعيّ، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ص١٦٨.

(٤) محمَّد بن سلامة القضاعيّ، دستور معالم الحكم، مكتبة المفيد، قم المقدَّسة، ص١٩٩.

(٥) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، مصدر سابق، منها: ج٣، ص٣٥٠، وج٧، ص١٧٣، وج١٣، ص٣١٦.

(٦) الخطيب البغداديّ، تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنَّة النبويَّة، ط٢، ١٩٧٤م، ص٣٩.

(٧) ابن عبد البرِّ، التمهيد، تحيقيق: مصطفى بن أحمد العلويّ ومحمَّد البكريّ، وزارة عموم الأوقاف الشؤون الدينيَّة، المغرب، ١٣٨٧هـ، ج٦، ص١٧٠.

(٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، منها في: ج٩، ص١٤٢، وج١٢، ص١٧٤، وج١٥، ص١٤٠، وج١٦، ص١٧٣، وج٣٤، ص١٧٩، وج٤٥، ص٣٤٣، وج٤٨، ص٤٠١، وج٥١، ص١٥٣.

- ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ)، روى عنه في كتاب: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك[١].
- ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، روى عنه في كتبه، والتي منها: الإصابة في معرفة الصحابة[٢]، وفي تهذيب التهذيب[٣]، وفي لسان الميزان[٤]، وغيرها العشرات من المصادر الموثوقة التي اعتمد مصنِّفوها الرواية عن الجوهريّ، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ بلا ريب على ضبط الجوهريّ ووثاقة في مجال الرواية.

٣. قيل: كون الجوهريّ شيعيًّا؛ وعليه تكون روايته مجروحة، وجواب هذه الشبهة يكون بالنحو الآتي:

يظهر من خلال تتبُّع كتب الفهارس التي صنَّفها الشيعة أنَّ أوَّل من ذَكر الجوهريّ هو الشيخ الطوسيّ في كتابه (الفهرست)، بقوله: «أحمد ابن عبد العزيز الجوهريّ له كتاب السقيفة»[٥]، من دون أن يصرِّح كونه من رجال الشيعة أم لا، وتابعه على ذلك آخرون، منهم: ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)[٦]، والسيِّد بحر العلوم (ت١٢١٢هـ)[٧]، والعلَّامة

(١) ابن الجوزيّ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج١٢، ص٩٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعليّ معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٣، ص١٢٨.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٩.

(٤) ابن حجر، لسان الميزان، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ج١، ص٤٥٣.

(٥) الشيخ الطوسيّ، الفهرست، تحقيق: جواد الفيوميّ، مؤسَّسة نشر الفقاهة، إيران، ط١، ١٤١٧هـ، ص٨٣.

(٦) ابن شهر آشوب، معالم العلماء، مطبعة فردين، طهران، ١٣٥٣ ق، ص١٨.

(٧) مهدي بحر العلوم، الفوائد الرجاليَّة، تحقيق: محمَّد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ط١، ١٣٦٣ش، ج٤، ص١١٨.

الأمينيّ (ت١٣٧١هـ)[١]، والطهرانيّ (ت١٣٧٩هـ)[٢]، والسيِّد الخوئيّ (ت١٤١٣هـ)[٣].

بناءً على ما سبق، يظهر أنَّ هذه الشبهة مستندة على مصدر واحد، هو كتاب الفهرست للشيخ الطوسيّ، وعند تتبُّع هذا الكتاب بشكلٍ موجَز وسريع، يجد القارئ أنَّ الشيخ الطوسيّ لم يخصِّص كتاب الفهرست لرجال الشيعة فقط؛ وهذا يظهر من قوله في مقدِّمة الكتاب: إنَّ «كثيرًا من مصنِّفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة»[٤]، وعليه فلا يعدُّ ذِكره في الفهرست دليلًا على كون الجوهريّ شيعيًّا؛ لأنَّ كلام الشيخ فيه مُجمل؛ ولعلَّه لأجل ذلك لم يوثِّقه السيِّد الخوئيّ[٥].

سادسًا: الفايق في غريب الأثر، لجار الله الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ): حيث أشار إلى الخطبة الفدكيَّة بقوله: «وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها: إنَّها خرجت في لـمَّة من نسائها تتوطَّأ ذيلها، حتَّى دخلت على أبي بكر»[٦]، وحسب اطِّلاعي لم تسجَّل عليه أيُّ شبهة أو إشكال.

سابعًا: التذكرة الحمدونيَّة، لابن حمدون (ت٥٦٢هـ): حيث أورد الخطبة الفدكيَّة كاملة[٧]، وحسب اطِّلاعي لم تسجَّل عليه أيُّ شبهة أو إشكال.

(١) محسن الأمينيّ، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمينيّ، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص٢٩٨.
(٢) بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٠٦.
(٣) السيِّد الخوئيّ، معجم رجال الحديث، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص١٤٢.
(٤) الشيخ الطوسيّ، الفهرست، مصدر سابق، ص١٥.
(٥) السيِّد الخوئيّ، معجم رجال الحديث، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٢.
(٦) الزمخشريّ، الفايق في غريب الأثر، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٣، ص٢١٢.
(٧) ابن حمدون، التذكرة الحمدونيَّة، تحقيق، إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٦، ص٢٥٥.

ثامنًا: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت٦٠٦هـ): أشار إلى الخطبة الفدكيَّة بقوله: «في حديث فاطمة: إنَّها خرجت في لـمَّة من نسائها، تتوطَّأ ذيلها، إلى أبي بكر فعاتبته؛ أي: في جماعة من نسائها»[1]، وحسب اطِّلاعي لم تسجَّل عليه أيُّ شبهة أو إشكال.

تاسعًا: جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، للباعونيّ الشافعيّ (ت٨٧١هـ): حيث أورد الخطبة كاملة[2]، وحسب اطِّلاعي لم تسجل عليه أيُّ شبهة أو إشكال.

يتَّضح ممَّا سبق المصادر الكثيرة المعتبرة التي وثَّقت الخطبة الفدكيَّة، ولعلَّ الباحث الـمُجدّ يحصل على أضعاف ما ذُكِر، وبخاصَّة المصادر المغمورة التي لم تَرَ النور بعد، كما اتَّضح أنَّ جلَّ الشبهات مختلقة لا تمثِّل حائلًا لإخفاء ملامح هذا الطود العظيم من تراث أهل البيت عليهم السلام.

(١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمَّد الطناحيّ، مؤسَّسة إسماعيليان، قم المقدَّسة، ط٤، ١٣٦٤ش، ج٤، ص٢٧٣.

(٢) محمَّد بن أحمد الباعونيّ، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ط١، ١٤١٥هـ، ج١، ص١٥٥.

المطلب الثاني

دفع الشبهات عن البُعد الدلاليّ للخطبة الفدكيَّة

يُسلَّط الضوء في هذا المطلب على أهمِّ المحطَّات الدلاليَّة في الخطبة الفدكيَّة؛ حيث ضمَّت خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دلالات موافقة، والنصوص القطعيَّة الثابتة في كتب الصِّحاح عند المذاهب السنيَّة، بل ثبت في الصِّحاح ما هو أشدُّ دلالة في ذمِّ القوم الذين اعتدوا على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ممَّا هو مثبت في الخطبة الفدكيَّة؛ ولذلك اعترض السيِّد زيد بن عليّ الأصغر، كما أثبت ابن طيفور، بقوله: «وكيف يُذكَر هذا من كلام فاطمة فينكرونه، وهم يرون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحقَّقونه، لولا عداوتهم لنا أهل البيت»[1]، ولعلَّ من جملة النصوص التي تحمل دلالة أشدَّ تعنيفًا من الخطبة الفدكيَّة، ما رواه ابن قتيبة عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، والتي منها: «**فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقًّا**»[2]، ومنها: خطاب السيِّدة فاطمة عليها السلام لأبي بكر وعمر: «**أنشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟** قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم، قالت: **فإنِّي أُشهد الله وملائكته إنَّكما أسخطتماني،**

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق، ص١٦.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمَّد الزينيّ، مؤسَّسة الحلبيّ، ج١، ص١٩.

وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبيّ لأشكونّكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذٌ بالله تعالى، من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: **والله لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاة أُصلِّيها**»[1]، وغيرها من النصوص التي سيثبت ما أمكن منها عند بيان الدلالات الرئيسة للخطبة الفدكيَّة بالنقاط الآتية:

١. مصادرة السلطة الحاكمة إرث السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

٢. استمرار مطالبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بالإرث حتَّى وفاتها.

أثبتت أمَّات مصادر المذاهب السنيَّة هذَين المدلولَين بنصوص واضحة وصريحة، ومن ذلك ما رواه البخاريّ عن عائشة قولها: «إنَّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلَّم، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنَّما يأكل آل محمَّد في هذا المال وأنِّي والله لا أغيِّر شيئًا من صدقة رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا»[2]. وقريب منه ما رواه مسلم عن عائشة بقولها: «إنَّ فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم سألت أبا بكر، بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، أن يقسم لها ميراثها، ممَّا ترك رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم، ممَّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، قال: لا نورث ما تركنا صدقه. قالت: عاشت بعد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم ستَّة أشهر، وكانت فاطمة

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، مصدر سابق، ج١ ص٢٠.

(٢) محمَّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٥، ص٨٢.

تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك؛ قال: فأمَّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعبَّاس فغلبه عليها عليّ، وأمَّا خيبر وفدك فأمسكها عمر، وقال: هما صدقة رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، وكانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرها إلى من وليَ الأمر»[1].

يتبيّن ممَّا سبق إنَّ قضيَّة استيلاء السلطة الحاكمة على إرث السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أمرٌ قطعيّ دلالةً وسندًا؛ فلذلك لم يُنكِره أحد من علماء المذاهب السنيَّة، وعليه من المفترَض أن تكون خطبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في هذا الجانب الدلاليّ، الذي حاز على مساحة دلاليَّة كبيرة في الخطبة، لا ريب فيه ولا شبهة؛ لأنَّه موافقٌ والنصوص التي أثبتتها أمَّات مصادرهم.

٣. **الغضب الشديد للسيِّدة الزَّهراء** عليها السلام، على رأس السلطة الحاكمة (أبو بكر)؛ كونه لم يستجب لطلبها، واستمرار هذا الغضب طيلة حياتها، وهذا المعنى صرَّحت به أمَّات مصادر المذاهب السنيَّة، ومنه ما رواه البخاريّ ومسلم عن عائشة بقولها: «فوَجَدَت فاطمة على أبي بكر في ذلك؛ فهجرته فلم تكلِّمه حتَّى توفِّيت»[2]، ومنه ما رواه أحمد بن حنبل بقوله: «فغضبت فاطمة عليها السلام؛ فهجرت أبا بكر رضي الله عنه، فلم تزل مهاجِرته حتَّى توفِّيت»[3].

يظهر ممَّا سبق أنَّ مسألة غضب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، على أبي بكر ثابتة في المصادر الصحيحة عند المذاهب السنيَّة، وعليه يُفترض أن يكون هذا المدلول لا شائبة ولا شبهة ولا اعتراض عليه؛ لأنَّ الخطبة لم تنفرد به، حتَّى يُقال: إنَّه من الأحاديث الشاذَّة، ثمَّ إنَّ

(١) مسلم بن الحجَّاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت،، ج٥، ص١٥٥.
(٢) البخاريّ، صحيح البخاريّ، مصدر سابق، ج٥، ص٨٢، ومسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٥، ص١٥٤.
(٣) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، ج١، ص٦.

النصوص الصحيحة أثبتت استمرار غضب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام طيلة حياتها، ولم تَرضَ على أبي بكر، بل هجرته ولم تكلِّمه حتَّى توفِّيت، وهذا المعنى يعارض ما جاء في ذيل الخطبة برواية ابن طيفور: «قالت: إنَّ الله يقول عن نبيٍّ من أنبيائه: يرثني ويرث من آل يعقوب، وقال: وورث سليمان داوود، فهذان نبيَّان، وقد علمت أنَّ النبوَّة لا تورث وإنَّما يورث ما دونها، فما لي أُمنع إرث أبي؟ أأنزل الله في الكتاب إلَّا فاطمة بنت محمَّد فتدلَّني عليه فاقنع به؟ فقال: يا بنت رسول (الله)، أنت عين الحجَّة، ومنطق الرسالة، لا يدلي بجوابك، ولا أدفعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقَّدت، وأنبأني بما أخذت وتركت، قالت: فإن يكن ذلك كذلك فصبرًا لمرِّ الحقِّ، والحمد لله إله الخلق»[1].

والجواب عن هذه الشبهة يمكن أن يكون بالبيان الآتي:

إنَّ كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «**فإن يكن ذلك كذلك فصبرًا لمرِّ الحقِّ والحمد لله إله الخلق**»، لم يثبت إقرارها بصحَّة ادِّعاء أبي بكر؛ كونها جعلت القضيَّة شرطيَّة؛ أي إنَّها جعلت الصبر مشروطًا وموقوفًا على صحَّة ادِّعاء أبي بكر، أي إن لم يثبت صحَّة ادِّعاء أبي بكر فلا صبر ولا فتور عن المطالبة بالحقِّ؛ ولذلك «كانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، من خيبر وفدك وصدقَته بالمدينة»[2]، ودلالة تكرار سؤال ومطالبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لإرثها ظاهرة من خلال الفعل المضارع (تسأل)، المسبوق بـ(كان)؛ «فسبقُ الفعل المضارع بـ(كان)، له دلالتان: تكرُّر الحدث ووقوعه أكثر من مرَّة، والدلالة الأخرى أنَّ الحدث كان مستمرًّا في ذلك الأخبار»[3].

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، مصدر سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٥، ص١٥٥.

(٣) فاضل السامرَّائيّ، معاني النحو، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٣١٩.

على فرض أنَّ مضون ذيل الخطبة دالٌّ على قبول السيِّدة فاطمة عليها السلام دعوى أبي بكر، فيمكن القول: إنَّ هذا المضمون معارض بما ثبت من النصوص القطعيَّة، وعليه فلا يؤخَذ به؛ لأنَّ الأحاديث المرويَّة في الصِّحاح عند المذاهب السنيَّة يحكمون عليها كونها قطعيَّة الصدور، وبخاصَّة ما جاء في كتابَي البخاريّ ومسلم؛ إذ اتَّفق علماؤهم على أنَّهما «أصحُّ الكتب بعد القرآن العزيز»[1]؛ وعليه فلا تصمد معارضة ذيل الخطبة برواية ابن طيفور، وما ثبت في الصحيحين؛ لأنَّه من باب معارضة الظنِّيّ بالقطعيّ»، والقطعيّ مقدَّم على الظنِّيّ، كالنصِّ يردُّ الاجتهاد»[2].

إنَّ قوله: «هذا أبو الحسن بيني وبينك، هو الذي أخبرني بما تفقَّدت، وأنبأني بما أخذت وتركت»، فيه تناقض صريح لنصوص كثيرة أثبتت استمرار مطالبة الإمام عليّ عليه السلام بالإرث حتَّى بعد موت أبي بكر، وفي ذلك روى البخاريّ عن عمر بن الخطَّاب، مخاطبًا العبَّاس بن عبد المطلب والإمام عليّ عليه السلام بقوله لهما: «جئتماني تكلِّماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد، جئتني يا عبَّاس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا – يريد عليًّا– يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلتُ لكما: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال: لا نورث ما تركنا صدقة»[3]، وأكثر تفصيلًا من ذلك ما رواه مسلم لِما دار من حديث بين عمر بن الخطَّاب والعبَّاس بن عبد المطَّلب والإمام عليّ، بقوله لهما: «فلمَّا توفِّي رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، قال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: ما نورث ما تركنا صدقة، فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم أنَّه لصادق بارٌّ راشد تابع للحقِّ، ثمَّ

(١) النوويّ، شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ج١، ص١٤.
(٢) محيي الدين النوويّ، المجموع، دار الفكر، بيروت، ج١٤، ص١٨٦.
(٣) البخاريّ، صحيح البخاريّ، مصدر سابق، ج٤، ص٤٤.

توفِّي أبو بكر، وأنا وليُّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، ووليُّ أبى بكر، فرأيتماني كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا، والله يعلم أنِّي لصادق بارٌّ راشد تابع للحقِّ فوليتها، ثمَّ جئتني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلتُ: إن شئتم دفعتها إليكما على أنَّ عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فأخذتماها بذلك، قال: أ كذلك؟ قالا: نعم، قال: ثمَّ جئتماني لأقضي بينكما، ولا والله، لا أقضي بينكما بغير ذلك حتَّى تقوم الساعة، فان عجزتما عنها فردَّاها إليَّ»[1].

وعليه كيف يكون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو الذي أخبر أبا بكر بحديث رسول الله عليه السلام، «لا نورث»، ومع ذلك طالبه بإرث الزَّهراء عليها السلام، ولم يتوانَ عن ذلك في حكم عمر بن الخطَّاب، بل استمرَّ بالمطالبة؟ فالتناقض فيه صريح لا مجال لمعالجة دلالته إلَّا بطرحه وعدم قبوله؛ فأقرب الظنِّ تكون هذه الزيادة التي انفرد بها ابن طيفور موضوعة عليه.

بيَّنت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ظلامة القوم لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام باستيلائهم على حقِّه الشرعيّ لخلافة رسول محمَّد صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى أيضًا لم تنفرد به الخطبة الفدكيَّة، بل أثبتته أمَّات المصادر السنيَّة، والتي أثبتت في حجَّة الوداع وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله الصريحة لأمير المؤمنين عليه السلام، بالخلافة: «**إنِّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يتفرقا حتَّى يرِدَا عليَّ الحوض**»[2]، وفي هذا المضمون عشرات الأحاديث المشهورة المبيَّنة وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، في غدير خمّ لأمير المؤمنين عليه السلام، بالخلافة، والتي منها: «كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، بطريق مكَّة، وهو موجَّه إليها، فلمَّا بلغ غدير خمّ وقَّف الناس، ثمَّ ردّ من مضى ولحقه من تخلّف فلما اجتمع الناس إليه قال: أيّها الناس، هل بلغت؟

(١) مسلم، صحيح مسلم ج٥، ص١٥٢.
(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج٥، ص١٨٢.

قالوا: نعم، قال: **اللهمَّ اشهد** (ثلاث مرَّات يقولها)، ثمّ قال: **أيُّها الناس، مَنْ وليكم؟** قالوا: الله ورسوله ثلاثًا، ثمَّ أخذ بيد عليّ فأقامه ثمَّ قال: **مَنْ كان الله ورسوله وليَّه فهذا وليُّه اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه**»[1]، وفي رواية صحيح مسلم أكَّد ثلاثًا على أهل بيته عليهم السلام: «**ثمَّ قال: وأهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي**، فقال له حصين: ومَنْ أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه مِنْ أهل بيته؟ قال: نساؤه مِنْ أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حُرِم الصدقة بعده، قال: ومَنْ هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عبَّاس، قال: كلُّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم»[2]، ففي هذا الحديث بيَّن زيد بن أرقم أنَّ نساء النبيّ لسن من أهل بيته، وأوضح هذه الشبهة بقوله: «أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده»، وجزم في حديث آخر كون نسائه لسن من أهل بيته؛ مبيِّنًا سببًا آخر في ذلك صراحةً بقوله: «فقلنا: مَنْ أهل بيته نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله، إنَّ المرأة تكون مع الرجل العصر مِنَ الدهر ثمَّ يطلِّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِموا الصدقة بعده»[3].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ البعد الدلاليّ في الخطبة لم يتعارض وما أثبتته النصوص القطعيَّة في المصادر السنيَّة المعتبرة، بل جاء مضمونها مؤكِّدًا لعشرات الأحاديث المرويَّة في الصحاح والمسانيد، وعليه تكون محاولة الاعتراض على الخطبة الفدكيَّة غير مجدية، ولا مبرِّر لها غير أمرٍ واحدٍ، هو محاولة إخفاء تراث أهل البيت عليهم السلام، المعارض للسقيفة وما أنتجته.

(١) النسائيّ، السنن الكبرى، مصدر سابق، ج٥، ص١٣٥.
(٢) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج٧، ص١٢٣.
(٣) مسلم، المصدر نفسه، ج٧، ص١٢٣.

الخاتمة والنتائج

انتهى البحث الى إثبات عدَّة نتائج، يمكن إجمالها بالنحو الآتي:

١. بيَّنت الدراسة أنَّ الخطبة الفدكيَّة ثابتة روايتها بمصادر سنيَّة كثيرة معتبرة لا يمكن غضَّ الطرف عنها.

٢. أوضح البحث أنَّ الشبهات التي وُجِّهت نحو الخطبة الفدكيَّة لا تعدو كونها محاولات بائسة مفتعلة لا صحَّة لها، ولا ترتقي لأن تكون شبهات علميَّة.

٣. كشف البحث توافق البُعد الدلاليّ للخطبة مع دلالة النصوص القطعيَّة الثابتة في المصادر الصحيحة عند جمهور المسلمين.

مصادر البحث ومراجعه

* القرآن الكريم.

١. الاقتراح في أصول النحو، السيوطيّ، دار البيروتيّ، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢. الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣. الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر، تحقيق: عادل عبد الموجود وعليّ معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٤. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: طه الزينيّ، مؤسَّسة الحلبي.

٥. بلاغات النساء، أبو الفضل بن طيفور، تحقيق: أحمد الألفيّ، مطبعة عبَّاس الأوَّل، القاهرة، ط١، ١٩٠٨م.

٦. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٧. تاريخ الأمم والملوك، محمَّد بن جرير الطبريّ، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٨. تاريخ بغداد، البغداديّ، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٩. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٠. التذكرة الحمدونيَّة، ابن حمدون، تحقيق: إحسان عبَّاس وبكر عبَّاس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١١. تقييد العلم، الخطيب البغداديّ، تحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنَّة النبويَّة، ط٢، ١٩٧٤م.

١٢. تصحيفات المحدِّثين، أبو أحمد العسكريّ، تحقيق: محمود أحمد ميرة، المطبعة العربيَّة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

١٣. التمهيد، ابن عبد البرِّ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلويّ ومحمَّد البكريّ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينيَّة، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٤. تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

١٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزيّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٦. الثقات، ابن حبَّان، دار المعارف، حيدر آباد، ط١، ١٩٨٢م.

١٧. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام، الباعونيّ، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٨. خلاصة الأقوال، العلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق: الفيُّوميّ، مؤسَّسة النشر، ط١، ١٤١٧هـ.

١٩. دراسات في منهجيَّة البحث التاريخيّ، ميمونة، دار الخليج، عمان، ط١، ٢٠١١م.

٢٠. دستور معالم الحكم، القضاعيّ، مكتبة المفيد، قم المقدَّسة.

٢١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بزرك الطهرانيّ، دار الأضواء، بيروت، ط٢.

٢٢. سنن الدارقطنيّ، الدارقطنيّ، تحقيق: مجدي الشوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٣. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق: عبد الغفَّار وسيِّد كسروي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٤. السقيفة وفدك، أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، الكتبيّ، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
٢٥. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، القاضي النعمان، تحقيق: محمَّد الجلاليّ، مؤسَّسة النشر، قم المقدَّسة.
٢٦. شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترآباذيّ، مؤسَّسة الصادق، طهران.
٢٧. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترآباذيّ، تحقيق: محمَّد نور وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
٢٨. شرح صحيح مسلم، النوويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت.
٢٩. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، الحسن بن عبد الله العسكريّ، تحقيق: عبد العزيز أحمد، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، مصر.
٣٠. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين ابن أبي الحديد، تحقيق: محمَّد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
٣١. صحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل البخاريّ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجَّاج، دار الفكر، بيروت.
٣٣. عمدة القارئ، العينيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٤. غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوريّ، تحقيق: عبد الله الجبوريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٥. الفايق في غريب الأثر، الزمخشريّ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٦. الفهرست، الشيخ الطوسيّ، تحقيق: جواد الفيوميّ، مؤسَّسة نشر الفقاهة، إيران، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٧. الفهرست، ابن النديم، تحقيق: رضا تجدُّد، مطبعة مصر، إيران، ط١، ١٩٧١م.

٣٨. كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، محمَّد بن أحمد النهروانيّ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، المكتبة التجاريَّة، مكَّة المكرَّمة، ١٩٩٦م.

٣٩. كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزوميّ والسامرَّائيّ، دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٤٠. لسان الميزان، ابن حجر، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٤١. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

٤٢. مسند الشهاب، محمَّد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٤٣. المستجاد من فعلات الأجواد، القاضي التنوخي، تحقيق ونشر: محمَّد كردعليّ، ١٩٧٠م.

٤٤. معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٤٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، مركز النشر، قم المقدَّسة.

٤٦. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيُّوب الطبرانيّ، تحقيق ونشر: دار الحرَمَين، ١٩٩٥م.

٤٧. المعجم الصغير، الطبرانيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٤٨. المعجم الكبير، الطبرانيّ، تحقيق: حمدي عبد المجيد، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢.

٤٩. مقاتل الطالبيِّين، الأصفهانيّ، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ط٢، ١٩٦٥م.

٥٠. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزيّ، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٥١. نشوار المحاضرة، القاضي التنوخيّ، تحقيق: عبود الشالچيّ، بيروت، ١٩٧٣م.

٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: محمود محمَّد الطناحيّ، مؤسَّسة إسماعيليان، قم المقدَّسة، ط٤، ١٣٦٤هـ.

٥٣. وفيات الأعيان، ابن خلِّكان، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، لبنان.

في رحاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الرساليَّة المجاهدة

أ.د. افتخار مضر طالب الشَّـرع
جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الصِّـرفة

ملخَّص البحث

أولت العناية الإلهيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام مكانةً خاصَّةً باصطفائها من بين نساء أهل الأرض، وتميَّزت بخواص وفضائل لم تكن لسواها، منها البيئة الصالحة، والإيمان الوثيق بالله، وقوَّة إرادتها، والصبر في تحمُّل الشدائد والمحن، ومقارعتها لطواغيت عصرها، ومؤازرتها لحجَّة الله في عصرها. كما تميَّزت بخلقتها وولادتها، وزواجها، فلقد نبتت نباتًا حسنًا، وتعلَّمت على يد خير البشر من علومه اللدنيَّة الإلهيَّة، ففاض عليها المعارف الربَّانيَّة، واطَّلعت على حقائق الإيمان، فبلغت أعلى مستويات الكمال، فهي التي لم يُخلق مثلها من بنات حوَّاء في عفافها وطهارتها وزُهدها ورفضها لمتع الحياة، وهي قبس من نور الله تعالى، ونفحة من روح أبيها سيِّد الأنبياء والخلق، الذي أقام لها في مكنونات نفسه خالص المودَّة، فأفاض ربُّ العالمين عليها جميع ألوان القداسة والتعظيم، حيث قرن رضاه برضاها، وسخطه بسخطها، وهي أسمى منزلة ميَّزها بها سبحانه وتعالى. لقد تميَّزت بدورٍ رساليٍّ واضحٍ، وقدَّمت دورًا إصلاحيًّا.

وفي هذا العمل، عرضتُ الأدوار الإصلاحيَّة التي أبدعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيها، وللصعاب التي واجهتها في سبيل إعلاء صوت الحقِّ، فلقد أدَّت دورًا سياسيًّا متميِّزًا، فكانت نموذجًا نسويًّا قياديًّا رساليًّا متميِّزًا لنصرة المرأة لإمام زمانها، فأسَّست

سلام الله عليها دربنا للجهاد والإصلاح، والوقوف في وجه الطواغيت والظَّلَمة، فساندت المعصوم في رسالة السماء، وقد كان جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ضدَّ الطغاة بمرأى ومسمع المعصوم، بل بإذنه، ومنه نستنتج مشروعيَّة جهاد المرأة المؤمنة.

سجَّلت الزَّهراء آلامها على صفحات التاريخ، وطالبت حقَّها بكلِّ السبل، والدفاع عن حقِّ ابن عمِّها المغصوب، فاستخدمت الخطاب الجماهيريّ، واستخدمت الشعر لوصول المعاني إلى آذان وقلوب المسلمين.

لقد أسَّست سلام الله عليها منهجًا رساليًّا للمرأة المؤمنة المناصرة للحقِّ، ثمَّ انتهجت أسلوب المقاطعة، فقاطعت غاصبيها وأعلنت غضبها عليهم، وحاربتهم بالبكاء وإعلان الحزن على رسول الله، فسكنت بيت الأحزان؛ لتوصِل رسالة إعلاميَّة تشير الى هجرانهم، وغضبها على من استهان بحرمة السماء.

استخدمت السيِّدة الزَّهراء أسلوب التعتيم الإعلاميّ بخفاء قبرها؛ ليبقى سؤال: لماذا دُفِنت بنت رسول الله سرًّا؟ سؤال يؤرق الظالمين، استبسلت إلى أن استُشهدت، لإرجاع الحقِّ، مع علمها أنَّه لا يكون إلَّا على يد ولدها صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، لكنَّها عملت بالأسباب، وخاضت المعركة لتأسِّس دربًا نضاليًّا شعاره: إمَّا النصر أو الشهادة، فسلام الله عليها يوم ولِدت ويوم استُشهدت ويوم تُبعَث.

وأخيرًا عرضتُ بعض الدروس المستفادة من سيرة هذه السيِّدة الجليلة لجعلها مثلًا وقدوة يحتذى بها، وفي جميع مجالات الحياة، لأعداد جيل من النساء المتميِّزات، الصالحات يساندن الرجل في معركته ضدَّ الفساد، وبناء مجتمع إسلاميّ متحضِّر، يؤمن بدولة العدل الإلهيّ، ويوطِّد السُّبل لتحقيقها.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، سيما بقية الله في أرضه. وبعد:

حثَّ الاسلام المسلمين على العمل الصالح من دون فرق بين المكلَّفين، قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1]، كما حثَّ المسلم على تخليد نفسه بإتيانه أعمالًا تؤتي ثمارها كلَّ حين، فلقد كانت أكثر الخطابات القرآنيَّة موجَّهة لكلٍّ من الرجل والمرأة على نحو الاشتراك، من دون تميُّز إلَّا القليل، حيث ميَّز الله كلَّ جنسٍ بخصوصيَّات وقابليَّات مختلفة، ما يؤدِّي إلى تعدُّدٍ في الأدوار وتكامُلٍ في العمل، ولا يوجد تقاطع البتَّة بينهما، بل كلُّ واحدٍ منهما يدعم الآخر.

فمهما كانت طاقات الرجال، يحتاجون لدعم النساء، سواء الأم أو الأخت أو الزوجة أو حتَّى البنت، وقد تكون دمعة وصرخة امرأة أعلى صدًى وأقوى من كلِّ أسلحة الأرض. فأدَّت المرأة أدوارًا رساليَّة لا تليق إلَّا بها، وهي من كمالها، ولا يمكن لأيِّ رجل مهما كانت مميِّزاته أن يتصدَّى لهذه الأدوار، بل بالعكس، قد يتَّصف بالنقص بهذا التصدِّي، لذلك حملت بعض النساء الخالدات أعباء الرسالة على مدى العصور، وكنَّ القدوة الصالحة لكلِّ نساء الأرض، وإقامة الحجَّة على غيرهنَّ عند ضلالهنَّ عن المسار الذي رسمته إرادة الله لهنَّ.

وكان الدين الإسلاميّ الحنيف قد أسَّس أساسًا رصينًا في أعداد المرأة المؤمنة، لذلك حرص الإسلام على تكريم المرأة، وجعلها رمزًا وعلمًا في الكثير من المناسبات،

(١) التوبة: ١٠٥.

فبها يكمل دين الرجل أذا تزوَّجها، وجعل الجنة تحت أقدامها إذا أنجبت، وجعلها سترًا لأبيها من النار، وله الجنَّة إذا ربَّاها تربية صالحة، ورفع عنها تكليف الأعمال الشاقَّة، وجعل عملها البسيط كأجر العمل الشاق، وجهادها حُسن تبعُّلها، وبيتها مسجدها، وحملها وولادتها لا يماثله شيء.

ويحدِّثنا القرآن الكريم والتاريخ الإنسانيّ الطويل عن نماذج وأمثلة عن نساء صالحات، ووردت الروايات المتواترة في أسماء نساء بُشِّرنَ بالجنَّة، سواء من الهاشميَّات كفاطمة بنت أسد عليها السلام، أو حتَّى من الناس البسطاء الذين يستنكرهم جبابرة قريش، كسميَّة أمِّ عمَّار، ووردت أسماء أربع نساء لُقِّبن بسيِّدات نساء الجنَّة، جُمعن في نصوصٍ واحدة مع تباعد الأزمان والأوطان، وإحداهنَّ هي السيِّدة الزَّهراء، بل أفضلهنَّ وسيِّدتهنَّ، وقد أولت العناية الإلهيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام مكانةً خاصَّةً باصطفائها من بين نساء أهل الأرض.

وتميَّزت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بمزايا لم تجتمع في أيِّ مخلوقٍ آخر من حيث النسب الرفيع، والروحانيَّة والقدسيَّة، ومن حيث بدء الخلقة، ومنشأ إيجادها، وكرامتها عند الله، وعبادتها والإيمان الوثيق بالله، وعلمها وشخصيَّتها، وقوَّة إرادتها، والصبر في تحمُّل الشدائد والمِحَن، ومقارعتها لطواغيت عصرها، ومؤازرتها لحجَّة الله في عصرها، فلقد نبتت نباتًا حسنًا، وتعلَّمت على يد خير البشر من علومه اللدنيَّة الإلهيَّة، ففاضت عليها المعارف الربَّانيَّة، واطَّلعت على حقائق الإيمان، فبلغت أعلى مستويات الكمال، فهي التي لم يخلق مثلها من بنات حوَّاء في عفافها وطهارتها وزُهدها ورفضها لمتع الحياة، فهي قبس من نور الله تعالى، ونفحة من روح أبيها سيِّد الأنبياء والخلق، الذي أقام لها في مكنونات نفسه خالص المودَّة، فأفاض ربُّ العالمين عليها جميع ألوان القداسة والتعظيم، حيث قرن رضاه برضاها، وسخطه بسخطها، وهي أسمى منزلة ميَّزها بها سبحانه وتعالى، فهذه الإمكانات الفريدة أهَّلتها لأن تؤدِّي دورًا رساليًّا عظيمًا.

فالزَّهراء قطب رحى الوجود، كما ورد عن الصادق عليه السلام، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى[1]، فهي تشكِّل مدرسة إلهيَّة، فهي حجَّة الله على الخلق، فإنَّ الحديث عنها يمثِّل حديثًا عن إرادة الله؛ لأنَّها من أنوار الله في السماوات والأرض، والناطقة عن لسان أبيها، فهو حديث عن العظمة والرِّفعة، ينتفي وجوده في أي مخلوق إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، جمعت خصالًا لا يمكن أن تجتمع إلَّا في عظيم، ورغم قصر عمرها الشريف، لكنَّها خَطَت خطًى بطوليَّة لازلنا إلى يومنا هذا نجني ثمارها.

وقبل الخوض في موضوع البحث، سوف أحدِّد مفردات العنوان والبحث، ونبدأ بلفظة سيِّدة: وهي المرأة ذات المكانة المحترمة؛ لحملها خصال تميِّزها. أمَّا رسالي: من أرسل، والرسول هو المبلِّغ عن الله، ويُقال لكلِّ مَن له مهمَّة، أمَّا اصطلاحًا: فهو وظيفة إلهيَّة. ولفظة دَور لغةً: هو المهمَّة أو الوظيفة، واصطلاحًا: هو النشاط الذي يقوم به الشخص وفق الموقع الذي يحتلُّه في الجماعة، والدَّور له أهميَّة اجتماعيَّة، ويمكن جمع الدَّور في ثلاث نقاط: هي ما يتوقَّع أن يقوم به الفرد، وما قام به فعلًا، وما ينبغي القيام به. وأخيرًا، الإصلاح لغة: هو تحسين وضع وتعديله، وضدّه الفساد، وهو مفهوم عام يشمل جميع شؤون الحياة الإنسانيَّة، ويهدف إلى القضاء على جميع أشكال الفساد، وهو هدف الأنبياء والمعصومين عليهم السلام.

هناك أسئلة تتبادر إلى الذهن: هل كان للسيِّدة الزَّهراء دورٌ قياديٌّ، أم فقط دورٌ إسناديٌّ لدعم الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام؟ ما هو الدور الذي برزت به السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؟ وما هي الدروس العمليَّة المستفادة من سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؟ خلال هذا العمل البسيط، حاولت الإجابة على هذه الأسئلة.

لقد اخترت المشاركة في بحث حول السيِّدة الزَّهراء، لما تميَّزت به السيِّدة عليها السلام من خصال، فهي المرأة القدوة لكلِّ البشر رجالًا ونساءً، والمثل الأعلى الذي يُحتذى به، فهي

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٠٥.

مثلٌ إنسانيٌّ من طرازٍ تامٍّ في كمال إنسانيَّته، فلقد تدخلت السماء في تهيأة الظروف الخاصَّة لإعدادها لتكون بهذا المستوى الرفيع.

في هذا العمل، عرضتُ الأدوار التي أبدعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيها، في سبيل إعلاء صوت الحقِّ، فلقد أدَّت دورًا سياسيًّا متميِّزًا، فكانت نموذجًا نسويًّا قياديًّا رساليًّا متميِّزًا لنصرة المرأة لإمام زمانها، فأسَّست سلام الله عليها دربنا للجهاد والإصلاح، والوقوف في وجه الطواغيت والظَّلَمة، فساندت المعصوم في رسالة السماء، ولقد كان جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ضدَّ الطغاة بمرأى ومسمع المعصوم، بل بإذنه، ومنه نستنتج مشروعيَّة جهاد المرأة المؤمنة.

وقد اشتمل هذا العمل على مقدِّمة وفصلَين، تضمَّن الفصل الأوَّل خصائص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فكان البند الأوَّل: الهويَّة التعريفيَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أمَّا البند الثاني فقد تضمَّن اصطفاءها عليها السلام، وإثبات هذا الاصطفاء من الأدلَّة النقليَّة، أمَّا البند الثالث فكان حول كمال صفاتها الخلقيَّة والأخلاقية، بعرض أهمِّ مميِّزاتها عليها السلام.

وفي الفصل الثاني، عرضتُ أدوار السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، السياسيّ والإعلاميّ والإصلاحيّ والتربويّ، من خلال فرز بندٍ مستقلٍّ لكلِّ محور، ثمَّ جعلت للعمل خاتمة، قدَّمتُ فيها بعض الدروس المستفادة من سيرة هذه السيِّدة الجليلة لجعلها مثلًا وقدوة يُحتذى بها، وفي جميع مجالات الحياة، لأعداد جيل من النساء المتميِّزات، الصالحات، يساندنَ الرجل في معركته ضدَّ الفساد، وبناء مجتمع إسلاميّ متحضِّر، يؤمن بدولة العدل الإلهيّ، ويوطِّن السُّبل لتحقيقها.

قد لا أكون وصلت إلى الاجابات التامَّة التي تمَّ عرضها خلال العمل؛ بسبب شحَّة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها، فليس كلُّ ما حصلت عليه يفي بالغرض، فأرجو قبول عذري لما قدَّمته. وأخيرًا، وأنا أقدِّم هذا البحث، أدعو الله يشملنا بألطاف القرب منها عليها السلام، ومن أمِّها السيِّدة الجليلة خديجة الكبرى عليها السلام، فهما باب من أبواب الرحمة الآلهية.

الفصل الأوَّل

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام خصائصها ومميِّزاتها

سنتعرَّف خلال هذا الفصل على خصائص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

البند الأوَّل: سيرة تعريفية، مَن هي عليها السلام؟

السيِّدة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنَّة، ولو رجعنا إلى معاجم اللغة، وتفحَّصنا مقصدهم في لفظة (سيِّد)، لوجدنا أنَّها لا تخرج عن الذي يسود قومه، أكملهم خصالًا، يتميَّز عن غيره، ولا فرق بين الرجال والنساء في ذلك، وإذا ربطنا لفظة السيِّد مع الجنَّة، فأنَّ هذا يعني حلول مرتبة في مكان مميَّز، وإذا ربطنا اللَّفظَين مع الآخرة، فنبحث عمَّن توِّجنَ بهذه المكانة العظيمة التي حصلنَ عليها بسبب إخلاصهنَّ، وانقطاعهنَّ لله عزَّ وجلَّ، هنا يتبادر إلى الذهن سؤالان هما: هل معايير الدنيا والآخرة في سيادة النساء واحدة؟ وهل مفهوم السيِّدة في الدنيا هو ذاته في الآخرة؟.

إنَّ الإجابة على هذين السؤالَين نجده واضحًا في اختيار نخبة شريفة من ذوات مقدَّسة، والتي تثبت أن هناك فرقًا واضحًا بين معايير الدنيا والآخرة في السيادة، وأنَّ هناك مراتب في ذلك، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير نساء العالمين أربعة مريم وآسية وخديجة وفاطمة**»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة**»[2]. وقد روى ابن عبَّاس عنه صلى الله عليه وآله، قال: «**خطَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله

(١) تفسير القرطبيّ، ج٥، ص١٢٧، بضمون الحديث بحار الأنوار: ١٦/ ٢ الحديث ٥.
(٢) نور الأبصار: ص٥١.

في الأرض أربع خطوط، قال: **أتدرون ما هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: **أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم**»[1]، وقال صلى الله عليه وآله: «**أربع نسوة سادات عالمهنَّ، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وأفضلهنَّ فاطمة**»[2]، التي تفوقهنَّ نسبًا وشرفًا ومقامًا.

«فاطمة، وما أدراك من فاطمة؟! شخصيَّة إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنَّ الله تعالى خلق محمَّدًا صلى الله عليه وآله يكون آية قدرته في الأنبياء، وابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام آية على قدرة الله في إبداع مخلوقة، فهي كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فهي من أولياء الله الذين شهدت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، إذ نزلت في حقِّهم آيات محكمات في الذِّكر الحكيم، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، وتستمر إلى أن تقوم القيامة. شخصيَّة كلَّما ازددنا نضجًا وفهمًا للحقائق، واطِّلاعًا على الأسرار، ظهرت لنا عظمة تلك الشخصيَّة بصورة أوسع، وتجلَّت معانيها ومزاياها بصورة أوضح»[3].

وهذا المقام الرفيع تصدَّرته السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي سيِّدة نساء العالمين عند الفريقين، الصدِّيقة الكبرى، الحوراء الإنسية، إذ جاء في صحيح مسلم، باب فضائل بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابنته فاطمة عليها السلام: «**أمَا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين؟**»، أو سيِّدة نساء هذه الأمَّة، ونقل السيِّد محسن الأمين، في الجزء الثاني من أعيان الشيعة- سيرة الزَّهراء عليها السلام، عن صحيح البخاريّ أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**».

(١) تفسير القرطبي، ج٢، ص١٣٢٥.
(٢) تفسير روح المعاني: ٣/ ١٥٥.
(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص٣.

ولِدت الزَّهراء سيِّدة النساء عليها السلام في العشرين من جمادى الآخرة، بعد البعثة بخمس سنين- في أحسن الآراء- يوم الجمعة في مكَّة المكرَّمة، في بيت أمِّها السيِّدة خديجة[1]، وحينما بُشِّر النبيّ بولادتها فرحَ فرحًا شديدًا، وهبط عليه جبرئيل عليه السلام فأبلغه السلام من الله تعالى له ولمولودته المباركة. نشأت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام زاهدة في الدنيا، شديدة الشجاعة، شهدت مأساة الرسول صلى الله عليه وآله في مواطن عدَّة في مكَّة أوَّل البعثة، واستمرَّت في مساندته إلى أن شهدت رزيَّة الخميس، ثمَّ فُجِع قلبها برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لها دور أساسيّ لازال تأثيره ليومنا هذا. واختلف المحقِّقون في وجود بنت وحيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أم لها اخوات؟ لكن بحسب الروايات التي تتحدَّث عن هجران نساء قريش للسيِّدة خديجة؛ بسبب إسلامها ومساندتها لرسول الله صلى الله عليه وآله، وحضور نساء الجنَّة لمساعدتها في ولادة الزَّهراء عليها السلام، أنَّها الولادة الوحيدة، وإلَّا لما كان هجران نساء قريش؟!

لكن النَّسب وحده لا يمكن أن يكون سببًا لعظمة السيِّدة الزَّهراء، وإلَّا فإنَّ هناك الكثير من بنات وأمَّهات وأخوات الأنبياء والرُّسل والأئمَّة، لم تصل إحداهنَّ لمكانتها العظيمة عليهنَّ السلام، إنَّما كانت عظمتها، فضلًا على ذلك، لموقفها ومساندتها للرسول والأئمَّة عليهم السلام، ولشخصيَّتها الفريدة، ووعيها، ولنوع المساندة التي يحتاج إليها المعصوم في كلِّ مرحلة من المراحل التي آزرته فيها، حيث تصرَّفت بما يناسب كلّ موقف، فلقد تعدَّدت مواقف الزَّهراء عليها السلام بين صمتٍ وترفُّع، وبين تصدِّي ومواجهة، وبين إعلاميَّة وخطيبة في مجالس الظالمين، وبين باكية نادبة أباها صلى الله عليه وآله، وبين حامية عن قضيَّة أمير المؤمنين عليه السلام. لقد عاشت عليها السلام طوال حياتها المباركة جوَّ التضحية، وتحمُّل مسؤوليَّة وأعباء الرسالة برهافة حسِّها، ورقَّة مشاعرها، فكانت من الصلابة والإيمان والشجاعة ماضية عازمة على نُصرة الحقِّ.

(١) حياة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ص٦٠

البند الثاني: الاصطفاء والبيئة الصالحة الخاصَّة

هل كانت مُصطفاة؟

تميَّزت السيِّدة الزَّهراء بالنَّسب الشريف، والنشأة الطاهرة في بيت ينفح بالنبوَّة وعبقها، والبيئة الاجتماعيَّة الرفيعة، فلقد كانت ذريَّة طيِّبة، ومن الأمور التي صارت معلومة، تأثير الوراثة والبيئة على سلوك الإنسان وشخصيَّته، ولقد أكَّدت الروايات على ذلك، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تزوَّجوا في الحِجرِ الصالح، فإنَّ العِرق دسَّاس**»[1]، ثمَّ جاءت البحوث الحديثة مؤيِّدةً، عِبر دراسة الجينات في الخلية الحيَّة، وجود تأثير العامل الوراثيّ في خلق الاستعدادات في الإنسان، فإذا ولِد الإنسان في عائلة شريفة كريمة مؤمنة، سيكون لدى الوليد استعدادٌ لهذه الصفات، والعكس بالعكس، وإن نَدَر خروج شيء عن المألوف؛ لخلل في الظروف البيئيَّة.

فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام ذات أصل طيِّب، بالإضافة إلى أنَّها عاشت في أطهر البيوت وأقدسها، ومقوِّمات التهيئة لمكانة رفيعة، لا يُعبد فيها إلَّا الله، محرَّرة الأغلال الفكريَّة والاجتماعيَّة، فالأرحام مطهَّرة، والأصلاب طاهرة، وهي من عوامل الاصطفاء، والاصطفاء مراتب متعدِّدة تبعًا لاختلاف سبب التفاضل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[3]. الذريَّة من الألفاظ الكثيرة الاستعمال في القرآن الكريم، وأصلها من الذرِّ بمعنى النشر والانتشار، واستُعملت في مطلق الأولاد والنسل؛ لانتشارهم من مصدرٍ واحد، ويُطلق على الواحد والكثير، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، فهذه الذريَّة فضلًا عن أنَّها متداخلة متشعِّبة بعضها من بعض، إلَّا أنَّها مكمِّلة لبعضها البعض، وهي متشابهة

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١١٨٣.
(٢) الإسراء: ٥٥.
(٣) آل عمران: ٣٤.
(٤) البقرة: ١٢٤.

الأطراف في الصفات والخيرات والحالات.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحوَّاء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحمة زوجة أيوب، والحرمة لآسية زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والصبر لبرحانة أم موسى، والصفوة لمريم أم عيسى، والرِّضى لخديجة زوجة المصطفى، والعِلم لفاطمة زوجة المرتضى**»[1]

لقد اختار الله سبحانه وتعالى السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لما تمتَّعت به من مؤهِّلات جعلتها أهلًا لاصطفائه، فالاصطفاء والاختيار من الله مبتنى على خطوات من العبد نفسه، حبُّ الله واتِّباعه فإنَّ بهما يستعدُّ المرء أن يكون من أصفيائه وأحبّائه. وهذا الاصطفاء لغرض ودور قد أعدَّه الله لها، فمثلًا السيِّدة مريم عليها السلام وتطهيرها لغرض أن تكون أمًّا لروح الله وآيته. كذلك في اصطفاء السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لتكون أمًّا للسلسلة الذهبيَّة التي أذهب الله عنها الرجس وطهَّرها تطهيرًا، وآية التطهير اصطفاءٌ واضح لآل محمَّد صلى الله عليه وآله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، بل هم أفضل الآل على كلِّ الأنبياء والمصطَفين.

البند الثالث: حول كمال صفاتها الخلقيَّة والأخلاقيَّة ما هي مميِّزاتها عليها السلام؟

تمتعت سيِّدتنا الجليلة بخصال وصفات خاصة ميزتها عن كل الخلق من حواء عليها السلام إلى آخر الدنيا، سأعرض بعض صفاتها البارزة على شكل نقاط لسهولة التتبع:

- **عقد نطفتها**: عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لـمَّا أُسري بي إلى السماء أُدخِلت الجنَّة، فوقفت على شجرة من أشجار الجنَّة لم أرَ في الجنة أحسن منها ولا أبيض**

(١) المناقب لابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٢١، البحار، ج٤٣.
(٢) الأحزاب: ٣٣.

ورقًا، ولا أطيب ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها، فصارت نطفة في صُلبي، فلمَّا هبطت إلى الأرض، واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فإذا اشتقت إلى الجنَّة شَممتُ ريحَ فاطمة»[1]، حتَّى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كنَّاها الحوراء الإنسيَّة، ولأنَّ نطفتها تكوَّنت من ثمار الجنَّة، سُمِّيت تفَّاحة الفردوس. تفرَّدت صلوات الله عليها أن مبدأها ومنتهاها الجنَّة، وكأنَّ الزمن توقَّف في تلك الرحلة الملكوتيَّة، فيختار رسول الله صلى الله عليه وآله من شجر الجنَّة أحسنها وأطيبها من بين كلِّ أشجار الجنَّة؛ لتنعقد نطفة الزَّهراء عليها السلام منها. ويوجد نصٌّ آخر في عقد نطفتها عليها السلام، وكونه أيضًا من طعام الجنَّة، حيث أُهدِي إلى رسول الله من العليِّ الأعلى، وحُرِّم على غيره.

- **حضور سيِّدات الجنة في ولادتها عليها السلام**: فقد نقل الشافعيّ في نزهة المجالس قول السيِّدة خديجة عليها السلام: «**فلَّما قربت ولادتي أرسلت إلى القوابل من قريش، فأبينَ عليَّ لأجل محمَّد صلى الله عليه وآله، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ أربع نسوة، عليهنَّ من الجمال والنور ما لا يوصف، فقالت إحداهنَّ: أنا أمُّك حوَّاء، وقال الأخرى: أنا آسية، وقالت الأخرى: أنا أمُّ كلثوم كلثم أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم، جئنا لِنَلِيَ أمركِ**»[2]
- **كونها العلَّة الغائيَّة**: فهي واسطة وسبب لطف الله وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها وبآل البيت عليهم السلام، فلولاهم لساخت الأرض بأهلها، فهي واسطة الفيض كما في الحديث القدسيّ: «**يا أحمد لولاك ما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما**»[3]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**ما تكاملت نبوَّة نبيّ من الأنبياء حتَّى أقرَّ بفضلها ومحبَّتها، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى**

(١) الخصائص الكبرى، ج١، ص٢٩١.
(٢) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، ص٤٢.
(٣) مستدرك سفينة البحار، ج٣، ص٣٣٤.

معرفتها دارت القرون الأولى»[1]، والذي نستنتج منهما، لولا فاطمة لما وُجِد وعاء يصلح لحضانة العترة الطاهرة الذين بهم قامت الأرض.

- **عالمة بالعلم الحضوريّ اللَّدنِّيّ**: كونها وسائر المعصومين عليهم السلام مصداقًا للحديث القدسيّ: «**عبدي أطعني تكن مَثَلي تقُل للشيء كن فيكون**»، وهم حجج الله ومكلَّفين بهداية البشر إلى طريق الصلاح.
- **اسمها مكتوب على ساق العرش وباب الجنَّة**: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليلة عرِّج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوبًا: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، عليّ حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خِيرَة الله، على باغِضِهم لعنة الله**»[2]
- **من الأنوار الخمسة التي خلقها الله قبل الخلق**: ولولاهم ما خلق الله الجنَّة ولا النار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا إنس ولا الجن، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ الله خلقني وخلق عليًّا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يُخلَق آدم، حين لا سماء مبنيَّة، ولا أرض مدحيَّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا نار**. فقال العبَّاس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: **يا عمُّ، لمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلَّم بكلمة فخلق منها نورًا، ثمَّ تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحًا، ثمَّ خلط النور بالروح فخلقني وخلق عليًّا وفاطمة والحسن والحسين، فكنَّا نسبِّحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلمَّا أراد الله تعالى أن يُنشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمَّ فتق نور أخي عليّ، فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ، ونور عليّ من نور الله، وعليّ أفضل من الملائكة، ثمَّ فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات**

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٠٥.
(٢) أهل البيت في الكتاب والسنَّة، ص٤٤٣.

والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثمَّ فتق نور ولدي الحسن، وخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمَّ فتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنَّة والحور العِين، فالجنَّة والحور العِين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من نور الجنَّة والحور العين»[1]. فإيمانها مطلق لا يخامره شكٌّ، فلقد بلغت أعلى مراتب العبوديَّة والانقطاع لله، وأخلصت في طاعته له تعالى. فعبادة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فاقت كلَّ الحدود، كانت سلام الله عليها تقضي كلَّ ليلها عابدة متهجِّدة، ما كان في هذه الأمَّة أعبد منها، إذ كانت تقوم الليل في الصلاة حتَّى تتورَّم قدماها، فعن عائشة أنَّها قالت: «ما كان أعبد في هذه الأمَّة مثل فاطمة، إنَّها كانت تقوم في الليل حتَّى تتورَّم قدماها»[2].

- **أفضل من جميع الأنبياء، بل حتَّى من أولادها، وحجَّة عليهم**: ورد «ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خَلَق الله من الجنِّ والإنس والطَّير والوحوش والأنبياء والملائكة»[3]، وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «لولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها؛ لما كان لها كفءٌ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فَمَن دونه». ولقد علَّق على هذا الحديث الشريف صاحب كتاب البحار العلَّامة المجلسيّ رحمه الله حيث قال: يمكن أن يُستَدَلَّ به- أي بالحديث أعلاه- على كون عليّ وفاطمة عليهما السلام أشرف من سائر أُولي العزم سوى نبيِّنا صلى الله عليه وآله[4]، وفي

(١) بحار الأنوار، ج٥٤، ص١٩٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٨١
(٣) دلائل الإمامة، ص٢٢٨.
(٤) قراءات في الأسرار الفاطميَّة، ص٨٣.

حديث آخر أنها خير أهل الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان الحُسن شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم، فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**»(١)، واذا كان أهل البيت عليهم السلام حجج الله على خلقه، فأُمُّهم فاطمة حجَّة الله عليهم، وهذا ما صرَّحت به رواية العسكريّ عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجَّة علينا»(٢). والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي الكوثر، وهذا له دلالات متعدِّدة، منها التبشير بالجنَّة، بل هي سيِّدة سيِّدات أهل الجنَّة بنصِّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وبأكثر من نصٍّ صريح، فقد ذكرها القرآن في ما لا يقلُّ عن ستِّين موضعًا، منها مشتركة مع آل البيت عليهم السلام، ومن هذه المواضع ما هو مختصٌّ بها، كما في سورة الكوثر(٣).

- **كلامها في بطن أمِّها**: فلقد كانت تتكلَّم مع السيِّدة خديجة عليها السلام وهي في بطن أمِّها تواسيها، فقد روى عبد الرحمن الشافعيّ في نزهة المجالس: قالت أمُّها خديجة عليها السلام: «**لـمَّا حملت بفاطمة كانت حملًا خفيفًا، تكلمِّني من باطني**»(٤).
- **ورثة خصال النبوَّة واقترنت بالإمامة قرينة وكفءٌ لأمير المؤمنين عليه السلام زوجة وشريكة، وأم لسادة شباب أهل الجنة** عليهم السلام: حيث أنجبت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام نسلًا طاهرًا، وهما سيِّدا أهل الجنَّة، وسيِّدتَين عظيمتي الشأن، السيِّدة زينب الكبرى، والسيِّدة أمُّ كلثوم، وأي لبن رضعوا، وأي حجر ربَّاهم، وأي كنف شملهم، فضلًا عن عوامل الوراثة المميَّزة من جهة الأب والأم. وكان في كلِّ ولادة يتزيَّن بيت عليّ وفاطمة عليها السلام بالولادة الميمونة، ويستبشر رسول الله

(١) فرائد السمطين، ج٢، ص٦٨.
(٢) أطايب البيان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٢٢٦.
(٣) مقامات فاطمة الزَّهراء في الكتاب والسنَّة، ص١٣
(٤) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، ص٣٨.

بالوليد الجديد، وينتظر تسميته من السماء، ويعمل في حفيده سنَّته الشريفة، فهي الزكيَّة، فنسلها المبارك منتشرين في كلِّ بقاع الأرض.

- **يغضب الله لغضبها**: لقد جعل الله رضاه معلَّقًا برضاها، وغضبه كذلك معلَّقًا بغضبها، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**يا فاطمة إنَّ الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»(١)، وقوله صلى الله عليه وآله: «**من أرضاها فقد أرضى الله، ومن أغضبها فقد أغضب الله**»(٢)، ولو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: رضا فاطمة من رضا الله، وغضبها من غضبه، لكان أمرًا مهمًّا، إذ كان يعني التزام فاطمة برضا الله، ولكنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال العكس، فجعل رضا الزَّهراء عليها السلام كاشفًا عن رضا الله تعالى، وسخطها كاشفًا عن سخط الله تعالى.
- **فاطمة عليها السلام سرٌّ عظيم**: نقرأ في الدعاء المأثور: «**اللهمَّ بحقِّ فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسرِّ المستودع فيها**»، فمهما بحثنا ودرسنا وقلنا في حقِّ هذه السيِّدة العظيمة، فإننا سوف لا نصل إلى بيان سوى جزءٍ قليل من مقامها الشريف العالي، قال الامام الصادق عليه السلام: «**وإنَّما سمِّيت فاطمة عليها السلام؛ لأنَّ الخلق فُطِموا عن معرفتها**»(٣)، وهل للمحدود أن يحيط باللامحدود؟ فنحن الجزء الضئيل، وهي الكلُّ المطلق، فلا يستوعب الضئيل الكلَّ والمطلق.
- **اختصاصها بتسبيحة الزَّهراء**: ولقد ورد في تسبيحة فاطمة روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة، وإنَّها من الذِّكر الكثير، وإنَّه من الباقيات الصالحات، وأنَّها أحبُّ إلى الله من صلاة ألف ركعة في كلِّ يوم، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما عُبِد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لَنَحله رسول الله صلى الله عليه وآله**

(١) عوالم العلوم، ص١١٦.
(٢) عوالم العلوم، ص١١٦.
(٣) تفسير فرات البحار، ص٤٣.

لها»[1]، وإنَّ العالم الإسلامي بجميع طوائفه وفِرقه يعملون بهذه السنَّة النبويَّة، ويسمُّوه باسمها، فلقد ربط رسول الله صلى الله عليه وآله اسمها به.

- **تحدُّث وخدمة الملائكة لها:** لُقِّبت بالمحدَّثة؛ لأنَّ الملائكة كانت تحدِّثها، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّما سمِّيت فاطمة محدَّثة؛ لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران**»[2]، وقد روى الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «**إنَّما سمِّيت فاطمة محدَّثة عليها السلام؛ لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنِتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدِّثهم ويحدِّثونها. قالت لهم ذات ليلة: ألستُ المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلك سيِّدة نساء عالمك وعالمها، وسيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين**»[3].
- **مُصحفها عليها السلام:** ممَّا يدلُّ على كونها واسطة بين الأئمَّة عليهم السلام، وبين الله تعالى في العلم المحفوظ في مصحفها المتعلِّق بما يكون إلى يوم القيامة، فهي حجَّة في هذا العلم الجمِّ على الأئمَّة عليهم السلام يأخذون به، نظير حجِّيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله في شأن القرآن الكريم الذي هو مصدر علوم الائمَّة عليهم السلام. عن أبي عبد الله عليه السلام: «**وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يُدريهم ما مُصحف فاطمة؟** قال قلت: وما مُصحف فاطمة عليها السلام؟ قال عليه السلام: **مُصحفٌ فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرَّات، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد**»[4]. من نزول اللوح الأخضر عليها المتضمِّن لأسماء

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٦٤.
(٢) بحار الأنوار ج١٤ ص ٢٠٦.
(٣) علل الشرائع للصدوق ١٨٣.
(٤) الكافي الشريف، ج١، ص ٢٣٩.

الأئمَّة عليهم السلام، وما ورد من أنَّ مُصحفها متضمِّن للوصيَّة بالإمامة في ذريَّتها. فمُصحف فاطمة أحد المنابع العلميَّة التي يتزوَّد منها الإمام إبَّان مهمَّته الإلهيَّة، فضلًا عن كونه أحد دلائل إمامته الحقَّة.

- **شبهها لرسول الله صلى الله عليه وآله**: كانت الزَّهراء عليها السلام أشبه آل النبيّ صلى الله عليه وآله به، فقد شابهته في خلقه، وسمِّو ذاته، وجميع مكوِّناته. قالت عائشة: «ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ولا هديًا ولا حديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبَّلها وأجلسته في مجلسها»[1].
- **ألقابها**: لُقِّبت عليها السلام بالقاب كريمة تنمُّ عن سموِّ مكانتها وعظيم شأنها، بعض ألقابها لصفاتها التي شاعت وبرزت، منها **الزَّهراء**: وهو أشهر ألقابها، فعن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها**»[2]. **المنصورة**: سمَّاها رسول الله بذلك، **الصدِّيقة**: لأنَّها صدقت في إيمانها، وهي أصدق امرأة، لم تكذب قطُّ، **المباركة**: لظهور بركاتها، بورِكت هي وذريَّتها دعاة الحقِّ والعدل في الأرض، **الطاهرة**: وهي أطهر بنات حوَّاء، وقد طهَّرها الله من كلِّ رجسٍ وإثم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]؛ لشمولها بآية التطهير، **الراضية بقضاء الله وقدره، البتول**: فهي كانت منقطعة عن نساء زمانها، وقيل عن حبِّ الدنيا، وإقبالها على الله، وقيل عن الحمرة، فعن الإمام عليّ عليه السلام، قال: «**إنَّ النبيَّ سُئِل: ما البتول؟ فإنَّا سمعناك يا رسول الله تقول: إنَّ**

(١) صحيح الترمذي، ج٢، ص٣٦٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٢.
(٣) الأحزاب: ٣٣.

مريم بتول وفاطمة بتول! فقال: البتول التي لم ترَ حمرة قطّ، فإنَّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[1]، وهذه الصفات وإن خُصَّت في الذِّكر القرآنّي بالسيِّدة مريم، لكن يوجد من الأدلَّة التي تبيِّن اشتراكها مع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام. **أمُّ الأئمَّة**: لأنَّها والدة الأئمَّة الأحد عشر، **الحانية**: لأنَّها كانت تحنُّ حنان الأمَّ على أبيها النبيّ وبعلها عليّ وأولادها عليهم السلام، والأيتام والمساكين، **الكوثر**: سمَّاها الله عزَّ وجلَّ في القرآن، **بضعة النبيّ**: لأنَّ النبي وصفها بذلك، **سيِّدة النساء**: لأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وصفها بذلك. وهناك ألقاب أخرى، منها: التقيَّة، المعصومة، الميمونة، معدن الحكمة، الحَصَان (أي المرأة العفيفة)، زين الفواطم، ستر الله الكبرى، سفينة النجاة، تفَّاحة الفردوس، مهجة قلب المصطفى، ريحانة النبيّ، ثمرة النبوَّة، نجمة إكليل النبوَّة، مشكاة الأنوار، نور الأنوار النوريَّة، خامسة أهل العبا، زوجة وليِّ الله الأعظم، الشهيدة، المضطَهَدة، المظلومة، المغصوبة حقُّها، مقتولة الجنين، مكسورة الضلع، المتَحَنة، الممنوعة إرثها، ناحلة الجسم، النبيلة[2].

- **كُنيتها**: أمُّ ابيها، من أسمى ما كُنِّيت به، وذلك لحنُّوها وشفقتها على أبيها صلى الله عليه وآله، فقد كانت تراقبه في جميع أوقاته، فإن رأته مغمومًا فهي تكون في غمٍّ وحزن، وإن رأته مبسوطًا فرحًا فهي تكون كذلك. لقد هامت بضعة الرسول بحبِّ أبيها، ولـمَّا انتقل إلى حظيرة القدس تصدَّع قلبها، واستولت عليها تيَّارات من الأسى والحزن، عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**كانت فاطمة تكنَّى أمَّ أبيها**»[3].
- **قوَّة الإرادة**: وهي صفة متأصِّلة فيها، ومن ذاتيَّاتها، فلم تنهر أمام الأحداث

(١) معاني الأخبار، ص٦٤١.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص٤٤-٩٤.

(٣) مقاتل الطالبين، ص٤٦.

الجِسام التي أحاطت بها، وواجهت الصعوبات بتحدٍّ، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت تبعث الحماس والنشاط والعزم والقوَّة لمساندة رسول الله صلى الله عليه وآله بوصفها ابنته، فيخفَّ عليه ما يلاقيه من جهد وعناء، واستمرَّ هذا الدور في مساندة أمير المؤمنين بوصفها زوجته.

- **الزُّهد والسَّخاء**: كانت من أندى الناس كفًّا، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام أهدت لفتاة من الأنصار ثوب عرسها الوحيد في يوم عرسها إيثارًا، وبقلادتها لإطعام فقير، بل بطعام أولادها الصغار ثلاثة أيَّام، ويشهد لها القرآن هذا الإيثار والكرم، بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1]، فلقد سجَّلت أروع القصص في زهدها ومواساتها للفقراء، وكانت توزِّع الأموال التي تَرِد من أرضها فدك على الفقراء، ولا تُبقي لبيتها إلَّا القليل. لقد اقتنعت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام باليُسر اليسير من متاع الدنيا، وواست الفقراء، ولا عجب فالزَّهراء عليها السلام هي بنت أزهد الزَّاهدين، وأكرمُ العرب والعجم، وبنت خديجة التي أنفقت كلَّ أموالها في سبيل نصرة الإسلام، وزوجة أمير المؤمنين عليه السلام أقنعُ البشر الذي لم تغرُّه الدنيا بزخرفها وزبرجها فطلَّقها ثلاث لا رجعة فيها، وخاطب الذهب والفضة بقوله: «**يا صفراء يا بيضاء غرِّي غَيري**»[2]، وورَّثت هذه الخصال الكريمة إلى أولاده وذريَّته، فعُرِفوا بكرمِهم وإيثارهم وزُهدهم، ولقد وردت نصوص كثيرة تحكي عظمة عطائهم ويُسر يدهم، وتأكيد رسول الله صلى الله عليه وآله في كلِّ مناسبة أنَّ بيت الزَّهراء منزل مَن يُحبُّ الله ورسوله، فكانت مضربَ مَثَل للرجال والنساء.
- **ضمان رزقها**: لقد ضمن الله رزقها غير المعهود بما هو خارج عن القاعدة والمألوف، إذ جاء في تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقِّي عند تفسير قوله

(١) الإنسان: ٨.

(٢) موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنَّة والتاريخ، ج٤، ص٢٢٣.

تعالى حكايةً عن مريم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ جاء في هذا التفسير ما نصُّه: «جاع النبيّ صلى الله عليه وآله في زمن قحط، فأتى فاطمة، وإذا بطبق عندها مملوءٌ خبزًا ولحمًا، فقال لها: **أنَّى لك هذا؟** قالت: **هو من عند الله إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**، فقال: **الحمد لله الذي جعلك شبيهةً بسيِّدة بني إسرائيل**، ثمَّ جمع رسول الله عليًّا والحسنَين، وجمع أهل بيته عليه، فأكلوا وشبعوا، وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها»[1].

- **عقد قِرانَها**: عندما بلغت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مبلغ النساء، بدأ المهاجرون والأنصار بخطبتها، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يعتذر إليهم، ويقول: **أمرها إلى ربِّها إن شاء أن يزوِّجها زوَّجها**، وقال أيضا: **إنِّي انتظر بها القضاء**. وكان النبيّ صلى الله عليه وآله ينتظر أن يتقدَّم عليّ عليه السلام لخطبتها، فهو الذي يعرفه حقَّ المعرفة، ويعلم أنَّ لا كفءٌ لها إلَّا عليّ، كيف لا وهو ربيبه ومعلِّمه، ولم يمنع عليًّا من ذلك سوى حالته الماديَّة البسيطة، والحياء من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك علمه بأنَّ الرسول ينتظر أمر الله فيها، إلى أن هبط جبرائيل من السماء، وهو يقول للرسول الكريم: «**إنَّ الله يأمرك أن تزوِّج فاطمة من عليّ**»، عند ذلك جمع رسول الله بعض صحابته وأخبرهم بما جاء به جبرائيل عليه السلام. وفي رواية: **أبشر يا أبا الحسن فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد زوَّجكها في السماء من قبل أن أزوِّجكها في الأرض، ولقد هبط عليَّ في موضعي من قبل أن تأتيني، ملك له وجوه شتَّى وأجنحة، لم أرَ قبله من الملائكة مثله، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أبشر يا محمَّد باجتماع الشمل وطهارة النسل، فقلت: وما ذاك أيها الملك؟ فقال: يا محمَّد أنا سيطائيل الملك الموكَّل بإحدى قوائم العرش، سألت ربي عزَّ وجلَّ أن يأذن لي في بِشارَتِك، وهذا جبرائيل في إثري يخبرك عن ربِّك عزَّ وجلَّ بكرامة الله عزَّ وجلَّ لك**. قال النبيّ صلى الله عليه وآله

(١) تفسير الكاشف، ج٢، ص٥٠.

فما استتمَّ الملك حتَّى نزل جبرائيل..»[1].

- **مقارعة الظلم والظالمين بكلِّ شجاعة وجرأة:** لقد كانت رمزًا للفضيلة والجهاد ونكران الذات، فلقد واجهت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الأمَّة، متآزرة مع أمير المؤمنين ومساندة له في ظرف عزَّ الناصر من الرجال، فكان موقفها صعبًا شديدًا، لذا قدَّمت أروع الصور في الصمود إلى أن استُشهِدت عليها السلام.
- **الصبر ومساندتها ومؤازرتها لحجَّة الله في زمانها:** أمَّا الصبر، فلقد كانت مضرب المثل في تحمُّل أقسى الصعاب والمِحن الشاقَّة التي ألـمَّت بها حينما تبنَّت الرسالة الإلهيَّة، فقد تعرَّضت إلى السبِّ والشتم والاقصاء من قومها، بل إلى التعدِّي والضرب وكسر الضلع وإسقاط الجنين، ففوَّضت أمرها إلى الله تعالى، واحتسبت ما تعرَّضت له من الآلام في جنب الله تعالى، بل جاهرت بسخَطها وغضبها على القوم علنًا وبتحدٍّ، ومؤازرة لأمير المؤمنين عليه السلام بصفته إمام زمانها.
- **خفاء قبرها:** سُئِل أمير المؤمنين عليه السلام عن علَّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «**إنَّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها**»[2].
- **أوَّل من تدخل الجنَّة:** لقد تضافرت الروايات في أنَّها أوَّل الناس دخولًا للجنَّة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وأُبعث على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، وتُبعَث فاطمة أمامي**»[3].
- **لها حقُّ الشفاعة لشيعتها ومحبِّيها يوم القيامة:** سمَّاها رسول الله بفاطمة، وورد أنَّ سبب هذه التسمية قول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**إنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبَّها من**

(١) فاطمة الزَّهراء من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، ص٣٠.
(٢) أمالي الصدوق، ص٥٢٣.
(٣) مستدرك الصحيحَين، ج٣، ص١٥٢.

النار»[1]، فلقد وردت روايات عن الصادق عليه السلام: «**أنَّها تلتقط شيعتها ومحبِّيها كما يلتقط الطير الحبَّ الجيِّد من الحبِّ الرَّديء**»[2]، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها مثلًا ضربه الله لفاطمة عليها السلام، وقال: إنَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرَّم الله ذريَّتها على النار**»[3]، لذلك لُقِّبَت بالمرضيَّة؛ لأنَّ الله سيُرضِيها بمنحها حقَّ الشفاعة.

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٨، ص٥٢.
(٣) تفسير البرهان، ج٤، ص٣٥٨

الفصل الثاني

الأدوار الرساليَّة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

ليس من الخفيِّ ما يشهد المسلمون عامَّة والمؤمنون خاصَّة من فساد وإفساد من جميع نواحي الحياة، فباتت الحاجة ملحَّة لإصلاحٍ شامل، ولا يوجد طريق أفضل في هذا الأمر من اتِّباع منهج الأنبياء في الإصلاح؛ لأنَّه طريق السماء ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1]؛ ليرُجِعوهم إلى طريق الاستقامة بالدعوة الحسنة، ويكونوا نموذجًا حيًّا يُقتدى به، ولا يخفى ما لدور المرأة في المساندة، كونها أكثر قربًا من الرجل من بعض العناصر الاجتماعيَّة، فيمكن أن نجد لها مساحة في الإصلاح أيضًا. ولقد برز هذا الدور في سيرة السيِّدة عليها السلام، فقد تعدَّدت الأدوار التي مارستها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وتميَّزت، فقدَّمت الأنموذج الكامل للمرأة الرساليَّة التي تُسهم في تغيير المجتمع، وكيف يمكن أن توازن بين دورها الأُسريّ والاجتماعيّ مع الدور الرسالي، وكيفيَّة حفاظ المرأة على هويَّتها بوصفها سيِّدة مسلمة، والتزامها الأخلاقيّ والدينيّ، بحيث لا يؤثِّر على عفَّتها من جهة، ويكون مكمِّلًا لدور الرجل في جميع ميادين الحياة، فتعدَّدت الأدوار، وكان التميُّز واضحًا.

البند الأوَّل: الدور السياسي للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

يعرَّف الدور السياسيّ بأنَّه: ما يقوم المرء به في الشأن السياسيّ، وما يمارسه من حقوقه السياسيَّة، فضلًا عن الدفاع عن البلد، وتحصيل الحقوق، والمطالبة بالحريَّة

(١) البقرة: ٢١٣.

والعدالة والمساواة، وقد جاء الإسلام بتعاليم تقوِّم بناء المجتمع المسلم، وقد ساهمت المرأة المسلمة بالمشاركة من خلال الدعم، فبايعت وهاجرت الهجرَتَين منذ الدعوة الإسلاميَّة، والإصلاح السياسيّ يبدأ من مواجهة حكَّام الجَور لإقامة العدل والمساواة بين الرعيَّة، والسماح بالحريَّات الاجتماعيَّة، ومن أهمِّ أُسس الفساد في المجتمعات هو فساد القوَّة الحاكمة، وزللها عن طرق الحقِّ بالهيمنة على مقدَّرات الناس، وصدِّهم عن عبادة الله، ودَور الأنبياء في إزاحة هؤلاء الظالمين هو بدعوتهم إلى طريق العدل والصَّلاح، وإلقاء الحجج عليهم، فإن أَبوا- وهذا ديدنهم لما فيه تعارض مع مصالحهم وهوى أنفسهم- تبدأ المواجهة كمعركة فاصلة بين عدالة السماء وظلم أهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1]

شاركت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الصعيد السياسيّ، وكان لها دور بارز، بل قد يكون أبرز أدوارها، وبه ذاع صيتها. فلقد كان لها الدور الداعم والمساند لرسول الله بجانب السيِّدة خديجة عليها السلام، فلقد شاركتا رسول الله صلى الله عليه وآله في مواجهة طواغيت قريش قبل البعثة، من خلال الدفاع عن النبيِّ والنبوَّة، فنجد السيِّدة خديجة تستقبله وتمسح الدَّم والتراب عن رأسه، وتذبُّ الزَّهراء عليها السلام عن أبيها عندما رَمَوا بروث الجزور على رأس وكتف رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلِّي عند البيت الحرام، فتواجه الصبيَّة ذات الثمان سنين رجال قريش، وتسمعهم كلام يتوقَّفون عن السخرية برسول الله صلى الله عليه وآله[2]، ففي أصعب الظروف، وأشدّها محنة وبلاءً، وقفت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالدور الأوَّل قد خاضته السيِّدتَان الجليلتان عليهما السلام، فكانت السيِّدة خديجة أحد ركنَي رسول الله صلى الله عليه وآله الأمين، وبموتها عليها السلام، وموت عمِّ الرسول أبي طالب، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكَّة، لعلمه أنَّ قريش عازمة على قتله، ففي ليلة المبيت جمعت قريش قبائلها،

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) الطبريّ، ذخائر العقبى، ص٤٧

واختارت من كلِّ قبيلة رجلًا؛ ليقتحموا دار الرسول ليقتلوه ويضيع دمه بين القبائل. أمَّا دور السيِّدة زَّهراء عليها السلام في مكَّة، فهو الدفاع عن رسول الله، ومشاركته الحصار الذي فرضته قريش على المسلمين والهاشميِّين في شِعب أبي طالب، وبثِّ روح الصبر بعد فقده السيِّدة خديجة عليها السلام. ثمَّ هجرتها في ركب الفواطم، وهنَّ: فاطمة بنت النبيّ، وفاطمة بنت أسد والدة الإمام، وفاطمة بنت الزبير عمَّته، وبعض الضعفاء من المسلمين، يريدون المدينة بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام، واستبسل لتوصيل الرَّكب إلى المدينة المنوَّرة سالمين، فواجه مقاتلي قريش في الطريق بكلِّ شجاعة[1].

ويوم أُحد كان لها عليها السلام وقفة أيضًا، فبعد أن أعلن إبليس (لعنة الله عليه) مقتل رسول الله، وصرخ صرخته سمعها أهل المدينة، خرجت الزَّهراء عليها السلام مع عمَّة الرسول صفيَّة إلى أن وصلت إلى أرض المعركة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد جُرِح وكُسِرت رباعيَّته وهُشِّمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة تغسل الدَّم الذي خضَّب رأسه ولحيته، وتضمِّد جراحه الذي كان يسيل منها الدَّم إلى أن استمسك، وعليّ يصب الماء بالمجنّ. وخرجت مع أبيها وبعلها في فتح مكَّة، وشهدت الفتح.

أمَّا دورها الرساليّ الخالد، فهو في حركتها الثوريَّة بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي ثورة ضدَّ الظلم، لقد شهدت عليها السلام أسخن الأحداث التي مرَّ بها الإسلام، وهي مرحلة ما بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، فنُكِثت البيعة وخالفوا وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يُحترَم عزاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا زال رسول الله بعد لم يجهَّز، حتَّى بدأ الصراع على السلطة وانشقَّت الأمَّة، ممَّا حدا بأمير المؤمنين عليه السلام الصبر حفاظًا على وحدة الإسلام، والجهود التي بُذِلت في تأسيسه، وإخماد الفتنة، وسكت البطل الهمام عن حقِّه وفي العين قذًى وفي القلب شجًا. لكنَّ هذا لم يمنع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من المطالبة بالحقوق المغتصَبة، وبيان مظلوميَّة أمير المؤمنين عليه السلام، حتَّى لا تنطلي مؤامرة المغتصِبين للخلافة،

(١) الإمام عليّ عليه السلام قدوة وأُسوة، ص١١٢.

فتصدَّت لأصعب دور عرفته البشريَّة، فدفعت ثمنه حياتها المباركة، وخسرت البشريَّة خسارة لا تقدَّر بأي ثمن، فظُلِمت وغُصِب حقُّها، وصادروا أموالها وحقَّها في فدك، وأُوذيت واعتُديَ عليها، وهُتِكت حرمتها وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحُرِق بابها، وأُسقِط جنينها.

ما كانت فدك تمثِّل شيئًا عند الزَّهراء عليها السلام، إلَّا فرصة للمطالبة بحقِّها وبيان رأيها بالمجموعة التي غصبت خلافة الله؛ لتدافع عن إمام زمانها، فأعلنت بكلِّ وضوح موقفها من تلك المجموعة التي حرَّفت إرادة السماء وأوامرها بخطبة لا تصدر إلَّا من شخصيَّة عظيمة متكاملة، بيَّنت فيها أُسسًا عقائديَّة جمَّة، وفضل الإسلام، ودورهم عليهم السلام في تنظيم الملَّة والشريعة، بخطبة بلاغيَّة علميَّة، فيها أروع الصور.

وبرز للزَّهراء عليها السلام دور شجاع في الدفاع عن الإمام عليّ عليه السلام، وإنقاذ حياته من سيوف الظالمين، فبعد اقتحام بيتها، وإحراق بابها، وإخراجه مكبَّلًا، خرجت عليها السلام خلفه، فالبرغم من كسر ضلعها وسقوط جنينها، وخرج خلفها الهاشميَّات أمثال أمّ سلمة، حتَّى انتهت قريبًا من القبر الشريف، وهي تبكي وتصيح: «**خلُّوا عن ابن عمِّي، فو الذي بعث محمَّدًا بالحقِّ، لئن لم تخلُّوا عنه؛ لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله على رأسي، ولأصرخنَّ إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي..**»، فقال سلمان: «فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلَّعت من أسفلها، حتَّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها، وقلت: يا سيِّدتي ومولاتي إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمةً، إلى أن قال سلمان: فرجعت الحيطان حتَّى سطعت الغبرة من أسفله.. فدخلت في خياشيمنا»[1].

إنَّه من الغريب أن يكون هذا هو موقف الأمَّة، فتراب قبر رسول لم يجفَّ بعد، وإذا بدأت بمصادرة أموال الفقراء من بيت مال المسلمين، ويُصادَر حقُّ الزَّهراء عليها السلام في

(١) قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص٥٣٢.

فدك؛ لخوفهم من بقاء فدك في بيت عليّ عليه السلام، فتكون سببًا لقوّته، وكسب قلوب الناس إليه. لقد كانت ثروة كبيرة وسندًا قويًّا، فوارد فدك في منتصف السنة السابعة للهجرة أربعة وعشرون ألف دينار، وفي رواية سبعون ألف دينار من الذهب، كانت عليها السلام تنفقها على الفقراء والأيتام[1]، ومع كونها كانت نِحلَة رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر السماء في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، وهبها إيَّاها، وبقيت طيلة حياة النبيّ صلى الله عليه وآله تحت يدها، لم يرتدع عمر في مصادرتها بالقوَّة، وبموافقة أبي بكر، فأخرجوا عامل الزَّهراء منها[2].

موقف الخلافة هذا لم يمنع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من التصدِّي والدفاع عن حقوق آل البيت المسلوبة، ولم يمنعها حزنها وفاجعتها باستشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا بشرى رسول الله صلى الله عليه وآله بأنَّها أسرع لحوقًا به، فلم تنثنِ عن واجبها، بالرغم من علمها أنَّهم لن يرجعوا لها الحقَّ المسلوب، ورغم تيقُّنها بقرب منيَّتها، وأنَّ ما تدافع لاسترجاعه ليس لها، فليس غرضها مصلحتها، فقد كانت المدافعة والمحامية عن حقوق زوجها وإمام زمانها، ولتبيِّن أحقيَّة أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الأمَّة، واختيار الله واصطفائه له، وبيَّنت فضائله التي لا يجرؤ أي أحد على نكرانها، وتفرُّده بها من بين كلِّ الرجال إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله، وكشفت عدم صلاحيَّتهم لهذا المركز والقيادة، وبغضِّ النظر عن سبب تجريد تلك المجموعة لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، الذين أوصى الله بهم، من حقوقهم الشرعيَّة كالخمس والفيء، ومصادرتهم لأموالهم التي نحلها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، لتقويض قوَّتهم وإبعاد محبِّيهم عن بابهم، ومع هذا حضرت في المسجد، وطالبت بحقوقها المغتصَبة، وأموالها التي جعلها الله ورسوله لها، وأنَّها احتجَّت على رئيس الدولة يومذاك.

إنَّ الزَّهراء عليها السلام لم تطلب فدكًا للرفاهية، وإنَّما لأسباب عدَّة، منها قد تكون بسيطة الاستدلال، وهي لمساعدة الفقراء والمساكين، وهذا كان دأبها قبل استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن هناك أبعادًا أعمق وأخطر، منها قضيَّة عصمة الحاكم، وإنَّ الذي يحقُّ

(١) فاطمة الزَّهراء ودورها في الإصلاح الاجتماعي، ص٤٢.
(٢) الكافي، ج١، ص٥٤٣، باب الفيء والأنفال، باب ٥.

له الخلافة هو المعصوم، ففي حياة رسول الله صلى الله عليه وآله استقام الإسلام بتشريعات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فما أن مات صلى الله عليه وآله، وتولَّى أبو بكر، حتَّى بدأت سلسلة الانحرافات، فمحاججة أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بمشروعيَّة تمليكها فدك سواء بهبة أو إرث، هو مؤشِّر لعدم أهليَّته، وأنَّه غير معصوم، وليس له المؤهِّلات لقيادة أمَّة الإسلام، وما كان خروجها للمطالبة بحقِّها إلَّا بمشورة من أمير المؤمنين عليه السلام، والإذن منه، بل كان أمير المؤمنين عليه السلام قد طالب أبا بكر بفدك للزَّهراء عليها السلام، والتي كانت تحت يدها في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنَّ أبا بكر طالبه بالبيِّنة بالشهود على تمليك رسول الله صلى الله عليه وآله لها، وحاججه أمير المؤمنين بكتاب الله، فرفض، ثمَّ أحضر الشهود، وهم: هوَ والحَسَنان وأمّ أيمن، فردَّهم أبو بكر وعمر.

لم تكن الزَّهراء عليها السلام قد خطبت قبل الخطبة الفدكيَّة، ولم تتصوَّر القوَّة الحاكمة أنَّ الزَّهراء المريضة المفجوعة ستقول كلامًا مؤثِّرًا، فكان خطابًا صادمًا، روعة في البلاغة والبيان، أشعل شعلة المعارضة ضدَّ الحكومة الجديدة الغاصبة لحقوقها وحقوق أهل بيتها، خطاب يهدف إلى تأجيج الوعي، وتحرير العقول وإرجاعها إلى المسار الصحيح، وأنَّ أهل البيت هم أولى بقيادة الأمَّة.

ففي خطبتها عليها السلام في المسجد النبويّ، كانت تركِّز على الرسالة والنبوَّة والخلافة، والعودة إلى إجراء سنَّة الله في الأرض بإقامة العدل، خطاب الزَّهراء عليها السلام هو خطاب تجاوَز الزمان والمكان والحيِّز الذي عاشته، فهو صوت لكلِّ أحرار العالم في بيان مظلوميَّتها ومظلوميَّة آل بيت، وليكون صوتًا وشاهد عيان لما شهده أهل البيت في تلك الحقبة المؤلمة، وبمراجعة الخطبة الفدكية نَلحَظ أمرًا في منتهى الغرابة، هو أنَّها عليها السلام لم تُشِر إلى مسألة الاعتداء على بيتها وكَسرِ ضلعها وإسقاط جنينها وضربها، فلقد حاججتهم بالقرآن وبأروع بيان، وكان للخطبة صدى في مجتمع المدينة المنورة، فلقد اضطرب الناس، وصارت خطبتها سلام الله عليها حديث الناس. لقد كانت بقمَّة الشجاعة

والجرأة، إذ لم تتردَّد في موقفها أبدًا أو تتراجع، بل وقفت بكلِّ صمود مع حراجة الموقف وقلَّة الناصر، قالت لبعض هؤلاء: «**لأدعونَّ عليكم في كلِّ صلاة**»، وهو موقفٌ يدلُّ على شجاعتها ورباطة جأشها عليها السلام.

لقد خطبت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام خطبتها من أجل العدالة وإنقاذ المجتمع من النكوص ورجوعه إلى الجاهليَّة التي أنقذهم منها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعاد النظام للملَّة وتحقيق المساواة في مجتمع إسلاميّ واحد، لذلك شهدت عليها السلام انقسام المسلمين وارتداد بعضهم عنه، لقد أدَّت عليها السلام درسًا عمليًّا في المطالبة بالحقوق، وأنَّه تكليف شرعيٌّ على كلِّ إنسان، والدفاع عن إمامهم رجالًا ونساءً. لقد أسمعت الأجيال صوتها وبيانها في حقِّها بالمطالبة بالحريَّة وحقِّ التملُّك، وحقّ المشاركة في منع الاستبداد، وحقّ إبداء الرأي، فقضيَّة فدك قضيَّة مبدأ لا أرض، وقفت عليها السلام ضدَّ السلطة السياسيَّة غير الشرعيَّة، تجاهد وتناضل من أجل استرداد الحقِّ لأمير المؤمنين عليه السلام، فكانت صورة حيَّة للمجاهدة في إحقاق الحقِّ، ففي نظرها الشريف الجهاد يحقِّق النصر ولو بعد حين، لذلك أورثت هذه المفاهيم لأولادها عليهم السلام، وخصوصًا الحسين، فمع علمه بأنَّه يستشهد مع أهل بيته، لم يثنِه عزمه لمجابهة طغاة عصره، ولقد دأب الأئمَّة عليهم السلام يحثُّون صبيانهم ومواليهم على حفظ الخطبة الفدكيَّة التي نقلتها وبكلِّ أمانة السيِّدة زينب عليها السلام، والسيِّدة أمُّ سلمة، والسيِّدة أسماء بنت عميس رضوان الله عليهنَّ.

ولم تيأس عليها السلام أبدًا ولم تسكت، بل وقفت موقفًا بطوليًّا، فألقت حججها على أبي بكر أمام حشد المهاجرين والأنصار في المسجد النبويّ، واستصرخت الهمم والضمائر، لكن الضعف والذلَّ والخنوع سيطر على المجتمع، فلم يستجب لندائها أحد إلَّا القليل، ولكنَّها أدَّت واجبها، فإنَّ فدكًا والخلافة لا تساوي عندها وعند الإمام عليّ عليه السلام شيئًا، وإنَّما تقصد من وراء المطالبة الإصلاح في أمَّة الإسلام وخوفهم عليها؛ لما سيلحقها من ظلم وفساد، فهم يريدون إصلاح المجتمع ووحدته، وتطبيقه لشريعة الإسلام الحقَّة.

ولم تكتفِ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بهذه الأدوار العظيمة، فبالرغم من ألمها ومرضها، ظلَّت أيَّامًا متوالية- أقلّها ثلاثة وأكثرها أربعين- تدور ومعها ولدَاها الحسن والحسين على بيوت الأنصار والمهاجرين؛ لبيان حقِّها ومظلوميَّتها، وتدعوهم لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يجد أهل البيت إلَّا أربعة أنصار، فلزم الإمام عليّ عليه السلام بيته، وأقبل على جمع القرآن[1].

ثمَّ انتهجت عليها السلام أسلوبًا جديدًا، وهو المقاطعة؛ لبيان غضبها على مَن غصَب حقَّها وحقَّ أهل البيت عليهم السلام، ولم ينتهِ موقف الزَّهراء بخطبتها أو مطالبتها بحقِّها بأكثر من فرصة، بل تصدَّت لدورها بأكثر من طريقة، ومن الطرق التي تُحمَد في المرأة هو أسلوب الدَّمعة والبكاء، وإعلان الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله بصفته الأب والحبيب والناصر، ومقاطعتها لرجال الحكومة، ورفضها لهم، وعتابها الشديد لنساء الأنصار والمهاجرين، وإعلان عدم رضاها من رجالهنَّ عندما زُرنَها في مرضها، فكانت خطبتها الثانية، التي بيَّنت انحراف الأمَّة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وبيَّنت قدرته وأهليَّته لقيادة الأمَّة، وهو وصيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله، والحامي عن الدين.. ولـمَّا بلَّغن النساء رجالهنَّ، وجاء الرجال للاعتذار منها، لم تقبل عذرهم، وأعلنت تقصيرهم في حقها وحقِّ إمامها، فقالوا: يا بنت محمَّد لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعليّ أحدًا، فقالت: «**وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأحد عذرًا**»[2].

فلمَّا استتبَّ الحكم للدولة الجديدة، أراد زعماؤها الجدد أن يسرقوا الشرعيَّة لملكهما، فتصوَّرا أنَّ ذلك ممكن بتقديم الاعتذار للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لكنَّها أبت إلَّا أن ترفض اعتذارهما إنكارًا لموقفهما وحكومتهما[3]، وهو نوع فريد من المواجهة أيضًا، لم تصل إليه السيِّدات العظيمات. لقد ظُلِمت وغُصِب حقُّها عليها السلام من أبي بكر وعمر، وهذا واضح

(١) كتاب سليم، ج٢، ص٥٨٠.
(٢) الخصال، ج١، ص١٧٣.
(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص٢٩٦.

من مقالتهما، وأشاحت وجهها إلى الحائط، وعدم ردِّ السلام عليهما، كذلك مقولة عمر لصاحبه: انطلق بنا إلى فاطمة فإنَّا قد أغضبناها، فإنَّ ذلك يرجعنا لربط كلامه مع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سلمان الفارسيّ: «**يا سلمان من أحبَّ فاطمة ابنتي فهو في الجنَّة معي، ومن أبغضها فهو في النار..**» حديثه سلام الله عليه، نفهم منه أين سيكون مغتصبو حقَّ الزَّهراء يوم القيامة.

ثمَّ استمرَّت الزَّهراء عليها السلام بمواجهة المنحرفين بالبكاء، فعن محمود بن لبيد قال: لـمَّا قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وآله، كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، وكانت تبكي على أمير المؤمنين عليه السلام لما سيلاقي من بعدها، فعن جعفر بن محمَّد عليهما السلام: «**لـمَّا حضرت فاطمة الوفاة، بكت، فقال أمير المؤمنين: يا سيِّدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى بعدي، قال لها: لا تبكي فو الله إنَّ ذلك لصغيرٌ عندي في ذات الله**»[1].

لقد رات قصرها ومكانها في الفردوس الأعلى في الجنَّة قبل وفاتها، وآخر سلاح شهرته عليها السلام بوصيَّتها بإخفاء قبرها، وعدم حضور من ظلمها تشييعها، ليبقى مجهولًا على مرِّ العصور، لتحرِّك العقول، وتستحضر النفوس لقبول حقيقة ظلم أهل البيت ممَّن يبرِّر للغاصبين، وهو آخر موقف سياسيّ قدَّمته صلوات الله عليها، وهو دليل على عدم رضاها على ما فعلته الأمَّة بحقِّها وحقِّ أمير المؤمنين عليه السلام، ليبقى سؤالًا خالدًا في ذهن الأجيال إلى ظهور ولدها الإمام الحجَّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، عن سبب وفاتها، وهي بعمر الورد، وما سبب خفاء قبرها. وقد اختُلِف في زمن وفاتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بين مقلٍّ ومكثر، أشهرها: أقلّها خمسة وأربعون يومًا، وأكثرها خمسة وتسعون يومًا.

البند الثاني: الدَّور الإعلاميّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

يُعرَّف الإعلام بأنَّه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأيٍّ صائبٍ في واقعة من الوقائع، أو مشكلة

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢١٨.

من المشكلات، بحيث يعبِّر هذا الرأي تعبيرًا موضوعيًّا عن عقليَّة الجماهير واتِّجاهاتهم وميولهم، وللإعلام طرق ووسائل، ويذكر ابن منظور أنَّ الإعلام بمعنى التبليغ(١)، وقد يكون الإعلام إيجابيًّا يهدف إلى نشر الحقائق والقيم الإيجابيَّة والمثل السامية، وقد يكون على العكس من ذلك، بعيدًا عن الصدق والنزاهة.

وقد اعتمد الإعلام في العصور القديمة على آليَّات الاتِّصال اللفظي وغير اللفظيّ، إذ القصيدة الشعريَّة والخطابة التي لها شأن أكبر في الإسلام؛ لما لها من القدرة على الإقناع، لذلك بلغت الخطابة أوجها على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام الذي كان مضرب المثل في البلاغة، واحتفظ الإسلام بصورة إعلاميَّة أخرى، مثل الأسواق والندوات؛ نظرًا لاتِّصالها قويًّا بحياة الناس في كلِّ زمان ومكان، فقد كانت محطَّات إعلامية آنذاك.

وبعد الإسلام تقدَّمت الخطابة على الشعر، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يتحدَّث للمسلمين الأحاديث في كلَّ مناسبة، والتي أصبحت سنَّته، وكانت تشمل كلَّ جديد، فأصبح الحديث النبويّ وسيلة خبريَّة، وإعلاميَّة موجَّهة ومؤثِّرة ومتميِّزة، وكان الآذان وسيلة لجمع المسلمين للصلاة، وللظروف الطارئة والحرجة، فضلًا عن الغزوات والسرايا الحربيَّة التي كان الرسول يقوم بتنظيمها حال وجود العدو، وإعلامه أنَّ الدين الجديد له من القوَّة الحربيَّة ما يستطيع بها المحافظة على نفسه في الداخل والخارج، ويُضاف إلى ذلك مواسم الحجِّ، التي كانت ميدانًا كبيرًا للإعلام والدعاية للعقيدة الإسلاميَّة(٢).

إنَّ كلًّا من المرأة والرجل مسؤولان عن صيانة الأمَّة، فهما متساويان في أغلب التكاليف، لكن بما يناسب وقابليَّاتهم الخلقيَّة والنفسيَّة، لذلك أوجب الجهاد على الرجال بالسلاح والقتال، وأوجب على الجميع قول الحقِّ ونصرة المظلوم بالكلمة، لذلك كان جهاد المرأة بالكلمة تطبيقًا لقول الامام الحسين عليه السلام: «**ليس على النساء قتال**»، فإنَّه عليه السلام

(١) قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص٥٥٧.

(٢) الإعلام في صدر الإسلام، ص٢٠.

لم يقل ليس على النساء جهاد، فإنَّ قابليَّة المرأة الفسيولوجيَّة والنفسيَّة ليس القتل، لكن يمكن أن تجاهد بطرق عدَّة، وبأكثر من أسلوب، وكلٌّ له نتائجه.

لقد تعدَّدت الوسائل والآليَّات الإعلاميَّة التي اتَّبعتها الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن حقِّها في فدك، وحقِّ زوجها في الولاية، وأهمها النشر الإعلاميّ، البيان الإعلاميّ، الشعر، المقاطعة، البكاء، بيت الأحزان، التعتيم الإعلاميّ[1].

كان للزَّهراء عليها السلام حضور إعلاميّ في قلب الحدث لأكثر من مناسبة، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يهمِّش وجودها أبدًا، بل كانت متواجدة في كلِّ الأحداث، وقد لا نجد حدثًا مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وغابت عنه الزَّهراء عليها السلام، ففي واقعة مباهلة الرسول صلى الله عليه وآله لنصارى نجران، ولم يكن حدثًا عاديًّا، وإنَّما هو مواجهة للدفاع عن العقيدة الحقَّة، لذلك وثَّقها القرآن العظيم بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، فقد كانت عليها السلام المصداق الوحيد لنسائنا، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام المصداق الوحيد لأنفسنا، وكان الحسن والحسين عليهما السلام مصداقٌ لأبنائنا، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله آخذًا بيد عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام.

فبالنسبة للنشر الإعلاميّ، قامت الزَّهراء بحملة إعلاميَّة بعد وفاة الرسول ولمدَّة ثلاثة أيَّام، تُعيد حادثة الغدير إلى أذهان المهاجرين والأنصار، فطافت على بيوتهم تسألهم حقَّها ونصرة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أسلوب أعلاميّ قديم يسمَّى المناداة. «والمناداة هو أن يركب الراكب ويطوف على الناس مخبرًا إيَّاهم بالأحداث الهامَّة والقرارات الجديدة والتعليمات». أمَّا البيان الإعلاميّ، فقد استخدمته عليها السلام وذلك من خلال خطبتيها، إذ تعدُّ الخطبة من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتِّصال والتأثير على الناس في مشاعرهم، وإقناعهم بالأفكار الجديدة، وهي فنٌّ مخاطبة الجمهور، وكلَّما كان الخطيب

(١) قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص٥٧٨.

(٢) آل عمران: ٦١.

بليغًا، كان تأثيره أقوى، وقد كانت خطبة الزَّهراء عليها السلام روعة في البلاغة، فقد أرسلت رسالة إلى الحاضرين والبعيدين في باقي بلاد المسلمين، بل ولكلِّ المسلمين على مدى الدهر، فأثَّرت في القوم، فبعد خطبتها ظلُّوا حيارى، لا ردَّ لهم بعد أن أفحمتهم عليها السلام بحججها.

ولم تكتفِ عليها السلام بأن يكون الكلام مع أبي بكر سرًّا وتناقش الأمر معه، فإنَّها اختارت التوقيت المناسب، وهو تحشُّد الناس وازدحامهم، والمكان المناسب هو المسجد النبويّ، وكان وقت الخطبة مناسبًا، لا قصير ولا طويل، محافظة على ذهنيَّة السامع، ليبقى متأثِّرًا ومتفاعلًا، وكان لهيئتها وطريقة مشيتها التي تشبه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله عامل إضافي من العوامل أثَّرت في السامع للخطاب، ولم تدخل بمفردها، بل في لـمَّة من النساء، وهذا يزيد في هيبتها، كذلك الحوار المفتوح مع أبي بكر أمام الناس، فهو استجواب قانونيّ صريح علنيّ، فلقد أعلنت زيف ادِّعائهم بإلقاء الحجج عليهم. لقد أنصت الجمع الغفير، ولم ينطق أحد ببنت شفة، كأنَّ على رؤوسهم الطير، ومن عوامل تأثُّر الناس الإعلان المسبق لخطبتها؛ فإنَّها قد أخبرتهم بموعدها، حينما دارت على بيوت الأنصار والمهاجرين، وما كان يكون صدى الخطاب إلَّا بشخصيَّة بقوَّة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، أمَّا طريقة الإلقاء فقد كان له أثره، «فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثمَّ أنَّت أنَّة، أجهش القوم بالبكاء، فارتجَّ المجلس»، هذه المراسيم التي أعدَّتها عليها السلام قبل خطبتها كانت عامل تهيئة لتقبُّل كلماتها.

اشتملت الخطبة على مزايا، منها التعريف بشخصها، وأنَّها فاطمة، وأنَّها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، واعتمادها الجمل القصيرة في الخطاب، ما يعطي فرصة للسامع للتفكير، ومراعاة أدب الحوار، فهي لم تقاطع أبا بكر في كلامه، مضمون الخطاب كان صريحًا وقويًّا، وكانت إجابتها مقنعة، استدلَّت بكتاب الله في محاججتها، وقد كانت تتمتَّع بالثقة وضبط النفس، لذلك كان حدثًا إعلاميًّا جليلًا أتى بثماره.

وأمَّا الشعر، فهو أيضًا أحد الوسائل الإعلاميَّة القديمة، فقد كان الشاعر هو الناطق الرسميّ للقبيلة، لذلك اهتمَّ أهل البيت عليهم السلام بدعم الشعراء الموالين لهم، في حين بذلت السلطة الأموال الكثيرة لكسب ألسنة الشعراء الداعين إلى حكمهم، وعادةً يكون الشعر أسهل حفظًا وأعظم أثرًا من النثر عمومًا، وبخاصَّة أشعار الرِّثاء، فإنَّ تأثيره عميق، لذا كان للشعر صداه السياسيّ والمعرفيّ والإعلاميّ والتربويّ. وقد كان عاملًا من عوامل انطلاق الثورات وبثِّ الإرادة لدى الشعوب[1]، وفي الوقت الحاضر تسعى الدول إلى أن يكون نشيدها الوطني قصيدة حماسيَّة تُلهِب القلوب عند سماعها، وتثير فيهم حبَّ الوطن.

لقد كان للزَّهراء عليها السلام دورٌ إعلاميّ مميَّز لإيصال مظلوميَّتها ومظلوميَّة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال قصائدها التي كانت تبثُّ فيها حزنها لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله، ورفضها للحكومة الغاصبة، وبيان مظلوميَّتها، وكانت تنشد تحريك المشاعر لنصرة الإمام عليّ عليه السلام، فبعد خطبتها وما تضمَّنت من بلاغة ومعاني عظيمة، أنشدت قصديتها:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة
لو كانت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنَّا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
تجهمتنا رجال واستخفت بنا
بعد النبيّ وكلُّ الخير مغتصَبُ

(وللقصيدة تتمَّة)، قالتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد خطبتها، وما إنشادها الشعر إلَّا ليكون أبلغَ في النفوس، وليصل صدى صوتها إلى كلِّ المدينة، وخارج المدينة، بل

(١) قراءة في السيرة الفاطميَّة، ص٥٣٧

لتخترق الزمان، ليصل لنا ونتمعن فيه ونعتبر. ولها قصائد أخرى تناجي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وتكلِّمه بلوعة منها

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبَّت عليَّ مصائب لو أنَّها
صبَّت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظلِّ محمَّد
لا أختشي ضيمًا وكان حمًا ليا
فاليوم أخشع للذليل وأتَّقي
ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا

ثمَّ انتهجت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أسلوبَين جديدَين، هو إعلان مقاطعة ظالميها، وأسلوب تهييج النفوس والمشاعر، وهو البكاء على رسول الله صلى الله عليه وآله بصفته الناصر والمحامي، فإنَّ ظلم الزَّهراء وتكذيبها لهو جحود بحقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد بكت رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرًا، وكان حزنها رساليًّا وإعلامًا واضحًا أمام الناس كلّهم لاستمرار التذكير بالرسول صلى الله عليه وآله، ولا بدَّ أن يستمرَّ التعريف بمظلوميَّتها ومظلوميَّة أمير المؤمنين عليه السلام، فإنَّها لم تكن تبكي في بيتها، وإنَّما بكاؤها على الملأ[1].

ثمَّ إنَّ أهل المدينة ضجروا من بكاء الزَّهراء عليها السلام، فشَكو إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا له: قد تأذَّينا بكثرة بكاء الزَّهراء، واقترحوا إمَّا أن تبكي ليلًا أو نهارًا، فكان ردُّها عليها السلام: «**يا أبا الحسن ما أقلَّ مكثي بينهم وما أقرب مغيبي بين أظهرهم فو الله لا أسكت ليلًا ولا نهارًا أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فقال لها عليّ عليه السلام: «**أفعلي يا بنت رسول الله**

(١) قراءات في السير الفاطميَّة، ص٦٠٤.

ما بدا لك»[1]، ثمَّ إنَّه بنى لها بيتًا في البقيع بعيدًا عن المدينة، سمِّي بيت الأحزان، «وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع، فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فردها إلى المنزل»[2]، وما بيت الأحزان إلَّا دلالة على استمرار حزنها وغضبها على ظالميها، وأخيرًا التعتيم الإعلاميّ الذي مارسته عليها السلام من خلال دفنها سرًّا وإخفاء قبرها، عن ابن نباتة قال: سُئِل أمير المؤمنين عليه السلام عن علَّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلًا؟ فقال عليه السلام: «إنَّها كانت ساخطة على قومٍ كرهت حضورهم جنازتها، وحرامٌ على من تولَّاهم أن يصلِّي على أحد من ولدِها»[3].

البند الثالث: دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الإصلاحيّ

من استقراء تجارب المصلحين من أوَّل الأرض إلى يومنا هذا، نجد أنَّ الإصلاح رسالة إنسانيَّة، والإصلاح بالذات يكون بمحاور عدَّة لخدمة المجتمع وإسعاده، من خلال الأعمال التطوُّعيَّة لرفع معاناة المحرومين والفقراء، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[4]، يخطر في البال تساؤل: ما الذي يميِّز فاطمة الزَّهراء عن سائر نساء الأرض حتَّى على حوَّاء أمّ البشر، وأفضل من آسية ومريم، بل أفضل من أمِّها خديجة أمّ المؤمنين؟.

لقد ساندت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أباها وزوجها في حمل مبادئ الإسلام، بما تمتَّعت به من كمالات، فكانت رسالتها نشر ثقافة الحبِّ والعدل لكلِّ إنسان على وجه الأرض، نجد أنَّها أوَّل امرأة في تاريخ العالم لا تهمُّها حياتها الشخصيَّة بقدر اهتمامها بالمجتمع وأفراد المجتمع، وإسعاد الآخرين، بنشر المحبَّة والعطف وصنائع المعروف

(١) الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ص٤٤١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٨.
(٣) أمالي الصدوق، ص٥٢٣.
(٤) هود: ١١٧.

إلى كلِّ إنسان، فمن الناحية العمليَّة تُنفق أموالها للفقراء، تقدِّم طعامها وطعام أولادها إلى المسكين واليتيم والأسير، وهي صائمة وتحمل الطعام إلى الآخرين بنفسها، وهي وأهل بيتها عليهم السلام صابرون، ولا تريد بذلك جزاءً أو عرفانًا بالجميل أو حتَّى شكر، ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]. عاشت لإسعاد أهل الأرض، فهي لا تخصُّ المسلمين وحدهم، بل كانت أفكارها ونظرتها إلى المستقبل، مستقبل المجتمع من أجل نشر السلام والمحبَّة، وشجب المآسي والحروب والأزمات في لعالم أجمع، ولكلِّ أطياف البشر، أنا لا أعتقد توجد امرأة في العالم فكَّرت في طريق السلام وطريق المحبَّة والمودَّة، وفكَّرت في إصلاح حياة المجتمع كفاطمة الزَّهراء عليها السلام، ويكفينا دليلًا أنَّها ضحَّت بحياتها من أجل تلك القيم، وانطفأت شعلة حياتها، وذبلت شمعة عمرها، وهي في ريعان الشباب، وعمر الزهور، من أجل أن تبقى كلمة الإسلام عالية، لا يبليها تقدُّم الأعمار وتوالي الدهور والأزمنة. وأعلنت موقفها السياسيّ من الحكَّام بكلِّ قوَّةٍ واقتدارٍ وجهارة صوت، من أجل إظهار الحقِّ، والدعوة إلى السلم والسلام والعدل، فحياة الزَّهراء عليها السلام رغم قصرها، خصبة زاهرة بالعطاء، فقد سبقت الزمن بعطائها، وبقيت ثمار تلك الإنجازات إلى يومنا هذا، كانت كوثرًا معطاءً يشعُّ بوجودها الكون، يكفي أنَّ ذريَّتها هم السبب المتَّصل بين الأرض والسماء، وأنَّهم حَفَظةُ الأرض وما عليها بحِفظ الإمامة.

كان أثر مواقفها عظيمًا، فإنَّ الأعمال العظيمة يكون صداها أكبر، فهناك تناسب بين العطاء وطول أثره في النفوس والتاريخ، ولم يكن اهتمامها بالدنيا ولا لذَّاتها، إنَّما كان همُّها الإصلاح في تلك الأمم التي أفسدها الطغيان، فكانت مخلصة العبادة لله، وقد طلبت من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون مهرها شفاعتها لإنقاذ المؤمنين والمؤمنات من النار، وفعلًا أخذت عهدًا من الله بذلك، ففي الحديث: هبط الأمين جبرائيل، فأعطى لرسول الله صلى الله عليه وآله عهدًا مكتوبًا لابنته فاطمة، بأن الله تعالى يعتق من تشفع له سيِّدة النساء

(١) الإنسان: ٩.

من عذاب النار، ويدخل الجنَّة بشفاعتها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيّما امرأة صلَّت خمسها وصامت شهرها وذهبت إلى الحجِّ ورضي عنها زوجها أدخلها الله الجنَّة بشفاعة ابنتي فاطمة الزَّهراء**»، وبلغ من حبِّ الزَّهراء عليها السلام للمؤمنين والمؤمنات أنَّها لا تدخل الجنَّة حتَّى تشفع لمن يحبّها وتدخلهم الجنَّة.

البند الرابع: الدور التربويّ لسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ دور الاصلاحيّ التربويّ له أهميَّته، وقد يكون هو أهمّ الأدوار، ومنه تتفرَّع باقي الأدوار، فبرزت فيه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال إيمانها المطلق، فالإيمان كسكَّة الحديد، لو وُضِع قطار عليها، ساعدت على استقامته وتقدُّمه، فلو رافق الإيمان حركة النموِّ عند الطفل منذ البداية، ساعد على استقامة الطفل في كافَّة جوانب تربيته، وذلك بأن لا تنمو فيه صفة على حساب صفة، فلا دلال على حساب المسؤوليَّة، ولا كبت على حساب الشعور بالكرامة، ولا حبَّ على حساب الاستقلال، ولا جفاء على حساب العلاقة الاجتماعيَّة، كما يساعد جوُّ الإيمان في البيت، على تعزيز روح الالتزام في نفسيَّة الطفل؛ لأنَّ الطفل الذي لا يرى الذين من حوله ينفِّذون برامج محدَّدة، وإخلاص واطمئنان، فهو الآخر يحبُّ أن ينفِّذ برامج مثلها من دون ضغط[1]. ليس بالماء والخبز وحدهما يحيى الإنسان، بل لا بدَّ من تغذية روحه بالإيمان والتقوى والقيم الاجتماعيَّة النبيلة، ومن الأمور التربويَّة المهمَّة هو احتواء الأبناء، وتخصيص الوقت الكافي لهم؛ لغرس المفاهيم الصحيحة في وقتٍ مبكِّر، وعدم الانشغال عنهم مهما كان ذلك الانشغال ضروريًّا، بل بالعكس إقدامهم على معايشة الظروف الصعبة في بداية حياتهم، تجعلهم يمتلكون شخصيَّة وإرادة قويَّة، وإن كانت تلك الظروف صعبة واستثنائيَّة.

من الأمور الثابتة قديمًا وحديثًا أنَّ الطفل يرث من أبويه صفات فسيولوجيَّة، ثمَّ يتَّصف بصفات طبعيَّة بسبب التنشئة الأسريَّة، بل وحتَّى الرضاعة، فإنَّ لها تأثيرها على

(١) تفسير من هدى القرآن، ج٤، ص٥٧٨.

الطفل، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تسترضعوا الحمقاء فإنَّ الرضاع يعدي**»، لذلك يمكن القول إن من أسباب كمال سيِّداتنا الجليلات هو طِيب المولد وطهارة الآباء وعفَّة الأمَّهات، وهذا ما عرَّجنا عليه في الفصل الأوَّل بتعريف سيرتهنَّ.

إنَّ حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيها الكثير من الدروس والعِبر التي يمكن استنباط منهاج حياة متكامل منها، فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام عاشت ظروف الرسالة الإسلاميَّة سواء ابنة أو زوجة أو أم، فالصعوبات التي واجهتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله منذ أوَّل يوم من ولادتها المباركة كثيرة، فشهدت تعرُّض مشركي قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله، وشهدت اقتحام المشركين بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة هجرته، وهاجرت إلى المدينة المنوَّرة، وهي لم تتجاوز الثامنة من عمرها، وكانت مساندة للرسول صلى الله عليه وآله، وعندما تزوَّجت وأنجبت أولادها الأربعة عليهم السلام تعاملت بوصفها أمًّا مثاليَّة، ربَّتهم على حبِّ الله والتفاني بالعبادة والزهد والصبر والإيثار، فبالرغم من صغرهم، كانوا ممَّن تصدَّق بطعامه لليتيم والأسير والفقير. أمَّا عن فترة نضال السيِّدة الزَّهراء من أجل المطالبة بحقِّها، فقد كان أولادها متعايشين معها لتلك الظروف، ومع صعوبة التجربة التي عاشتها، أشركت أولادها في تلك التجربة القاسية، فصحِبت السيِّدة زينب عليها السلام في خطبتها الفدكيَّة، وهي في عمر الخمس سنوات، وكانت تصحب الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام للدوران على بيوت المهاجرين والأنصار؛ للدفاع عن حقِّ أمير المؤمنين المغتَصَب، وكانت ترافقهما يوميًّا إلى البقيع، ويشاركانها أحزانها، وهما في عمر السادسة والسابعة.

وهناك صور لا يمكن إحصاؤها في هذه الوريقات للاستلهام منها عليها السلام.

الخاتمة

تذرَّعت المرأة العصريَّة بمساعدة الرجل في كسب سُبل العيش الرغيد، بسبب التقدُّم الحضاريّ والتكنولوجيّ، وتعدُّد وسائل الرفاهيَّة، فبدأت بمهن تليق بها مثل معلِّمة مربِّية، فنجحت وأبدعت؛ لأنَّ مهنة التعليم تليق بها وبمؤهِّلاتها الأنثويَّة، وباستعداداتها الفطريَّة من الأمومة والمتابعة وطول البال وغيرها. لكنَّ هذا النجاح أغراها بأن تتصدَّى إلى مهن أخرى، وفعلًا نجحت، ممَّا لم يجعل حدودًا لطموحاتها، فخاضت في كلِّ المعتركات، وغابت عن أهمِّ ساحة، وهي الأسرة والبيت والعائلة، ممَّا أدَّى إلى غيابها خارج البيت ولساعات طويلة، فقصَّرت في تربية أولادها، إلَّا القليل من النساء اللواتي تميَّزن في جميع الأصعدة.

ومع الحرب الثقافيَّة الموجَّهة لمجتمعاتنا المحافظة، ومع المحاولات الكثيرة للغزو الثقافيّ الغربيّ؛ لإخراج المرأة من دورها الرساليّ الذي أعدَّها الله لها، كونها مربيَّة الأجيال والحاضنة للولد، ليكون قويًّا متشبِّعًا بالحنان، فإنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، فقد تطرَّفت بعض النساء بين الإفراط والتفريط، إلَّا القليل منهنَّ اللواتي يحاولن أن يحافظن على هويَّة البيت الإسلاميَّة، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المرأة المؤمنة المثقَّفة المتعلِّمة لها تأثير إيجابيّ في تربية الأولاد؛ لأنَّها تكون قادرة على توفير بيئة صحيَّة لتنشئة جيلٍ واعٍ مؤمنٍ مثقَّف، فهي المعلِّمة الأولى لأولادها قبل الدخول في المجتمع.

وللحصول على أُسر تحظى بحياة سعيدة، وبناء مستقبل مشرق، لا بدَّ أن نبدأ أوَّلًا بالاهتمام بالأم وإعدادها وتوجيهها بالشكل الصحيح، عن طريق تدريبها في برامج تربويَّة، وتكون هذه البرامج من وحي ثقافتنا الإسلاميَّة، ممنهجة مستوحاة من قدوات

صالحة، وتقديم نموذج المرأة الكاملة المتكاملة، نموذجًا إلهيًّا، تصدَّى للإصلاح.

هناك مجموعة من الأسئلة ترد على أذهاننا وتستحقُّ التأمُّل:

السؤال الأوَّل: مَن الذي يُدخِل هذه الأمور إلى حيِّز التطبيق؛ ليتحقَّق الإصلاح الفعليّ؟ أعتقد أنَّ الجواب هو: الفرد بصفته أحد أفراد المجتمع بالعمل الجمعيّ، وبصفته فردًا في أسرته، فيصلح ذاته أوَّلًا، ثمَّ يشكِّل مع المجتمع مجموعة قادرة على التصدِّي للإصلاح.

السؤال الثاني: مَن الذي يخلق تلك البيئة التي تساعده على التغيُّر؟ فإنَّ هناك عوامل متعدِّدة، منها داخليَّة، ومنها خارجيَّة؟ قد يكون الجواب البيت والأسرة.

السؤال الثالث: مَن الشخص الذي يكون محور التغيُّر الأكثر في الأسرة؟ الجواب الذي لا خلاف فيه: الأم والزوجة، يقومان بالتصدِّي للدور السماويّ بأنَّهما محور الأسرة التي تشعُّ الحب والحنان والعزيمة فيها، من جهة، ومن جهة نحدِّد الأسس التي يجب أن نتَّبعها لخلق جيلٍ مؤمن بقيم السماء، وكيفيَّة إعداده، لذلك بات من الضروري أن تقدِّم الأسر إلى أولادهم نماذج من الناس الذين كملوا رجالًا، وهم المعصومون، ونساءً وهنَّ سيِّدات أهل الجنَّة، وخصوصًا سيرة السيِّدة الزَّهراء الذي يتبادر إلى الذهن، ليكونوا نبراسًا وقدوة لأولادهم، فيحثُّوهم على دراسة التاريخ وكتب السِّيَر، وخصوصًا سيرة أهل البيت عليهم السلام، وبذلك تكون الأم قد أدَّت رسالتها على أكمل وجه.

لذلك أدعو جميع المؤمنات للاقتداء بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، بأن تنذر أولادها في نصرة إمامنا وقائدنا، وأن تتضافر جهودهنَّ بإعداد هذا الجيل المؤمن النَّاصر والمساند لدولة العدل الإلهيّ، من خلال تنشئتهم على حبِّ الخير والتقوى، والتحلِّي بكلِّ الفضائل، جيل يسعى إلى الإصلاح والدفاع عن الحقوق، ينصر المظلوم، ويقف بوجه الظلم في أي مكان، ولا يسكت عن الحقِّ مهما صغر عمره، أُسوة بالإمامَين الحسن والحسين والسيِّدة زينب عليهم السلام، وللوصول إلى الغاية المنشودة، لا بدَّ من متابعة البيئات التي يتعايش فيها

الأولاد في المدرسة، والمجتمعات التي يختلطون بها، ولأهميَّة الموضوع لا بدَّ من أن يتعاون الجميع في عمليَّة الإصلاح.

وممَّا ذُكِر، يمكن أن نقترح ما يلي، فيما يخصُّ أسرة مؤمنة سعيدة:

١. يجب أن يهتمَّ الأب والأم باختيار المعلِّم والمؤدِّب الصالح لأولادهم، باختيار المدرسة الأصلح.

٢. يجب أن يهتمّ الأب والأم بمعرفة ومتابعة الصحبة المحيطة بأولادهم، خوفًا من اكتسابهم أفكارًا غير صحيحة.

٣. مشاركة الأولاد في اهتماماتهم، ومناقشتهم بهمومهم، وإيجاد حلٍّ لمشاكلهم، وتحديد ساعات خاصَّة ومحدَّدة يوميًّا لهم.

٤. الإشراف على البرامج التي يتابعها الأولاد، ومناقشتهم في الأفكار والقيم التي انغرست في ذهنه، ومناقشته في كلِّ فكرة يتعلَّمها؛ لتقويمها في الوقت المناسب، وليس بعد أن يشبَّ ويكبر ويستقلَّ ويتفرد في فكره.

٥. خلق روح المحبَّة والسعادة بين أفراد العائلة الواحدة، من خلال احترام مشاعر الآخرين وآرائهم.

٦. مشاركة الأولاد بحلِّ مشاكل الأسرة، وتكليفهم بواجبات ولو بسيطة، لخلق روح تحمل المسؤوليَّة.

٧. إعداد برنامج عبادي للأولاد في وقت مبكِّر من حياتهم، ومخالطتهم بالقرآن، وتعويدهم على حِفظه وتلاوته حتَّى يكون جزءًا من شخصيَّتهم، وإدخالهم في دورات تفسير القران؛ لتكون عندهم مَلَكَة التدبُّر.

أمَّا ما يخصُّ المجتمع، فاقترح:

١. إعداد كادر تعليميّ مؤمن قادر على تحمُّل تربية الجيل الجديد، مع تحدِّي العولمة الثقافيَّة وتداخلها.

٢. إعداد برنامج في العطلة الصيفيَّة مكثَّف توعويّ، فيه مساحة كبيرة للثقافة الدينيَّة والعقائديَّة.

٣. تصدِّي المبلِّغين والمبلِّغات إلى الاختلاط بالشباب، من خلال فرض اللقاء، لبثِّ روح الفضيلة والقيم الصالحة فيهم، وتصحيح أهدافهم من خلال الطاقات الإيجابيَّة ضمن برامج تسمَّى تنمية بشريَّة دينيَّة.

٤. إدخال منهج دراسيّ في المدارس الدينيَّة النسويَّة في شرح الأبعاد العلميَّة والعقائديَّة في خُطب النِّساء الرساليَّات، مثل الخطبة الفدكيَّة، وخطبة السيِّدة زينب عليها السلام.

٥. بسبب ابتعاد المدارس والأسرة عن التوجيه الأخلاقيّ والعقائديّ، لذلك من الضروري تفعيل دور المدرسة من خلال إعداد برامج مشتركة بين المدرسة والأسرة عن طريق الندوات الثقافيَّة.

٦. إعداد برامج منظَّمة خلال العطل الصيفيَّة لإقامة دورات واسعة للشباب الجامعيِّين ولكِلَا الجنسَين داخل الحسينيَّات والمساجد، ويتصدَّى لها طلبة العلم رجالًا ونساءً لتقليل الهوَّة بين الحوزة والشباب.

٧. دعم أفكار الشباب ومشاركتهم همومهم، وإيجاد حلول لها، من خلال فتح مؤسَّسات إرشاديَّة، وتعيين كادر متخصِّص.

٨. حثُّ الفتيات على نهج السيِّدة الجليلة في الحفاظ على عفَّتها وطهارتها، وبناء شخصيَّة قويَّة ذات إرادة، لها رؤية مستقبليَّة واضحة.

٩. حثُّ الفتيات على استشراف مستقبل مميَّز، وبناء أساس قويّ، متسلِّحة بالفضيلة والإيمان باختيار العمل الذي يناسب مؤهِّلاتها العلميَّة والبيولوجيَّة، وعدم إقحام نفسها بأعمال تجعلها تخرج عن أنوثتها، أو يؤثِّر على دورها كأم مستقبليَّة.

١٠. إعداد برامج تربويَّة للفتيات قبل الزواج، تعلمهنَّ طريقة التعامل مع الزوج والحقوق الزوجيَّة، وجعل بيت الزَّهراء السعيد أساسًا للمنهاج الحياتيّ.

١١. توجيه الشباب في اختيار المرأة المؤمنة الصالحة، وبالمقابل توجيه الفتيات باختيار الرجل الصالح، وأن لا يكون الفقر حاجزًا، وأن لا يكون هناك غلاء في المهور، والتنازل عن الأعراف الاجتماعيَّة التي ما أنزل الله بها من سلطان، مجرَّد مظاهر اجتماعيَّة، وترف اجتماعيّ قد يؤدِّي بطريق أو بآخر إلى الرِّياء والسمعة.

١٢. خلق روح المثابرة والعمل المجتمعيّ، بحسن أدارة الطاقات الشبابيَّة الخلَّاقة.

١٣. الاستفادة من الشعائر والمجالس الحسينيَّة، وذلك بتسليط الضوء على الدَّور التربويّ والاجتماعيّ للنساء الرساليَّات، وتسليط الضوء على الدَّور الأُسري والاصلاحيّ لتلك النساء.

١٤. الحثُّ والدعوة إلى تشجيع النساء المثقَّفات للتأليف في القضايا الأسريَّة والعقائديَّة، ودراسة حياة النساء الرساليَّات بشيء من التفصيل.

١٥. مفاتحة وزارة التربية لتسهيل إعداد برامج تربويَّة للمدارس الثانويَّة مشتركة مع المدارس الدينيَّة النسويَّة؛ للاستفادة من الطاقات العلميَّة، وخصوصًا في الأمور العقائديَّة.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الأصفهانيّ، أبـو الفرج، مقاتل الطالبيين، ط١، دار المعرفة للطباعة، ٢٠٠٥م.

٢. ابن شهرآشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ، مناقب آل أبي طالب، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١.

٣. الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العالميَّة، ١٤٢٥هـ.

٤. البحرانيّ، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، بيروت، دار الكتاب الإسلاميّ، ١٤١٢هـ.

٥. البحرانيّ، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، بـيروت، مؤسَّسة الأعلميّ، ٢٠٠٦م.

٦. الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى، الجامع الصحيح أو سنن الترمذيّ، تحقيق: محمود حسن نصَّار، ط٣، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠١١م.

٧. الحدَّاد، كفاح، قراءة في السيرة الفاطميَّة، كربلاء المقدَّسة، العراق، دار الكفيل، ط١، ٢٠١٥م.

٨. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مكتبة الشيعة الإلكترونيَّة.

٩. حمزة، عبد اللطيف، الإعلام في صدر الإسلام، ط١، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٧١م.

١٠. الريشهريّ، محمَّد، ميزان الحكمة، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.

١١. الريشهريّ، محمَّد، أهل البيت في الكتاب والسنَّة، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.

١٢. الريشهريّ، محمَّد، موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب في الكتاب والسنَّة والتاريخ، مكتبة الشيعة الإلكترونيَّة.

١٣. السبزواريّ، عبد الأعلى الموسويّ، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط٥، قم المقدَّسة، منشورات دار التفسير، مطبعة نكين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٤. السند، محمَّد، مقامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الكتاب والسنَّة، محاضرات بقلم السيِّد محمَّد الحلو، ط٢، كربلاء المقدَّسة، العراق، دار الصادق، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٥. سليم بن قيس، النجف الأشرف،المطبعة الحيدريَّة، ١٩٦٤م.

١٦. السيوطيّ، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بـ(الخصائص الكبرى)، بيروت، لبنان، دار الكاتب العالميَّة، ١٩٧١م.

١٧. الشاهروديّ، عليّ النمازيّ، مستدرك سفينة النجاة، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.

١٨. الشبلنجيّ، مؤمن بن حسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، المكتبة الرقميَّة العالميَّة الإلكترونيَّة، ١٨٧٣م.

١٩. الصدوق، ابن موسى بن بابويه، الأمالي، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة البعثة، ١٤١٧هـ.

٢٠. الصدوق، الخصال، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، ط١، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ، ١٤١٠هـ.
٢١. الصدوق، علل الشرائع، قم المقدَّسة، المكتبة الحيدريَّة، ١٩٩٦م.
٢٢. الصدوق، معاني الأخبار، مكتبة الشيعة الإلكترونيَّة.
٢٣. الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن ،ط١، بيروت، لبنان، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٤. الطبريّ، ابن جرير، دلائل الإمامة، ط٢، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ١٩٨٨.
٢٥. القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمَّد عبد الرحمن المرعشليّ، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العلميّ، ١٤٠٥هـ.
٢٦. القزوينيّ، محمَّد كاظم، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، قم المقدَّسة، المطبعة العلميَّة، ١٤١٤هـ.
٢٧. كاظم، أحمد، فاطمة الزَّهراء عليها السلام فضائل وكرامات، ط١، مكتبة العلَّامة ابن فهد الحِلِّيّ، كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٢٨. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب، أصول الكافي، مكتبة الشيعة الإلكترونيَّة.
٢٩. المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.
٣٠. المدرِّسي، محمَّد تقي، تفسير من هدى القرآن، ط١، العراق، دار الهدى، ١٤٠٦هـ.
٣١. المدرِّسي، محمَّد تقي، الإمام عليّ عليه السلام قدوة وأسوة، برنامج إلكترونيّ.
٣٢. مرتضى، جعفر، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، مكتبة الشيعة الإلكترونيَّة

٣٣. المسعوديّ، محمَّد فاضل، الأسرار الفاطميَّة، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.

٣٤. المشهديّ، محمَّد بن محمَّد رضا القمِّيّ (ت١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين دركاهي، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة شمس الضحى، ١٤٣٠هـ.

٣٥. معاش، كمال، فاطمة بين النبوَّة والإمامة، بيروت، لبنان، دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦. مغنية، محمَّد جواد، تفسير الكاشف، ط٤، بيروت، لبنان، دار الأنوار، ٢٠٠٩.

٣٧. مهدي، عبد الزهرة، الهجوم على بيت فاطمة، المكتبة الشيعيَّة الإلكترونيَّة.

٣٨. الموسويّ، إبراهيم، فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها في الإصلاح الاجتماعيّ، ط١، كربلاء المقدَّسة، مكتبة العلَّامة ابن فهد الحِلِّيّ، ٢٠١٦م.

٣٩. الهاشميّ، عبد الله عبد العزيز، فاطمة الزَّهراء عليها السلام من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، ط٢، بيروت، لبنان، مؤسَّسة الفكر الإسلاميّ للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

مِحْوَرِيَّةُ الإِمَامَةِ فِي مَوَاقِفِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَاحْتِجَاجَاتِهَا

أ.د. حَيْدَر عَليّ حُلُو الخِرْسَان
جامعة ذي قار/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

مُلَخَّصُ البحث

إنَّ نَهْضَةَ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وما رافقَ تلك النهضة من أحداثٍ ومآسٍ، يُوصلنا إلى نتيجةٍ واحدةٍ هي أصلُ كلِّ فِعل قامت به فاطمةُ الزَّهراء عليها السلام، هو دفاعُهَا عن حقِّ الولاية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ تعلمُ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام بعلم الله سبحانه، وما أوحاه إلى رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله، وما نصَّ النبيُّ عليه في حوادثَ متعددةٍ، بأنَّ الوصيَّ والخليفةَ والقائدَ للأمَّة بعده هو أميرُ المؤمنين عليه السلام، وما تأكيدُ رسول الله على وجوب قيادة الإمام عليّ عليه السلام للأمَّة إلَّا من أجل المحافظة على الدين من التحريف والتزييف، فمَنْ يجهلُ كتابَ الله سبحانه، ولا يعرف تفسيرَ آياته، ولا يميِّز بين أُصولها، كيف يتسنَّى له قيادة الأمَّة، فعلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون حاملًا لكلِّ ما تمتاز به شخصيَّةُ الرسول من صفاتٍ حتَّى يكون مصداقًا واقعيًّا وصحيحًا لمصطلح (خليفة)، فحين رأتْ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام أنَّ الأمورَ انحرفت عن مسارها الصحيح بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، آلت على نفسها إلَّا أنْ تُدافعَ عن دين الله سبحانه، وعن القرآن الكريم، والوقوف بقوَّة أمام الهجمة التي أرادتْ تبديلَ كلام الله تعالى، مقدِّمةً نفسها بكلِّ بسالةٍ في تحقيق تلك الغاية، وهي إرجاعُ الأمور إلى نصابها، بعد أنْ رأتْ عزوفَ الأمَّة من المهاجرين والأنصار

عن التصدِّي لرياح التغيير التي هبَّتْ على دينهم، ولِتبيِّن لهم بأنَّ سكوتهم غلطٌ، فحين تقوم مولاتُنا فاطمة الزَّهراء بالنهضة، يكون ذلك أفضلَ حافزٍ للأمَّة على مشروعيَّة تلك النهضة، فهي ابنةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وروحه التي بين جنبيه، وبضعتُه، وحبيبتُه، وأقربُ الناس إليه، وذرِّيتُه من نسلها، مع ذلك التراث الضَّخم من الأحاديث المشِيدَة بفضلها ومنزلتها ومقامها، فلا يبقى للأمَّة شكٌّ بعد ذلك في صحَّة نهضة الزَّهراء عليها السلام، ولكن جُوْبِهَت الصدِّيقة الطاهرة بخذلانٍ مُميتٍ من قبل أغلب المسلمين، إلَّا ما ندر منهم، إذ لم يفهموا من قيادة الأمَّة سوى المفهوم الظاهريّ، ولا علاقة لهم ما لم يتغيَّر ظاهرُ الشريعة في الأمد القريب، فهم لم يلتزموا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، ووجوب تنصيبه خليفةً عليهم، وما امتازت به هذه الأحاديثُ من نظرة بعيدة في أفق الزمن؛ لصيانة الشريعة من تحريف تطبيقها، وتغيير مصاديقها، ولكن بعد حينٍ تنبَّهت الأمَّةُ إلى خطئها وفشلها، وتبيَّن لها صحَّة نهضة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فأرادت تصحيح المسيرة، ولكن هيهات من ذلك، إذ ألقى الباطلُ بجرانه في طول الأرض المسلمة وعرضها، وأنَّى لها أنْ تتقبَّل مشروع التغيير بعد تسلُّم الإمام عليّ عليه السلام قيادة الأمة، حين أراد إرجاعها إلى جادَّة الصواب، فنفرت النفوسُ من ذلك، وبَعُدَ شأوها، وتغلَّظت أهواؤها، فلم يبقَ الإمامُ عليّ عليه السلام في الحكم إلَّا خمس سنوات وأشهر، حتَّى قضى شهيدًا مسمومًا، وهو يردِّدُ دائمًا: «**يا أشباه الرجال ولا رجال! حلومُ الأطفال، وعقولُ ربَّات الحجال، لوددتُ أنِّي لم أركم ولم أعرفكم، معرفةً- والله- جرَّت نَدمًا، وأعقبتْ سدمًا، قاتلكم اللهُ! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيظًا، وجرَّعتموني نُغَبَ التهام أنفاسًا، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان**»[1].

وقال عليه السلام: «**أيُّها النَّاس المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفةُ أهواؤهم، كلامُكم يُوهي الصُّمَّ الصُّلاب، وفعلُكم يُطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيتَ وكيتَ،**

(١) نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: د. صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، ص٦٦-٦٧.

فإذا جاء القتالُ قلتم: حيدي حياد، ما عزَّت دعوةُ مَنْ دعاكم، ولا استراحَ قلبُ مَنْ قاساكم، أعالِيلُ بأضاليل، دِفاعِ ذي الدين المطولِ، لا يمنع الضَّيمَ الذَّليلُ، ولا يُدرَكُ الحقُّ إلَّا بالجدِّ، أيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون، ومع أيِّ إمامٍ بعدي تُقاتلون؟ المغرورُ والله مَنْ غررتموه، ومَنْ فاز بكم فازَ بالسهم الأخيب، ومَنْ رمى بكم رمى بأفوقَ ناصل. أصبحتُ والله لا أُصدِّق قولكم، ولا أطمعُ في نصركم، ولا أُوعِدُ العدوَّ بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ القومُ رجالٌ أمثالكم. أقولًا بغير علم، وغفلةً من غير ورعٍ! أو طمعًا في غير حقٍّ؟»[1].

وإذا أردنا تفسير نهضة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بحسب معطيات أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فنقول: إنَّها قامت؛ لأنَّها رأت أنَّ واجبَها الشرعيَّ الدفاعُ عن إمام زمانها والحجَّة عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الإمام عليّ عليه السلام، فخرجت فاطمةُ مدافعةً عن إمامها ووليِّها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فمَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وانصرْ مَنْ نصره، واخذلْ مَنْ خذله**»[2].

وبعد أن رأتْ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام تنكُّرَ معاشر المهاجرين والأنصار لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ الإمام عليّ عليه السلام، خرجتْ مدافعةً عن تلك الوصيَّة، ومدافعةً عن حقيقة الإمامة، ولكن لم تجد لها ناصرًا من جمهور المسلمين، فذهبت شهيدة الولاية، مخضَّبةً بدمائها في طريق الحقِّ، وترمزُ لنا هذه التضحية أنَّ طريق الولاية لا يُعبَّد إلَّا بالدماء الزاكية من قوافل الشهداء على مرِّ العصور.

في خَاتمةِ هذا البحثِ وصَلْنَا إلى مجموعةِ أمورٍ، منها:

١. أَثْبَتَ البَحثُ أنَّ هناك خطَّينِ مُتوازيينِ لا يلتقيانِ في تأريخِ الإسلامِ، أحدُهُمَا: يُمثِّلُ الشَّرعيَّةَ الرَّبانيَّةَ والنَّصَّ الإلهيَّ والحقَّ الصَّحيحَ والصِّرَاطَ المُستقيمَ، وهو المُتجسِّدُ بأهلِ بيتِ النَّبيِّ عليٍّ وفاطمةَ وابناهما عليهم السلام.

(١) نهج البلاغة، ص٦٩-٧٠.

(٢) المقنعة، للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢، ص٢٠٤.

وَالآخرُ: يُمَثِّل الانحرافَ البارِزَ عن طريقِ الإسلامِ في أوائِلِ انتشَارِهِ، فلمْ يَألُ هذا الخطُّ جُهْدًا من الإساءةِ لشخصِ النَّبي والتَّشكيكِ به والتَّجاسرِ على أوامرِهِ، في حياتِهِ وبعدَ استشهادِهِ، وأبينُ مَا ظَهَرَ ذلكَ في ظُلمِهِم ابنتِهِ الوحيدةِ فاطمةَ عليها السلام.

٢. أَرَادَتْ فَاطِمَةُ الزَّهراءُ عليها السلام في احتجاجاتها المُقدَّسَةِ أنْ تُبيِّنَ للأمَّةِ وللعالمِ كُلِّه على طولِ التَّأريخِ وجوبَ الدِّفاعِ عن الإمامِ الحقِّ المُنصَّبِ من الله تعالى، وتُوقِظَ الأمَّةَ من غَفْلتِهَا، وتذكِّرَها بإمَامِهَا المنصُوصِ عليه في مواطنَ كثيرةٍ، وأقربُهَا عَهْدًا هو بيْعَةُ الغديرِ، فخرُوجُهَا (سلام الله عليها) أثْبَتَ شرعيَّةَ الخُروجِ على مَنْ غَصَبَ الخِلافَةَ.

٣. أَمَاطَتْ السِّيدةُ الزَّهراءُ عليها السلام اللثَامَ عن مَنْ تَقنَّعَ بِقناعِ الإسلامِ لِيخْدَعَ النَّاسَ بظاهرِهِ، وذلكَ حينَ طَرَحَتْ كَلَّ الأدلَّةِ المُثبتَةِ لِحقِّ الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولكِنَّهُم رَفَضُوهَا كُلَّها، لا لِعَدَمِ حُجِّيتِهَا، فَدَلِيْلٌ وَاحِدٌ يَكفي في إثبات صحَّة دعوى مَولاتِنَا فَاطمةَ عليها السلام في الإمامة، بَلْ كَانَ رَفْضُهُم لِئَلَّا يُؤدِّي الاعترافُ بِتلكَ النصوص إلى إثبات حقيقة المُطَالَبَةِ بِحَقِّ الخِلافَةِ الصَّادِقَةِ لأميرِ المُؤمنينَ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهُناكَ نَتَائِجُ أُخْرى وَرَدَتْ في صَفَحَاتِ البحثِ تَتَّضِحُ لِلقارئ اللبِيْبِ.

المقدِّمة

إنَّ نَهْضَةَ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد استشهاد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وما رافقَ تلك النهضة من أحداثٍ ومآسٍ، يُوصلنا إلى نتيجةٍ واحدةٍ هي أصلُ كلِّ فِعل قامت به فاطمةُ الزَّهراء عليها السلام، هو دفاعُهَا عن حقِّ الولاية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ تعلمُ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام بعلم الله سبحانه، وما أوحاه إلى رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله، وما نصَّ النبيُّ عليه في حوادثَ متعددةٍ، بأنَّ الوصيَّ والخليفةَ والقائدَ للأمَّة بعده هو أميرُ المؤمنين عليه السلام، وما تأكيدُ رسول الله على وجوب قيادة الإمام عليّ عليه السلام للأمَّة إلَّا من أجل المحافظة على الدين من التحريف والتزييف، فمَنْ يجهلُ كتابَ الله سبحانه، ولا يعرف تفسيرَ آياته، ولا يميِّز بين أُصولها، كيف يتسنَّى له قيادة الأمَّة، فعلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون حاملًا لكلِّ ما تمتاز به شخصيَّةُ الرسول من صفاتٍ حتَّى يكون مصداقًا واقعيًّا وصحيحًا لمصطلح (خليفة)، فحين رأتْ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام أنَّ الأمورَ انحرفت عن مسارها الصحيح بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، آلت على نفسها إلَّا أنْ تُدافعَ عن دين الله سبحانه، وعن القرآن الكريم، والوقوف بقوَّة أمام الهجمة التي أرادتْ تبديلَ كلام الله تعالى، مقدِّمةً نفسها بكلِّ بسالةٍ في تحقيق تلك الغاية، وهي إرجاعُ الأمور إلى نصابها، بعد أنْ رأتْ عزوفَ الأمَّة من المهاجرين والأنصار عن التصدِّي لرياح التغيير التي هبَّتْ على دينهم، ولِتبيِّن لهم بأنَّ سكوتهم غلطٌ، فحين تقوم مولاتُنا فاطمة الزَّهراء بالنهضة، يكون ذلك أفضلَ حافزٍ للأمَّة على مشروعيَّة تلك النهضة، فهي ابنةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وروحه التي بين جنبيه، وبضعتُه، وحبيبتُه، وأقربُ الناس إليه، وذرِّيتُه من نسلها، مع ذلك التراث الضَّخم من الأحاديث المشِيدَة بفضلها ومنزلتها ومقامها،

فلا يبقى للأمّة شكٌّ بعد ذلك في صحّة نهضة الزّهراء عليها السلام، ولكن جُوْبِهَت الصدِّيقة الطاهرة بخذلانٍ مُميتٍ من قبل أغلب المسلمين، إلّا ما ندر منهم، إذ لم يفهموا من قيادة الأمّة سوى المفهوم الظاهريّ، ولا علاقة لهم ما لم يتغيَّر ظاهرُ الشريعة في الأمد القريب، فهم لم يلتزموا بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، ووجوب تنصيبه خليفةً عليهم، وما امتازت به هذه الأحاديثُ من نظرة بعيدة في أفق الزمن؛ لصيانة الشريعة من تحريف تطبيقها، وتغيير مصاديقها، ولكن بعد حينٍ تنبَّهت الأمَّةُ إلى خطئها وفشلها، وتبيَّن لها صحَّة نهضة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فأرادت تصحيح المسيرة، ولكن هيهات من ذلك، إذ ألقى الباطلُ بجرانه في طول الأرض المسلمة وعرضها، وأنَّى لها أنْ تتقبَّل مشروع التغيير بعد تسلُّم الإمام عليّ عليه السلام قيادة الأمة، حين أراد إرجاعها إلى جادَّة الصواب، فنفرت النفوسُ من ذلك، وبَعُدَ شأوها، وتغلَّضت أهواؤها، فلم يبقَ الإمامُ عليّ عليه السلام في الحكم إلّا خمس سنوات وأشهر حتَّى قضى شهيدًا مسمومًا، وهو يردِّدُ دائمًا: «**يا أشباه الرجال ولا رجال! حلومُ الأطفال، وعقولُ ربَّات الحجال، لوددتُ أنِّي لم أركم ولم أعرفكم، معرفةً- والله- جرَّت نَدمًا، وأعقبتْ سدمًا، قاتلكم اللهُ! لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدري غيضًا، وجرَّعتموني نُغَبَ التهام أنفاسًا، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان**»[1].

وقال عليه السلام: «**أيُّها النَّاس المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفةُ أهواؤهم، كلامُكم يُوهي الصُّمَّ الصِّلاب، وفعلُكم يُطمع فيكم الأعداء، تقولون في المجالس كيتَ وكيتَ، فإذا جاء القتالُ قلتم: حيدي حياد، ما عزَّت دعوةُ مَنْ دعاكم، ولا استراحَ قلبُ مَنْ قاساكم، أعاليلُ بأضاليل، دِفاعِ ذي الدين المطولِ، لا يمنع الضَّيمَ الذَّليلُ، ولا يُدرَكُ الحقُّ إلّا بالجدِّ، أيَّ دارٍ بعد داركم تمنعون، ومع أيِّ إمامٍ بعدي تُقاتلون؟ المغرورُ والله مَنْ غررتموه، ومَنْ فاز بكم فازَ بالسهم الأخيب، ومَنْ رمى بكم رمى بأفوقَ ناصل.**

(١) نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: د. صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان: ٦٦-٦٧.

أصبحتُ والله لا أُصدِّق قولكم، ولا أطمعُ في نصركم، ولا أُوعِدُ العدوَّ بكم. ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ القومُ رجالٌ أمثالكم. أقولًا بغير علم، وغفلةً من غير ورعٍ! أو طمعًا في غير حقٍّ؟»[1].

وإذا أردنا تفسير نهضة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بحسب معطيات أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فنقول:

إنَّها قامت؛ لأنَّها رأت أنَّ واجبَها الشرعيَّ الدفاعُ عن إمام زمانها والحجَّة عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الإمام عليّ عليه السلام، فخرجت فاطمةُ مدافعةً عن إمامها ووليِّها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فمَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وانصرْ مَنْ نصره، واخذلْ مَنْ خذله**»[2].

وبعد أن رأتْ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام تنكُّرَ معاشر المهاجرين والأنصار لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ الإمام عليّ عليه السلام، خرجتْ مدافعةً عن تلك الوصيَّة، ومدافعةً عن حقيقة الإمامة، ولكن لم تجد لها ناصرًا من جمهور المسلمين، فذهبت شهيدة الولاية، مخضَّبةً بدمائها في طريق الحقِّ، وترمزُ لنا هذه التضحية أنَّ طريق الولاية لا يُعبَّد إلَّا بالدماء الزاكية من قوافل الشهداء على مرِّ العصور.

(١) نهج البلاغة: ٦٩-٧٠.

(٢) المقنعة، للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢: ٢٠٤.

المطْلَبُ الأوَّلُ

الاحتجاجُ على القوم حين دخلوا دار فاطمة عليها السلام

لا ريبَ أنَّ علمَ العالم ووعيه تدفعانه إلى اتِّخاذ مواقف متعدِّدة تَبَعًا لذلك العلم، وبما تملي عليه مسؤوليَّة الوعي، فإذا اقتضى الأمرُ التحرُّك لإنقاذ حقٍّ، ودحض باطلٍ، سارَ العالمُ بعلمه، وأرشده وعيُه إلى وجوب استنقاذ هذا الحقِّ، وهذا ما فعلته الصدِّيقة الطَّاهرة عليها السلام.

فحين رأتْ تغيير مسار الأمَّة الذي رسمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله عن الصراط المستقيم، وذلك بغصب خلافة الرسول[1]، وجعلها كرةً يتلقفها صبيان بني أميَّة، لا لشيءٍ إلَّا لأمرٍ عند نفرٍ آلوا على أنفسهم إزواء هذا الحقِّ عن أهله، وهذا ما تعاهدوا

(١) إنَّ مُصطلح (خليفة) مشتق في اللغة من مادَّة (خَلَفَ يَخْلِفُ) واسم الفاعل فيه (مُسْتَخْلِفٌ)، واسمُ المفعول (مُسْتَخْلَفٌ)، وإنَّ ادِّعاء أبي بكر أنَّه خليفة رسول الله هو باطل؛ لأنَّ هذا الحدث -وهو الاستخلاف- لم يحصل لأبي بكر مُطلقًا، فلا قامَ رسول الله صلى الله عليه وآله بصيغة اسم الفاعل (مُسْتَخْلِفٌ)، ولا تحقَّق لأبي بكر صيغة المفعول (مُسْتَخْلَفٌ)، بل حصل هذا الأمرُ مع أمير المؤمنين عليه السلام فقط، ومن هذا الاشتقاق اللغويّ نحتجُّ على غاصبي الخلافة بأنَّكم كيف تقولون إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الأمَّة ولم يستخلف أحدًا، فإذا صحَّ قولُكم: فمصطلحُ (خليفة رسول الله) باطلٌ؛ لأنَّ رسولَ الله لم يستخلفه، وإذا صحَّ قولُنا، بطل قولكم بأنَّ الرسولَ ترك الأمَّة من دون خليفة، وهذا أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام يحدِّثنا عن هذا المعنى، فيما نقله عنه سُليمُ بن قيس الهلالي الكوفي إذ قال: «قال عمر لأبي بكر: أرسلْ إلى عليٍّ فليبايع، فإنَّا لسنا في شيء حتَّى يُبايع، ولو قد بايعَ أمنَّاه، فأرسل إليه أبو بكرٍ: (أجب خليفة رسول الله)، فأتاه الرسول فقال له ذلك. فقال له علي عليه السلام: «**سُبحان الله ما أسرع ما كذبتم على رسول الله، إنَّه ليعلم ويعلم الذين حوله أنَّ الله ورسوله لم يستخلفا غيري**». وذهب الرسولُ فأخبره بما قال له». كتاب سُليم بن=

عليه في صحيفتهم.

إذ يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام بعد أن نهبوا الخلافة:

«لقد وفيتُم بصحيفتكم الملعونة[1] التي تعاقدتُم عليها في الكعبة (إنْ قَتَلَ اللهُ محمَّدًا

=قيس الهلاليّ، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ: ١٤٧-١٤٨.

وإتمامًا للفائدة نُبيِّن كيف سرقوا أعظم صفةٍ للإمام عليّ عليه السلام، وهي إمرة المؤمنين، إذ لا تَصدُق هذه الصفة إلَّا على شخص الإمام عليّ عليه السلام، وحتَّى أولاده المعصومين لا تُطلَقُ عليهم هذه الصفة، إلَّا أنَّ القوم نسبوها لأنفسِهم، فنُكملُ رواية سُليم المُتقدِّمة: «قال: اذهب فقل له: (أجب أمير المؤمنين أبا بكرٍ)، فأتاه فأخبره بما قال، فقال له عليٌّ عليه السلام: **سُبحان الله! والله ما طال العهد فيُنسى. فوالله إنَّه ليعلم أنَّ هذا الاسم لا يصلح إلَّا لي، ولقد أمره رسولُ الله، وهو سابع سبعة، فسلَّموا عليَّ بإمرة المؤمنين.** فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة، فقالا: أحقٌّ من الله ورسوله؟ فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وآله: **نعم، حقًّا حقًّا من الله ورسوله إنَّه أمير المؤمنين وسيِّد المسلمين وصاحب لواء الغرِّ المُحجَّلين، يقعده الله عز وجل يوم القيامة على الصراط، فيُدخِل أولياءه الجنَّة وأعداءه النار.** فانطلق الرسول فأخبره بما قال. قال: فسكتوا عنه يومهم ذلك». كتاب سُليم: ١٤٨.

(١) روي في بحار الأنوار: ٢٨/ ٩٦-١١١، تفصيل المعاقدة ضدَّ الخلافة، وكتابة الصحيفة ومحتواها، كلُّ ذلك نقلًا عن حذيفة بن اليمان الذي كان ممَّن عايش القضايا، وفحص عن جزئياتها. ومُلخَّص ذلك: أنَّ أوَّل مَنْ تعاقد على أخذ الخلافة هو أبو بكر وعمر، وكان الأساس الذي تعاقدوا عليه، وارتكز عليه سائر معاهداتهم، هو: «إنْ مات محمَّدٌ أو قُتِلَ نزوي هذا الأمر عن أهل بيته، فلا يصل أحدٌ منهم الخلافة ما بقينا». ثمَّ اتَّصل بهما أبو عبيدة الجرَّاح ومعاذ بن جبل، وأخيرًا التحق بهم مولى أبي حذيفة وصاروا خمسة، فاجتمعوا ودخلوا الكعبة، فكتبوا بينهم كتابًا «إنْ مات محمَّد أو قُتِل...»، وكانت عائشة وحفصة عينَين لأبويهما في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع القضايا. ثُمَّ إنَّ أبا بكر وعمر اجتمعا وأرسلا إلى جماعة الطلقاء والمنافقين، ودار الكلام فيما بينهم، وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي، فاتَّفقوا على أن ينفروا بالنبيّ صلى الله عليه وآله ناقته على عقبة هرشى عند منصرفه من حجَّة الوداع، وهي في طريق مكَّة، قريبة من الجحفة. وكان المُتصدُّون لنفر الناقة أربعة عشر رجلًا، وقد كانوا عملوا مثل ذلك في غزوة تبوك. فتقدَّم الأمرُ من الله في غدير خمٍّ بنصبِ أمير المؤمنين عليه السلام، ولـمَّا دنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله من عقبة هرشى، تقدَّم القومُ فتواروا في ثنيَّة العقبة، إلَّا أنَّ الله صرف الشَّرَّ عن نبيِّه، وفضح أولئك الأربعة عشر.

فلـمَّا دخلوا المدينة اجتمعوا جميعًا في دار أبي بكرٍ وكتبوا صحيفة بينهم على ما تعاهدوا عليه في=

أو مات لتزونَّ هذا الأمر عنَّا أهل البيت))[1].

فالنفَرُ الذين احتموا في بيت فاطمة عليها السلام رفضوا البيعة لِمَنْ نكث بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأيَّدتهم فاطمة عليها السلام، إذ لو كانت البيعة صحيحة لما آوتهم في بيتها، ولدفعتهم إلى بيعة أبي بكر، وهي سلام الله عليها لم تبايع أبا بكرٍ أيضًا، وقد رأى أصحاب السقيفة أنَّ بقاء بيت فاطمة عليها السلام مُغلقًا على أولئك النفر يفضح أمرهم، ويأخذ منهم ما سلبوه، لذا تردَّدوا في أخذ البيعة من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، بحجَّة وجود فاطمة عليها السلام؛ لأنَّهم يعلمون مقام فاطمة وقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وما قال فيها من أحاديث شريفة، ثمَّ بعد ذلك أزاحوا هذا التردُّد وهجموا على بيتها، ويروي لنا سُليم هذه الأحداث، فيقول:

«فلمَّا رأى عليٌّ عليه السلام خِذلان الناس إيَّاه، وتركهم نصرته، واجتماع كلمتهم مع أبي بكر، وطاعتهم له، وتعظيمهم إيَّاه؛ لزِمَ بيته.

فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أنْ تبعث إليه فيبايع، فإنَّه لم يبقَ أحدٌ إلَّا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة. وكان أبو بكر أرقَّ الرَّجُلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غورًا، والآخر أفظَّهما وأغلظهما وأجفاهما.

=الكعبة، وكان أوَّل ما في الصحيفة النكث لولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنَّ الأمر إلى أبي بكرٍ وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم، ليس بخارجٍ منهم!! وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلًا: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلًا آخر، منهم: أبو سفيان، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أميَّة ابن خلف، سعيد بن العاص، خالد بن الوليد، عيَّاش بن أبي ربيعة، بشير بن سعيد، سُهيل بن عمرو، حكيم بن حزام، صهيب بن سنان، أبو الأعور الأسلميّ، مطيع بن الأسود المدري. وهؤلاء كانوا رؤساء القبائل وأشرافها، وما من رجلٍ من هؤلاء إلَّا ومعه من الناس خلقٌ عظيمٌ يسمعون له ويطيعون. وكان الكاتب سعيد بن العاص الأمويّ، فكتب هو الصحيفة باتِّفاقٍ منهم في المحرَّم سنة عشرة من الهجرة. ثمَّ دُفِعَتْ الصحيفة إلى أبي عبيدة بن الجرَّاح فوجَّه بها إلى مكَّة، فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة إلى أوان عمر بن الخطَّاب، فاستخرجها من موضعها. ينظر: الهامش رقم ٣ من كتاب سُليم بن قيس: ١٥٤-١٥٥.

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ: ١٥٤.

فقال أبو بكر: مَنْ نُرسل إليه؟ فقال عمر: نُرسل إليه قنفذًا، وهو رجلٌ فظٌّ غليظٌ جافٍ من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب. فأرسله إليه وأرسل معه أعوانًا، وانطلق فاستأذن على عليّ عليه السلام فأبى أنْ يأذن لهم، فرجع أصحابُ قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يُؤذَنْ لنا. فقال عمر: اذهبوا، فإنْ أُذِنَ لكم، وإلَّا فادخلوا عليه بغير إذنٍ!!

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: «**أُحرِّجُ عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذنٍ**». فرجعوا وثبتَ قنفذ الملعون، فقالوا: إنَّ فاطمة قالت: كذا وكذا، فتحرَّجنا أنْ ندخل بيتها بغير إذنٍ. فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء. ثمَّ أمرَ ناسًا حوله أنْ يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل عليّ وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثمَّ نادى عمر حتَّى أسمعَ عليًّا وفاطمة عليهما السلام: والله لتخرجنَّ يا عليّ، ولتبايعنَّ خليفة رسول الله، وإلَّا أضرمتَ عليك بيتك النار.

فقالت فاطمة عليها السلام: **يا عمر: ما لنا ولك؟** فقال: افتحي الباب وإلَّا أحرقنا عليكم بيتكم، فقالت: **يا عمر، أما تتَّقي الله تدخل على بيتي؟** فأبى أنْ ينصرف. ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثمَّ دفعه فدخل! فاستقبلته فاطمة عليها السلام، وصاحت: «**يا أبتاه يا رسول الله**»، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجئ به جنبها! فصرخت: «**يا أبتاه**»، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فنادتْ: «**يا رسول الله لبئس ما خلَّفك أبو بكر وعمر**»[1].

(١) كتاب سُليم: ١٤٨-١٥٠.

المَطْلَبُ الثَّاني

أَحَاديثُ النبي محمَّد صلى الله عليه وآله في فضائل فاطمة عليها السلام وتحليل تلك الأحاديث

بعد هذا الكلام، وتلك الأحداث التي جرت على بيت النبوَّة، فلنقفْ وقفةَ تأمُّلٍ في الأحاديث الواردة في حقِّ فاطمة عليها السلام، وأنَّها تُمثِّلُ وجه الله تعالى، وانعكاس للذات الإلهيَّة، وصورة مسانخة للحقيقة المحمَّديَّة، فمَنْ كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، يقفُ إجلالًا وإكبارًا وإعظامًا لحقيقة فاطمة عليها الآف مؤلَّفة من التحيَّة والسلام، من خلال ما يقرأه من نصوص حديثيَّة تكشفُ عن بعض مقامات فاطمة عليها السلام، فَمَنْ رَضِيَ من الله تعالى ما أنزله، رَضِيَ منه ما كلَّفه به، فإلى ماذا يسعى الإنسان العاقل غير مرضاة ربِّه سبحانه؟ فمِنْ أبرز مظاهر التسليم لأمر الله سبحانه أنْ يقبل الإنسانُ كلَّ ما فرضه عليه ربُّه تجلَّت قُدرته، ويكون عبدًا مطيعًا، ويتشرَّف بعبوديَّته لله تبارك وتعالى، ولكن مَنْ خالفَ ذلك فهو مخالف لأمر الله تعالى، إذ كيف تُفسِّر سبب هجوم القوم على بيت النبوَّة، وموضع الإمامة، ومهبط الوحي والتنزيل، الذين حُبُّهم مركوزٌ في أصل الفطرة، وهي فطرة التوحيد التي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ الروم: ٣٠.

وعلى ماذا يُحاربُ هؤلاء أهل بيت النبوَّة؟ على حُطامٍ زائلٍ، أم على دنيا فانية؟ وما قيمة هذه الدنيا في قبال الآخرة؟ أيُستبدَلُ خزفُ الآخرة بذهب الدنيا؟ فكيف إذا كانت الآخرة هي الذَّهب والدنيا هي الخزف؟.

فلنُطالعْ ما قاله رسولُ الله صلى الله عليه وآله في حقِّ فاطمة، لنرى بعد ذلك أيحقُّ لهؤلاء القوم محاربتها، علمًا أنَّهم سمعوا تلك الأحاديث من فم رسول الله صلى الله عليه وآله مُباشرة، وفي أكثر من موضع.

١. عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: «نظرَ النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ والحسن والحسين وفاطمة، فقال: **أنا حربٌ لِمَنْ حاربكم، وسِلْمٌ لِمَنْ سالمكم**»(١).

٢. عن مُجاهد: خرجَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وهو آخذٌ بيد فاطمة فقال: «**مَنْ عرفَ هذه فقد عرفها، وَمَنْ لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعةٌ منِّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، مَنْ آذاها فقد آذاني، وَمَنْ آذاني فقد آذى الله**»(٢).

٣. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة شعرةٌ منِّي فَمَنْ آذى شعرةً منِّي فقد آذاني، وَمَنْ آذاني فقد آذى الله، وَمَنْ آذى الله لعنه اللهُ مِلءَ السموات والأرض**»(٣).

٤. عن ابن عبَّاس قال: «قال صلى الله عليه وآله: **يا عليُّ إنَّ فاطمة بضعةٌ منِّي، هي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوؤني ما ساءها، ويسرُّني ما سرَّها، وإنَّها أوَّلُ مَنْ يلحقني من أهل بيتي، فأحِسن إليها من بعدي، والحسن والحسين فهما ابناي وريحانتاي، وهما سيِّدا شباب أهل الجنة، فليكونا عليك كسمعك وبصرك.** ثُمَّ رفع صلى الله عليه وآله يديه إلى السماء فقال: **اللهمَّ إنِّي أُشهدك أنِّي مُحبٌّ لـمَنْ أحبَّهم، مبغضٌ لـمَنْ أبغضهم، سلمٌ لـمَنْ سالمهم، حربٌ لـمَنْ حاربهم، عدوٌّ لـمَنْ عاداهم، وليٌّ لـمَنْ والاهُم**»(٤).

٥. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما فاطمة بضعةٌ منِّي، يسوؤني ما ساءَها**»(٥).

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٤٤٢.
(٢) نور الأبصار، للشبلنجيّ الشافعيّ: ٥٢.
(٣) بحار الأنوار، للشيخ المجلسيّ: ٤٣/ ٥٤.
(٤) أهل البيت، توفيق أبو علم: ١٢٤.
(٥) الطبقات، لابن سعد: ٨/ ٢٦٢.

٦. وعن عليّ عليه السلام: «**إنَّ اللهَ عزّ وجلّ ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**»(١).

٧. وعنه عليه السلام: «**يا فاطمة إنَّ اللهَ ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاكِ**»(٢).

٨. وعنه صلى الله عليه وآله: «**فإنَّما ابنتي بضعةٌ منِّي، يُريبني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها**»(٣).

٩. وعنه صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة بنت محمَّد مُضغةٌ منِّي**»(٤).

١٠. وعنه صلى الله عليه وآله: «**إنَّما فاطمة بضعةٌ منِّي، يُؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها**». هذا حديثٌ صحيح على شرط الشَّيخَين، ولم يخرجاه(٥).

١١. وعنه صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعةٌ منِّي، يُسعفني ما أسعفها**»(٦).

١٢. وعنه صلى الله عليه وآله: «**فاطمة شجنةٌ منِّي، يبسطني ما يُبسطها، ويقبضني ما يقبضُها**»(٧).

وقد علَّق جملةٌ من علماء العامَّة على بعض هذه الأحاديث، فنذكر حديثًا من تلك الأحاديث المبيِّنة لشأن فاطمة عليها السلام، مع تعليقٍ أورده علماءُ العامَّة عليه، فقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، فَمَنْ أغضبها أغضبني**»، وزاد الحافظ القسطلانيّ على هذا الحديث: «**ويؤذيني ما آذاها**»، وقد نقل القسطلانيّ تعليق الأعلام على هذا الحديث، فقال: «قالوا: ففيه تحريم إيذائه صلى الله عليه وآله بكلِّ حالٍ، وعلى كلِّ وجهٍ، وأنْ يتولَّد الإيذاءُ ممَّا أصله مُباح. وهذا من خصائصه صلى الله عليه وآله»(٨).

(١) كنز العمال: ١٢/ ١١١.

(٢) مجمع الزوائد، للهيثميّ: ٩/ ٢٠٣.

(٣) صحيح مسلم: ٧/ ١٤٢، باب الفضائل. ورابني الأمرُ وأرابني: إذا رأيتَ منه ما تكره.

(٤) صحيح مسلم: ٧/ ١٤٢.

(٥) المستدرك على الصحيحَين، للحاكم النيسابوريّ: ٣/ ١٥٩.

(٦) كنز العمَّال: ١٢/ ١١١. والإسعاف: القربُ والإعانةُ وقضاءُ الحاجة، أي: ينالني ما يناله.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها. يقال: بيني وبينه شجنةُ رحم، أي: قرابة مشتبكة.

(٨) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاريّ: ٦/ ١٢١.

وقال العلَّامة النوويّ في (شرح صحيح مسلم) تعليقًا على هذا الحديث: «قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم بكلِّ حالٍ وعلى كلِّ وجهٍ، وإنْ تولَّد ذلك الإيذاءُ ممَّا كان أصله مُباحًا»(١).

وقال العلَّامة المناويّ في (فيض القدير) في ذيل الحديث: «استدلَّ به السهيليُّ على أنَّ مَنْ سبَّها كفر؛ لأنَّه يُغضبها، وأنَّها أفضلُ من الشَّيخَين».

وأضاف الشريفُ السَّمهوديُّ على الكلام المُتقدِّم شرحًا أوسع وتطبيقًا أشمل، لا يقتصر على تعلُّق الأمر بفاطمة عليها السلام، بل يشمل كلامُ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمةَ عليها السلام وذريَّتها؛ لأنَّ مَنْ كان من ذريَّة فاطمة عليها السلام فهو بضعة منها، كما هي سلام الله عليها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال السَّمهوديُّ: «ومعلومٌ أنَّ أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثَمَّ لـمَّا رأت أمُّ الفضل في النوم أنَّ بضعة منه وُضِعت في حجرها، فَوُلِدَ الحسن، فَوُضِعَ في حجرها، فكلُّ مَنْ يُشاهَد الآن من ذريَّتها بضعة من تلك البضعة، وإنْ تعدَّدت الوسائط. ومَنْ تأمَّل ذلك، انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم، وتجنَّب بغضهم على أيِّ حالٍ كانوا عليه».

وقال العلَّامة ابنُ حجر العسقلانيّ في هذا الحديث: «وفيه تحريم أذى مَنْ يتأذَّى المصطفى صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم بتأذِّيه، فكُلُّ مَنْ وقع منه في حقِّ فاطمة شيء فتأذَّت به، فالنبيُّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم يتأذَّى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيءَ أعظمُ من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها. ولهذا عُرِفَ بالاستقراء معاجلة مَنْ تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذابُ الآخرة أشدُّ»(٢).

وقد ذكر العلَّامة الأمينيّ رحمه الله هذا الحديث، وما قال فيه العامَّة من أقوال، تقدَّم ذِكرُ بعضها فيما سبق، وقال مُعلِّقًا على هذا الحديث الشريف، وعلى تلك التصريحات:

---

(١) هامش (إرشاد الساري) للقسطلانيّ: ٩/ ٣٣٤.

(٢) فيض القدير: ٤/ ٤٢١.

«هذه مُطلقات تشمل جميع موجِبات الرِّضا والغضب من الصدِّيقة عليها السلام، حتَّى الـمُباحات، شأن أبيها الأقدس، كما فهمه القسطلانيّ والحمزاويُّ في (شرح البخاريّ)، وذلك ينكشف عن أنَّها صلواتُ الله عليها لا ترضى إلَّا لما فيه مرضاة المولى سبحانه، ولا تغضب إلَّا على ما يُغضبه، حتَّى إنَّها لو رضيت أو غضبت على أمرٍ مُباحٍ، فإنَّ هناك جهةً شرعيَّةً تُدخله في الراجحات، أو يجعله من المكروهات، فَلَنْ تجد منها في أيٍّ من الرِّضا والغضب وجهة نفسيَّة، أو صبغة شهويَّة، وذلك معنى العِصمة»[1].

فهذا الشرح والتطويل يتعلَّق بعصمة الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ رضاها رضا ربِّ العالمين، وغضبها غضبُ ربِّ العالمين، ولا عُذرَ لِـمَنْ وعى وفَهِمَ جملة تلك الأحاديث أنْ يظنَّ أو يخطر بباله أنَّ فاطمة عليها السلام كانت منحرفة عن جادَّة الطريق حين رفضتْ بيعة أبي بكر التي كانت فلتة وقى الله المسلمين شرَّها كما يقول (عمر).

وبحسب مدلولات تلك الأحاديث، فلا بيعة في عنقها سلام الله عليها لأبي بكر؛ لأنَّهم أغضبوها في أكثر من موطنٍ، وأكثر من مرَّة، ولم يروِ راوٍ عنها سلام الله عليها أنَّها رضيتْ عنهم بعد جملة أحداث واجهوها بها وآلموها وعذَّبوها واضطهدوها، وماتتْ واجدةً عليهم، وغاضبة وغير راضية، ومَنْ لم ترضَ عنه فاطمة عليها السلام، فتكون إذن غاضبةً عليه، بل هي سلام الله عليها صرَّحتْ بأنَّها غاضبة على أبي بكر وعمر في مرض وفاتها، ولم ولنْ ترضَ عنهما، فصاح عند ذلك أبو بكرٍ بالويل والثبور؛ لعلمه بأنَّ غضبَ فاطمة عليه يعني غضب الله تعالى عليه، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ طه: ٨١.

وهذا السَّردُ لروايات رِضا فاطمة عليها السلام وغضبها، والفهم المتقدِّم لتلك الأخبار، لا يردُّه ما ذُكر من أخبار الخروج على الجماعة، وعدم مبايعة إمام الزمان، المقصود به الحاكم السياسي، لا الإمام المعصوم، من ذلك ما رُوِيَ في (جامع الأصول) من (صحيح

(١) الغدير ٧/ ٢٣٦.

مسلم)، و(النسائيّ) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: **مَنْ خرجَ من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهليَّةً**»(١).

وحين نوازن بين هذا الحديث وأشباهه، وأحاديث فضل فاطمة عليها السلام ومنزلتها وكرامتها وما خصَّها اللهُ تعالى به من آيات متعدِّدة، ومنها آية التطهير، وآية المباهلة، وسورة هل أتى، وغيرها كثير، نقفُ على مفترق طرق:

الأوَّل: إمَّا نُسلِّم بصحَّة تلك الآيات القرآنيَّة والأحاديث الشريفة، وصدقها وعمومها، وانطباقها على شخص فاطمة سلام الله عليها، وأنَّها سيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين، وسيِّدة نساء أهل الجنة، وأفضل الخلق قاطبةً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعلها أمير المؤمنين عليه الآف التحية والسلام، وأنَّها روحه التي بين جنبيه، فكيف لا تعلم بحديث الخروج على الجماعة، وعدم طاعة الحاكم، لتموت ميتةً جاهليَّةً (أعوذُ بالله تعالى من هذا الكلام)، فهذا كلامٌ لا يقبله عاقلٌ منصفٌ.

والثاني: أنْ نقول: إنَّ حديثَ «**مَنْ مَات ولا إمام له، ماتَ ميتةً جاهليَّةً**» غيرُ صحيح، وهذا لا يُقبل، بل هو حديثٌ صحيحٌ، رواه الأعلامُ من الأمة، واتَّفقت كلمتُهم عليه، وقد استوفى شرائط الصحَّة والقبول.

والثالث: نقول: إنَّ الصدِّيقةَ الطاهرة عليها السلام لم تعترفْ بتلك الخلافة، وأعلنت عن ذلك في مواطن كثيرة، ولم يأمرها زوجها أميرُ المؤمنين عليه السلام بالبيعة لتلك الحكومة الظالمة، فلو كانت شرعيَّةً، لكان لزامًا عليهما سلام الله عليهما المبادرة إلى البيعة، وهذا لم يحصل، فإذن كانت الصدِّيقة الطاهرة على حقٍّ، وأنَّ الخلافة على باطل واضح، وهذا القرآنُ الكريمُ يُفصح لنا عن صدق فاطمة وعلوِّ شأنها وكذب مناوئيها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، وأنَّها سيِّدة بيت خير مَنْ وفى لله تعالى بنذرٍ، وخاف منه، ورجى ثوابه، فقال المولى تعالى

(١) صحيح مسلم: ٦/ ٢١، وينظر: سنن النسائيّ: ٧/ ١٢٣.

في حقِّها وحقِّهم سلام الله عليهم أجمعين: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ سورة الإنسان: ٧-١٢.

وذكر العلَّامةُ المجلسيّ في روايات نقلها المؤالفُ والمخالفُ «أنَّ فاطمة صلوات الله عليها كانت ساخطةً عليهم.. غير مذعنة بإمامتهم، ولا مطيعة لهم[1]، وأنّها قد استمرَّت على تلك الحالة حتَّى سبقت إلى كرامة الله ورضوانه. فَمَنْ قال بإمامة أبي بكر لا محيص له عن القول بأنَّ سيِّدةَ نساء العالمين، ومَنْ طهَّرها اللهُ في كتابه من كلِّ رجسٍ، وقال النبيُّ في فضلها ما قال، قد ماتتْ ميتةً جاهليَّةً، وميتةَ كُفرٍ وضلالٍ ونفاق، ولا أظنُّ مُلحدًا وزنديقًا رضيَ بهذا القول الشنيع»[2].

وقد ردَّ العلَّامة المظفَّر على مَنْ زعمَ أنَّ غضبَ الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على أبي بكرٍ كان من العوارض البشريَّة، كأيِّ شخصٍ يغضب، وهذا يعني أنَّه غضبٌ باطلٌ خارجٌ عن الغضب المقصود بقوله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ اللهَ يغضب بغضبك، ويرضى لرضاكِ**»، وهذا يعني أنَّ المرادَ بالحديث هو: «إنَّ اللهَ يغضب لغضب فاطمة إذا كان غضبًا بحقٍّ، ومن باب العداوة الدينيَّة»، وبهذا الفهم لا يدلُّ حديث غضب الله لغضب فاطمة على فضلها، إذ كُلُّ مؤمنٍ كذلك، وهو ممَّا لا يقوله ذو معرفة، فلا بُدَّ أنْ يكونَ المرادُ أنَّها لا تغضب إلَّا بحقٍّ، كما يقتضيه إطلاق غضبها في الحديث[3].

وإيضاحًا لفضائل فاطمة وقدسيَّتها، وشدَّة ما ارتكبه القوم بحقِّها، لا بُدَّ من ذِكر

(١) ففي صحيح البخاريّ: ٥/ ١٧٧، ط: محمَّد علي صبيح، عن عائشة: «فوَجَدَتْ فاطمةُ على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تُكلِّمه حتَّى تُوفِّيت». وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٥٠، «والصحيحُ عندي أنَّها ماتت وهي واجدةٌ على أبي بكرٍ وعمر، وأنَّها أوصت أن لا يُصلِّيا عليها».

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/ ٣٣٢.

(٣) دلائل الصدق: ٣/ ٧٣.

بعض الأحاديث الشريفة المُبيِّنة لمنزلتها عند الله سبحانه وتعالى، وأنَّها لا تفعل شيئًا إلَّا بما يوافق مرضاة الله تعالى، فكيف يُدَّعى عليها بأنَّ غضبها هو من العوارض البشريَّة، ففي خلقتها النورانيَّة وردَ عن النبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**لـمَّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر، ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سُجَّدًا ورُكَّعًا، قال آدم: يا ربِّ هل خلقتَ أحدًا من طينٍ قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فَمَنْ هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدِك، لولاهم ما خلقتُك، هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسة أسماءٍ من أسمائي، لولاهم ما خلقتُ الجنَّة ولا النار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الإنس ولا الجنَّ. فأنا المحمودُ، وهذا محمَّدٌ، وأنا العالي، وهذا عليٌّ، وأنا الفاطرُ، وهذه فاطمةُ، وأنا الإحسانُ، وهذا الحسنُ، وأنا المحسنُ، وهذا الحسينُ، آليتُ بعزَّتي أنَّه لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرَّةٍ من خردلٍ من بغض أحدهم إلَّا أدخلته ناري ولا أُبالي. يا آدم هؤلاء صفوتي من خَلقي، بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: نحنُ سفينة النجاة، مَنْ تعلَّق بها نجا، ومَنْ حادَ عنها هلك. فَمَنْ كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت**»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليلة عُرِجَ بي إلى السماء، رأيت على باب الجنَّة مكتوبًا: لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ الله، عليٌّ حبيبُ الله، والحسنُ والحسينُ صفوة الله، فاطمةُ خيرةُ الله، على باغضهم لعنة الله**»[2].

وعن أبي جعفر محمَّد الباقر عليه السلام في حديث طويل: «**ولقد كانت صلوات الله عليها طاعتها مفروضة على جميع مَنْ خلقَ اللهُ من الجنِّ والإنسِ والطيرِ والبهائمِ والأنبياءِ والملائكةِ**»[3].

(١) فرائد السمطين، للحمويني: ١/ ٣٦.
(٢) تأريخ بغداد، الخطيب البغداديّ: ١/ ٢٧٤.
(٣) دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ الشيعيّ: ١٠٦.

وعن محمَّد بن سنان قال: «كنتُ عند أبي جعفر الثاني عليه السلام، فأُجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمَّد: **إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لم يزل مُتفرِّدًا بوحدانيَّته، ثُمَّ خلقَ محمَّدًا وعليًّا وفاطمةَ، فمكثوا ألف دهرٍ، ثُمَّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوَّضَ أمورها إليهم، فهم يُحلِّونَ ما يشاؤون، ويُحرِّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلَّا أن يشاء الله تبارك وتعالى. ثُمَّ** قال: **يا محمَّد، هذه الديانة التي مَنْ تقدَّمها مَرَقَ، وَمَنْ تخلَّف عنها مُحِق، وَمَنْ لزمها لَحِقَ، خُذها إليك يا محمَّد**»[1].

وقال العلَّامة المجلسيّ في شرح هذا الحديث «**فأشهدهم خلقها**» أي: «خَلَقها بحضرتهم، وهم يطَّلعون على أطوار الخلق وأسراره. «**وأجرى طاعتهم عليها**» أي: أوجب على جميع الأشياء طاعتهم، حتَّى الجمادات والسَّماويَّات والأرضيَّات. «**وفوَّضَ أمورها إليهم**»، من التحليل والتحريم والعطاء والمنع، وإن كان ظاهره تفويض تدبيرها إليهم من الحركات والسكنات والأرزاق والأعمار وأشباهها»[2].

وروي عن النبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله: «**أنا شجرةٌ، وفاطمةُ حملها، وعليٌّ لقاحُها، والحسنُ والحسينُ ثمارُها، ومحبُّونا أهل البيت ورقُها، وكلُّنا في الجنَّة**»[3].

وما أحاديثُ الحبِّ والولاية من رسول الله صلى الله عليه وآله في حقِّ فاطمة عليها السلام إلَّا إظهارًا لبعض شأنها ومنزلتها وكرامتها عند الله تعالى، فلا يمكنُ أنْ نفهمَ من تلك الأحاديث البُعدَ الشخصيّ والعاطفة الفرديَّة من أبٍ حنونٍ بحقِّ ابنته، وإنْ كان هذا البُعد مقصودًا، ولكن ليس هو الأصل في المراد من تلك الأحاديث الشريفة والنصوص الصريحة، بل التركيز على حقائق أخرى أظهرها التأريخ وكشفها الزمنُ بُعَيْدَ استشهاده صلى الله عليه وآله، فهو المخصوص بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ سورة النجم: ٣-٤، فكلُّ فعلٍ يقوم به الرسولُ المصطفى صلى الله عليه وآله هو لحكمة ولغاية لا يعلمها إلَّا الله سبحانه

(١) بحار الأنوار: ١٥/ ١٩.

(٢) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ٤٤، نقلًا عن: مرآة العقول: ٥/ ١٩٠-١٩٢.

(٣) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ٥٤-٥٥.

وتعالى والراسخون في العلم، ومَنْ أنارَ اللهُ تعالى بصيرتهم بالدين الحقِّ، فنحنُ نعتقدُ أنَّ قولَ المعصوم وفعله وتقريره حجَّة علينا، وأعظمُ معصوم هو رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلُّ ما يصدرُ منه هو حجَّة ودستورٌ علينا اتِّباعه.

وفي حديثٍ: «إذا أراد النبيُّ صلى الله عليه وآله سفرًا كان آخر الناس عهدًا بفاطمة، وإذا قَدِمَ كان أوَّل الناس عهدًا بفاطمة. ولو لم يكن لها عند الله تعالى فضلٌ عظيمٌ، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يفعلُ ذلك معها، إذ كانت ولـده، وقد أمر اللهُ تعالى بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز أنْ يفعل معها ذلك، وهو بضدِّ ما أمر به أمَّته عن الله تعالى»[1].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «**هي خير بناتي؛ لأنَّها أُصيبتْ فِيَّ**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حديث: «**فجاء النبيُّ صلى الله عليه وآله ونحنُ نيام، فقال: مكانكما، فقعد بيننا، فجاء بماءٍ فرشَّه علينا. قال: فقلتُ: يا رسول الله أنا أحبُّ إليك أم هي؟ قال: هي أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عليَّ منها**»[3].

وروي عن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله في حديثٍ: «**ومَنْ أنصفكِ فقد أنصفني، وَمَنْ ظلمكِ فقد ظلمني؛ لأنَّك منِّي وأنا منكِ، وأنتِ بضعة منِّي وروحي التي بين جنبيَّ**. ثمَّ قال صلى الله عليه وآله: **إلى الله أشكو ظاليك من أُمَّتي**»[4].

وإنَّ التركيزَ في شخصيَّة نبيِّنا صلى الله عليه وآله، وعظمة وصف الله تعالى له في القرآن الكريم، يدعونا إلى عدم الاكتفاء بتفسير تقريب رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتقبيله إياها، وشدَّة رعايته لها، ومتابعته لأحوالها، وكثرة ثنائه على فضلها وقدسيَّتها وكرامتها، بل لا بُدَّ من التفكير الموضوعيّ والمنصف في مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله معها، والتأمُّل اليسير في تلك المواقف؛ لِنفهمَ شيئًا من أشياء أراد رسولُ الله صلى الله عليه وآله إفهامنا إيَّاها، وتنبيهنا عليها،

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٤٠.
(٢) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ١١١.
(٣) المصدر نفسه: ١١٢.
(٤) كشف الغمَّة، ابن أبي الفتح الأربلِّيّ: ٢/ ١٢٠.

فليس هذا الحبُّ الغزيرُ والإكرام الكثير منشأه الولادة والقرابة الظاهرية، مع أنَّ هذا الحدّ من العلاقة غير موجود أو معروف بين الناس، «بل السرُّ الأعظمُ فيها إظهار شأنها للأمَّة، وما تنطوي عليه من الشؤون والفضائل والأخلاق التي أبانها قوله صلى الله عليه وآله: **(فاطمة منِّي وأنا منها)**، وبذلك جعلها مثلى لطريقٍ، وعلمًا يهدي به في ظلم الفيافي، وأنموذجًا كاملًا للإنسانيَّة، وميزانًا للحقِّ والباطل في هجوم اللوابس والفتن التي ستقع بعده صلى الله عليه وآله. ولولاها لما بقيتْ للنبوَّة بقيَّة، كما أشار إليه أميرُ المؤمنين عليه السلام في خطابه لها: **(يا ابنة الصفوة وبقيَّة النبوَّة)**، وقد جعلها الله عز وجل سيِّدة النسوان، وجعل حياتها امتدادًا لحياة أبيها صلى الله عليه وآله، واستمرارًا لأهدافه العالية من حيث مجاهدتها أمام الذين جعلوا الإسلام وسيلةً إلى أغراضهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وتظافروا على هضم الإسلام شيئًا فشيئًا. كيف لا، وقد نقلَ ابنُ أبي الحديد في شرحه، قال لعليٍّ عليه السلام قائلٌ: يا أميرَ المؤمنين أرأيت لو كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله ترك ولدًا ذكرًا قد بلغَ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العربُ تُسلِّم إليه أمرها؟ قال: **لا، بل كانت تقتله إنْ لم يفعل ما فعلتُ.. ولولا أنَّ قريشًا جعلت اسمه ذريعةً إلى الرياسة، وسُلَّمًا إلى العزِّ والإمرة لما عَبَدَتِ اللهَ بعد موته يومًا واحدًا..**»[1].

وعن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام: «**والله لو تمكَّنَ القومُ أنْ طلبوا الملك بغير التعلُّق باسم رسالته كانوا قد عدلوا عن نبوَّته**»[2].

وها هي الصدِّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام تُخبرنا بمظلوميَّتها ومظلوميَّة أمير المؤمنين، فـ«قالت عليها السلام في جواب عائشة بنت طلحة: **أتسألينى عن هنةٍ حَلَّق بها الطائرُ، وحَفِيَ بها السائرُ، رفعت إلى السماء أثرًا، ورزئت في الأرض خبرًا. إنَّ قُحيْفَ تيْمٍ، وأُحيْوِلَ عَدِيٍّ جاريا أبا الحسن في السباق، حتَّى إذا تفرَّيا في الخناق، فأسرَّا له الشنئان، وطوياه الإعلان،**

(١) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ١١٤-١١٥.

(٢) كشف المحجَّة لثمرة المهجة، للسيِّد ابن طاووس: ٨٢.

فلمّا خبأ نور الدين، وقُبِضَ النبيُّ الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدالا فَدَكًا فياهاكم من ملك أنَّها عطيَّةُ الربِّ الأعلى للنجيِّ الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنَّها لَبِعِلْمِ اللهِ وشهادة أمينه، فإن انتزعا منِّي البلغة ومنعاني اللمظة، فاحتسبها يوم الحشر، وليجدنَّ آكلها ساعرة حميم في لظى جحيم»(١).

وتقفُ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام كاشفة اللثام عن خبث القوم وسوء سرائرهم، ومآل أهدافهم التي كانوا يرنون إليها، ومتى صار أهلُ البيت عليهم السلام يحتاجون مَنْ يدلُّهم على الحلال والحرام، وفي بيوتهم نزل القرآن الكريم، وإلى جدِّهم بُعِثَ الروحُ الأمينُ، أفَهل يُعقل أنْ يتركَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فلذة كبده وروحه التي بين جنبيه من دون أنْ يُفقِّهها في كتاب الله؟ ويوقفها على معرفة الحلال والحرام، فهذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله في أكثر من مناسبة حين يُسافر تكون فاطمة آخر مَنْ يُودِّعه، وحين يعود تكون هي عليها السلام أوَّل مَنْ يُسلِّم عليه، وقد مرَّ بها حين عادَ من سفرٍ، ووجدَ على باب بيتها بعض الزينة، فأبى أنْ يدخلَ عليها، علمًا أنَّه كان يستأنس بها كثيرًا، وتزولُ همومُه برؤيتها، ويشمُّ منها رائحة الجنَّة، كيف لا يدخل عليها؟ فعلِمتْ أنَّه لم يدخل لوجود الزينة، فتُرسل بها إليه ليتصدَّق بها، فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وآله مُعقِّبًا على هذا الفعل المستحب: **فعلتْ فداها أبوها** يقولها ثلاثًا(٢).

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسيّ: ٢٠٤.

(٢) فاطمة بهجة قلب المصطفى: ١٠٨. ونصُّ الرواية في أمالي الشيخ الصدوق: ٣٠٥، «حدَّثنا الحسن بن محمَّد بن سعيد الهاشميّ الكوفيّ، قال: حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن جعفر العلويّ الحسنيّ، قال: حدثنا محمَّد بن عليّ بن خلف العطَّار، قال: حدَّثنا حسن بن صالح بن أبي الأسود، قال: حدَّثنا أبو معشر، عن محمَّد ابن قيس، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قَدِم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام، فدخل عليها، فأطال عندها المكث، فخرج مرَّة في سفر، فصنعت فاطمة عليها السلام مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وسترًا لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها عليهما السلام، فلمَّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وآله دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عُرِف الغضب في وجهه، حتَّى جلس عند المنبر، فظنَّت فاطمة عليها السلام أنَّه إنَّما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والسِّتر، فنزعت قلادتها=

أفَمَنْ يُفكِّرُ بهذا العمل، وبهذا المستوى من الرحمة للناس الفقراء، تغيبُ عنه أحكام الله الظاهرة والجليَّة، ولكن هؤلاء الغاصبون هم من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ النمل: ١٤.

ولنقف عند هذه الرواية التي تفصحُ لنا عن عظمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ومقامها عند الله تعالى، ودرجتها في الآخرة، وكيف يُفترَى عليها ظُلمًا وعدوانًا، بعد أنْ تجعل نفسها في محكمة القرآن الكريم، مُفسِّرةً له، ومُظهرةً مصاديقه، فتقولُ عليها السلام في احتجاجها على عمر حين أراد انتزاع فدك منها:

«فقالت: **أنشدكم بالله أما سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ ابنتي سيِّدة نساء أهل الجنة؟** قالوا: اللهمَّ نعم، قد سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: **أ فَسَيِّدةُ نساء أهل الجنَّة تدَّعي الباطلَ وتأخذ ما ليس لها؟! أرأيتم لو أنَّ أربعةً شهدوا عَليَّ بفاحشة أو رجلان بسرقة أكنتم مصدِّقين عليَّ؟ !** فأمَّا أبو بكر فسكت، وأمَّا عمر فقال: ونوقع عليك الحدَّ. فقالت: **كذبت ولؤمت، إلَّا أنْ تقرَّ أنَّك لست على دين محمَّد صلى الله عليه وآله، إنَّ الذي يُجيز على سيِّدة نساء أهل الجنَّة شهادة، أو يقيم عليها حدًّا لملعون كافر بما أنزل الله على محمَّد صلى الله عليه وآله، إنَّ مَن أذهبَ اللهَ عنهم الرِّجس أهل البيت وطهَّرهم تطهيرًا، لا يجوز عليهم شهادة؛ لأنَّهم معصومون من كلِّ سوء، مطهَّرون من كلِّ فاحشة، حدِّثني عن أهل هذه الآية، لو أنَّ قومًا شهدوا عليهم أو على أحد منهم بشركٍ أو كفرٍ أو فاحشةٍ كان المسلمون يتبرؤون منهم ويحدونهم؟** قال: نعم، وما هم وسائر الناس في ذلك إلَّا سواء. قالت: **كذبت وكفرت؛ لأنَّ الله عَصَمهم، وأنزل عِصمَتهم وتطهيرهم، وأذهبَ عنهم الرِّجس، فمَنْ صدقَ عليهم يكذِّب الله ورسوله**»[1].

=وقرطيها ومسكتيها، ونزعت السِّتر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت للرسول: قُل له صلى الله عليه وآله: **تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: اجعل هذا في سبيل الله.** فلمَّا أتاه وخبَّره، قال صلى الله عليه وآله: **فعلت فداها أبوها**- ثلاث مرَّات- **ليست الدنيا من محمَّد ولا من آل محمَّد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة، ما سقى منها كافرًا شربة ماء.** ثمَّ قام فدخل عليها».

(١) بحار الأنوار: ٣٠/ ٣٠٥-٣٠٦.

وأذكـرُ هنا قصيدة للشاعر المرحوم الشيخ صالح الكـوَّاز لِـمَا أصابَ فاطمة عليها السلام:

ما ساهموا الموتَ الزؤام ولا اشتكوا
نَصَبًا بيومٍ بالردى مقرونِ
حتى إذا التقمتهم حوتُ القنا
وهي الأماني دون خيرِ أمينِ
نبذتْهم الهيجاءُ فوقَ تلاعها
كالنونِ ينبذُ بالعرا ذا النونِ
خُذْ في ثنائهمُ الجميلِ مُقرضًا
فالقومُ قد جلُّوا عن التأبينِ
هم أفضلُ الشهداءِ والقتلى الأولى
مُدِحُوا بوحيٍ في الكتابِ مُبينِ
ليتَ الكواكبَ والوصيُّ زعيمُها
وقفوا كموقفهم على صفِّينِ
بالطَّفِّ كي يروا الأولى فوقَ القنا
رَفَعَتْ مصاحفها إتِّقاءَ منونِ
جَعَلَتْ رؤوسَ بني النبيِّ مكانها
وشَفَتْ قديمَ لواعجٍ وضغونِ
الواثبينَ لظلمِ آلِ محمَّدٍ
ومحمَّدٌ مُلقىً بلا تكفينِ
والقائلينَ لفاطمٍ آذيتنا
في طولِ نوحٍ دائمٍ وحنينِ

والـقـاطـعـينَ أراكـــةٍ كـيْ لا تقيـ
ـــلُ بـظـلِّ أوراقٍ لهـا وغـصـونِ
ومجـمِّـعـي حَـطَـبٍ عـلى الـبـيـتِ الـذي
لمْ يجـتـمـعْ لـــولاهُ شـمـلُ الـدِّيـنِ
والـداخـلـينَ عـلى الـبـتـولـةِ بيتها
والمُـسـقـطـينَ لهـا أعـــزَّ جـنـينِ
والـقـائـديـنَ إمـامـهـم بـنـجـادِهِ
والـطـهـرُ تـدعـو خَـلْـفَـهـمْ بـرنـينِ
خَـلُّـوا ابـن عـمِّـي أو لأكـشـفَ للدعا
رأسي وأشـكـو لـلإلـه شـجـوني
مـا كـانَ نـاقـةُ صـالـحٍ وفصـيلُـها
بـالـفـضـلِ عـنـدَ اللهِ إلّا دونِي
وَرَنـــتْ إلى الـقـبرِ الـشريـفِ بمقلةٍ
عـــبرى وقـلـــبٍ مُـكـمـدٍ محـــزونِ
نـــادتْ وأظـفـارُ المـصـاب بقلبها
أبـتـاهُ عـــزَّ عـلى الـعـداةِ معيني
أبـتـاهُ هـذا الـسـامـريُّ وعـجـلُـهُ
تُـبِـعَـا ومـالَ الـنـاسُ عـن هـارونِ
أيَّ الـــرزايـــا أتَّـقـي بـتـجـلُّـدٍ
هـو في الـنـوائـبِ مُـذْ حـييـتُ قريني
فـقـدي أبي أم غَـصْـبَ بـعـلي حـقَّـهُ
أمْ كـسْرَ ضِـلْـعِي أم سـقـوطَ جنيني

أم أخذهم إرثي وفاضلَ نحلتي
أمْ جهلهمْ حقّي وقد عرفوني
قهروا يتيمكَ الحسين وصنوَهُ
وسألتُهم حقّي وقد نهروني[1]

وأذكرُ هنا أيضًا قصيدة رائعة للفقيه الأصوليّ، والفيلسوف المُتبحِّر، والعالم الفذِّ والأديبِ الألمعيّ سماحة آية الله العظمى الشيخ الأجلّ محمَّد حسين الأصفهاني (قُدِّس سِرُّه الشريف)، في مولد الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام:

جوهرة القدس من الكنز الخفي
بَدَتْ فأبدت عالياتِ الأحرفِ
وقد تجلَّى من سماء العظمة
من عالم الأسماء أسمى كلمة
بل هي أمُّ الكلمات المُحكمة
في غيب ذاتها نُكاتٌ مُبهمة
أم أئمة العقولِ الغُرُّ بل
أمُّ أبيها وهو علّة العلل
روح النبيِّ في عظيم المنزلة
وفي الكفاءِ كُفو مَنْ لا كُفوَ له

وبعد أبياتٍ طويلة ينتقلُ الشيخُ الأجلُّ محمَّدُ حسين الأصفهانيّ إلى بيان مصائب الزَّهراء فاطمة عليها السلام، فيقول:

لهفي لها لقد أُضيعَ قدرُها
حتَّى توارت بالحجاب بدرها

(١) الأسرار الفاطميَّة ٣٧٩-٣٨٠.

تجـرَّعـت مـن غـصـص الـزمـانِ
مـا جـاوزَ الحـدَّ مـن الـبـيـانِ
إنَّ حـديـثَ الـبـاب ذو شـجـونِ
ممَّـا جـنـت بـه يـدُ الخـئـونِ
أيهـجـمُ الـعـدى عـلى بـيـت الهـدى
ومـهـبـط الـوحـي ومـنـتـدى الـنـدى

إضرامُ النار في الباب:

أيُـضرم الـنـار بـبـاب دارهـا
وآيـة الـنـور عـلى مـنـارهـا
وبـابُهـا بـابُ نـبـيِّ الـرَّحمـة
وبـاب أبـواب نـجـاة الأمَّـة
بـل بـابُهـا بـابُ الـعـليِّ الأعـلى
فـثـمَّ وجـهُ الله قـد تجـلى
مـا اكـتـسـبـوا بـالـنـار غـير الـعـارِ
ومـن ورائـهِ عـذابُ الـنـارِ
مـا أجـهـل الـقـومُ فـإنَّ الـنـارَ لا
تُـطـفـيءُ نـور الله جـلَّ وعـلا

الضلع المكسور:

لـكـنَّ كـسْرَ الـضـلـع لـيس ينجبر
إلّا بـصـمـصـامِ عـزيـزٍ مُـقـتـدر
إذ رضَّ تـلـك الأضـلـع الـزكـيّـة
رزيّـة لا مـثـلـهـا رزيَّـة

ومـــن نـبـوع الـــدَّم مـــن ثـديـيـهـا
يُـعـــرفُ عـظـمُ مـا جـــرى عـلـيـهـا
وجـــــاوزوا الحـــدَّ بـلـطـمِ الخـدِّ
شُـلَّـــتْ يـدُ الـطـغـيـانِ والـتَّـعـدِّي

يا لثارات فاطمة:

فـأجـرت الـعـين وعـــين المـعـرفـة
تـــذرفُ بـالـدمـع عـلى تـلـك الـصـفـة
ولا يـــزيـــلُ حمـــرةَ الـعـين سـوى
بـيـض الـسـيـوف يـوم يُـنـشرُ الـلـوى
ولـلـسـيـاط رنَّـــــة صـداهـا
في مـسـمـع الـــدَّهـــر فـما أشـجـاهـا
والأثـــرُ الـبـاقـي كـمـثـلِ الـدُّمـلـجِ
في عـضـد الـــزَّهـــراء أقـــوى الحـجـجِ
ومـــن ســـواد مـتـنـهـا أســـودَّ الـفـضـا
يـا سـاعـدَ اللهُ الإمـــام المـرتـضى
ووكـــز نـعـل الـسـيـفِ في جـنـبـيـهـا
أتـــى بـــكُـــلِّ مـــا أتـــى عـلـيـهـا
ولـســـتُ أدري خـــبرَ المـسـمار
ســـلْ صـدرهـا خـزانـة الأسرارِ
وفي جـنـين المـجـد مـا يُـدمِـي الحشا
وهـــل لهـم إخـفـاءُ أمـــرٍ قـد فشى
والـــبـــابُ والجـــــدارُ والـــدِّمـــاءُ
شـــهـــودُ صـــدقٍ مـــا بـــهِ خـفـاءُ

لقد جنى الجاني على جنينها
فاندكَّت الجبالُ من حنينها
أهكذا يُصنعُ بابنةِ النبي
حرصًا على المُلكِ فيا للعجبِ
أتُمنعُ المكروبةُ المقروحةُ
عن البُكا خوفًا من الفضيحة
تالله ينبغي لها أنْ تبكي دما
ما دامت الأرضُ ودارت السَّما
لفقد عزِّها أبيها السامي
ولاهتضامها وذلِّ الحامي[1]

(١) كتاب (موسوعة أدب المحنة) للسيِّد محمَّد عليّ الحلو، نقلًا عن (الأنوار القدسيَّة) للشيخ محمَّد حسين الأصفهانيّ.

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث، وصلنا إلى مجموعة أمورٍ، يمكنُ بيانها بالنقاط الآتية:

١. أثبتَ البحثُ أنَّ هناك خطَّينِ متوازيَين لا يلتقيان في تأريخ الإسلام، أحدهما: يُمثِّلُ الشرعيَّةَ الربانيَّة والنصَّ الإلهيّ والحقَّ الصحيح والصراط المُستقيم، وهو المُتجسِّد بأهل بيت النبيّ عليّ وفاطمة وابناهما عليهم كلُّ صلاةٍ وسلام، والآخر: يُمثِّل الانحراف البارز عن طريق الإسلام في أوائل انتشاره، فلم يألُ هذا الخطُّ جهدًا من الإساءة لابنته الوحيدة فاطمة عليها السلام، بقتل جنينها، وضرب خدِّها، وتناثر قرطيها، وإدماء عينيها، وضربها بالسوط على يديها وعلى جنبيها، ووكزها بنعل السيف، وإحراق الباب عليها، وعصرها بين الحائط والباب، وإنبات المسمار في صدرها الشريف، وترويعها، وتخويفها، وتخويف ابنيها، وقودهم أمير المؤمنين عليه السلام زوجها بنجاده، وخروجها خلفه محروقة القلب صارخةً عليه، والأدهى من ذلك كلِّه والأمرُّ هو وقوف الأمَّة متفرِّجة من دون أن تتحرَّك بعملٍ، أو تنطق بكلمة مدافعةً عنها، فأيُّ خذلانٍ أكبرُ من ذلك؟ وأيُّ وفاءٍ قدَّمته الأمَّة لرسولها العظيم صلى الله عليه وآله الذي أخرجها من الظلمات إلى النور.

٢. أرادت الزَّهراءُ فاطمةُ عليها السلام في نهضتها المُقدَّسة أنْ تُبيِّن للأمَّة وللعالم كلِّه على طول التأريخ، وجوب الدفاع عن الإمام الحقِّ المُنصَّب من قبل الله تبارك وتعالى، وتوقظ الأمَّة من غفلتها، وتذكِّرها بإمامها المنصوص عليه في مواطن

كثيرة، وأقربها عهدًا هو بيعة الغدير، فخروجها سلام الله عليها أثبت شرعيَّة الخروج على مَنْ غصَبَ الخلافة، فهي لا تعمل عملًا بخلاف الرضا الإلهيّ، كما تقدَّم في كثيرٍ من الروايات، ولو افترضنا أنَّها لم تخرج، لكان عدمُ خُروجها حُجَّة للأمة في الرضوخ للحاكم الجائر، وبذلك أسقطت فاطمة الزَّهراء هذه الورقة من يد الأمَّة، وكما جاء في الحديث: «أعظمُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ»[1].

٣. ألمعت الزَّهراءُ فاطمةُ عليها السلام أَنَّ منصبَ الإمامة هو جعلٌ ربَّانيٌّ، وفريضةٌ إلهيَّة كبقيَّة الفرائض الإسلاميَّة من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغير ذلك، ولا يحقُّ لأحدٍ أنْ يتدخَّل في هذا الأمر.

٤. أوضحَ البحثُ أنَّ مظلوميَّةَ الزَّهراء باقية ما بقي الدَّهر، وذلك حين رفضت استقبال القوم، ولم تُحدِّثهما، وأشهدتهما على ظلمهما لها، وماتت غاضبةً عليهما، وأوصتْ أمير المؤمنين عليه السلام بأنْ لا يحضرا ومَنْ تابعهما الصلاة عليها، وتشييع جنازتها ودفنها، ويُعفِّى قبرُها، ليبقى التساؤل مُدوِّيًا ومُتجدِّدًا في عقول أحرار العالم مدى الزمان: لماذا يُفعلُ هذا ببضعة النبيّ وابنته الوحيدة؟ ولماذا لا قبرَ لها إلى اليوم لكي يُزار؟ أهكذا يُجازى النبيُّ صلى الله عليه وآله في ذُرِّيَّته؟.

بحمدِ الله تعالى تمَّ البحثُ يوم الأربعاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ.

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ: ١/ ٤٣٢.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. إرشاد الساري في شرح صحيح البخاريّ، أبو العبَّاس أحمد القسطلانيّ الشافعيّ (ت٩٢٣هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

٢. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ط٤، نشر: مؤسَّسة الأنوار الفاطميَّة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣. الأمالي، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.

٤. الأماليّ، الشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، مؤسَّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ.

٥. أهل البيت، الأستاذ توفيق أبو علم، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.

٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، العلامة محمَّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧. تأريخ بغداد، الخطيب البغداديّ (ت٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨. دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ الشيعيّ(ت ق٤هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، ط١، مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ.

٩. دلائل الصدق، للعلَّامة الشيخ محمَّد حسن المظفَّر، إيران سنة ١٣٩٥هـ.

١٠. سنن النسائيّ، النسائيّ (ت٣٠٣هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.
١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاه، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.
١٢. صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٣. صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٤. الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٥. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائيّ (ت٨٨٠هـ)، تقديم: السيِّد شهاب الدين النجفيّ المرعشيّ، تحقيق: الحاج آقا مجتبى عراقي، ط١، مطبعة سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٦. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، العلَّامة عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ (ت١٣٩٢هـ)، ط٤، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
١٧. فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، الشيخ أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، مؤسَّسة البدر للتحقيق والنشر، إيران، ١٤١٠هـ.
١٨. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسِّبطَين والأئمَّة من ذريَّتهم عليهم السلام، الشيخ المحدّث إبراهيم بن محمَّد بن المؤيد بن عبد الله بن عليّ بن محمَّد

الحمويني الخراساني (ت٧٣٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، مؤسَّسة المحموديّ للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلَّامة محمَّد عبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، ضبطه وصحَّحه: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٠. كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ، سُليم بين قيس الهلاليّ (ت٧٦هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ الخوئينيّ، ط٢، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢١. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، العلَّامة أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلِّيّ (ت٦٩٣هـ)، ط٢، دار الأضواء بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٢. كشف المحجَّة لثمرة المهجة، للسيِّد ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

٢٣. كنز العمَّال، المتَّقي الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، ط٥، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

٢٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثميّ (ت٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٥. مرآة العقول، للعلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٢٦. المستدرك على الصحيحَين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٧. مسند أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٨. المقنعة، للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط٢.

٢٩. موسوعة أدب المحنة للسيِّد محمَّد عليّ الحلو، نقلًا عن: الأنوار القدسيَّة، للشيخ محمَّد حسين الأصفهانيّ.
٣٠. نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: د. صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، ط٢، مطبعة سرور، نشر مؤسَّسة دار الهجرة.
٣١. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، السيِّد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجيّ الشافعيّ المصريّ (ت بعد ١٣٠٨هـ)، ١٣٩٩.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله

العفراء نشأت شيله

ملخَّص البحث

امتثالًا لقول العليِّ الأعلى يوم الدين: «**طأطِؤوا رؤوسكم وغضُّوا أبصاركم ، فإنَّ هذه فاطمة تسير إلى الجنَّة**».

نعم طأطِئوا الرؤوس لذِكر ابنة الهادي ورسول الأمَّة، غضُّوا الأبصار، فقد حضر ذِكر البتول وبضعة الرسول.

يا ابنة المختار من كلِّ الأذى روحي فداكِ.

يا ابنة المختار إنَّ الله بالفضل اجتباكِ.

وارتضى بعلكِ للخلق جميعًا وارتضاكِ.

وعلى الأمَّة جمعًا فضَّل الله أباكِ.

طأطئوا الرؤوس لمن خاطب المولى عز وجل أباها في كتابه بعد بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

سلِّموا وهلِّلوا وكبِّروا على من خاطبها العليُّ الأعلى في كتابه بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة إبراهيم، آية ٢٤.

نعم لقد كان رسول الله هو الكلمة الطيِّبة، أوَ لمْ يقل المولى عز وجل في رسوله الكريم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾.

وأمَّا الشجرة الطيِّبة، فقد كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فأصلها منبع النبوَّة والرسالة ثابت لا يتغيَّر، وأمَّا فرعها فقد كان أبناؤها أئمَّة الله على خلقه (الحسن والحسين إلى المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

صلُّوا وسلِّموا على من يناديها جبريل يوم الدين: أين فاطمة بنت محمَّد؟ أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟.

وعند قيامهنَّ يقول المولى عز وجل: **يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟**.

فيقول محمَّد وعليّ والحسن والحسين : «**الله الواحد القهار** ».

فيقول الله تعالى : **يا أهل الجمع طأطِئوا الرؤوس وغضُّوا الأبصار، فإنَّ هذه فاطمة تسير إلى الجنَّة.**

ألف ملكٍ يسيرون عند يمينها، ويبعث إليها مئة ألف ملك فيصيرون على يسارها، ويبعث إليها مئة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم، حتَّى يسيرونها إلى باب الجنة.

أسيادي كيف لكلمةٍ أو حرفٍ أو حتَّى كتاب أن يصف الحوراء الأنسيَّة؟ كيف لنا أن نكتب عن هذا النبأ العظيم ، كيف لبَشر أن يحدَّها بعباراتٍ أو ببضعة أسطر ، كيف أصف مَن كانت ليلة القدر، والشجرة الطيِّبة، والكوثر، والنبأ العظيم؟.

إنَّ لمولاتي فاطمة عليها السلام فضلٌ ليس بدايته بخلق البشر، ولا ينتهي بانتهاء الخلق.

وفي هذا يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**على محبَّتها دارت القرون**».

من أدركَ فضل فاطمة، فقد أدرك فضل ليلة القدر.

فاطمة البتول عليها السلام بضعة الرَّسول صلى الله عليه وآله

حياة كلُّها جهادٌ وعبادةٌ و تبتُّلٌ، نورٌ يسير على منهاج الحقِّ الصريح، وفِكرٌ ثاقبٌ يستضيء بمشكاة العلم الصحيح.

الزَّهراء: ثمرة شجرة النبوَّة وارفة الظِّلال، أبدت من الكياسة والأدب ما لم يسبق إليها أحد، وجعلت وقتها وقفًا على العلم والدين والتربية والتهذيب.

ذلَّلت بأفكارها السامية كلَّ صعبٍ حتَّى تسنَّى لها الصعود إلى معارج الارتقاء، كي تجني ثمار جهدها اليانع وقطوفه الدانية التي تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها.

وحين تقرأ خطبها، ترى الفصاحة تتدفَّق من مَعين لسانها، لا ينكر ما لها من قوَّة الحجَّة في الكلام والشهرة والبيان.

اتَّصفت سيِّدة النساء بالشجاعة في أدبها، فأخرجت للناس دفائق الحكمة، وآيات الحقِّ الناصعة، وسحر البيان الرائع، ومن يُمعِن النَّظر في أسلوب الزَّهراء وفصاحتها، وبلاغتها البيانية، وما ترمز إليه، يتَّضح له ما ينطوي عليه خطابها من معانٍ واضحةٍ وبصيرةٍ نافذة، وقد استطاعت أن تسيطر به على نفوس مستمعيها، وهم في أحرج موقف، فهي كانت ترمي إلى الإصلاح الشامل، وبيان الواجب الملقى على عاتق كلِّ مسلمٍ يؤمن بالقيم الروحيَّة والمبادئ السماويَّة، ويتَّبع إرشادات القرآن والسنَّة النبويَّة.

إنَّ الحديث عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حديث ذو شجون، لا ينتهي الكلام فيه، ولا يمكن إتيان جديد به، فالمصادر القديمة والحديثة تؤكِّد على عظمة هذه المرأة،

وبالأخص ما لقته بعد انتقال الرسول الأكرم إلى جوار باريه، فقد تعرَّضت لكثير من المصائب والمِحن التي يشيب لها الولدان، ابتداءً من ترك وصيَّة والدها، ومرورًا بغصب الخلافة من زوجها إمام المتَّقين، وانتهاءً بقضيَّة (فدك)، وفي معرض ما قاسته، تقول عليها السلام:

مـــاذا عَـــلىٰ مَـــن شـــمَّ تُـــربـــة أحمـــدٍ
أَن لا يـشـمَّ مَـــدىٰ الـــزَّمـــان غَـوالـيـا
صُـبَّـت عَـــلَيَّ مَـصَـائِـبٌ لَـو أَنَّهَـــا
صُـبَّـت عَـلىٰ الأَيَّـــامِ صِرنَ لَـيَـالـيَـا

وجاء في العقد الفريد (ج٣)، وصفٌ يُخبر فيه عن مكانتها في المجتمع، وعند أبيها، حيث يقول: «ما كان أحد من خلق الله أشبه حديثًا وكلامًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة».

وكانت إذا دخلت عليه، أخذ بيدها فقبَّلها، و رحَّب بها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها، قامت إليه ورحَّبت به، وأخذت بيده فقبَّلتها، وحين مرضه دخلت فأسرَّ إليها، فبكت، ثمَّ أسرَّ إليها فضحكت، فلمَّا توفِّي الله الرسول الكريم، قالت: **أخبرني أنَّه ميت فبكيت، ثمَّ أخبرني أنِّي أوَّل أهل بيته لحوقًا به فضحكت.**

إنَّ الحديث عن سيِّدة النساء، أمّ السِّبطَين وأمّ أبيها، يطول شرحه، ويحتاج منَّا أيَّامًا، وربَّما شهورًا كي نعطيها جزءًا يسيرًا من حقِّها علينا.

ربَّما في هذه المقدِّمة المختصرة، نستدلُّ على بعض من فضائل السيِّدة فاطمة عليها السلام منذ نشأتها في بيت النبوَّة ومنبع الرسالة، حتَّى انتقالها بعد والدها إلى جوار أحكم الحكماء.

قِـيـلَ امْـــدَحِ الـــزَّهـــرَاءَ! قُـلـتُ: كَـفَـاهَـا
فَـضْـلًا بِـــأنَّ رِضى الإلـــهِ رِضَـاهـا

قِـدِّيـسـةٌ قـدْ حَـارَ في أوصَـافِـهـا
أهـلُ الـعَـوالِمِ أرضِـهـا وسَـمـاهـا
هـيَ سِرُّ سِرِّ الـنُّـورِ نُـورِ محـمَّـدٍ
هـيَ غـيـبُ عِـلْـمِ الـغَـيـبِ دَعْ معناهَا
فُـطِـمَ الخـلائـقُ عَـنْ تـلـمُّـسِ ذاتِهـا
ولِـذا الإلـهُ بِـفـاطـمٍ سـمَّاهـا!

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وصف فاطمة البتول: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْهَرَ فَاطِمَةَ عليها السلام رُبْعَ الدُّنْيَا، فَرُبْعُهَا لَهَا، وَأُمْهَرَهَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، تُدْخِلُ أَعْدَاءَهَا النَّارَ، وَتُدْخِلُ أَوْلِيَاءَهَا الجَنَّةَ، وَهِيَ الصِّدِّيقَةُ الكُبْرَى، وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتْ القُرُونُ الأُولى**».

فمن أدرك فضل فاطمة البتول أدرك فضل ليلة القدر، وأدرك أنَّ الخير من فاطمة الصدِّيقة الكبرى، وأدرك فضل ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

يا ابنة المُختار من كل الأذى روحي فداكِ
يا ابنة المختار إنَّ اللهَ بالفضل اجتباكِ
وارتضى بعلكِ للخلق جميعًا وارتضاكِ
وعلى الأمَّة جمعًا فضَّل الله أباكِ

سلِّموا وهلِّلوا وكبِّروا على من خاطبها العليُّ الأعلى في كتابه بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة إبراهيم، آية ٢٤.

نعم لقد كان رسول الله هو الكلمة الطيِّبة.

أولم يقل المولى عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ الآية ٢١ من سورة الأحزاب

وأمَّا الشجرة الطيِّبة، فقد كانت فاطمة الزَّهراء، فأصلها منبع النبوَّة والرسالة ثابت لا يتغيَّر، وأمَّا فرعها، فهم أبناؤها هُداة الله في خلقه.

صلُّوا و سلِّموا على من يناديها جبريل يوم القيامة:

أين فاطمة بنت محمَّد؟.

أين خديجة بنت خويلد؟.

أين مريم بنت عمران؟.

أين آسية بنت مزاحم؟

أين أمّ كلثوم أمّ يحيى ابن زكريَّا؟

وعند قيامهنَّ يقول المولى عليه السلام:

يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟.

فيقول محمَّد وعليّ والحسن والحسين: «**لله الواحد القهَّار**».

فيقول عليه السلام: يا أهل الجمع طأطؤوا الرؤوس وغضُّوا الأبصار، فإنَّ هذه فاطمة تسير إلى الجنَّة، ألف ملكٍ يسيرون عند يمينها، ويبعث إليها مئة ألف ملك فيصيرون على يسارها، ويبعث إليها مئة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم يسيرونها إلى باب الجنَّة.

أسيادي: كيف لكلمة أو حرف أو حتى كتاب أن يصف الحوراء الأنسية؟.

كيف لنا أن نكتب أو نصف هذا النبأ العظيم؟.

كيف لعقل بشريّ أن يحدَّها بعبارات أو ببضعة أسطر؟.

كيف أصف من كانت (ليلة القدر، والشجرة الطيِّبة، والكوثر، والنبأ العظيم).

إنَّ لمولاتي فاطمة الزَّهراء عليها السلام فضل ليست بدايته بخلق البشر، ولا ينتهي بانتهاء الخلق.

سيِّدة نساء العالمين وأمّ أبيها وأمّ السبطين، أشرقت أنوارها على البشرية جمعاء في

٢٠ جمادى الآخرة لعام ١٨ ق.هـ في مكَّة المكرَّمة، وهي من أشرف الأنساب وأطهرها، فهي من نسل سيِّدنا إسماعيل بن إبراهيم، والدها خير البرية محمَّد عليه الصلاة والسلام، والدتها سيِّدة نساء عصرها (خديجة بنت خويلد).

ولو أردنا الحديث في العموميَّات مبتعدين عن خصوصيَّة سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، قلنا أنَّها من ضمن العربيَّات اللاتي عُرِفن بالبلاغة والفصاحة، حتَّى أن ابن طيفور المتوفَّى (٢٨٠هـ) أورد خطبها في كتابه (بلاغات النساء)، ناقلًا عن أبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين قوله: «**رأيت آل أبي طالب يروون عن آبائهم، ويعلِّمونه أبناءهم**».

وفي هذا يحضرني قولها في ردِّها على أبي بكر، بعد اغتصاب الخلافة وميراث رسول الأمة: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُۥدَ﴾.

ما كان أبي رسول الله عن كتاب الله صادفًا، ولا لأحكامه مخالفًا، بين عليها السلام فيما وزَّع من الأقساط وشرَّع من الفرائض والميراث، ما أزاح به علَّة المبطلين، وأزال التظنِّي والشبهات في العابرين. **كلَّا بل سوَّلت لكم أنفسكم أمرًا. أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ أفخصَّكم الله بآية أخرج أبي منها؟**.

هذا غيض من فيض ممَّا نطقت به سيِّدة النساء من بلاغة وفصاحة نهلتها من بيت النبوَّة ومنبع الرسالة، فلقد نشأت فاطمة الزَّهراء في كنف حبيب الله وخاتم أنبيائه، واصطفاها عليها السلام على نساء العالمين، وقد شهدت مولاتي منذ طفولتها أحداثًا جسامًا، حيث عانى أبوها النبيّ الأكرم من اضطهاد قريش، وكان لفاطمة الدور الكبير في إعانة والدها ومساندته لردِّ هذا الظلم والاضطهاد، وتؤازره في أذى أبي لهب وامرأته عندما كان يُلقي القاذورات أمام بيته.

وربَّما أشدَّ ما قاسته من آلام في بداية الدعوة ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه المؤمنون مع بني هاشم في شِعب أبي طالب، وأقاموا على ذلك (٣ سنوات)، حتَّى نال

التعب من بني هاشم الكرام، واضطروا إلى أكل الأوراق والجلود.

هذا الحصار الجائر أثَّر على صحَّة سيِّدتنا فاطمة عليها السلام، ولكنه زادها إيمانًا ونضجًا، وما كادت تخرج من محنة الحصار حتَّى فوجئت بوفاة أمِّها السيِّدة خديجة، فامتلأت نفسها حزنًا وألمًا، ووجدت نفسها أمام مسؤوليَّات ضخمة نحو أبيها رسول الله، الذي عانى أيضًا من وفاة السيِّدة خديجة وعمِّه أبي طالب، فما كان منها إلَّا أن ضاعفت الجهد وتحمَّلت الأحداث، ووقفت إلى جانب أبيها رسول الله لتقدِّم له العون بعد رحيل والدتها، ولذلك أطلق عليها رسول الله صلى الله عليه وآله لقب (أمِّ أبيها).

وفي شهر صفر من السنة الثانية للهجرة، جاء أمر الله بتزويج فاطمة عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام، حيث توالى الصحابة لخطبتها من الرسول صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّه رفضهم جميعًا حتَّى نزل الأمر الإلهيّ بزواجها من إمام المتَّقين سيِّدنا عليّ عليه السلام، فأصدقها درعه، ويُقال إنَّه باع بعيرًا وأصدقها ثمنه الذي بلغ ٤٨٠ درهمًا «أغلب القول»، وأنجب من سيِّدة النساء فروع الشجرة المباركة (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم والمحسن).

وقد روى الليث ابن سعد: تزوَّج عليّ فاطمة، فولدت له (حسنًا وحسينًا ومحسنًا وزينب وأمّ كلثوم ورقيَّة).

هذا مختصر القول عن سيرة ولادة سيِّدة النساء ونشأتها وزواجها وأولادها، ولكن والله لو كان البحر مدادًا والشجر أقلامًا، لنفذت قبل أن ينفذ الكلام، والحديث عن مولاتي فاطمة التي جعل الله تعالى الإمامة في ذريَّتها، وخلاص البشريَّة جمعاء من أبنائها حتَّى يوم الدين، يوم الفزع الأكبر.

كلُّ ما تمَّ ذِكره آنفًا عنها هو للعام من خلق البشر، الذين يرون أنَّ فاطمة الزَّهراء ما هي إلَّا إمرأة كغيرها من النساء، «كبرت وترعرعت وتزوَّجت وأنجبت، ثمَّ فارقت الحياة إلى جوار باريها، ولكن لو أردنا الحديث عن الخاصِّ للخواص، فمن أين نبدأ؟ وهل لعقل أن يصدِّق فضل فاطمة ومكانتها عند باريها؟ وهل لعاقل أن يستوعب كُنه

السيِّدة فاطمة وماهيَّتها؟ فلو نظرنا بإمعانٍ قبل ولادتها إلى حال أبيها الذي فقد أبناءه واحدًا تلو الآخر، حتَّى أعاب خلق الله عليه أنَّه الأبتر، فجاء وحي الله ليواسيه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

فكانت فاطمة الكوثر عليها السلام التي قرَّت عين رسول الله بها، وسكنت سريرته إليها، ولكي يكرمها الخالق سبحانه في سورة من القرآن الكريم، اختصَّها به، فكانت المعجزة بين طيَّاتها، والسر المكنون بين حروفها.

فلو أفردنا الحساب قليلًا، وتفكَّرنا في الغاية منها، وبحثنا في طيَّاتها، لرأينا معجزة الخالق كيف تجلَّت بخاصِّ الخواص في السيِّدة فاطمة. وقبل أن أسرد الحديث والشرح، يخطرني معنى اسمها عند ولادتها (فاطمة)، فقد ورد في المعجم الوسيط: فطم العدد أو الحبل أي (قطعه)، ويُقال: (فطم فلان عن عادته) بمعنى قطعها عنه، والمرضع الرضيع قطعت عنه الرضاعة، فهي فاطم وفاطمة، وهذا الاسم اشتهرت به بضعة رسول الله وسيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء، وسماها والدها الزَّهراء؛ لأنَّها كانت صاحبة وجه مشرق مستنير زاهر.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّها فُطمت هي وشيعتها وذريَّتها عن النار**».

وهنا يحضرني قصيدة نظمها الأستاذ الشيخ محمَّد كاظم الخاقانيّ في فضائل سيِّدة النساء يقول فيها:

كـوثـرُ الـكـونِ لآفـاق الخـلـود
هـبـةُ الحـقّ لـغـايـاتِ الـوجـود
حـيـدرُ المـجـدِ وطـه ذو الـنـدى
والألى هـم لـلـعـلا خـيرُ شـهـود
تـمـمُ الله بهـا أنـعـمـهُ
لِـسَـنَـا الـعـترةِ مـن بـعـد سـجـود

لتكونَ السرَّ من آلائه
يوم نلقاه بلا أي جحود
آيةً فيها تجلّى للورى راسما
عرشَ الهدى بعد صدود
فأضيعتْ بعد ما حلّ الدجى
بربوعٍ نالها طيشُ عنود
آهِ من فعلة قومٍ بدّلوا
قيمَ الحقّ لأهواء حقود
فتناسوا للهوى ما أبرموا
من سلامٍ فيه أسفارُ العهود
ليعيشوا البغيَ أنغام الرَّدى
أُممًا تسعى لأوهامِ خلود

لقد كانت فاطمة الزَّهراء آية تجلَّت فيها عظمة الخالق أهداها لأهل العلم من خاصِّ خلقه، فلو نظرنا بعين اليقين إلى سورة الكوثر، وتفهَّمنا مغزاها بعقل اللبيب، لدخلنا طريق البهنميَّة البيضاء والكرة الزَّهراء.

وفي حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام للمفضَّل بن عمر الجعفيّ: «**اعلم يا مفضَّل أنَّ شيعتنا تُعرف بحسب درايتهم فينا، ومعرفتهم بنا، فسُحقًا لمن يروي ولا يدري، ويقصد ما لا يبصر، ويصحُّ في عقل، ولا يصحُّ في لبّ، فالقرآن أُنزل على معنى إيَّاك اعني واسمعي يا جارة**».

لذا كان الفرض والواجب أن نعي ما نقرأ، ونفهم القصد، ونستزيد من أنوار سيِّدة النساء، وننعم بفضائلها على الأمَّة جمعاء، ولكي نفهم ونعي ونستزيد، لا بدَّ أن نأخذ بمن سبقونا وأورثونا علومهم، كي نستنير بها في طريق الحقِّ، يقول الإمام عليّ الرِّضا

منه الرحمة والسلام: «**رحم الله عبدًا أحيى أمرنا، فتعلَّم علومنا ويعلِّمها الناس، فإن الناس إن علموا محاسن كلامنا لاتَّبعونا**».

ومن هنا انطلق في سرد ونقل علوم آل بيت النبوَّة الكرام في فضل من بدأت طريق الحقِّ ونقلته للإمام الحسين فاتَّبعناه، وأورثوه للإمام المنتظر عجل الله فرجه فانتظرناه.

كما أسلفنا سابقًا بعين اليقين المستبصر عن المقصود (الكوثر) لعلمنا أنَّها سيِّدة النساء التي أنار الله بوجودها ديجور الظلام، وهدى بها كلَّ الأنام، فالكوثر تعتبر من معاجز القرآن، وهي السورة رقم (١٠٨) من آيات الله في كتابه، وهي أقصر السور، وأكثرها إعجازًا وعلمًا.

قد يسأل سائل: وكيف تقول هذا، وما الدليل؟.

إنَّ سورة الكوثر تتألَّف من (١٠كلمات)، وجاءت من المولى عز وجل بصيغة الأمر (انحر)، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي حملت هذا المعنى وتفرَّدت به، ثمَّ قسَّمها الباري قسمَين (٥ كلمات)، لاوجود ثاني لها في القرآن، البالغ عدد آياته (٦٢٣٦) آية، و(١١٤) سورة، وهذه الكلمات (أعطيناك، الكوثر، لربِّك، انحر، الأبتر).

وهذا يدلُّ على إعجازٍ في خلق بضعة الرسول، ونرى هنا تكرار للرقم (١٠)، وهو يوم النَّحر، ولو قمنا بتعداد حروف ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾؛ لوجدنا أنَّ الحروف (١٠)، وهو دلالة أيضًا على يوم النَّحر.

ولو عددنا النقاط ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ لوجدناها (١٠) نقاط، وهو يوم النحر، وهذا إعجاز لا يقوم به إلَّا قادر مقتدر، لكي يعظِّم من قصده في هذه السورة، وربَّما أغرب ما يمكن أن نخبره في بحثنا حول سيِّدة نساء العالمين لوجدنا أنَّ عدد السور التي تنتهي بحرف (ر) في القرآن، لوجدناه (١٠)، وآخرها الكوثر، ورقمها (١٠). سبحان الله، أي إعجاز هذا أراد منه الخالق جلَّ شأنه أن يعظِّم به السيِّدة فاطمة عليها السلام

ولو أردنا الخوض والتعمُّق أكثر في ماهيَّة سيِّدة النساء عليها السلام، وقرأنا بعد: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾

تأمَّلوا معي الإعجاز العدديّ في سورة (القدر)، ودلالته العميقة التي تصعب إلَّا على كلِّ مستبصرٍ مستنير العقل واللبِّ.

عدد الكلمات (٣٠) = عدد أجزاء القرآن.

عدد حروفها (١١٤) = عدد سور القرآن

كلمة (هي) في السور رقمها (٢٧)، إشارة إلى ليلة القدر (٢٧) من شهر رمضان.

كلمة القدر تكرَّرت في السورة بالأرقام (٥، ١٠، ١٢).

ولو قمنا بجمعهم لكان الناتج (٢٧) ليلة القدر، تكررت (٣) مرَّات، ومجموعها (٩) لو ضربنا (٣×٩=٢٧).

قد يعيب علينا سائل ويقول: ما شأن فاطمة بهذا المقال؟.

نجيب بإذن الله تعالى ونقول:

أوَّلًا: أحرف اسم فاطمة (٥)، وليلة القدر (٥) أحرف، ومجموعها (١٠)، وأهل الكساء (٥).

ثانيًا: ليلة القدر في (٢٧) من شهر رمضان، ولو حسبنا اسم فاطمة في الجدول الروحانيّ، لوجدنا أنَّ (فاطمة):

ف=٨	ا=١	ط=٩	م=٤	هـ=٥	الناتج=٢٧

مجموع الأحرف = ٢٧.

ومن باب، آخر لو جمعنا (٧+٢) من اسمها، لكان الناتج (٩)، وأيضًا ناتج ليلة القدر (٧+٢=٩).

وأيضًا كلمة (هي)، كان رقمها (٢٧)، أي الناتج (٧+٢=٩).

وليلة القدر تكرَّرت بالأرقام (٥+١٠+١٢)، والمجموع كان (٢٧) أي ناتج (٧+٢=٩)، ولو نظرنا إلى الأرقام (٥+١٠+١٢) بعين اليقين، لرأينا أنَّ الدلالة تكون (٥ أهل الكساء)، و(١٠يوم النحر)، و(١٢عدد الأئمَّة)، وتكرَّرت ليلة القدر (٣) مرَّات، مجموع التكرار (٩)، والأغرب أنَّنا لو قمنا بحساب بسيط لاسم سيِّد الشهداء الحسين عليه السلام على النحو الآتي:

ا=١	ل=٣	ح=٨	س=٦	ي=١٠	ن=٥	الناتج=٣٣

ناتج الجمع يعطي (٣٣).

بإسقاط الحساب في الجدول الروحانيّ (٣٣-١٢-١٢=٩)، وهو حساب اسم فاطمة = (٩)، والحسين (٩)، وليلة القدر(٩).

فكان الحسين باب الأئمَّة إلى خلق الله لهداية عباده.

وبحساب بسيط لكي نثبت ما نقول، لو قمنا بحساب أحرف الجلالة:

ا=١	ل=٣	ل=٣	س=٦	هـ=٥	الناتج=١٢

المجموع =١٢، عدد الأئمَّة.

ولو نظرنا إلى تقسيم الأحرف في الآية (٥٠) من سورة مريم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

لوجدنا أنَّ الإعجاز يأتي بالتبصُّر باسم الجلالة، فمجموع الاسم الأعظم هو (٦+٦=١٢)، واسم الحسين بحسب الجدول (٣٣) (٣+٣=٦)، ولكي تكتمل شجرة النبوَّة بفروعها، سنختتم حسابنا بمعادلة أخيرة، لو جمعنا اسم سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وآله:

م=٤	ح=٨	م=٤	د=٤	الناتج=٢٠

الناتج (٢٠).

وناتج جمع كلمة إمام الأمة علي عليه السلام:

ع=٧	ل=٣	ي=١٠	الناتج=٢٠

الناتج (٢٠).

الحسن عليه السلام:

ا=١	ل=٣	ح=٨	س=٦	ن=٢	الناتج=٢٠

الناتج هو (٢٠)

ولو نظرنا إلى الآية (٥٠) من سورة مريم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، لوجدنا أنَّ مجموع أحرف الآية هو (٢٠) حرفًا، ومجموع الجمل في اسم مريم (٢٠)، واسم علي عليه السلام = (٢٠).

وهذا إن دلَّ على شيء، فهو يدلُّ على ترابط شجرة النبوَّة وآل البيت الأطهار من محمَّد، فاطمة إلى عليّ إلى الحسن، ثمَّ الحسين عليهم سلام الله أجمعين، ومن سبقهم، وورد ذكرهم في كتب الأوَّلين، واختصرنا عنهم، وهم السيِّدة مريم، وعيسى المسيح، وقبلهم نار موسى الهائلة من جانب الطور، التي بشَّرت بقدوم سيِّد البشريَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، ومن بعده عترته الطاهرة، فقد جاء في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: (التوراة): «جاء الرَّبُّ من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلى من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار».

سيناء هنا (موسى عليه السلام)، ولا ننسى (اثنتا عشرة عينًا) لمن يعقل ويفهم، وأشرق من جبل ساعير، وهو عيسى المسيح ابن مريم عليهما السلام، وأيضًا معه (١٢ تلميذًا) لمن يعقل إن كان ذا لبّ.

وجبل فاران هو سيِّدنا محمَّد صلوات الله عليه، وكان من ذريَّته فاطمة عليها السلام، وذريَّتها الأطهار، وهم (١٢ إمامًا)، وهم مصابيح الأمَّة ونور للبشرية لمن اهتدى.

هذه هي سيِّدة النساء وبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، زوجة إمام المتَّقين، ووالدة (الحسن والحسين).

أي كلام بعد هذا يحتمل التأويل في ماهيَّة فاطمة عليها السلام أو حتَّى الشكَّ في كنهها.

وقبل أن تختم رسالتها، وتفارق أرضنا إلى جوار باريها، لكي تلتحق بركب رسول الله، أوصت عليها السلام قائلة للإمام عليّ عليه السلام: «**أوصيك إذا قضيت نحبي فغسِّلني ولا تكشف عنِّي فإنِّي طاهرة مطهَّرة وحنِّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله صلى الله عليه وآله، وصلِّي عليَّ وادفنِّي ليلًا لا نهارًا، إذا هدأت العيون، ونامت الأبصار، وسرًّا لا جهارًا، وعفَّ عنِّي موضع قبري، ولا تُشهِد جنازتي أحدًا ممَّن ظلمني**».

خلقت وصيَّة الزَّهراء عليها السلام جدلًا واسعًا في أوساط عامَّة البشر والعلماء والفقهاء، وقد تعرَّضت بعض الروايات لبعض وجوه الحكمة من دفن الزَّهراء عليها السلام سرًّا، وإخفاء قبرها.

ما علَّة دفن فاطمة ليلًا؟

عن الأصبغ بن نباتة، قال: سُئِل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن علَّة دفنه لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلًا.

فقال عليه السلام: «**إنَّها كانت ساخطة على قومٍ كرهت حضورهم جنازتها، وحرام على مَن يتولَّاهم أن يصلِّي على أحدٍ من ولدِها**».

عن ابن البطائنيّ عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله لأيِّ علَّة دُفِنت فاطمة عليها السلام بالليل، ولم تُدفَن بالنهار؟.

قال: «**لأنَّها أوصت أن لا يصلِّي عليها الرَّجُلان الأعرابيَّان**».

قد يتساءل المسلمون عن السبب الذي لأجله لم تحظَ الزَّهراء عليها السلام بما حظيت به نساء عصرها من أن يكون لها قبرٌ، مع أنَّها المرأة الأولى في الكون، فضلًا وتقوًى و هدًى؟.

إن موقفها تجاه الذين ظلموها وغصبوا حقَّها وباعوا آخرتهم بدنياهم.

وهذا يدلُّ عن التعبير الحقيقيّ لمرارة الأحداث التي تجرَّعتها ممَّن ظلمها.

وهنا لا يسعنا إلَّا أن نذكر قولها عليها السلام للطواغيت (عمر وأبي بكر): «**لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة أبدًا حتَّى ألقى أبي وأشكوكما إليه، وأشكو صنيعكما وفِعالكما وما ارتكبتما منِّي**».

نـــار الخـيـــام و نـــار تحـــرق بـابـهـا
كـلـتـاهـمـا نـــار الـصـحـابـة فـهـل تعي
كـــسروا لهـــا ضـلـعًـا فـمـاتـت فـاطـم
وكـــذاك داســـوا يـــوم عـــاشر أضـلـعي
قـتـلـوا بـمـسـمار الـنـفـاق جنينـهـا
وشـعـارهـم بـالـطـفِّ قـتـل الـرضَّـعِ
لـلـيـوم أهـــل الـبـغـي مـــاض حـقـدهـم
تمـجـيـدهـم أهـــل الـنـفـاق بمسمعي
لا زال يـــترضى عـــلى أعـدائـهـا
مـــن في دمـائـنـا كـــل يـــوم يـرتـعِ

هذه شكوى الزَّهراء عليها السلام، وهذا مصابها الذي أثخن الجراح وأدمى القلوب وعجز عنه الصبر.

هذه سيِّدة نساء العالمين التي كرَّمها الله ورسوله، وحمل إمام المتَّقين أعطيةَ الله له، فأكرم مقامها وحفظ بضعة رسوله، ورفعها في علياء عشقه الأبدي له، وحافظ عليها في حياتها قبل انتقالها إلى جوار باريها، فكان عليه السلام يقول: «**ما رأيتها يومًا إلَّا وذهب الهمُّ الذي كان في قلبي**».

لقد حفظ إمام المتَّقين وصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أوصاه بها عند زواجه من سيِّدة

النساء، عندما خاطبه قائلًا: «**يا عليّ ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فإنَّ فاطمة بضعة منِّي يؤلمني ما يؤلمها، ويسرُّني مايسرُّها، استودعكما الله، واستخلفه عليكما**».

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتَّى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت انظر إليها فيكشف عنِّي الهموم والأحزان**».

وبعد أن فاضت الروح، وانتقلت الأمانة إلى باريها، دفنها أمير المؤمنين سرًّا وعفى على موضع قبرها، ثمَّ قام ووجَّه وجهه إلى موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**السلام عليك يا رسول الله عنِّي والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى في بقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبري وعفى عن سيِّدة نساء العالمين تجلُّدي إلَّا أنَّ لي في التأسِّي بسنَّتك في فرقتك موضع تعزٍّ، فلقد وسَّدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصبري، بل وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة وأخلست الزَّهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أمَّا حزني فسرمد، وأمَّا ليلي فمسهَّد، وهمٌّ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت مقيم فيها. كمدٌ مقيح وهمٌّ مهيج سرعان ما فرَّق بيننا وإلى الله أشكو وستنبؤك ابنتك بتظافر أمتِّك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل مقيح بصدرها لم تجد إلى بثِّه سبيلًا، وستقول ما يحكم الله وهو خير الحاكمين**».

هذه أخبار الزَّهراء في حياتها وفي مماتها، اختصرها لنا الإمام عليّ عليه السلام بكلمات تحمل معنى العشق والحب في المعاشرة الطيِّبة، وعن معنى الألم والحزن في فراق الأحبَّة.

وَطَـنٌ بِـهِ الـزَّهْـراءُ حَـطَّ جَـلالُهـا
فَـفِـداءُ تُـرْبَـتِـهِ الـوُجـودُ الأَكْـمَـلُ

أَصْـــلُ الـنـبـوَّةِ والـــوِلا يُـنْـبِـيـكَ عَـن
إجـلالِهـا مَـلَـكٌ و يَـشْـهَـدُ مُـرْسَـلُ
هـي روحُ حَـيْـدَرَةٍ و مُـهْـجَـةُ أَحـمـدٍ
بَـل إنَّهـا الخَـلْـقُ الـكَـريـمُ الأَوَّلُ
خَـيْرُ النِّسا بَـلْ خَـيْرُ مَـنْ وَطِـئَ الثَّرى
مِـنْ دونِهـا رُفِـعَ الـسِّـماكُ الأعْـزَلُ
سَـلْ "هل أتى" أوَ هَـلْ أتـى بِمِثالِها
دَهْـرٌ يَجُـودُ عـلى الأنـامِ ويَـبْـخَـلُ
هـي لـيـلـة قـد جَـلَّ قـدسًـا قـدرُهـا
فـيـهـا المـلائـكُ بـالـقـضـاءِ تَـنَـزَّلُ
وشَـفِـيـعَـةٌ في الحَـشْرِ يَـوْمَ وُقـوفِـهِـمْ
والـكُـلُّ يَـرْجـوهـا هُـنـاكَ و يَـأْمُـلُ
عَـنَّـتْ لهـا الأَيـامُ فَـهـي شَـواهِـدٌ
تَمْـضي عـلى آيـاتِهـا فـتُـبَـجِّـلُ
آلاؤُهـا هِـبَـةُ الحَـيـاةِ وفَـضْـلُـهـا
في الـكـائِـنـاتِ عـلى المَـدى مُـتَـطَـوِّلُ
ولأجْـلِـهـا ابـتَـلَـجَ الـصَّـبـاحُ ونـورُهُ
واســوَدَّ لـيـلٌ في المـجـرةِ أَلـيَـلُ
ولحـبِّـهـا خَـلْـقُ الجـنـانِ وسُـعِـرَتْ
نـارٌ لـشـائـنـهـا تـشـوه وتـنـكِـلُ
سـادَ الـورى أجـدادُهـا وبهـا على
أجـدادِهـا أبـنـاؤُهـا قـد فُـضِّـلـوا

والـــــدرُّ كـــلٌ في الجـــمالِ مُـصـدرٌ

لـكـن يَـزيـنُ الـــدرَّ مـا هـو أجـمـلُ

لو أمعنَّا النظر في كلِّ ما تقدَّم، وأخذنا الكلام عن سيِّدة النساء بعين اليقين، وإدراك العارفين، لوجدنا أنَّ فاطمة الزَّهراء تفوق وصف البشر لها، للمنزلة العظيمة التي حباها الله بها، ومن قولٍ لها عليها السلام: «**نحن وسيلة الله في خلقه ونحن خاصَّته ومحل قدسه، ونحن حجَّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه**».

وكيف لا تكون كما قالت، وهي ابنة المصطفى وهادي الخلق إلى سنن وشرائع الخالق عزَّ وجلَّ، كيف لا و هي التي ذكرها الله مع بيت النبوة في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣) سورة الأحزاب.

حينها دعا الرسول صلى الله عليه وآله في بيت زوجته أم سلمه (فاطمة والحسن والحسين)، فجلَّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره، ثمَّ قال: «**اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرجس وطهرِّهم تطهيرًا**».

فقالت أم سلمه: وأنا معهم يا نبي الله.

فقال: أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير.

ثمَّ قال النبي صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة سيِّدة نساء أمَّتي**».

لو أردنا الحديث عن صفات البتول عليها السلام، لوجدنا أنَّها من الأصفياء الأتقياء، فقد عاشت حياة الزُّهد والتقشُّف، وكانت أقرب إلى الناسكات، وإلى جانب الزهد والتقشف، فقد عُرِفت عليها السلام بالحبِّ والاحترام، وتقديرها وتقديسها للحياة الزوجيَّة ولابن عمِّها أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كانت تعرف مكانته العظمى ومنزلته العليا عند الله، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها، بل أكثر من ذلك، فإنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام كانت عارفة بحقِّ عليّ حقَّ معرفته، وتقدِّره حقَّ قدره، وتطيعه كما ينبغي؛ لأنَّه أعز الخلق إلى رسول الله، فهو صاحب الولاية العظمى والخلافة الكبرى، والولاية المطلقة، فهو

خليفة رسول الله ووارث علمه ووصيه وصاحب المواقف الجليلة، والسوابق العظيمة، وهكذا كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يحترم فاطمة الزَّهراء عليها السلام احترامًا لائقًا بها، ليس لأنَّها زوجته، بل لأنَّها أحبُّ الخلق لرسول الله وسيِّدة نساء العالمين، ولأنَّها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد والوجود، فهي كتلة من العظمة ومجموعة من الفضائل متوفِّرة في امرأة واحدة، هي فاطمة البتول.

نعم، لقد اجتمعت فيها كلُّ الفضائل والمكارم، كما لم تجتمع في إمرأة من قبل في العالم كلِّه من حيث النسب الشريف والروحانيَّة والقدسيَّة، ومن حيث بدأ الخلقة ومنشأ إيجادها وكرامتها عند الله وعبادتها وعلمها وزهدها وتقواها وطهارتها.

هذه هي السيِّدة الجليلة التي كانت أشبه خلق الله بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، لا عجب أنَّها كانت الأقرب والأحبَّ إلى رسول الله، فقد كانت عليها السلام نطفة من الجنَّة في صلبه قبل أن تولَد.

ورد في الدرِّ المنثور تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..﴾.

يقول الطبرانيّ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لـمَّا أسرى الله بي إلى السماء أُدخِلت الجنَّة، فوقعت على شجرة من أشجار الجنَّة لم أرى في الجنَّة أحسن منها، ولا أبيض ورقًا، ولا أطيب ثمرًا، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلتها فصارت نطفة في صُلبي، فلمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنَّة شممت ريح فاطمة**. وردت وتواترت أحاديث كثيرة عبر الأجيال السابقة تتحدَّث عن فضائلها ومحاسنها وعن أسمائها وصفاتها العظيمة، فقد روى القندوزيّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّما سمِّيت فاطمة البتول؛ لأنَّها تبتَّلت عن الحيض والنفاس**، وكذلك روى الحضرميّ عن الخطيب البغداديّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ ابنتي فاطمة حوراء أنسيَّة لم تحض ولم تطمث**.

وقد ورد في أحاديث كثيرة أنَّها عليها السلام سمِّيت (المحدَّثة)؛ لإنَّ الملائكة كانت تحدِّثها وجبريل فيهم من دون المعاينة، ذَكر أهل الأثر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل على خديجة وهي تحدِّث فاطمة في بطنها.

فقال لها: يا خديجة من تحدِّثين؟.

قالت: الجنين الذي في بطني يحدِّثني، فقال صلى الله عليه وآله: **يا خديجة هذا جبريل يبشِّرني أنَّها أنثى، وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تبارك و تعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمَّة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.**

يقول الإمام الصادق منه السلام: «**لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها كفؤ على وجه الأرض**».

و في هذا السياق يقول الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

قال: هما عليّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، أي «**هما الحسن والحسين عليهما السلام**».

سُئل الإمام الصادق منه السلام: لما سمِّيت فاطمة بالزَّهراء؟.

فقال: **لأنَّها إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض.**

كما تحدَّث الإمام الصادق عليه السلام عن مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام، ولم يقف كلامه أو حديثه عنها وعن صفاتها العظيمة ومكانتها الرفيعة ومقامها السامي، يقول منه السلام: **لا يوم كيوم محنتنا بكربلاء، وإنَّ كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة، وقتل محسن بالرفسة، أعظم وأدهى وأمر؛ لإنَّه أصل يوم العذاب.**

وهذا اليوم في مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام ذكره علماء أهل السنَّة في ترويعها وظلمها،

يقول البلازريّ: بعد ذكره لحادثة السقيفة المريرة، أنَّ أبا بكر أرسل لعليّ يريد البيعة، فلم يبايع فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقَّته فاطمة على الباب، وقالت له: «**يا ابن الخطَّاب أتراك محرقًا عليَّ بابي؟** قال: نعم، وذلك أقوى في ما جاء به أبوكِ».

فقالت فاطمة الزَّهراء عليها السلام: **والله يا ابن الخطَّاب لولا أنِّي أكره أن يصيب البلاء مَن لا ذنب له، لعلمت أنِّي سأقسم على الله ثمَّ أجده سريع الإجابة.** (بحار الأنوار ٦٧/ ٢٤٩)

وفي صحيح مسلم (٢/ ٧٢)، وصحيح البخاريّ (٦/ ٧٦)، قالت فاطمة الزَّهراء عليها السلام: **والله لا كلَّمتك أبدًا والله لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاة وأُشهِد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما رضيتماني وإن لقيت النبي لأشكونكما إليه.**

وجاء في بيت الأحزان (١١٣)، وكشف الغمَّة (٢/ ١٩٤):

تقول عليها السلام: **لا تصلِّي عليَّ أمَّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله في أمير المؤمنين عليّ وظلموا لي حقِّي وأخذوا لي إرثي وخرقوا لي صحيفتي التي كتبها لي أبي بمُلك فدك.**

وفي الخصال (١/ ١٧٣)، والاحتجاج (١/ ١٤٦) قالت فاطمة الزَّهراء عليها السلام: **إليكم عنِّي فلا عذر بعد غديركم والأمر بعد تقصيركم، هل ترك أبي بعد غدير(خم) لأحدٍ عذرًا.**

وفي الثالث من جمادى الآخرة ١١هـ/ ٦٢٣م، وفي الـ٢٨ منه، شدَّت سيِّدة النساء رحالها معلنةً اللحاق بركب أبيها سيِّد البرية رسول الله، تاركةً خلفها إرثًا لا ينضب من العلم والمعرفة والأدب والفضيلة، وخلقت جيلًا ما زال يقتدي بنور أبنائها وهدي نسلها الكرام، هذه هي فاطمة البتول وبضعة الرسول وسيِّدة النساء، وربَّما كلُّ ما أوردنا ذِكره لا يفيها حقَّها ولا يعطيها شيئًا ممَّا تستحقُّه علينا من ودٍّ واحترام وإيمان بما ورثناه عنها وعن أبيها رسول الله وعن زوجها إمام المتَّقين وعن

تضحية فلذة كبدها الحسين عليه السلام كي تستمر مسيرة آل بيت الرسول على مرِّ الأزمان ساطعة ومشرقة ومنارة لكلِّ الأجيال الذين عرفوا مقامهم فأحبُّوهم وساروا على نهجهم.

السلام عليكِ يا زهراء.

السلام عليكِ يا سيِّدة النساء.

السلام عليكِ يا فاطمة البتول.

السلام عليكِ يا بضعة الرسول.

وهنا نختم بكلمات ربَّما تثلج الصدور بعد رحلة عميقة عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عشنا بين طيَّات حروف وصفها معنى القدسيَّة والإيمان والتسبيح ومعنى أن تكون من نسل سيِّدة النساء.

إن شئت أن تحظى بأجرٍ وافرٍ
ويكونُ فرضكَ واصلًا مقبولا
فإذا فرغتَ من الصلاةِ مسلمًا
لا تنهض إلى الحياةِ عجولا
سبح بتسبيحِ البتولة فاطمٍ
لتنالَ في دارِ الخلودِ مقيلا

ا	ل	ب	هـ	ن	م	ي	هـ
١	٣	٢	٥	٢	٤	١٠	٥

شرح البهنميَّه:

ب:	باء البدور والنقطة أُسُّ الحروف
هـ:	هاء القدرة وجاءت بالأمر قُل هو الله أحد
ن:	نون والقلم وما يسطرون، الحرف دلالة هلال الصين، والنقطة النجم الثاقب. ونقول محمَّد صلى الله عليه وآله، وليس المقصود (الصين) كبلد
م:	وهي فاطم عليها السلام وجملها = ٤ وهي الزجاجة والكوكب الدرِّي والمشكاة والمصباح
ي:	هي الخضوع وجملها = ١٠ وجاءت بمعنى: ربابة ربَّة البيت لها عشرة دجاجات وديك حسن الصوت ويقول يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾.
الهاء الأخيرة	تمَّ ذِكرها للتأكيد على القدرة، فالبهنميه البيضاء كلمة فارسيَّة الأصل تعني: شدَّة البياض والنور والجمال، ولهذا فهي نور الأنوار الذي لا يحمل صفة، فكان يحتاج إلى الهيولة كي نعرفه بها، فالهيولة هي الصورة الماديَّة، والهيولة كلمة أصلها يونانيّ، تعني: الصورة.

وقد أسلفنا الذِّكر أنَّ فاطمة عليها السلام نور أزهرت به الكواكب وأشرقت به الأرض، فوجب معرفة معنى نورها بالصورة البشريَّة، لكي يستدلُّ بها العارف طريقه إلى الله.

المراجع

١. مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٣١.
٢. الأستاذ الشيخ أحمد الدر العاملي ([٣]) ديوان مرآة الشعور: ١١٩ من قصيدة: قطب الوجود.
٣. بحار الأنوار: ٣/ ١٠٥.
٤. مهيار الديلميّ: أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلميّ البغداديّ.
٥. بحار الأنوار: ٨/ ٥١-٥٢.
٦. بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٣٥.
٧. ذخائر العقبى: ٥٥.
٨. دلائل الإمامة: ١/ ١٤٨.
٩. كوثر الكون: الأستاذ الشيخ محمَّد كاظم الخاقانيّ.
١٠. روضة الواعظين: ١/ ١٥١، وفي رواية: إذا هدأت الأصوات ونامت العيون.
١١. روضة الواعظين: ١/ ١٥٣.
١٢. الرسالة المفضَّليَّة.
١٣. المعجم الوسيط.
١٤. الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية «التوراة».
١٥. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨٥.
١٦. بيت الأحزان، الشيخ عبَّاس القمِّيّ: ٥٣-٥٤.

١٧. نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام: ٢/ ١٨٢.
١٨. وطن الأحبَّة الشاعر محمَّد الحرزيّ.
١٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢١١-٢١٢.
٢٠. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٣٥/ ٢٢٧.
٢١. الدرُّ المنثور.
٢٢. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٤٣/ ١٥.
٢٣. ذخائر العقبى: ٤٤.
٢٤. سورة الإسراء، آية: ١.
٢٥. ينابيع المودَّة: ٢٦٠ طبعة اسلامبول.
٢٦. مودَّة القربى: ١٠٣ طبعة لاهور.
٢٧. كنز العمَّال: ١٣/ ٩٤، ورواه أيضًا الخطيب في تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٣.
٢٨. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٤٣/ ٢.
٢٩. مناقب ابن شهرآشوب: ٢/ ٢٩.
٣٠. أمالي الطوسيّ: ٤٣.
٣١. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٣٧/ ٩٦.
٣٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/ ١٨١.
٣٣. الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ: ٩١.
٣٤. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٢/ ٣٠.

دور الزَّهراء في الدفاع عن حقِّ الإمامة

نرجس مهدي عبهول
جامعة سومر/ قسم اللغة العربيَّة/ دراسات عليا

ملخَّص البحث

بدأت البحث بأية قرآنيَّة من قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، ثمَّ تلوته بإهداء إلى روح النبيِّ الأعظم وآله، وبعده تلوته بمقدِّمة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأبعاد جهادها في حقِّ الإمامة، وبعدها فصَّلت القول بالفصل الأوَّل (الزَّهراء عليها السلام ومكانتها)، من آيات وأحاديث مؤيِّدة لحضرتها.

المحور الأوَّل: في مواجهة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وانتفاضتها. من الروايات التي جاءت في حقِّها وتصدِّيها عليها السلام للهجوم على دارها، ومواجهتها للمعتدين، وجرأة القوم في الطعن بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام وبشهادتها، ثمَّ بعدها دفاع السيِّدة عن حريم الولاية.. وفلسفة البكاء التي استخدمتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ووظَّفتها للدفاع عن حقِّ الإمامة كسلاح لها ضدَّ الظالمين والغاصبين لحقِّ أمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ عرَّجت على فدك، بتوطئة لفدك، وما أسَّست له الزَّهراء عليها السلام، وتوظيفها لفدك في الدفاع عن الإمام عليّ عليه السلام، وولايته، وتشخيص الزَّهراء عليها السلام أنَّ من أسباب خروج القوم على خلافة وولاية أمير المؤمنين تمتدُّ له جذور في الجاهليَّة، كذلك انطلقت الزَّهراء عليها السلام بحزمة من المنطلقات في دفاعها عن أمير المؤمنين عليه السلام. وقد خُتمَ البحث بإيراد حجج الزَّهراء ومنطلقاتها، مع ذكر قائمة بالمصادر للبحث، مع فهرسٍ له.

المقدِّمة

لاريب أنَّ هالة القدس التي تحيط بحضرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي منحة إلهيَّة محضة.

وحضرة النور الطاهرة أجلُّ من أن يُقدِم عامَّة الخلق في تبيان محلِّها الأرفع.

وما عسى القول في مَن قرن الله تعالى رضاه برضاها.. وتنبع عظمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من خاصَّة خصائص ما حباها الله تعالى به.

ويمكن ملاحظة أيّ عناية أولت السماء، وأحاديث الأطهار، وإكرام الرسول الأعظم لها قولًا وفعلًا، حتَّى أنَّه ليستأذن في الدخول لبيتها، وهو سيِّد الخلق.

لقد أشاد الله تعالى بها في محكم كتابه، وعلى لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله، وبين العامَّة والخاصَّة، وبين زوجات النبيّ وأصحابه، وجمهور المسلمين.

الفصل الأوَّل

الزَّهراء ومكانتها

الآيات التي نزلت في بيان حضرتها

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[4].

فضيلة السيِّدة فاطمة عليها السلام

إنَّ هذه الآيات الكريمة دلَّلت على فضيلة ومقام أهل البيت عليهم السلام.

وخصَّ بذكر السيِّدة الزَّهراء، وهي محور مهمٌّ من محاور الرسالة، وما تحمَّلت منذ بداية البعثة الشريفة للنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله.

وهذه شهادة بيِّنة على خصوصيَّة السيِّدة وجوهريَّة وجودها، وعلى أنَّها وتر النبيّ

(١) الكوثر: ١.
(٢) الأحزاب: ٣٣.
(٣) آل عمران: ٦١.
(٤) الشورى: ٢٣.

الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولكنَّ الأمَّة تناست حتَّى حقَّها الذي بيَّنه القران الكريم، ومضت في ظلاماتها للسيِّدة الجليلة.

الأحاديث الشريفة

عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة! إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**».

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لو كان الحُسنُ شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**».

عن الحسين عن رسول الله عليهما السلام قال: «**فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمَّة من ولدها أمناء ربِّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، مَن اعتصم به نجا، ومن تخلَّف عنه هوى**».

أخرج الطبرانيّ أنَّه صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عَلَيَّ منها**».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فاطِمَة**»(١).

نبيُّ الأمَّة وصاحب الخلق العظيم، وهذا من أشار الباري لشخصه الكريم بأنَّه لاينطق عن الهوى، يروح ويغدو ولا ينفك يشير لهذه الحوريَّة الإنسيَّة والمخلوقة الملكوتيَّة، التي لم يعي منزلتها ومحوريَّة خلقها إلَّا الله تعالى، ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار.. وأنَّى بصيرة الأمَّة من الزَّهراء عليها السلام.

(١) بحار الانوار: المجلسي

المحور الأوَّل

مواجهة السيِّدة الزَّهراء الانتفاضة

لـمَّا قبض الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، رجع القوم على الأعقاب، وهجروا السبب الذي أُمروا بمودَّته. «وقد ماروا في الحيرة، على سنَّة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين»[1].

فلمَّا رأى عليّ عليه السلام خذلان الناس إيَّاه، وتركهم نصرته، واجتماع كلمتهم مع أبي بكر، وتعظيمهم إيَّاه، لزم بيته.

فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع[2].

فقال له أبو بكر: ومَن نرسل اليه؟.

قال عمر: نرسل له قنفذًا، فهو رجل فظ، غليظ، جاف، من الطلقاء.

فأرسل أبو بكر معه أعوانه، وانطلق فاستأذن على عليّ عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم.

فرجع أصحاب قنفذٍ إلى أبي بكر وعمر، وهما جالسان في المسجد، والناس حولهما، وقالوا: لم يؤذن لنا.

قال عمر: اذهبوا، فإن أذِن لكم، وإلَّافأدخُلوا بغير إذن.

فأنطلقوا فأستأذنوا.

فقالت فاطمة عليها السلام: **أحرج عليكم أن تدخلوا عليَّ بيتي بغير إذن.**

(١) مقتل فاطمة الزَّهراء،: ١٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/ ٦١٥.

فرجعوا، فقالوا: إنَّ فاطمة قالت كذا وكذا، تحرَّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن.

فغضب عمر، وقال: مالنا والنساء؟!!! والنساء؟!!!

فقرعوا الباب قرعًا شديدًا، ورفعوا أصواتهم، وخاطبوا من في البيت[1]، بخطابات شتَّى تدعوهم إلى بيعة أبي بكر.

صاح عمر: يابن أبي طالب! افتح الباب. أخرج ياعليّ إلى ما أجمع عليه المسلمون، والَّا قتلناك[2]!.

تصدِّي الزَّهراء للهجوم

فخرجت فاطمة عليها السلام، ووقفت من وراء الباب، وقالت: **لا عهد لي بقومٍ أسوأ منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم! لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقَّنا، كأنَّكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم**[3].

أيُّها الضالُّون المكذِّبون، ماذا تقولون، وأيَّ شيءٍ تريدون؟.

فقال عمر: ما بالَ ابن عمِّك أوردك للجواب، وجلس من وراء الحجاب؟!

فقالت عليها السلام: **طغيانك يا شقي، أخرجني وألزمك الحجَّة، وكلُّ ضالٍّ غويّ**[4].

جرأة القوم

فقال: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء، وقولي لعليّ يخرج.

فقالت عليها السلام: **لاحبًا ولاكرامة، أبحزب الشيطان تخوِّفني يا عمر!! وكان حزب الشيطان ضعيفًا.**

---

(١) هم: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوَّام.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨/ ٢٩٩.

(٣) الإمامة والسياسة: ٣/ ؟؟؟.

(٤) بحار الأنوار: ٢٨/ ٢٠٥.

شكوى الزَّهراء

وبعد التعدِّي وحرق باب البتول عليها السلام، والاعتداء على أهل البيت عليهم السلام، قالت الزَّهراء عليها السلام باكية: **اللهمَّ إليك أشكو فقد نبيِّك ورسولك وصفيِّك، وارتداد أُمَّته علينا، ومنعهم إيَّانا حقَّنا الذي جعلته لنا، في كتابك المنزَّل على نبيِّك المرسل.**

فقال عمر: دعي عنك يا فاطمة حماقات النساء!! فلم يكن الله ليجمع لكم النبوَّة والخلافة[1].

الدفاع عن حريم الولاية

لقد أُخذ أمير المؤمنين عليه السلام عنوة من بيته، يجرُّه عمر ركضًا، وهو مقيَّد، وبعدها خرجت فاطمة عليها السلام واضعة قميص أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها، آخذة بيد ابنَيها، وهي تبكي وتصيح، وتصرخ وتنادي:

«**يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا أكلِّم عمر حتى ألقى الله، خلُّو عن ابن عمِّي**»[2].

الزَّهراء وفلسفة البكاء

قال الصادق عليه السلام: «**البكَّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة، وعليّ بن الحسين**».

من سلاح الأنبياء والأولياء منذ بدأ الخليقة، البكاء: «**ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء**»[3].

لقد اتَّخذ نبي الله يعقوب من البكاء سلاحًا وثورة، لم تهجع جزعًا لفراق وليّ الله ونبيِّه يوسف (عليه وعلى نبيِّنا وآله السلام).

---

(١) الهداية الكبرى: ٤٠٧.

(٢) ؟؟؟؟؟؟؟؟

(٣) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

«ولإبكينَّ عليكَ بدلَ الدموع دمًا»[1].

وكانت عليها السلام لاتسكُن من شدَّة البكاء، حتَّى أنَّ أهل المدينة شكوها لعليّ عليه السلام.

بنى لها اللإمام عليّ عليه السلام بيت الأحزان في البقيع، وكانت تذهب له مع الحسنَين عليهما السلام، وكانت إذا وهجتها الشمس، تفيَّأت بظلِّ آراكة هناك، فلمَّا بلغ ذلك الرَّجُلَين، فبعثا وقطعا الآراكة!.

قال محمود بن لبيد: لـمَّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة، وتبكي.. فلمَّا كانت في بعض الأيَّام، أتيت قبر حمزة فوجدتها تبكي، فأمهلتها حتَّى سكنت.. وقلت لها: يا سيِّدة النسوان، قد قطَّعت نياط قلبي من بكائك.. يا سيِّدتي إنِّي سائلُك عن مسألة تتلجلج في صدري؟.

قالت عليها السلام: سل.

قلت: هل نصَّ الرسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على عليّ بالامامة[2]؟.

قالت عليها السلام: **وا عجبًا أنسيتم غدير خم؟** قلت: قد كان كذلك، ولكن أخبريني بما أُشير إليك، قالت عليها السلام: **أُشهد الله تعالى لقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول: عليّ خير من أخلِّفه فيكم، وهو الامام، والخليفة من بعدي، وسبطاي، وتسعة من صلب الحسين عليه السلام، أئمَّة أبرار، لئن اتَّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديِّين، ولئن خالفتموهم، ليكون الاختلاف فيكم ليوم القيامة.** قلت: ياسيِّدتي، فما باله قعد عن حقِّه؟ قالت عليها السلام: **يا أبا عمر لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَثَل الإمام مَثَل الكعبة، إذ تؤتىٰ ولا تأتي.**

نُصرة المظلوم واجبٌ عقليّ

مسألة نُصرة المظلوم واجبٌ عقليّ، فلا ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم، بل يجب على كلِّ إنسان، ذلك بحكم العقل والفطرة والوجدان.

(١) ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

(٢) مقتل فاطمة الزَّهراء: ٥٥-٥٦.

أمَّا توجيهها عليها السلام الخطاب للمسلمين، فلإنَّهم المخاطَبون بالدرجة الأولى، ولتحميلهم ضعف المسؤوليَّة، سواء في قضيَّة فدك، أو غصب الإمامة، أو الاعتداء، على الإمام عليّ عليه السلام بالضرب، وعلى الدار بالإحراق، أو غير ذلك من كسر الضلع، وإسقاط الجنين[1].

وقفة على أطلال فدك

من الأدوات التي أخذتها الزَّهراء عليها السلام، في فضح السلطة وإلقاء الحجَّة عليها، في قضية غصب الحقوق، وضياع الإمامة، قضية فدك التي تحوَّلت بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من مسألة اقتصاديَّة إلى مسألة سياسيَّة، وعقديَّة.

قضية فدك، بدأت حقًّا اقتصاديًا، وماليًّا يتعلَّق بآل محمَّد صلى الله عليه وآله، إلَّا أنَّها بعد اغتصابها، من الحكومة الجديدة، ما بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، بدأت تُعبِّر عن موقف سياسيّ، عبر العصور، وعلى مدى قرنَين من الزمن[2].

توطئة بفدك

فدك أرض حجازيَّة، تقع على مقربة من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي أرض زراعيَّة غنيَّة بمائها ونخيلها، وكانت ملكًا لليهود حتى السنة السابعة للهجرة، حيث أصبحت بعد هذا التاريخ دارًا للإسلام، وذلك بعد أن تجلَّت مكائد اليهود، ودسائسهم، ونقضهم للعهود التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وآله معهم، وحين ظهر سوء سيرتهم، وتآمُرهم مع معسكر الوثنيِّين ضدَّ الاسلام والنبي صلى الله عليه وآله، صمَّم الرسول صلى الله عليه وآله على محاربتهم، وحين علِم اليهود بذلك، استولى الخوف على مجامع أفئدتهم، ودبَّ الرعب والفزع، في نفوسهم، قبل أن يسير إليهم الرسول بخيلٍ أو رجالٍ، وقد طلبوا من الرسول الصُّلح تاركين له قرية (فدك)[3].

---

(١) فقه الزَّهراء: ٣/ ١٥.

(٢) الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد: ١٧٦.

(٣) الاحتجاج: الطبرسيّ.

ولـمَّا كانت الأرض التي يفرُّ عنها الأعداء في الإسلام، دون أن يوجف عليها بخيل، أو رِكاب، ينطبق عليها حُكم (ملكيَّة الإمام)[1].

فتوى السماء

إنَّ فدك لم تَبقَ مجرَّد ملكيَّة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، إنَّما جاء بها فرمان إلهيّ، أن توهَب للزَّهراء بنصٍّ قرآنيٍّ صريح: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2].

وامتثالًا لأمر السماء، وهب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فدك للزَّهراء (سلام الله عليها)، وتأكيدًا لمدلول التشريع الإلٰهيّ الخاصِّ بهذه القضية.

وما أن ودَّعت الأمَّة الإسلاميَّة منقذها ورسولها الكريم صلى الله عليه وآله، حتَّى جاهرت الحكومة الجديدة والسلطة آنذاك عن لسان زعيمها (أبي بكر) نبأ تأميم فدك، واعتبرها ملكيَّة لحكومته، بعد أن جاء بها تشريع سماوي بأن تُوهَب للزَّهراء عليها السلام «بأمر الله تعالى»[3].

ومن هنا نهضت الزَّهراء عليها السلام، معلنة معارضتها للحكومة الجديدة، التي تآمرت محاولة الالتفاف على تشريع السماء، فاضحةً بداية تلاعبها بالتشريع الإلهيّ بين جمهور المسلمين.

الزَّهراء ومنصب الولاية الإلهيَّة

التزمت الزَّهراء عليها السلام في أصول احتجاجها الصادق، أن تسعى جاهدة الى إعادة الحقِّ إلى نصابه في قضية كبرى، تتمثَّل بأولويَّة (النصب الإلهيّ) بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو ما يسمَّى عند الاماميَّة بـ(الإمامة)، وعند الجمهور بـ(الخلافة)، وكلاهما يفرغ عن معنى واحد، وهي عند الإماميَّة لا تتوافر إلا بشروط[4].

(١) الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد: ١٧٧.
(٢) الإسراء: ٢٦.
(٣) الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد: ١٧٨.
(٤) الزَّهراء من الوجه الآخر: ١٧٤.

غضب الزَّهراء عليها السلام

ممَّا لا يب فيه أنَّ غضب الزَّهراء عليها السلام، هو غضب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وغضب الرسول، هو غضب الباري تعالى.

على أنَّ سيلًا من الأحاديث، أكَّدتْ على من سيغضب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهذا هو الوتر الحسَّاس الذي سيُغيِّر وجه التأريخ، إنَّه النذير من الانقلاب على العقاب.

إنَّ الشيخيَن علِما علم اليقين، أنَّ الزَّهراء عليها السلام غاضبة، ساخطة، حتَّى انتشر النبأ في الآفاق.

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، انتزعت إقرارهما بما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله، من حديث الرضا والغضب.. فأقرَّا بذلك.

تجدر الإشارة إلى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أعلم الناس بالقرآن والسنَّة الشريفة، للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إضافة إلى أنَّ ملايين المسلمين، على اختلاف مذاهبهم، قد اتَّفقوا على ما نُقل عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «**مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليَّة**».

فهل ياتُرى أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ماتت ميتةً جاهليَّة؟ وهل يعتقد ذلك مسلم في الأرض؟ وهي لم تُبايع أبا بكر، ولم تعتبره إمامًا لها، وكيف وهي ترى أنَّ الإمام عليّ عليه السلام إمام مُفترض الطاعة، وهو نفسه لم يُبايع أبا بكر بحياتها، وقد تقوَّى بها على ذلك[1].

إنَّ غضب الزَّهراء لم يذهب هدرًا، فلقد اندلع لهيب المعارضة، وأربدَ أفق المدينة غائمًا، وتناحت الصفوة في الأفراد من المهاجرين والأنصار، ينكرون ويحتجُّون ويُعارضون، والزَّهراء عليها السلام أمامهم، والإمام عليّ عليه السلام يرقب الأحداث، فهذا سهل ابن عمر في المدينة، يُخاطب «أهل مكَّة: يا أهل مكَّة، كنتم آخر من أسلم في الناس،

(١) الزَّهراء من الوجه الآخر: ١٩٨.

فلا تكونوا أوّل من ارتدَّ، يا أهل مكّة، والله ليتمنَّ الله عليكم هذا الأمر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن رأينا ضربنا عنقه. وقال ذلك في أهل مكّة عامّة، وقريش خاصّة، وقد شاهد ملامح التغيُّر تدُبُّ في نفوس جملة من الأنصار، بعد إخفاق مرشَّحهم في السقيفة، واستيقظ الأنصار من الغفوة، ولكن أهل الدين من قريش قلّة وأي قلّة، فهذا، خالد بن سعيد بن العاص الأمويّ القرشيّ أمير الرسول صلى الله عليه وآله إلى اليمن، وهو في الزمرة الخيِّرة التي اعتصمت بعليّ عليه السلام يتجّه بالقول: يا بني مناف طبتم نفسًا، عن أمركم ويليه غيركم؟ فقال عليّ عليه السلام: «**يا خالد هذا أمرنا أبت قريش أن تؤتيناه**»[1].

فاسترجع قائلًا: يا ويح قريش! وهل في الناس أحد أولى منك بمقام محمَّد[2]؟.

وهذا أبو ذرّ الغفاريّ في صلابته المعهودة قائلًا: «لقد علمتم وعلم خياركم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال الأمر بعدي لعليّ، ثمَّ الحسن والحسين، ثمَّ، من ذريَّتي «فأطعتم الفانية، ونسيتم الآخرة الباقية».

ثمَّ قام المقداد بن عمر صادحًا بما هو أعرف به من غيره إلى من هو أعرف به من غيره: «يا أبا بكر سلِّم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك».

وقام بريدة الأسلمي متسائلًا مستنكرًا ومُذكِّرًا فقال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ماذا لقي الحقُّ من الباطل! يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت؟ وخُدِعت أم خَدَعتك نفسك؟ ولم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من تسمية عليّ بإمرة المؤمنين..»، فوجم القوم وما حاروا جوابًا.

ونهض عمَّار بن ياسر فنادى محتجًّا بقوله: «يا معاشر قريش يا معاشر المسلمين، إن كنتم علمتم، وإلَّا فأعلموا إنَّ أهل بيت نبيِّكم أولى به، وأحقُّ بإرثه، وأقوَم بأمور الدين،

(١) الزَّهراء من الوجه الآخر: ٢٠٩.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٣٢.

وعليّ أقرب منكم إلى نبيِّكم، وهو بينهم وليُّكم بعد الله ورسوله. فسكت القوم.

ثمَّ نهض ذو الشهادتين، خزيمة بن ثابت، مستشهدًا وشاهدًا بقوله: «أيُّها الناس ألستم تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرِد معي غيري ؟ قالوا بلى، فأشهدوا أنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (أهل بيتي يفرِّقون بين الحقِّ والباطل، وهم الأئمَّة الذين يُقتَدى بهم، وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلَّا البلاغ)».

وهـذا هيثم بن التيجان، يُـدلي بشهادته الكبرى فيما سمع وراه من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، قائلًا: «وأنـا أشهد على نبيِّنا صلى الله عليه وآله أنَّه أقام عليًّا يوم غدير خم! فقالت الأنصار: ما أقامه إلَّا للخلافة، وقال بعضهم ما في ذلك، فبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسأله، فقال عليًا ولي المؤمنين بعدي، وأنصح النَّاس لأمَّتي، فما تولَّاه حينئذ إلَّا قليلًا، ولا استنصحه إلَّا اليسير.

وهذا أبو أيُّوب الأنصاريّ واعظًا لهم: اتَّقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيِّكم، وردُّوا عليهم حقَّهم الذي جعل الله لهم، والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «**أهل بيتي أئمَّتكم من بعدي**»، ويومي إلى عليّ، ويقول: «**هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، مخذولٌ من خَذَله، منصورٌ من نصره**»[1].

إنَّ الثلَّة التي ثبتت على العهد والميثاق من المهاجرين وبعض الأنصار، صدحت مدوية بما عقدت عليه من البيعة في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله معلنة نكيرها، لما يسلب من حقِّ الإمامة والخلافة، واستيلاء القوم عليه، ولمن.. وا أسفاه كانت صرخة في وادي سحيق..

بضاعة الزَّهراء

في خضمِّ هذه الأجواء الملبَّدة بالتظليل والتعتيم، جاء انفتاح الزَّهراء عليها السلام، مُلقيًا الحجَّة على الأمَّـة، نذيرًا لمن دلَّسوا الحقائق، بشيرًا لمن أبصروا واعية الزَّهراء عليها السلام،

(١) خطبة الزَّهراء في المسجد النبويّ: ١٠٣.

وآزروها في قضيَّة الدفاع عن حريم الإمامة.

لقد عرضت الزَّهراء بضاعتها بين جمهور الأنصار، والمهاجرين، والملأ، وقصدتهم في عقر دارهم، وصدر هذا من السيِّدة عن وعي نفَّاذ وبصيرة وحميَّة على الدين والعقيدة من أن تنهشها ضباع مدَّعي الإسلام، وناكثي البيعة والميثاق.

قال الدينوري في الإمامة والسياسة[1]: «وخرج عليّ (كرَّم الله وجه)، يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابَّة ليلًا في مجالس الأنصار، تسألهم النُّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجك وابن عمِّك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به، فيقول عليّ عليه السلام: **(أفكنت أدع رسول الله في بيته، ولم أدفنه، وأخرج انازع الناس سلطانه؟!)**.

فقالت فاطمة عليها السلام: **ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا هم ما كان حسبهم، وطالبهم**».

وجاء في كتاب الأنوار: هذه الرواية عن الأمير عليه السلام، من كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ قال: «ثمَّ كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لئن ما قلت وادَّعيت حقًّا.. إلى قوله.. وإلَّا فلمَ حملت امرأتك فاطمة على حمار، وأخذت بيد ابنيك الحسن والحسين، إذ بويع أبو بكر، فلم تدع أحد من أهل بدر وأهل سابقة إلَّا وقد دعوتهم لنصرتك عليه، فلم تجد منهم إنسانًا غير أربعة: سلمان وأبي ذر والمقداد والزبير، لعمري لو كنت محقًّا لأجابوك وساعدوك، ونصروك، ولكنك. ادَّعيت باطلًا وما لا يقرُّوه[2].

وفي بعض التواريخ كان حملها إلى مجالسهم أربعين ليلة، وكانت روحي فداها تدعوهم إلى البيعة لعليّ عليه السلام، وأنَّه أحقُّ بالخلافة من أبي بكر، وأنَّه غصب حقَّ الإمام بالخلافة، ولم تكلِّمهم بأمر فدك، وسائر ما جرى عليها من هتك حرمة الدار، وحرق

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣/ ١٥١.

الباب وإسقاط الجنين وكسر الضلع.. إلى ما شاء الله من الظلامات، استنصرتهم بيعة الإمام، فما كان منهم إلَّا أن ردُّوا عليها: «وقد مضت علينا بيعة أبي بكر، ولو أنَّ عليًّا سبق لنا قبل أبي بكر ما عدلنا به..!

وعن رواية ابن أبي الحديد لـمَّا اجتمعت نساء المهاجرين والأنصار عند فاطمة عليها السلام، في مرضها، وذكَّرتهنَّ بما سلف من بيعة الإمام وميثاق الغدير، وذكرن كلامها عند رجالهنَّ، فجاءإليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذِرين.. وقالوا: يا سيِّدتنا لو كان أبو الحسن ذكَّرنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا إلى غيره، فقالت: **إليكم عنِّي فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم**، وفي بعض الروايات: قد قطع عذركم يوم الغدير.

جذور الجاهليَّة

وهذا قول سيِّدهم[1] للعبَّاس عم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «يا أبا الفضل: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا. فقال ويحك..! إنَّها النبوَّة».

لقد وقع هذا قرب فتح مكَّة، والنبيّ في طريقه إليها، لقد كان هذا المفهوم يمثِّل خطرًا محدقًا بالوليد الجديد (الإسلام).

وقد روَّج له الرعيل الأوَّل من المنافقين، والمرجفون، ومَن سار في ركابهم، والناس قريبوا عهد بالجاهليَّة، ولـمَّا يشربوا من معين الدين الجديد[2].

وهذا عمر بن الخطَّاب يذهب لغير ما جاءت به رسل السماء في غدير خم، ويرى أنَّ ما أقدمت عليه السقيفة وتمخَّضت عنه، هو الصواب، قال ابن عبَّاس ما رواه الطبريّ (ت٣١٠هـ): «فاختارت قريش لأنفسها، فأصابت ووفِّقت»[3].

---

(١) أبو سفيان.

(٢) الزَّهراء من الوجه الآخر

(٣) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢١، ١٠٣

فطلب ابن عبَّاس الكلام فأُذن له، فقال في معر ض الردِّ عليه: «أمَّا قولك اختارت قريش لنفسها فأصابت، ووفِّقت، فلو أنَّ قريشًا اختارت لنفسها حيث اختار الله عزَّ وجلَّ لكان الصواب بيدها، غير مردود ولا محسود»[1].

ويظهر من أساس مذهبهم، إجماعهم على هذه القضية (هو الحميَّة الجاهليَّة)، أمَّا قول الإماميَّة في مسألة الخلافة أو الإمامة أو الولاية، وهي تُدلِّي جميعها إلى معنى واحد، (المنصب الهيّ).

وإنَّ إجماع القوم على أمرهم، جاء في اشتراطهم في التقليد الذي هو نوع من البيعة، والالتزام، أن يكون (المقلَّد)، بالفتح أعلم، فلو تفحَّصوا وعرفوا الأعلم بموازنتهم من شهادة العدلين وغيرها، والتزموا بتقليده، ثمَّ تبيَّن لهم الاشتباه، وعلِموا أنَّ الأعلم غير ما قلَّدوه، وجب عليهم الرجوع واتِّباع من ثبتت أعلميَّته، ويتركون تقليدهم الأوَّل لبنائهم على تقليد الأعلم، وهذا أساس مذهبهم وحجيَّتهم[2].

إنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت على أشدِّ الإدراك بسنن السَّماء، وأهميَّة قضيَّة الخلافة الإلهيَّة، وهي على علم أنَّ هذا التأمر والنكوص على الأعقاب لم يكن عفويًّا، إنَّما دبِّر في جنح ليلٍ مدلهم، وقيادات لشخوص عركتهم السياسة وفنون المكر، فتمخَّض عنهم أطروحة (القيادة عن أهل البيت البديلة للأمَّة)، وجذور التآمر ليست ببعيدة، وقد أجملت الزَّهراء عليها السلام عدَّة أسباب لهذه الخيانة العظمى للرسالة ورسولها صلى الله عليه وآله:

١. إنكار بيعة الغدير (الولاية الإلهيَّة)، وطرحها للأمَّة على أنَّها شورى بينهم، مخالفة صريحة لحكم السماء.

٢. محاولة التدليس والتلاعب للمعنى الأصيل لبعض الآيات والأحاديث الشريفة الواردة عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، والوحي الإلهيّ، بتفسيرها بمعنى

(١) بحار الأنوار: ١٠٣/ ٢١.

(٢) ظ: الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٢٨٩.

يوافق أطروحة القوم، ويُبعدها ويفرغها عن معناها الحقيقيّ، مثال آية التطهير التي قصر الله فيها فضله على أصحاب الكساء دون غيرهم، ونسبوا فضلها لنساء النبيّ، وكذا آية المباهلة.

٣. إنَّ التدليس وطمس الحقائق هـذا، كان سببًا في ضياع ثمار هذه الآيات والأحاديث، التي كانت ملزِمة للأمَّة بأحقيَّة أهل البيت للخلافة الإلهيَّة، وإلزام الأمَّة اتِّباعهم، من حيث: «**إنِّي خلَّفت فيكم الثَّقلَين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا من بعدي أبدًا**»، وحديث: «**مَن كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه**»، وحديث: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»، كلُّها دليل إدانة على تدليس القوم وجحودهم ونكرانهم ومخالفتهم[١].

كما شهد عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، عـددًا ليس بالقليل من هذا المحاولات للانقلاب والخذلان والتآمر، كما تذكر كتب التاريخ، ومنها مؤامرة قتل الرسول وهو في طريق العودة من غزوة تبوك، وقذف راحلته ومحاولة إسقاطه في الوادي، كما أسرَّ النبيّ ذلك لحذيفة بن اليمان الحادثة، تخلَّف كبار الصحابة عن جيش أسامة إلى تصاعد موجة التحريض والتعدِّي على حرمات الرسول في أهل بيته وعترته، والتقليل من شأنهم وعدُّهم من سائر الرعيَّة.. رزيَّة الخميس ونكبة الأمَّة وإعلان القوم صدق معتقداتهم، ووصف النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بالهجر[٢].

منطلقات الزَّهراء عليها السلام

نصبت الزَّهراء كلَّ هذه الحقائق، ومضت في قضية تبيِّن الإمامة، منطلقة من أنَّ عليًّا عليه السلام أفضل شخصيَّة عرفتها الأمَّة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله معتمدةً قوله: «**مَن أراد**

(١) الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد: ١٧٨.

(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢/ ٢٤٧.

أن يحيا حياتي وتموت موتي ويسكن جنَّة الخلد التي وعدني ربِّي، فيتولَّى عليّ بن أبي طالب، فإنَّه لن يخرجكم من هدى، ولن يُدخلكم في ضلال».

إنَّها بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي أفنى حياته، وقدَّم جِسام التضحيات في هذه القضيَّة، وجب عليها، قبل غيرها، الحفاظ على كلِّ هذه المكتسبات.

إنَّ الأمَّة التي ركنت عليًّا جانبًا، وتجاهلت دور إمامته المكمِّلة لدور النبوَّة والرسالة، والتي يشكِّل بقاؤها، بقاء الدين والعقيدة التي دُفعت لأجلها الدماء الزواكي من المسلمين والصفوة.

الخلاصة

إنَّ للقارئ والباحث المنصف أن يستشفَّ بعد كلِّ هذه الأحداث حجم معاناة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام فيما كابدته في دفاعها وجهادها لقضيَّة تبين الإمامة، ورفع غشاوة الأبصار وإزالة رين الأفئدة التي طمست أيدي رعيل القوم وطلَّاب السلطة والمُلك على صبغتها وسوية فطرتها.

ولو تأمَّلنا حجم المعاناة جرَّاء كسر الضلع، وحجم الإصابة التي أدَّت فينا بعد لشهادتها في غضون ستَّة أشهر، وهي خلال هذه الفترة حملت لواء المقاومة والدفاع عن حقِّ الإمامة، غير مبالية بتأزُّم حالتها الصحيَّة وتدهورها؛ لأدركنا حجم ما وقع على من ظلم وتغييب لهذا الدور الإلهيّ الذي لحق بالزَّهراء عليها السلام، ومضت مظلومة مهتضمة شاكية للباري خذلان أمَّة أبيها ونكوصهم من بعده، وجفائهم وتنكيلهم بذوي قربى نبيِّه وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم).

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، الجزء الأوّل، المؤلِّف: الشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق السيِّد محمَّد باقر الخرسان، سنة الطبع، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

٢. الزَّهراء عليها السلام من الوجه الآخر، مؤلِّف الدكتور محمَّد حسين عليّ الصغير، الإخراج الفنِّي محسن اليوسفيّ، مؤسَّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الأولى.

٣. الزَّهراء فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله، تأليف، عبد الزَّهراء عثمان محمَّد، دار النشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

٤. الإمامة والسياسة، المؤلف ابن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ)، تحقيق طه محمَّد الزيني، الجزء(١)، ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.

٥. الغدير، المؤلِّف: الشيخ الأمينيّ (ت١٣٩٢هـ)، الجزء الأوَّل، سنة الطبع: ١٢٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الطبعة الرابعة.

٦. بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ، المجلَّد ١٠٣، تحقيق محمَّد باقر البهبوديّ، الطبعة الثالثة المصحَّحة، سنة الطبع ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧. تاريخ الرسل والملوك، المؤلِّف: محمَّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، الناشر، دار التراث، بيروت، لبنان.

٨. حياة الزَّهراء بعد أبيها، تأليف: العلَّامة الحجَّة الشيخ فضل عليّ القزوينيّ،

تحقيق السيِّد أحمد الحسينيّ، ١٢٩٠هـ/ ١٢٦٧م، مطبعة نكارش، الأولى.

٩. شرح نهج البلاغة، المؤلِّف: ابن أبي الحديد، الجزء (١)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م، الطبعة الأولى.

١٠. غرر الحكم ودرر الكلم، المؤلف: أبو الفتح الآمديّ (٥١٠هـ)، الناشر مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، دار الهادي.

١١. مقتل فاطمة الزَّهراء، تأليف: الشيخ محمَّد منتظر الواعظ، تاريخ النشر ١٤٣٣هـ، مطبعة نيتوا، الأولى.

١٢. مقتل فاطمة الزَّهراء، تأليف: ياسين الموسويّ، دار البهجة، بيروت، لبنان، الأولى.

١٣. من فقه الزَّهراء، المؤلِّف: آية الله العظمى السيِّد محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، مطبعة شريعت، الطبعة الأولى.

١٤. مؤتمر السقيفة، المؤلِّف: الدكتور محمَّد التيجانيّ السماويّ، مؤسَّسة الفجر، لندن، بريطانية، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤م، الطبعة الخامسة.

الزَّهراء بين سِفر التكوين والمعراج

أ.م.د. زهور كاظم زعيميان
الجامعة المستنصريَّة/ كليَّة التربية الأساسيَّة/ قسم اللغة العربيَّة

ملخَّص البحث

درس البحثُ سيرة سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وقد ركَّز البحثُ على ذِكرها في سِفر التكوين من الكتاب المقدَّس، وروايات معراج النبيّ محمَّدﷺ عنها.

وقد عرض البحث النُّور، وبزر الزرع المذكورَين في الآيات الأولى من سِفر التكوين، المخلوقَين قَبلَ خلق السماوات والأرض.

ففي التوراةِ يخبرنا سفرُ التكوين في الإصحاحِ الأوَّلِ عن النور المخلوق قبل السموات والأرض، وهو النور المذكور في سورة المائدة، الآية (٤٤) في القرآن الكريم، بأنَّه أُنزل في التوراة، وعن البزر وزرعه المخلوقَين قبل السموات والأرض، وهذا البزر هو شطء محمَّد في سورة الفتح، الآية (٢٩).

وفي المبحث الثاني، كان لزامًا عليّ أن أستعين ببعض الأطبَّاء وبعض المواقع الطبيَّة الإلكترونيَّة؛ لمعرفة سرِّ الثمرة التي تناولها أبوها في معراجه، ولا شكَّ بأنَّها ليست من ثمار الأرض، لكن تحديد اسمها له علاقة بثمار الأرض.

تلت المبحثَين خاتمة لخَّصت فيها نتائج البحث، وقفل البحث بقائمة المصادر التي اعتمد عليها البحث، أسأل الله أن يجعل جهدي لوجهه الكريم، وأن يتقبله منِّي إنَّه رحيم كريم.

المقدِّمة

أرواح المخلوقات النورانيَّة التي نزلت بحقِّهم آيات قرآنيَّة تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، اختصهم الله تعالى بالاختيار والتفضيل والتطهير، واختصت الزَّهراء صلوات الله عليها بالأنوثة والأمومة للذُّريَّة التي طلبها النبيّ إبراهيم عليه السلام في دعائه، فكانت أُمًّا لأبيها وذريَّته.

الزَّهراء نهر كوثريّ ينبع من الجَنَّة، ويدور في الذراري المطهَّرة، ليعود ويصبَّ في الجَنَّة.

بضعة يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، بضعة الحبيب صلى الله عليه وآله حبيبة، ولا أغالي إذا قلت (حبيبة الله).

ذلك النور الروحانيّ أين يصبُّ؟ وأيّ جسم يحتويه، وأيّ نطفةٍ تتشرَّف به؟!

درس البحثُ من سيرة سيِّدة نساء أهل الجَنَّة، روحًا نورانيَّة وجسدًا طاهرًا، وقد ركَّز البحثُ على ذكرها عليها السلام في سِفر التكوين من الكتاب المقدَّس، وروايات معراج النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله عنها.

وقد عرض البحث النور، وبزر الزرع المذكورَين في الآيات الأولى من سِفر التكوين، المخلوقَين قبل خلق السموات والأرض.

فكان تركيز البحث في المبحث الأوَّل على آيَتَين من القرآن الكريم، وعلى مطلع سِفر التكوين من التوراة.

ففي التوراةِ يخبرنا سِفرُ التكوين في الإصحاح الأوَّل عن النور المخلوق قبل

السماوات والأرض، وهو النور المذكور في سورة المائدة (٤٤) في القرآن الكريم، بأنَّه أُنزل في التوراة نورًا، وعن البزر وزرعه المخلوقَين قبل السماوات والأرض، وهذا البزر هو شَطءُ محمَّد في سورة الفتح (٢٩).

وقد اتَّفق المفسِّرون وكتب الحديث بأنَّ النور هو محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّ الزرع هو محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّ شطءَ الزرع هم فاطمة وعليّ وابناهما صلوات الله عليهم.

وفي المبحث الثاني كان لزامًا عليَّ أن أستعين ببعض الأطبَّاء، وبعض المواقع الطبيَّة الإلكترونيَّة؛ لمعرفة سرّ الثمرة التي تناولها أبوها صلى الله عليه وآله في معراجه، ولا شكَّ بأنَّها ليست من ثمار الأرض، لكنَّ تحديد اسمها له علاقة بثمار الأرض.

تلت المبحثَين خاتمة لخَّصت فيها نتائج البحث، وقفل البحث بقائمة المصادر التي اعتمدت عليها، أسأل الله أن يجعل جهدي لوجهه الكريم، وأن يتقبَّله منِّي، إنه رحيم كريم.

التمهيد

ولادة فاطمة عليها السلام

بحسب روايات أهل البيت صلوات الله عليهم، فقد ولِدَت الزَّهراء بعد البعثة في مكَّة المكرَّمة، وقد حملت بها خديجة الكبرى عليها السلام بعد المعراج مباشرةً[1]، أو بعد تناول ثمرة أتى بها جبريل عليه السلام.

أمَّا ولادة خديجة الكبرى عليها السلام لها، فقالت: «فلمَّا قربت ولادتي، أرسلت إلى القوابل من قريش، فأبينَ عليَّ لأجل محمَّد صلى الله عليه وآله، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ أربع نسوة عليهنَّ من الجمال والنور ما لا يوصَف، فقالت لها إحداهنَّ: أنا أمُّك حوَّاء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأخرى: أنا كلثم أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم بنت عمران أمّ عيسى، جئنا لنليَ من أمرك ما يلي النساء»[2].

وهو ما يثبت ولادتها بعد البعثة، فلا سبب لرفض النساء المشركات من دخول بيت النبيِّ محمَّد صلى الله عليه وآله قبل البعثة.

أمَّا ما نقله محبُّ الدين الطبريّ في ذِكر سيِّدة نساء العالمين فاطمة البتول ابنة سيِّد المرسَلين: «قال أبو عمر: هي وأختها أم كلثوم أفضل بنات النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلَّم، كلُّهم ولِدوا قبل النبوَّة، ولدت فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم سنة إحدى وأربعين من مولد النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم»[3]، وهو ما

(١) انظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: ٣٦.

(٢) فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد الى اللحد: ٤٠

(3) http://lib.eshia.ir/44815/1/26/%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%=

ذكر البعض بأنّها عليها السلام ولِدت سنة ٤١ (ص ٣٩)، وكلامه متناقض من حيث أنّه يذكر في الصفحة نفسها ولادتها قبل النبوَّة بخمس سنوات، وفي قوله دليل يفنِّد قوله، فالبعثة كانت في الأربعين من عمر النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنَّ ولادتها كانت بعد سنة من البعثة.

اسمها

أمَّا تسميتها، فهي سُنَّة من سُنن الله تعالى، وكرامة علَّمها لآدم عليه السلام؛ فاستحقَّ السجود، فتسمية الأولياء تتعيَّن من الله تعالى، وهو ممَّا ذُكِر في القرآن الكريم، فقد كرَّم الله تعالى النبيّ يحيى بن زكريَّا عليهما السلام، وقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧)[١]، وتسمية النبيّ آدم عليه السلام من الله تعالى، فقد جاء في العهد القديم: «وَسمَّاه آدَمَ يوم خَلَقه»[٢].

والفطم: القطع، والفصل، قال ابن منظور: فطم العود فطمًا: قطعه، وفطم الصبي يفطمه فطمًا، فهو فطيم: فصله من الرِّضاع، وفاطم: اسم فاعل بمعنى تارك الرِّضاعة؛ أمَّا علَّة تسميتها، فقد وردت عدَّة روايات نقلها علماء المسلمين، تنصُّ على سبب تسمية فاطمة عليها السلام، ومنها:

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبريل عليه السلام عن ابنته قائلًا: «**يا جبرائيل ولِمَ سمِّيت في السماء منصورة، وفي الأرض فاطمة؟** قال: **سمِّيت فاطمة في الأرض؛ لأنَّها فطمت شيعتها من النار، وفطموا أعداؤها عن حبها**، وذلك قول الله في كتابه، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بنصر فاطمة عليها السلام»[٣].

=B9%DB%8C%D9%86.

(١) انظر: فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٤٢-٤٣.

(٢) التكوين: ٥/ ٢.

(٣) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: ٣٩٦. وانظر: ذخائر العقبى، أحمد عبد الله الطبريّ: ١/ ٢٦، وانظر: كنز العمَّال: ٦/ ٢١٩، الحديث ٣٨٤٨، ومستدرك الصحيحَين: ٣/ ١٥٢، وفضائل=

وفي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٣١).

فقد جاء في كتب التفاسير بأنَّ المراد بهذه الأسماء، أسماء أشخاص عُقَلاء، وهي أسماء النبيّ وأهل بيته أصحاب الكساء (صلوات الله عليهم).

وأنَّه جيء ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، وهو ما يعني أنَّها كانت تخصُّ أشخاصًا محدقين بالعرش، وليس أحد محدقًا بالعرش سوى آل محمَّد (عليهم الصلاة والسَّلام)[1].

ويؤكِّد ذلك حديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**قال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق خمسةً من نور جلاله، وجعل لكلِّ واحدٍ منهم اسمًا من أسمائه المنزَّلة؛ فهو الحميد، وسمَّى النبيّ محمَّدًا صلى الله عليه وآله، وهو الأعلى، وسمَّى أمير المؤمنين عليًّا، وله الأسماء الحسنى فاشتقَّ منها حسنًا وحسينًا، وهو فاطر، فاشتقَّ لفاطمة من أسمائه اسمًا، فلمَّا خلقهم جعلهم في الميثاق، فإنَّهم عن يمين العرش، فلمَّا خلق الله تعالى آدم صلوات الله وسلامه عليه، نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا ربِّ مَنْ هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصَّتي**»[2].

فاسم الزَّهراء عليها السلام مكتوب على العرش، وأصحاب الكساء هم أصحاب الأسماء التي استحق آدم لأجلهم أن يُسجد له، وأنَّهم مستثنَون من سلطان الشيطان، ففي الحديث القدسيّ: «**فقد فضَّلته عليك حيث أمرت بالفضل للخمسة الذين لم أجعل لك عليهم سلطانًا**»[3]..

=فاطمة الزَّهراء، لأبي عبد الله الحاكم: ٥٨.

(١) انظر: تفسير الميزان، للسيِّد الطبطبائيّ، وقد أجاد في توضيح هذه الآية الكريمة: ١/ ١١٨-١٢٢.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ: ٥٦. وانظر: تفسير القمِّيّ: ٧٢١-٧٢٢، وأمالي الصدوق: ١٣٠، والاحتجاج: ٨٣. وانظر: قصص الأنبياء، للراونديّ: ٤٥.

(٣) تفسير فرات الكوفيّ: ٥٧.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ولم يكمل من النساء إلَّا مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمَّد**»[1]، فهي الفضلى على نساء العالمين.

(١) مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها سيِّدة نساء العالمين: أحمد بن محمَّد النصيح بن إدريس، تحقيق: طارق أحمد عثمان، ط١، سلسلة كرَّاسات ١٤، هيئة الأعمال الفكريَّة، المكتبة الوطنية، السودان، ٢٠٠٦م: ٣٠، وأخرجه البخاريّ في مناقب قرابة الرسول، طبعة دار الفكر ١٩٩٤م: ٤/ ٢٥٢.

المبحث الأول

نور الزَّهراء عليها السلام في التراث الإسلاميّ

لننطلق من كتاب الله العظيم، من قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَاتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

«في الآية تصديق ما للتوراة التي عند اليهود اليوم، وهي التي جمعها لهم عزراء بإذن (كورش)»[1]، فالقرآن يصدق أن فيها حكم الله، وهو أيضًا يذكر أنَّ فيها تحريفًا وتغييرًا، ويستنتج من الجميع أنَّ التوراة الموجودة الدائرة بينهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصليَّة النازلة على موسى عليه السلام، وأُمور حرِّفت وغيِّرت إمَّا بزيادة أو نقصان، أو تغيير لفظ، أو محل، أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة، فالنور في التوراة نور محمَّد وآله المخلوقين قبل الخليقة، والذين ذُكِرت صفاتهم في التوراة، ثمَّ يأمر اليهود بألَّا يخشوا الناس بإظهار هذه المعلومة.

«عن مالك الجهنيّ، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، قال: (فينا نَزَلَت)»[2].

---

(١) تفسير الميزان للسيِّد طباطبائيّ.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسينيّ البحرانيّ (ت ١١٠٧هـ)،=

ولا يسع المقام لذكر الأحاديث المرويَّة عن خلقها السابق لخلق الكون، ونورها الساطع، ونذكر منها: «إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام خُلِقت هي وأبوها وبعلها وبنوها – أصحاب الكساء الخمسة– بسبعة آلاف عام قبل خلق العالم، فكانوا أنوارًا محدقين بالعرش الإلهيّ، يسبِّحون الله ويقدِّسونه و يهلِّلونه»(١).

وتواترت الأحاديث والروايات على وصف نورها، منها ما أورده الشيخ الصدوق في علَّة تسميتها بالزَّهراء، حيث نُقِل: «عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله، لمَ سمِّيت الزَّهراء عليها السلام زهراء؟ فقال: **لأنَّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرَّات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة، والناس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيضُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك فيأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمَّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلِّي، والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتَّبت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة، فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفرُّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبيَّ صلى الله عليه وآله فيسألونه عمَّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قايمةً في محرابها، وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرَّ وجه فاطمة عليها السلام، فأشرق وجهها بالحمرة فرحًا وشكرا لله عز وجل، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم، وتحمرُّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، ويأتون النبيّ صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيرسلهما إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبِّح الله وتمجِّده، ونور**

=https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=4&tTafsirNo=110&tSoraNo=5&tAyahNo=44&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1.

وانظر: الميزان للسيِّد طباطبائي تفسير المائدة ٤٤ ص ٤٥

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأنصاريّ الزنجانيّ، إسماعيل: ١/ ١٣٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٢، صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام: ٢٤٦.

وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتَّى ولِد الحسين عليه السلام فهو يتقلَّب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمَّة منَّا أهل البيت إمام بعد إمام»[1].

وفي شرح إحقاق الحقِّ للمرعشيّ، وهو المعروف باستقصائه للنصوص، حيث يقول: «ضوء وجه فاطمة، رواه القوم: منهم العلَّامة المؤرِّخ الشيخ أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقيّ الشهير بالقرمانيّ، في كتابه (أخبار الدول وآثار الملل: ٨٧، طبعة بغداد)، قال: قالت عائشة: كنَّا نخيط ونغزل وننظم الإبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة.. إنَّها كانت كالقمر ليلة البدر، رواه القوم»[2].

وعن عثمان بن أبي العاص قال: «أمَّا فاطمة البضعة، فكانت من أبيها هيئة وسمتًا كصورة لأصل وسجيَّة، وروحًا كقديسة إلى رسول، من رقَّة بدنها بدت شفَّافة، لكأنَّها جسد من نور»[3].

ونورها من نور أبيها، فما أخرجه الطبرانيّ عن أمِّه أنَّها حضرت آمنة أمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمَّا ضربها المخاض، قالت: لـمَّا ولِدت خرج منها نورٌ أضاء له البيت والدار.

خلقها قبل السموات والأرض

كثرت الروايات عن خلق نورها قديمًا، فعن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه: «**لـمَّا خلق الله آدم وحوَّاء عليهما السلام، كانا يفتخران في الجَنَّة، فقالا: ما خلق الله خلقًا أحسن منَّا، فبينا هما**

(١) علل الشرائع ١: ١٨٠ ١٨١.

(٢) شرح إحقاق الحقّ، المرعشي: ١٠: ٢٤٤ ٢٤٦ موقع الكتاب:
http://shiaonlinelibrary.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/4101_%D8%B4%D8%B1%D8%AD-%D8%A5%D8%AD%D9%82%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%B9%D8%B4%D9%8A-%D8%AC-%D9%A1%D9%A0/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%AD%D8%A9_247.

(٣) انظر: في نور محمد، فاطمة الزَّهراء: عبد الفتاح عبد المقصود: ٨٥.

كذلك، إذ رأيا صورة جارية لها نور شعشعانيّ، يكاد ضوؤه يطفئ الأبصار، على رأسها تاج، وفي أذنيها قرطان. قالا: وما هذه الجارية؟ قال الله: هذه صورة فاطمة بنت محمَّد سيِّد الأوَّلين والآخِرين، قالا: وما هذا التاج على رأسها؟.

قال: هذا بعلها عليّ بن أبي طالب.

قال: وما هذان القرطان؟.

قال: الحسن والحسين ابناها. أوجدتُ ذلك قبل أن أخلقك بألفَي عام»[1].

وفي زواجها من عليّ عليه السلام يُقال: «زواج النور من النور»[2].

نور الزَّهراء عليها السلام في سِفر التكوين في التوراة

وفي دراستنا لدلالة النور في الآية الكريمة، توقَّف العلماء عند هذا الحدِّ، فلم يغوروا في بحور التوراة، ولم يفتِّشوا عن القبس المشتعل الذي قال عنه الله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ (التوبة: ٣٢).

فما كان منِّي إلَّا اقتحام التوراة، فقد نعتتهم التوراة بنعوت مكتوبة قبل أن يخلق الله السماوات والأرض[3].

وكون أسماء أصحاب الكساء مكتوبة على العرش، وأنَّ الله تعالى خلق نورهم قبل أن يخلق آدم، ليس في كتب المسلمين فقط، وإنَّما هو ما سنجده في الكتاب المقدَّس، وبشكلٍ واضحٍ بيِّن أيضًا.

وقد كنت أسير كمن يسير في ضباب يومٍ خريفيٍّ باكر، لم أرَ بادئ ذي بدء شيئًا، ولم تسعفني التفاسير، فهم ينفون وجود النور، والزرع وشطئه المذكور في سورة الفتح من القرآن الكريم في التوراة؛ ويعزون السبب للتحريف، ولم يكن البحث عمَّا وراء الطبيعة

(١) ينابيع المودَّة لذوي القربى، القندوزيّ: ٢/ ٣٢٠.
(٢) الموسوعة الكبرى: ١٤١.
(٣) فتح القدير: ١/ ١٣٨٦، وتفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، القيسيّ: ١١/ ٦٩٨٢.

لا يمكن الوصول إليه، بل هو رمز ذُكِر في التوراة والإنجيل، ثمَّ صرَّح القرآن قبل عشرات القرون بوجود هذا الرمز، وأنَّه غير قابل للتحريف، وقد تُرجِمت التوراة، فلم يعد الوصول إليها عسيرًا، وبعد قراءات متكرِّرة، وتدبُّر بين القرآن وآيات التوراة، أخذ الضباب ينقشع، ورأيت نور التوراة، ورأيت الزرع وشطأه، في أوَّل أسفار التوراة دلَّني عليهم نورهم الساطع ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (النور: ٣٥).

وكان الانطلاقُ من التوراةِ للبحث عن هذا النور؛ فلم يهنأ لي نوم إلَّا بعد سَيرٍ طويل، قد أغفو، ثمَّ أنهض لأواصل سبيل الحقِّ.

يبدأ سِفرُ التكوين في الإصحاح الأوَّل بالحديثِ عن بدءِ الخليقةِ بقوله:

ففي اليوم الأوَّل خُلق النور قائلًا: «**ليكن نورٌ، فكان نور، ورأى الله النورَ فاستحسنه**»[١].

وفي اليوم الثاني خلق السماء[٢].

ثمَّ أمر الله بالزرع، وبزره في اليوم الثالث الزرع وشطؤه، قائلًا: «**وأمر الله أن تنبت الأرض خضرةً وشجرًا مثمرًا فيه بزره الذي ينتج ثمرًا كجنسه في الأرض**»[٣]، فقد أكد بأنَّ البذور من جنس شجرته: «**والأشجار التي تحمل أثمارًا ذات بذور من جنسها**»[٤]. وفي النسخة الأخرى: «**فأخرجت الأرض نباتًا عشبًا يبزر بزرًا من صنفه وشجرًا يحمل ثمرًا بزره في من صنفه**»[٥]، وهو يذكر النور في اليوم الأوَّل، وهذا يعني أنَّه ليس نور النهار وظلام الليل، ففي اليوم الرابع خلق الله الشمس، وأطلق عليها النور الأكبر؛ لتفرِّق بين

(١) الكتاب المقدَّس الدراسيّ، كتاب التكوين: ١/ ٧.
(٢) التكوين، اليوم الثاني: ٨.
(٣) الكتاب المقدَّس الدراسيّ: التكوين، اليوم الثالث: ٨.
(٤) الكتاب المقدَّس الدراسيّ: التكوين، اليوم الثالث: ٨.
(٥) الكتاب المقدَّس: تكوين: ١/ ١١، ص٢.

النهار والليل[١]، والزرع وفرخه يذكره في اليوم الثالث، والشمس لم تُخلق بعد، أمَّا اليوم الخامس فكان للطيور والأسماك، وفي اليوم السادس خُلقت الحيوانات والإنسان[٢]، وفي اليوم السابع يقول: «**هكذا اكتملت السماوات والأرض بكلِّ ما فيها**»[٣] ويؤكِّد ذلك بقوله: «**ولم يكن قد نبت بعد في الأرض شجر برِّي ولا عشب برِّي؛ لأنَّ الربَّ الإله لم يكن قد أرسل مطرًا على الأرض، ولم يكن هناك إنسان ليفلحها**»[٤]، فالزرع وفرخه رمز لمخلوق قبل خلق النباتات وفروخها، ثمَّ بعد هذه الأيَّام السبعة جَبلَ الإله آدم[٥].

وهو ما يهمُّنا من الرموز، فهذا النور هو رمز لنور مخلوق قبل الشمس والسموات والأرض، وهو نور محمَّد وآله صلوات الله عليهم، والزَّرع وبزره، هو محمَّد صلى الله عليه وآله والذين معه.

وقد تواردت الأحاديث التي تذكر خلق أشباح النبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم قبل خلق الكون، منها ما مرَّ سابقًا، ومنها ما جاء في الحديث الذي نقله الرازي (ت ٦٠٦هـ): قال صلى الله عليه وآله: «**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**»[٦]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنيِّ عند الله مكتوب لخاتم النبيِّين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته»[٧].

أمَّا عن نور الزَّهراء عليها السلام، فقد قال صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تعالى خلقني وعليًّا نورًا بين يدَي العرش، نسبِّح الله ونقدِّسه قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمَّا خلق آدم أسكننا في صُلبه،**

(١) انظر: اليوم الرابع: القمر والنجوم، في الكتاب المقدَّس الدراسيّ: ٩.
(٢) الكتاب المقدس الدراسيّ: التكوين، اليوم السادس: ٩.
(٣) كتاب التكوين: ٢/ ٢ ص١١.
(٤) كتاب التكوين: ٢/ ٤ ص١١.
(٥) كتاب التكوين: ٢/ ٤ ص١١.
(٦) التفسير الكبير، الرازي: ١٦/ ١١٥، وبحار الأنوار: ١٦/ ٤٠٢.
(٧) جامع البيان: ٢٣/ ٣٥٩. والحديث في المعجم الكبير، مسألة: ٣٦١، والمستدرك على الصحيحَين، مسألة: ١٣٩٤ و٣٦١٩، ومسند أحمد، مسألة: ١٦٧٠٠.

ثمَّ نُقِلنا من صلبٍ طيِّبٍ إلى باطنٍ طاهر، لا تحتكُّ فينا عاهة حتَّى أسكننا صُلب إبراهيم، ثمَّ نُقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيَّة، لا يمسُّنا عار الجاهليَّة، حتَّى أسكننا صُلب عبد المطَّلب، ثمَّ افترق النور من عبد المطَّلب ثلاثًا، ثلثان في عبد الله، وثلث في أبي طالب، فخرجت من ظهر عبد الله، وخرج عليّ من ظهر أبي طالب، ثمَّ اجتمع النور منِّي ومن عليّ في فاطمة، فخرج منها الحسن والحسين، فهما نوران من نور ربِّ العالمين»[1]، وقال: «**أوَّل ما خلق الله روحي**»[2].

وقد بيَّنا أنَّ النور في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ (المائدة: ٤٤)، بحسب ما جاء في كتب التفاسير، محمَّدﷺ، قال القرطبيّ عن هذا النور: «أي: إنَّ محمَّداﷺ حقٌّ»[3]، وقال الشوكانّي عن دلالة النور بأنَّها: «التبشير بمحمَّدﷺ»[4]، وقال الرازي: والنور له علاقة بالنبوَّة[5]، والإيمان بمحمَّدﷺ، هو النور المذكور، وهل فاطمة إلَّا بضعة النور؟.

إنَّه النور الذي أراد اليهود إطفاءه، والزرع وفرخه في التوراة والإنجيل، وحين شرعت بالبحث عنها في المعجم والتفاسير، لفت انتباهي كلمة الفرخ المتفرِّع من الأصل والأب والابن، وهي كلُّها لا تنطبق على الصاحب؛ وربَّما يكون هذا هو سبب عدم وصولهم للنور في التوراة والإنجيل.

وقد قال رسول اللهﷺ: «**إنَّ التوراة والقرآن كتبه مَلَكٌ واحد في رقٍّ واحد بقلمٍ واحدٍ**»[6]. قال العسقلانّي: «والآيات والأخبار كثيرة في أنَّه بقي منها أشياء كثيرة لم

(١) تاج العقائد، عليّ بن محمَّد الإسماعيليّ الباطنيّ: ٣٥١.
(٢) شرح أصول الكافي: ١٢/ ١١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبيّ: ٦/ ١٣٥.
(٤) فتح القدير للشوكانيّ: ١/ ٣٧٣.
(٥) انظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي، مسألة: إنَّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور: ٣
(٦) كتاب سليم بن قيس الهلاليّ: ٥١.

تبدَّل»[1]، فالتحريف لم يكن في الكتاب كلِّه.

وقد بشَّر الله عزّ وجلّ بالنبيّ ومَن سيكون معه صلى الله عليه وآله في الكتب الأولى، فناجى إبراهيم الخليل: «**وأمَّا إسماعيل فسمعت لك، وها أنا أباركه وأنمِّيه وأكثره جدًّا، ويلد اثني عشر رئيسًا، وأجعل نسله أمَّة عظيمة**»[2].

وقال الطبرسيّ (ت٥٤٨ هـ) في أعلام الورى: «حدَّثني من أثق به، قال: مكتوب في التوراة في خروجه صلى الله عليه وآله من ولد إسماعيل وصفته: (**إسماعيل قبلت صلاتك له، وباركت فيه، وأنميته وكثَّرت عدده بولد له اسمه محمَّد، يكون اثنين وتسعين في الحساب، سأُخرِج اثنا عشر إماما ملكًا من نسله، وأعطيه قومًا كثير العدد**)»[3].

والأئمَّة الاثنا عشر كلُّهم من فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وقد أوصى النبيّ عيسى عليه السلام أتباعه بأن يتبعوا النور بعده قائلًا: «**فَوَاصِلُوا سَيْرَكُمْ مَادَامَ النُّورُ يُشْرِقُ عَلَيْكُمْ، لِئَلاَّ يُطْبِقَ عَلَيْكُمُ الظَّلاَمُ، فَإِنَّ الَّذِي يَمْشِي فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَذْهَبُ. آمِنُوا بِالنُّورِ مَادَامَ النُّورُ مَعَكُمْ، فَتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّور**»[4]، وأي نور بعد نور عيسى عليه السلام؟ إنَّه نور محمَّد وآل محمَّد وبضعته منهم.

الزَّرع وشطؤه في القرآن الكريم

تؤكِّد الآيات الكريمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ (الفتح: ٢٩)، بأنَّ ذِكر محمَّد صلى الله عليه وآله جاء بالرَّمز، وليس بالاسم الصريح.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، العسقلانيّ، كتاب التوحيد، مسألة: ٧١١٤.
(٢) التكوين: ١٧/ ١٩، وانظر: المسائل السرويَّة: ٤٢، طبعة المؤتمر العالميّ لألفيَّة الشيخ المفيد، إيران.
(٣) إعلام الورى: ٢١ .
(٤) الإنجيل بحسب يوحنَّا: ١٢/ ٣٥-٣٦.

وقد أجمعت المعاجم العربيَّة على أنَّ شطءَ الزرع، فراخه، وأطرافه، وأغصانه، وما يخرج حول الزرع من أوراق أو نبات من أصله، و«أشطأت الشجرة: خرج أشطاؤها»(١)، كذلك اتَّفقت كتب الحديث على أنَّ شَطأ الزرع فِرَاخَهُ(٢)، والمقصود بشطئه يتَّضح إذا عدنا إلى ما ذكره التستريّ: «خرج الحسين من منزله ذات ليلة، سلام الله تعالى عليه، وأقبل إلى قبر جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فقال: **السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك**»(٣).

فالحديث وأحاديث أخرى ذكرتها في بحث نُشِر في مجلَّة السِّبط(٤)، تُثبِت أنَّ شطء محمَّد صلى الله عليه وآله هم فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم.

إذن الفرخ فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ومعهم عليٌّ عليه السلام بدليل ما جاء عن أبي جعفر عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتَّى، وخُلِقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها.. ثمَّ** تلا:

(١) انظر: العين، للفراهيديّ: ٢/ ٣٣١، تاج اللغة وصحاح العربيَّة: مادَّة شطأ، لسان العرب مادَّة شطأ: المجلَّد السابع: ١١٩، وانظر: مختار الصِّحاح ش ط أ، وانظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٤٧. انظر: الإتحاف: ٣٩٦، المعجم الوسيط: مادة شطأ، معجم المجالات والترادفات القرآنيَّة، أحمد مختار عمر: ٢٨٢، معجم الكافي: ٥٩٢، المعجم الرائد، مادَّة شطأ، ينظر: مجلَّة السبط، السنة الخامسة المجلد الخامس: العدد الأول/ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/ كانون الثاني ٢٠١٩م، بحث الإمام الحسين عليه السلام بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل: الدكتورة زهور كاظم زعيميان: ٤٣-٧٤.

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح.

(٣) الخصائص الحسينيَّة: ٢١٣، وانظر: الفتوح: ٥/ ١٩، مقتل الخوارزميّ: ١/ ١٨٦، تسلية المجالس وزينة المجالس: ٢/ ١٥٤، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٦، ونقلت أحاديث أخرى عن الفرخ يمكن التطلُّع لها في مجلَّة السِّبط العدد ١٥ عام ٢٠١٩.

(٤) بحث الإمام الحسين عليه السلام بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل: الدكتورة زهور كاظم زعيميان: ٤٣-٧٤.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾»[1].

وجاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كلُّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلَّا سببي ونسبي**»[2] وكلُّ من بقي من نسل محمَّد صلى الله عليه وآله هم من فاطمة البضعة عليها السلام.

وإنَّما تلاحقت فراخ رسول الله بفاطمة وعليّ (صلوات الله عليهم)، قال الزمخشريّ: إنَّ معنى: «﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: أي بعليّ»[3].

ومن المعلوم أنَّ القرآن يفسِّر بعضه بعضًا؛ وقد رُمِز للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بالشجرة أو الزرع في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (إبراهيم: ٢٤)، فهي الشجرة المحمَّدية الطيِّبة، غصنها فاطمة عليها السلام، وأولادها الحسن والحسين عليهما السلام، بذلك قال جبريل عليه السلام لمحمَّد صلى الله عليه وآله: «**أنت الشجرة، وعليّ غصنها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها**»[4].

وقال الرازي: «الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أنَّ ثمرتها لا بدَّ أن تكون حاضرة دائمة في كلِّ الأوقات.. وأنَّ العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملُّكها، فإنَّه لا يجوز له أن يتغافل عنها، وأن يتساهل في الفوز بها»[5]، وهذا يعني وجوب تواصل ثمرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذريَّته؛ لتأتي الشجرة بأكلها: ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم: ٢٥).

---

(١) مجمع البيان: ٦/ ٥٧، وانظر: إرشاد القلوب باب كلام أمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام: ١٤٥، البحار، المجلسيّ: ٦٨-٦٩.

(٢) الطبرانيّ في المعجم الكبير: ٣/ ١٢٩، ورواه الطبرانيّ في المعجم الكبير: ١/ ١٢٤، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٤٢، والبيهقيّ في سننه: ٧/ ١١٤، ورواه أحمد في مسنده: ٣١/ ٢٠٧، ورواه أحمد أيضًا في مسنده: ١٧/ ٢٢٠، وذكره القرطبيّ: ٤/ ٩٩، وفي مجموع رسائل الجاحظ: ٥٣، وفضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ٦٢٥، رقم الحديث ١٠٦٩.

(٣) الكشَّاف: ٥/ ٥٥٣. انظر: تفسير روح المعاني، للآلوسيّ: ٢٦/ ١٢٩.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٥٦، وتفسير القمِّي: ١/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٥) التفسير الكبير: ٩٣.

إنَّ الزرع واحد، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول البغوي: «هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده فهو شطؤه»[1].

الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، أصلها نسبه ثابت في بني هاشم، وفرع الشجرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرتها الأئمَّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام[2]، فكيف يكون الفرخ أوضح من ذلك؟.

وهم الثابتون الذين كُتِبت أسماؤهم قبل أن يخلق الله تعالى السموات والأرض، وشطأه: أولاده، ثمَّ كثرت أولاده[3].

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عبَّاس: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، يعني: نعتهم مكتوب في التوراة والإنجيل، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض[4].

وقد روي أنَّ أبا هريرة سُئل عن القدر، فقال: اكتفِ منه بآخر سورة الفتح، يريد ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ..﴾ إلى آخر الآية، ثمَّ قال أبو هريرة: «إنَّ الله نعتهم قبل أن يخلقهم»[5].

وفي تفسير الطبرسيّ، فإنَّ الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)، هي أسماء أصحاب الكساء، «إنَّ آدم رأى مكتوبًا على العرش أسماء معظَّمة مكرَّمة، فسأل عنها، فقيل له: هذه أسماء أجلِّ الخلق منزلةً عند الله تعالى، والأسماء محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين»[6]، فقد نُعتوا بـ(النبيّ، الوصيّ،

(١) معالم التنزيل، البغويّ: ٧/ ٣٢٥.
(٢) مجمع البيان، للطبرسيّ: ٦/ ٥٦.
(٣) جامع البيان: ٢٢/ ٢٦٧-٢٦٨.
(٤) فتح القدير: ١/ ١٣٨٦.
(٥) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، القيسيّ: ١١/ ٦٩٨٢.
(٦) مجمع البيان: ١/ ١١٩، وانظر: تفسير فرات الكوفيّ: ٥٧-٥٨.

والسِّبطين)، قبل أن يُخلقوا»[1].

وهؤلاء أربعة منهم ذكور، وصفهم الإنجيل بأنَّهم كائنات حيَّة، قائلًا في رؤيا يوحنَّا: «**واجتمع الملائكة جميعًا حول العرش، ومعهم الشيوخ والكائنات الحيَّة الأربعة، وخرُّوا سجودًا لله**»[2].

بل إنَّ الكساء ذُكِر بعد أن سئل عمَّن يكونوا هؤلاء المرتدين ثيابًا بيضاء، وبأيديهم سعف النخل، فيجيب بأنَّهم الآتون من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم بدم الحمل بقوله، والجالس على العرش يبسط خيمته عليهم[3].

وفي قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ جاء في التفسير بأنَّ محور سورة الفتح، هو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧)[4]، وهذا يدلُّ على أنَّ محورها له علاقة بِصِلة الرحم.

أولئك رحماء بينهم، «والرحم: أسباب القرابة؛ وأصلها الرحم التي هي منبت الولد، وهي القرابة»[5].

«وعلى هذا قول النبيّ صلى الله عليه وآله ذاكرًا عن ربِّه أنَّه لـمَّا خلق الرحم، قال له: **أنا الرحمن، وأنت الرحم، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك بتته**»[6]، فالرحماء هم رحم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) انظر: بحث الإمام الحسين عليه السلام بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل: د. زهور كاظم زعيميان، مجلَّة السِّبط، العدد الأوَّل، ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/ كانون الثاني ٢٠١٩: ٤٨-٤٩.

(٢) الكتاب المقدَّس الدراسيّ: الجمع الكثير أمام العرش: ١١/ ٢٠٦٠.

(٣) انظر: الجمع الكثير أمام العرش: ٩-١١/ ٢٠٦٠.

(٤) الكشَّاف: ٥/ ٥٦٧.

(٥) لسان العرب، مادَّة رحم: ٦/ ١٢٦.

(٦) أخرجه الحاكم: ٤/ ١٥٧، وانظر: عارضة الأحوذيّ: ٨/ ١٠، وأحمد برقم ١٦٨٠، وأبو داوود في الزكاة برقم ١٦٩٤، باب صلة الرحم، وشرح السنَّة: ١/ ١٧٩-١٨٠.

وفي قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، يأبى التبعيض والارتـداد[1]، فقد ارتدَّ بعض من صحابة رسول الله ﷺ، وهذا يجعل الآية الكريمة لا تنطبق عليهم، فقد روي عن أبي هريرة أنَّه كان يحدِّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يردُ عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلون عن الحوض، فأقول يا ربِّ أصحابي، فيقول إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنَّهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقرى**»[2].

والثمرة بنت الشجرة، وعن الفروع تُنبئ الأصول، شجرة ثابتة الجذور، استوت على الساق فأثمرت، واخضرَّت الأوراق، وتضوَّع الزَّهر، وينعت الثمار.

الزَّرع وبزره في سفر التكوين

ولو عدنا لآيات الخليقة الأولى في العهد القديم[3]، لوجدنا الزرع وشطأه في اليوم الثالث، ووضعته باللون الأخضر، فكيف نبت الزرع قبل خلق الشمس؟ وأي نور هذا المخلوق ولم تُخلق الشمس بعد؟ وهو ليس الزرع المعروف بظاهر الكلمة؛ لأنَّه قال عن اليوم السادس: «**لتُخرِج الأرض كائنات حيَّة**»[4]، والنبات من الكائنات الحيَّة، وزئير هذا النص من سفر التكوين، أو الخليقة، أوقع الشكَّ في إيمان العالم الفرنسيّ المسيحيّ (موريس بوكاي) بالكتاب المقدَّس، فترك المسيحيَّة عندما وجد تسلسل المخلوقات يُخالف العلم، فوضع كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث)[5]، وأعلن إسلامه؛ لأنَّه لم يجد تفسيرًا لخلق الزرع وبزره قبل خلق الشمس، وأنكر ما جاء بالتوراة

(١) تفسير الآلوسيّ: ٢٦/ ١٢٧.

(٢) صحيح البخاريّ، البخاريّ الجعفيّ، محمَّد بن إسماعيل، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ٥/ ٢٠٤٧، الحديث ٦٢١٣، وصحيح مسلم، النيسابوريّ، مسلم بن الحجَّاج القشيريّ، دار إحياء الكتب العربيَّة، كتاب الفضائل: ٤/ ١٧٩٣، حديث ٤٢٤٣.

(٣) انظر: صفحة ٦ من الكتاب.

(٤) الكتاب المقدَّس الدراسيّ: التكوين، اليوم السادس: ٩.

(٥) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، الكاتب الفرنسي موريس بوكاي، ترجمة مفتي الجمهوريَّة اللبنانيَّة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلاميّ، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

بأن يكون خلق النور في اليوم الأوَّل، وخلق الشمس في اليوم الرابع، فمن أين أتى النور؟ وفاتَه أنَّ خلق النور قبل السموات والأرض موجود في الروايات الإسلاميَّة، وهو نور فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها صلوات الله عليهم.

فالرمزان مذكوران في الآيات الأولى من سِفر الخليقة، النور والزرع وشطئه.

وبعد أن عرفنا منزلة النور المخلوق قبل السموات والأرض، فأي جسد سيحتوي هذا النور؟.

المبحث الثاني

المعراج

قال بعض العلماء: «لم يُرسَل رسولٌ إلى الخلق، إلَّا وكان له معراج»[١].

أمَّا سبب الإسراء قبل المعراج، فقد ذكرت شيئًا منه في بحث (ألفاظ دلالتها موغلة في القِدَم)[٢]، وأظنُّ بأنَّ ما ذكره الشقيريّ فيه وجهة نظر بأنَّ باب السماء تُقابِل صخرة بيت المقدس[٣].

وذكرت مسألة المعراج في سورة النجم، ومطلعها: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (النجم: ١)، وذكر لويس صليبا مسألة المعراج واختلاف الرواة فيها في الوقت والكيفيَّة، بالجسد أم بالروح؟ فمنهم من قال قبل الهجرة بـ١٦ شهرًا.. ثمَّ قال: وكثير من الروايات أنَّه قبل أن يوحى إليه[٤]، وهو ما لم أجده في الكتب الإسلاميَّة، أي قبل البعثة، وقيل قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا[٥]، «ونقل أقوالًا: قبل الهجرة بـ٣ سنين، وقيل بسنة، وقيل بعد النبوَّة بخمسة أعوام، وقيل بعام ونصف، وقيل بعد مبعثه بـ١٥ شهرًا، وأقوال أخرى»، ومسألة الوقت تتعلَّق بولادة الزَّهراء عليها السلام، فمسألة الوقت تزعج رواية ولادة الزَّهراء عليها السلام قبل

(١) كتاب المعراج: ١٣٤.

(٢) بحث (ألفاظ دلالتها موغِلة في القِدم) مجلَّة كليَّة التربية الأساسيَّة، العدد ١١٢، المجلَّد ٢٧، السنة ٢٠٢١: ٥٢٩:

https://www.iasj.net/iasj/download/15220eb2c0e36305.

(٣) كتاب المعراج، الشقيريّ: ١٧٨.

(٤) انظر: كتاب المعراج: ٥٧.

(٥) انظر: مختصر السيرة النبويَّة لمغطاى: ٥٣.

البعثة؛ لأنَّ المعراج حصل بعد البعثة في مكّة.

والخلاف في وقته يؤدِّي إلى الاختلاف في رواية تناول رسول الله صلى الله عليه وآله ثمرة من الجَنَّة، وهنا نقول:

قد لا يكون تناول الثمرة في المعراج، وإنَّما أتى بها جبريل عليه السلام لهذا الغرض.

تتَّفق التفاسير على ربط وشائج المعنى بين سورة النجم والمعراج السماويّ، وقد نزلت سورة النجم قبل سورة الإسراء، فسورة الإسراء من السور المكِّيَّة باتِّفاق، وهي من أواخر السور النازلة بمكَّة، وهذا قد يدلُّ على أنَّ عروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء لم يكن مرَّة واحدة.

قال ابن عاشور: «وليس افتتاحها بذكر الإسراء مقتضيًا أنَّها نزلت عقب وقوع الإسراء، بل يجوز أنَّها نزلت بعد الإسراء بمدَّة، نزلت هذه السورة بعد سورة القصص، وقبل سورة يونس، وعُدَّت السورة الخمسين في تعداد نزول سور القرآن»[1].

إذن قد يكون الإسراء في بداية البعثة، ثمَّ نزلت سورة الإسراء.

سورة (النجم) سورةٌ (مكِّيَّة) باتِّفاق ، روى البخاري في صحيحه[2]: «قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله النجم بمكَّة فسجد فيها..»، وقال ابن عاشور: «وهي مكِّيَّة، قال ابن عطيَّة: بإجماع المتأوِّلين»[3]، وليس هناك دليل على أنَّها نزلت بعد الإسراء أو المعراج مباشرة، أو دون فاصلٍ زمنيّ.

ثمرة الجَنَّة

في واحدة من الكنى والألقاب التي صرَّح بها نبينا الكريم محمَّد صلى الله عليه وآله، وكانت هناك

(١) التحرير والتنوير: ٦/ ١٥.

(٢) رقم الحديث: (١٠٦٧).

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٨٧، وذكر ذلك أيضًا: كتاب تاريخ نزول القرآن، محمَّد رأفت سعيد: ١٩٤.

الكثير من تلك الألقاب والكنى التي حظيت بها مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومنها (ثمرة الجَنَّة)؛ فكما تظافرت الروايات على نورها، فقد تظافرت على خلقها من ثمرة الجَنَّة، ففي الرواية عن ابن عبَّاس قال: «جاء رجل من أشراف العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا رسول الله، بأيِّ شيء فُضِّلتم علينا، وأنت ونحن من ماءٍ واحدٍ؟ فقال: **يا أخا العرب، إنَّ الماء لـمَّا أحبَّ الله جلَّ ذكره عند خلقنا، تكلَّم بكلمة صار نورًا، وتكلَّم بأخرى صار روحًا، فخلقني، وخلق عليًّا، وخلق فاطمة، وخلق الحسن، وخلق الحسين، فخلق من نوري العرش.. ثمَّ إنَّ الله تعالى ابتلى الأرض بالظُّلمات فلم تستطع الملائكة ذلك، فشكت إلى الله عزَّ وجلَّ، فقال عزَّ وجلَّ لجبرائيل عليه السلام: خُذ من نور فاطمة وضعه في قنديل، وعلِّقه في قرط العرش. ففعل جبرائيل عليه السلام ذلك؛ فأزهرت السموات السبع والأرضين السبع، فسبَّحت الملائكة وقدَّست، فقال الله: وعزَّتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي في أعلى مكاني، لأجعلنَّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم لفاطمة وبعلها وبنيها ومحبِّيها إلى يوم القيامة**»[1].

وتتَّفق الأديان السماويَّة على وجود ثمرة في الجَنَّة، نجد وصفها في سفر أخنوخ، إذ يصفها أخنوخ (النبيّ إدريس) في معراجه: «**كانت شجرة ما شممت من قبل عطرها، ولا نال أحد هذه السعادة، وما كانت تشبه شجرة أخرى، كانت تنشر عطرًا يتفوَّق برائحته على كلِّ الطيوب، ورقها زهرها الشجرة نفسها لا تذبل أبدًا، ثمرها جيل، ويشبه عناقيد النخل**»[2].

وفي موضع آخر: «**أمَّا الشجرة المعطَّرة فلا يحقُّ لبشر أن يلمسها قبل يوم الدينونة العظيمة، الذي يرى العقاب الشامل والتتمَّة النهائية، فللأبرار والصدِّيقين يُعطى من ثمرها، أمَّا المختارون للحياة فينالونه طعامًا من غرسها، ويُعاد غرسها في موضع**

(١) نور المعجزات للطبريّ: ٨٣، البحار للمجلسيّ: ٣٧/ ٨٤.
(٢) أخنوخ: ٢٤/ ٤-٥، من المعراج في منظور الأديان: ٢٦٧.

مقدَّس، قرب بيت الله الملك الأبديّ، فيفرحون فرحًا كبيرًا، ويهلِّلون ويدخلون إلى المعبد، وتكون عطور الشجرة عليهم، فتكون حياتهم طويلة على الأرض»[1]. وفي هذا النص تبليغ عن ثمر الجَنَّة وبعض صفاتها، فرائحتها عطرة، ولا ينال ثمرها إلَّا الأبرار، وسوف يعاد غرسها على الأرض قرب بيت الله، حيث يقولون لا إله إلا الله- يهللون- والحياة الطويلة إشارة لامتداد النسب.

الثمرة بنت الشجرة بنت الزرع، وعلى الفروع تنبني الأصول.

الجين.. أو المورثة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٤).

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق: ٢)

تتَّفق الآيات الكريمة على أنَّ الإنسان خُلِق من نطفة، ثمَّ علقة، والنطفة هي البيضة المخصَّبة التي تحمل صفات الأبوَين.

والجين هي الوحدات الأساسيَّة للوراثة في الكائنات الحيَّة، وهي قطع من (DNA) يمكن اعتبارها وحدات وظيفيَّة.. تحتوي على المعلومات الأساسيَّة لتطوير خصائص الفرد.

كلُّ شخص يمتلك الآلاف من الجينات، وهي تمثِّل تأريخ أسلاف الفرد.. وتجعل من الشخص ما هو عليه.. ويرث الأبناء الجينات من (الأم والأب).. لذلك الاختيار مهمٌّ للزواج.

---

(١) أخنوخ: ٢٥/ ٥-٦، من المعراج في منظور الأديان: ٢٦٧-٢٦٨.

يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: «**اخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ الْخَالَ أَحَدُ الضَّجِيعَيْنِ**»(١)

وتفيد هذه الروايات من حيث الدلالة أنَّ الأثر الأكبر لنطفة المرأة في تكوين الولد عندما يقول: «**فإنَّ العِرق دسَّاس**»، فقد كان الخال هو المانح للصفات الوراثيَّة، والمقصود من الخال الجهة من قِبَل الأم، وليس بذاته، كما ورد في نصٍّ آخر في الأخوات أي الخالات، بالإضافة إلى ما اكتُشِف حديثًا أنَّ الجينات الوراثيَّة الموجودة في الأم لها أثر كبير في الولد.

والعلق هو البذرة، إذا صلحت صلح نبتها.

الأحاديث الثابتة تنقل لنا روايات عمَّا كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل حمل زوجته خديجة عليها السلام بالزَّهراء عليها السلام، وعلاقته بالعلم الحديث.

فهناك رواية ترويها الكتب، تُفيد أنَّ طعامًا مخصَّصًا أُمر به رسولُ الله صلى الله عليه وآله قبل أن تنعقد نطفة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّه أُمِر بترك التقرُّب من خديجة مدَّة من الزمن.

ولا شكَّ أنَّ النطفة التي تنعقد في الرحم تتكوَّن من الدم المستخلص من الطعام، بعد انتهاء عملية الهضم، فالمتكوِّنة من التمر، أو التفَّاح، أو اللحم، تختلف عن نطفة تتكوَّن من الخمر والمسكرات، وكذلك التأثير النفسيّ للزوجَين؛ هذا الأثر يؤثِّر في شخصيَّة الطفل وأطباعه، عند الاتِّصال، تأثيرًا مباشرًا في حالة الطفل النفسيَّة فيما بعد.

والشوق الشديد والرغبة بين الزوجَين يؤثِّر على صحَّة الطفل البدنيَّة، والنفسيَّة؛ فقد أثبتت التجارب أنَّ حزن الحامل قد يصيب الجنين بالتشوُّهات الخلقيَّة؛ بسبب حزن أمِّه، وهذا الأمر يعيق نموّه بالقدر المطلوب خلال رحلة الحمل.

وقد أثبتت إحدى أخصَّائيَّات الأطفال أنَّ العوامل الوراثية ليست فقط ما يحدِّد الطباع المزاجيَّة للطفل، ولكنَّ الأهمَّ توفُّر البيئة التي توفِّرها الأم للجنين في رحمها،

(١) الكافي، للشيخ الكلينيّ: ٥/ ٣٣٢، الحديث ٢، وانظر: السرائر، لابن إدريس الحِلِّيّ: ٢/ ٥٥٩.

فضلًا عمَّا يسبِّبه الضغط النفسيّ عند الإخصاب من خطر الإجهاض[1]، ومن هذه الملاحِظ ننطلق لما حصل قبل حمل خديجة عليها السلام بفاطمة عليها السلام.

وفي مصدر الثمرة روايتان:

الأولى: أنَ جبريل أتاه بالثمرة من الجَنَّة، وهي المرجَّحة عندنا.

الثانية: أنَّه أكل منها عند معراجه، وفيها يكون عمرها عند زواجها صلوات الله عليها عشر سنوات، شرط صحَّة ولادتها بعد البعثة بخمس سنوات.

أربعون يومًا:

فقد أمر جبريل عليه السلام محمَّدًا بأمر من الله أن يعتزلَ خديجةَ أربعين يومًا قضاها صائمًا صباحًا، قائما ليلًا، وأرسل الرسول صلى الله عليه وآله عمَّار بن ياسر رضي الله عنه إلى السيِّدة خديجة عليها السلام ليوضِّح لها بأنَّ سبب اعتزاله لها ليس منه، وإنَّما بأمر من الله تعالى[2]، فحبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام لا يختلف عليه اثنان، حتَّى قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ بسبب كثرة ذِكر رسول الله صلى الله عليه وآله لها: «كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ»[3].

وبعد الأربعين يومًا بلَّغه جبرائيل عليه السلام بأن يتأهَّب لتحيَّة ربِّه وتحفته، قائلًا: «فلمَّا كان في كمال الأربعين، هبط جبرئيل عليه السلام فقال: **يا محمَّد العليّ الأعلى يُقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهَّب لتحيَّته وتحفته**، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا جبرئيل وما تحفة ربِّ العالمين؟ وما تحيته؟** قال: **لا علم لي**، قال: فبينا النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس، أو قال: إستبرق، فوضعه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل عليه السلام

(1) https://alghad.com/%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%BA%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A-%D9%82%D8%AF-%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%86-%D8%B3%D8%A8%D8%A8%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B4%D9%88%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%8A/

(٢) انظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: ٣٢-٣٣.

(٣) صحيح البخاريّ، كِتَاب المَنَاقِبِ: بَاب تَزْوِيجِ النبيّ صلى الله عليه وآله. رقم الحديث: ٣٥٥٨.

وقال: **يا محمَّد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام**، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد إلى الإفطار، فلمَّا كان في تلك الليلة، أقعدني النبيّ صلى الله عليه وآله على باب المنزل، وقال: يا بن أبي طالب إنَّه طعام محرَّم إلَّا عليّ**، قال عليّ عليه السلام: **فجلست على الباب، وخلا النبيّ صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبيّ صلى الله عليه وآله منه شبعًا، وشرب من الماء ريًّا.. وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء**»[1].

هذه المعجزة الطبيَّة في حملها، فيها نصائح لمن يشكو قلَّة الذريَّة بأن يتَّبع ما اتَّبعه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل حمل السيِّدة خديجة بفاطمة عليها السلام، فقد أنجبت السيِّدة خديجة عليها السلام أولادًا ماتوا، ولم يرزق رسول الله صلى الله عليه وآله بالأبناء سوى من السيِّدة خديجة، والسيِّدة مارية القبطيَّة.

والصيام يعني تجدُّد خلايا الجسم، وبعد الصيام، عرج به إلى السماء؛ ليأكل الثمرة التي تكوَّنت منها نطفة فاطمة عليها السلام، وبعد فقد وُلدت فاطمة عليها السلام، فكيف كانت؟.

تقول عائشة: «ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ودلًّا وهديًا برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وقد اختلفت الروايات في هذه الثمرة، فقيل:

أوَّلًا: سدرة المنتهى

لم يرد في القرآن الكريم ذكر لثمرة أكلها رسول الله صلى الله عليه وآله في إسرائه المذكور في سورة الإسراء، ولا في معراجه المذكور في سورة النجم، لكن «ورد ذِكر شجرة سدرة المنتهى، وهي شجرة الحياة التي تذكرها غالبيَّة الكتب المقدَّسة عند الهنود والفراعنة والفرس

(١) بحار الأنوار: ١٦/ ٧٩، وفاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٣٢-٣٣.

(٢) تحفة الأحوذيّ: محمَّد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوريّ، دار الكتب العلميَّة، مسألة: ٣٨٧٢، سنن الترمذيّ: كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله: ٢٥٤، والمستدرك على الصحيحَين، مسألة: ١٨٦٥ و٤٧٨٥.

والرافديين واليهود وغيرهم»[1]

ثانيًا: طوبى

نقل الطبريّ في تفسيره: «الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ طُوبى اسم شجرة في الجَنَّة.. جاء أعرابيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، إن في الجَنَّة فاكهة؟ قال: **نَعَمْ، فِيها شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى، هِيَ تُطَابِقُ الفِرْدَوْس**»[2].

وفي رؤيا بولس، قال وهو يصف الجَنَّة: «ورأيت نهر لبن وعسل، على ضفَتَي هذا النهر، كانت تنمو أشجار ملأى ثمارًا، كلٌّ من هذه الأشجار تنتج اثنتي عشرة مرَّة في العام، وتحمل أنواع ثمار مختلفة.. رأيت فيها أشجار نخيل من عشرين ذراع.. وقلت للملاك لِـم تحمل كلُّ شجرة آلاف الثمار؟ فأجابني لأنَّ الربَّ يفيض بوفرة عطاياه، على كلِّ الذين يستحقُّونها، والذين هم هناك أماتوا الجسد بمبادرتهم الخاصَّة، عندما كانوا في العالم»[3]

وبعض الروايات تذكر الثمرة دون تعيين نوعها، منها: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيل فاطمة، قال فعاتبته على ذلك عائشة، فقالت: يا رسول الله إنَّك لتكثر تقبيل فاطمة؟! فقال لها: «**ويلك لـمَّا عرِّج بي إلى السماء مرَّ بي جبرائيل على شجرة طوبى، فناولني من ثمارها فأكلتها، فحوَّل الله ذلك إلى ظهري، فلمَّا أن هبطتُ إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، فما قبَّلت فاطمة إلَّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها**»[4].

وهناك إشارة إلى هذه الرائحة في كتاب البخاريّ بما ذكر عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**بينما أنا أسير في الجَنَّة، إذا أنا بنهر، حافَّتاه قباب الدرِّ المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟**

(١) المعراج من منظور الأديان: ٢٦٣-٢٦٤.
(٢) جامع البيان، سورة الرعد: ٢٩.
(٣) المعراج في منظور الأديان: ٢٧٠.
(٤) تفسير العياشّي: ٢/ ٢١٢، وكذلك ورد ذكر شجرة طوبى في البحار: ٨/ ١٥١، وفي تفسير فرات الكوفيّ لسورة الرّعد، آية: ٢٩ حديث مشابه.

قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربُّك، فإذا طينه أو طيبه مسكٌ أذفر»[1].

وتتحدَّث الكتب المقدَّسة عن شجرة الحياة التي تجري ماء، ورفَّ قربها روح الله قبل أن تظهر السموات والأرض، وعندما خلق الله السموات والأرض ارتاحت الروح على تلك الشجرة، ومياه تتدفَّق من الشجرة حين تهبُّ الروح[2].

وهنا المقصود بروح الله روحًا خلقها الله قبل السموات والأرض، وهناك رابط بينها وبين شجرة، والكوثر نهر في الجَنَّة.

في كتاب المعراج للقشيريّ ذكر حوارًا يقول فيه الله تعالى لحبيبه محمَّد صلى الله عليه وآله: «**ثمَّ رأيت ما في الجَنَّة، ورأيت شجرة طوبى**»[3].

وحكى أبو بكر الأصم رضي الله عنه: «إنَّ أصل هذه الشجرة في دار النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي دار كلِّ مؤمن منها غصن»[4]. والكوثر هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، رُمز لها بالنهر، يقول الطبرسيّ عن لفظ الكوثر: إنَّه يحتمل كلّ التأويلات: النهر، والزَّهراء، وكثرة النسل، والذُرِيَّة[5].. وقد جاء في التفاسير أنَّ سورة الكوثر نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله عندما وصفه العاص ابن وائل السهميّ بالأبتر، والأبتر تسمية قريش لمن ليس له ابن، فخاطب الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، والكوثر هو كثرة النسل والذُرِيَّة، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتَّى لا يحصى عددهم، واتَّصل إلى يوم القيامة مددهم[6].

(١) صحيح البخاريّ، التعبير، رقم الحديث: ٦٥٨١، وصحيح مسلم، الإيمان: ١٦٠، وسنن الترمذيّ، المناقب: حديث ٣٦٣٢، ومسند أحمد: ٦/ ١٥٣ و٢٣٣.

(٢) انظر: المعراج في منظور الأديان: ٢٦٩.

(٣) كتاب المعراج: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الشقيريّ، تحقيق: أ.د. قاسم السامرَّائيّ، ط١، دار الورَّاق، بيروت، لبنان، ٢٠١٦: ١١٨

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مصنَّف و مدقَّق مرحلة أولى.

(٥) انظر: مجمع البيان: ١٠/ ٣٥٣.

(٦) انظر: مجمع البيان، للطبرسيّ: ١٠/ ٣٥٢-٣٥٣، والميزان، للطبطبائيّ: ٢٠/ ٤٢٩.

كما ذكر القمّيّ طوبى ناقلًا عن أبي عبد الله عليه السلام: «قال: طوبى شجرة في الجَنَّة في دار أمير المؤمنين عليه السلام، وليس أحد من شيعته إلّا وفي داره غصن من أغصانها، وورقة من أوراقها، يستظلُّ تحتها أمَّة من الأمم»(١).

فإذا كانت في دار أمير المؤمنين عليه السلام، فهي تصحُّ أن تكون الزَّهراء عليها السلام، فقد جاء في تفسير القرطبيّ الشافعيّ: «وقال أبو جعفر محمَّد بن عليّ: سُئِل النبيّ صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾، قال: «**شجرةٌ أصلها في داري وفروعها في الجَنَّة**»، ثمَّ سُئِل عنها مرَّة أخرى فقال: «**شجرة أصلها في دار عليّ وفروعها في الجَنَّة**». فقيل له: يا رسول الله سُئِلت عنها فقلت: «أصلها في داري وفروعها في الجَنَّة» ثمَّ سُئِلت عنها فقلت: «أصلها في دار عليّ وفروعها في الجَنَّة» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ داري ودار عليّ غدًا في الجَنَّة واحدة في مكان واحد**»»(٢).

ثالثًا: التفَّاحة

في مجمع الطبرسيّ نلمح دمجًا بين شجرة طوبى والتفَّاحة حتَّى كأنَّها هي، ناقلًا «عن أبي عبد الله عليه السلام، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال صلى الله عليه وآله: **إنَّه لـمَّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجَنَّة وأدناني جبرائيل عليه السلام من شجرة طوبى، وناولني منها تفَّاحة فأكلتها، فحوَّل الله ذلك في ظهري ماءً، فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فكلَّما اشتقت إلى الجَنَّة قبَّلتها، وما قبَّلتها إلَّا وجدت رائحة شجرة طوبى، فهي حوراء أنسيَّة**»(٣).

ونقل المرعشيّ رواية جاء فيها أنَّ فاطمة عليها السلام: «**خُلِقت من تفَّاحة الجنَّة**»(٤).

(١) تفسير القرآن، عليّ بن إبراهيم القمّيّ (ق٤هـ).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، ومجمع البيان: ٦/ ٢٩.
(٣) مجمع البيان: ٦/ ٢٩.
(٤) شرح إحقاق الحقّ، السيِّد المرعشي: ١٠/ ٢٤٤.

عن أبي عبد الله جعفر بن محمَّد بن عليّ عليهما السلام، عن أبيه عن جدِّه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**معاشر الناس، أتدرون لما خُلِقت فاطمة؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **خُلِقت فاطمة حوراء إنسيَّة لا إنسيَّة**، وقال: **خُلقت من عرق جبرائيل ومن زَغَبه**، قالوا: يا رسول الله، استشكلَ ذلك علينا، تقول: حوراء إنسيَّة لا إنسيَّة، ثمَّ تقول: من عرق جبرائيل ومن زَغَبه! قال: **إذا أُنبئكُم: أهدى إليَّ ربِّي تفَّاحة من الجَنَّة، أتاني بها جبرائيل** عليه السلام، **فضمَّها إلى صدره، فعرق جبرائيل** عليه السلام، **وعرقت التفَّاحة، فصار عرقهما شيئًا واحدًا، ثمَّ قال: السلام عليك يا رسول لله، ورحمة الله وبركاته. قلت: وعليك السلام يا جبرائيل، فقال: إنَّ الله أهدى إليك تفَّاحة من الجَنَّة، فأخذتها وقبَّلتها ووضعتها على عينيَّ وضممتها إلى صدري، ثمَّ قال: يا محمَّد كُلها، قلت: يا حبيبي يا جبرائييل، هديَّة ربِّي تؤكَل؟ قال: نعم قد أُمِرت بأكلها، فأفلقتها فرأيت منها نورًا ساطعًا، ففزعت من ذلك النور، قال: كُلْ فإنَّ ذلك نور المنصورة فاطمة، قلت: يا جبرئيل ومَن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صُلبِك واسمها في السماء منصورة، وفي الأرض فاطمة، فقلت: يا جبرئيل ولم سمِّيت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سمِّيت فاطمة في الأرض؛ لأنَّها فطمت شيعتها من النار وفُطِموا أعداؤها عن حبِّها، وذلك قول الله في كتابه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ٤-٥) بنصر فاطمة** عليها السلام»[1].

وفوائد التفَّاح للجنين تظهر في الدم من خلال السيطرة على الإنسولين، وتقليل الكولسترول، وغيرها، وهو ما يظهر أثره أيضًا إذا تناول الرجل قبل الإخصاب، فهو يحتوي على كميَّة كبيرة من الفيتامينات، ومنها حمض الفوليك المهم للجنين، يحتوي على مضادَّات للأكسدة التي تحمي خلايا الدماغ من هجمات الجذور الحرَّة، و هذا مفيد جدًّا في تحسين صحة الدماغ والحد من مخاطر الاضطرابات العصبية للمولود[2].

(١) تفسير فرات بن إبراهيم: ١١٩، ومدينة المعاجز، للبحرانيّ: ٢٢٥، وانظر: بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٦١، والخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ: ١/ ٣٤٠.

(2) https://www.almawk3.com/%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%AF-=

رابعًا: العنب

جاء في الحديث: «حضر غلام الخليل، فذكروا فَاطِمَة عليها السلام وفضلها، فقال غلام الخليل: حَدَّثَنَا حيي الجرجانيّ، حَدَّثَنَا سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عَائِشَة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أطعمني جبريل صلوات الله عليه عنقود عنب**، وقال: **هذا من ثمر الجَنَّة، فأكلته ووقعت على خديجة، فأتت بفَاطِمَة، فما لثمت فَاطِمَة قط إلا ذقت طعم ذلك العنب من فيها**.. قال عبد العزيز: أشهد لا أكتب هذا الحديث إلَّا وأنا قائم في ورق بيضاويّ، بماء الذهب، فقام، وكتب الحديث بماء الذهب، ثمَّ قعد»[1].

ويتحدَّث القديس باخوميوس (٢٨٦-٣٤٦م) عن رائحة هذه الشجرة الزكيَّة التي شاهدها في الجَنَّة في أثناء أحد معاريجه إلى السماء أنَّها لا يستطيع أحد تحمُّل رائحتها إلَّا من حصل على نعمة من الله[2].

خامسًا: التمر

الرواية عن حذيفة اليمانيّ قال: دخلت عائشة على النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو يقبِّل فاطمة عليها السلام، فقالت: يا رسول الله أتقبلِّها وهي ذات بعل؟ فذكر لها حديث المعراج، وقال: «**ثمَّ أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجَنَّة.. فإذا أنا برطب ألين من الزبد، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها وأنا أشتهيها، فتحوَّلت الرطبة نطفة في صلبي، فلمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة؛ فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيَّة، فإذا اشتقت إلى رائحة الجَنَّة شممت رائحة ابنتي فاطمة عليها السلام**[3].

«قال عليّ عليه السلام: **فجلست على الباب، وخلى النبيّ صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطبق، فإذا**

=%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8%AD/.

(١) فضائل فاطمة الزَّهراء، لأبي عبد الله الحاكم: ٥١.

(٢) انظر: المعراج من منظور الأديان: ٢٧٢

(٣) بحار الأنوار: ٨/ ١٩٠.

عذق من رطب، وعنقود من العنب، فأكل النبيّ منه وشبع.. ثمَّ قام النبيّ ليصلِّي، فأقبل عليه جبريل وقال: الصلاة محرَّمة عليك في وقتك حتَّى تأتي في منزل خديجة فتواقعها؛ فإن الله عزَّ وجلَّ آلى على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليلة ذُريَّة طيِّبة»[1].

«وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **لـمَّا عرج بي إلى السماء، أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني الجَنَّة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحوَّل ذلك نطفة في صلبي، فلمَّا هبطت إلى الأرض، واقعت خديجة، فحملت بفاطمة عليها السلام**، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة حوراء إنسيَّة، فكلَّما اشتقتُ إلى رائحة الجَنَّة شممتُ رائحة ابنتي فاطمة**»[2].

وهي دعوة للباحثين في الأمور الوراثيَّة، وتأثير التمر على الجنين.

وقد أثبتت الدراسات فوائد التمر؛ لما فيه من العناصر والفيتامينات والمعادن المختلفة، وأهمها حامض الفوليك، حيث يطلق عليه اسم فيتامين ب٩، وتكمن أهميَّته في إنتاج خلايا الدم الحمراء، وفي المساعدة على نموِّ الحبل الشوكي والمخ للجنين، نتيجة دوره في إنتاج بعض المكونات الكيميائيَّة الأساسيَّة في الجهاز العصبيّ، كما أنَّه ينتج المادة الوراثيَّة في خلايا الجسم، وهو يحمي الجنين من الإصابة ببعض التشوُّهات الخلقيَّة، ويمنع الحامل من الإصابة بالاكتئاب[3].

وما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو إلى دراسة أثر تناول الرجل للتمر قبل تكوُّن النطفة، فالأطباء ينصحون المرأة بتناول هذا الحامض قبل الحمل بشهر، وبشكلٍ يوميّ، إلى أن يتمَّ الحمل، واستعماله يحمي الطفل من أيِّ خطر[4].

---

(١) فاطمة الزَّهراء ع من المهد الى اللحد: ٣٣.

(٢) الأمالي للصدوق، نقلاً عن: فاطمة الزَّهراء أمُّ أبيها: ٣٥.

(3) https://mawdoo3.com/%D8%AD%D9%85%D8%B6_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%83_%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%85%D9%84.

(4)https://www.sohati.com/article/%D9%85%D8%A7-%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%84/%D9%=

وقد لاحظ الأطباء تأثيره على نموٍّ مخ الطفل، إذا تناولته المرأة قبل الحمل بسنة، ولم يذكروا أثره على الجنين إذا تناوله الرجل، وكأنَّ العلقة تتكوَّن من المرأة فقط، فقد أثبتت الدراسات فائدة هذا الحمض للرجل قبل التلقيح(١).

وألزمني الأمر زيارة إحدى الطبيبات(٢)؛ لمناقشتها في الموضوع، وممَّا تناولناه بالحديث موضوعًا مهمًّا، وجدت أن أضعه في البحث؛ لفائدته الكبيرة، ولخطورته على النساء. قالت: على النساء أن تعلم بأنَّ تناول هذا الفيتامين على شكل أقراص يؤدِّي إلى إصابة خلايا الدماغ للجنين، وهو أحد الأسباب المهمَّة لإصابة الأطفال بمرض التوحُّد، أمَّا التمر فتناوله لن يؤثِّر سلبًا، بالرغم من غناه بهذا الفيتامين، ومن منطلق البحث أدعو أهل الاختصاص إلى دراسة هذا الفيتامين على الجنين عندما يتناوله الرجل.

سادسًا: سفرجل

روايات أخرى تذكر إنّ جبريل أتاه بسفرجلة أو تفاحة من الجَنَّة فأكلها ليلة الإسراء، فعَلِقَت خديجة بفاطمة، والدراسات أثبتت أنَّ تناول السفرجل من قبل الرجل قبل الجماع على الريق حتَّى يطيب ماء الرجل(٣).

=87%D9%84-%D9%8A%D8%B3%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%AD%D9%85%D8%B6-%D8%A7%D9%4%D9%81%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%83-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%84%D8%9F.

(1)http://hayatouki.com/health/content/1908428-%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AD%D9%85%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%83-%D9%84%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B5%D9%88%D8%A8%D8%A9.

(٢) الدكتورة هدى الشديدي، وعيادتها في منطقة الكاظميَّة المقدَّسة.

(3) https://mawdoo3.com/%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%B1%D8%AC%D9%84_%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%85%D9%84_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AC=

كما ذكر القرآن الكريم بأنَّ الخلق يكون في الصلب قبل الرحم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١١)، أي خلقناكم في أصلاب الرجال، وصوَّرناكم في أرحام النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢)، (يعني آدم (الرجل)، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣)، أي ذريَّته.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ (الواقعة: ٥٨)، أفرأيتم أيُّها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم- النطف التي تمنون في أرحام نسائكم- أأنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون[1]؟ فالخلقة في المني.

فكانت الزَّهراء عليها السلام النقيَّة الطاهرة نطفتها من ثمار الجَنَّة، فردوسيَّة ملائكيَّة، نورها من نور النبوَّة، أمُّ الأنوار الطاهرة، من صُلب حبيب الله صلى الله عليه وآله، ورحم خديجة المجاهدة عليها السلام؛ لتُنجِب ثمرة الجَنَّة، عطرها عطر الجَنَّة، تشبَّعت بأنفاس أمِّها وأبيها سيِّد الخلق أجمعين.

فهذه النطفة تحمل الجينات الوراثيَّة المحمَّديَّة، وقد ذُكِرت هذه الصفات الوراثيَّة في دعاء النبيّ نوح عليه السلام على قومه قائلًا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٦-٢٧)، فالفاجر يلِد فاجرًا، والكافر يلد كافرًا، بفضل العامل الوراثيّ.

شطء محمَّد ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ٣٤)، توارثوا الكمال والطهارة، لم يمسَّهم رجس.

فنطفة جاءت على يد جبريل عليه السلام، واستقرَّت في صلب الحبيب صلى الله عليه وآله، لتستقرَّ في رحم خديجة عليها السلام.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٦).

=%D9%86%D9%8A%D9%86.

(١) جامع البيان: الطبريّ: ٥٣٦.

حين ينسب الله التصوير في الأرحام لنفسه، فإنَّه بذلك يعلم سرَّ النطفة بها في ذلك الحمض النوويّ الذي ينقل الصفات الوراثيَّة من الآباء إلى الأبناء، وبها يتمُّ تصوير وخلق الذُريَّة في الأرحام.

النطفة هي المسؤولة عن الصفات الوراثيَّة لتقدر الإتيان بالمخلوق ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ (عبس: ١٩).

وهي الأمشاج المخلوقة في صلب الرجل ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ (الطارق: ٥-٧).

إنَّ خلايا الإنسان كلّها تحتوي على ٤٦ كروموسوم فرديّ، إلَّا خلايا الأمشاج، فإنَّها تحوي ٢٣ كروموسوم، وبعد التلقيح بين الذكر والأنثى، تلتقي الأمشاج في الرحم؛ لتتكوَّن النطفة التي تحمل الشفرة الوراثيَّة مناصفةً من الزوج والزوجة، وكأنَّ الشفرة الوراثيَّة المشتركة تصبُّ في قالب النطفة بعد مرورها بثلاث مراحل، الأولى في الأصلاب، وهي المرحلة التي تناول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله ثمرة الجَنَّة، والمرحلة الثانية عند اجتماع الأمشاج لتكوين النطفة، وهي مرحلة كانت بعد صيام الزَّوجَين، وفي المرحلة الثالثة تصوير الجنين في الرحم، وهو فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وبناء النطفة كبناء البيت، وأهم ما يجعله متينًا متانة المواد الأوليَّة، وخبرة البنَّاء، فكيف عندما يكون البَّناء هو الخالق العظيم.

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾.

بعضها من بعض بصفاتها وطهارتها، والعلم حين يفسِّر آليَّة انتقال الصفات الوراثيَّة من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة، يقول بأنَّه يحدث نسخ للحمض النوويّ في الخلايا الجنسيَّة للحيوان المنوي والبيضة، لتتكوَّن الأمشاج الذكريَّة والأنثويَّة التي تتَّحد في الأرحام؛ لتعطي النطفة الأمشاج، ثمَّ يحدث نسخ للحمض النوويّ الموجود في النطفة الأمشاج؛ لتتكوَّن منه أعضاء الجنين في الرحم.

أمَّا في القرآن والسنَّة، نجد كلمة أخرى أدق من كلمة النسخ (Copy = Transcript) وهي كلمة التصوير، على اعتبار أنَّ الحمض النوويّ صورة للجسد، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ (آل عمران: ٦)، فخلايا الجنين نسخ من الأب والأم، فنطفة الزَّهراء عليها السلام نسخ من خلايا محمَّد صلى الله عليه وآله، فهي بضعته كما قال صلى الله عليه وآله.

محمَّد صلى الله عليه وآله وخديجة عليها السلام هما الأصل، والحمض النووي للزهراء عليها السلام صورة لهما، ومنها تمَّ تصوير ذريَّتها، فلا يختلف اثنان على انتقال صفات الأبوَين إلى المولود، وترتكز فيه منذ تكوُّنه في صلب أبيه، إلى انتقاله إلى بطن أمِّه.

وعلى ضوء قانون الوراثة، فقد ورثت الزَّهراء عليها السلام صفات سيِّد الثَّقلين الإنس والجان، فقد انحدرت من صلبه.

إنَّها النور التي جاء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكِّسوا رؤوسكم وغضُّوا أبصاركم حتَّى تمرَّ فاطمة بنت محمَّد على الصراط، فتَمرُّ مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمرِّ البرق**»[1].

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦١ و ٣/ ١٥٢، و٣/ ١٥٣، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ٢١٢. ورواه البدخشي في مفتاح النجاء: ١٥٣. وفضائل فاطمة، لأبي عبد الله الحاكم: ٣٨.

الخاتمة

بعد جولة في رياض القرآن الكريم، ونور توراتيّ، وزرع وبزر، تكوَّن مع بدء الخليقة، توصَّل البحث إلى النتائج الآتية:

١. هذا البحث دعوة ملحَّة وصريحة لمتابعة الرموز التي وردت في القرآن الكريم، لاسيما التي حدَّد القرآن الكريم مكان ورودها.

٢. لا يزال النور في التوراة، الذي بشَّر به القرآن الكريم، لم يُطفأ، وقد أتمَّه الله بنزول القرآن وفكِّ شيفرة الرموز المذكورة في التوراة.

٣. الزَّرع في سورة الفتح، هو رمز لخاتم الأنبياء والمرسَلين صلى الله عليه وآله، وشطؤه أصحاب الكساء الذين باهلَ بهم وفد نجران، وكانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام تمثِّل (نساءَنا) في آية المباهلة.

٤. إنَّ نطفة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تكوَّنت من ثمرة الجَنَّة.

٥. هناك أهداف لذِكر الثمرة التي تناولها رسول الله صلى الله عليه وآله قبل تكوين نطفة فاطمة عليها السلام، ذكرنا بعضًا من هذه الأهداف الطبيَّة، وعلاقتها بصحَّة الجنين، وهو ممَّا لم يذكره الأطبَّاء، فجلُّ اهتمامهم بغذاء الحامل.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الإتحاف بحبِّ الأشراف: الشبراويّ، عبد الله بن محمَّد بن عامر الشافعيّ، تحقيق: سامي الغريريّ، ط١ مؤسَّسة الكتاب الإسلاميّ، ٢٠٠٢م.

٢. الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، تعليقات وملاحظات السيِّد محمَّد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان، حسن الشيخ إبراهيم الكتبيّ.

٣. أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار: الأزرقيّ، محمَّد بن عبد الله بن أحمد أبو الوليد، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١، مكتبة الأسديّ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤. إرشاد القلوب، المنجي من عمل به من أليم العقاب: الحسن بن أبي الحسن محمَّد الديلمي (من أعلام القرن الثامن)، تحقيق: هاشم الميلانيّ، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران.

٥. الإسلام والمسيحيَّة، سوسيولوجيا العصور التأسيسيَّة: المخزومي، صادق، دكتوراه في الأديان، دكتوراه في التراث، ط١، لبنان، كندا، ٢٠١٦م.

٦. أصول الكافي، ويليه الروضة: الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب (ت٣٢٨هـ)، ط١، شركة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧. إعـراب الـقـرآن: لأبي جعفر أحمـد بن محمَّد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ط١، دار الضياء إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٨. إعلام الورى بأعلام الهدى: الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

٩. أمالي الصدوق: الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٢٨١هـ)، ط١ بيروت، لبنان، مؤسَّسة الأعلميّ، ٢٠٠٩م.

١٠. بحار الأنـوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، دار إحياء الكتب الإسلاميَّة.

١١. التبيان في تفسير القران: الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ، قدَّم له: الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ، تصحيح: أحمد حبيب العامليّ، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث.

١٢. تسلية المجالس وزينة المجالس الموسوم بـ(مقتل الحسين عليه السلام)، الحائريّ، السيِّد محمَّد بن أبي طالب الحائريّ الكركيّ الموسويّ (من أعلام القرن العاشر)، تحقيق: فـارس حسُّون كريم، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ١٤١٧هـ.

١٣. التفسير الشامل للقرآن الكريم: الدكتور أمير عبد العزيز، أستاذ الفقه المقارن في جامعة النجاح الوطنية في نابلس- فلسطين، عاطف محمَّد محمود الخولي، ٢٠١٣م، رسالة دكتوراه، الأزهر، فرع القاهرة.

١٤. تفسير القاسميّ (محاسن التأويل): محمَّد جمال الدين القاسميّ، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ط١، منشورات عيسى البابيّ الحلبيّ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٥. تفسير القمِّيّ: القمِّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (ت ٣٠٧هـ)، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة الإمام المهدي، ١٤٣٥هـ.

١٦. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الرازي، فخر الدين الرازي الطبرستانيّ (ت ٦٠٤هـ)، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧. التوحيد: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق، أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ) علَّق عليه: المحقِّق السيِّد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ، ط١٠، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين في قم المقدَّسة، إيران، قم، ١٤٣٠هـ.ق.

١٨. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: بوكاي الكاتب الفرنسي موريس، ترجمة مفتي الجمهوريَّة اللبنانيَّة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلاميّ، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٩. جامع الامام الترمذيّ: الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، صورة عن طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٢هـ.

٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمَّد محمود شاكر، مصر، دار المعارف.

٢١. الجامع لأحكام القرآن: القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء الفكر.

٢٢. الخصائص الحسينيَّة خصائص الحسين عليه السلام ومزايا المظلوم: التستريّ، جعفر، بيروت، لبنان، دار الحوراء، (د.ت).

٢٣. الدرُّ المصون: الحلبيّ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين، دار القلم.

٢٤. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: المكّيّ، محبّ الدين أبو العبَّاس أحمد ابن عبد الله بن محمَّد الطبريّ (ت ٦٩٤هـ)، تحقيق: أكرم البوشي ومحمود الأرناؤوط، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسيّ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسينيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: عليّ عبد الباري عطيَّة، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤١٥هـ.

٢٦. السنن الكبرى: البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (ت ٤٥٨هـ)، وفي ذيله الجوهر النقيّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٧. شرح أصول الكافي: المازندرانيّ، محمَّد صالح، تعليقات الميرزا أبي الحسن الشعرانيّ.

٢٨. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الفارابيّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين.

٢٩. صحيح البخاري، عناية محمَّد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٠. صحيح مسلم: مسلم بن حجَّاج، تحقيق: نظر بن محمَّد الفارابيّ أبو قتيبة، ط١، دار طيبة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣١. الطبرانيّ في المعجم الكبير.

٣٢. عارضة الأحوذيّ بشرح صحيح الترمذيّ (ط. المصريَّة): أبو بكر بن العربيّ المالكيّ (ت ٤٣٢هـ)، دار الباز.

٣٣. عرائس البيان في حقائق القرآن: تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، البقليّ، الشيخ روزنبهار الشيرازيّ (ت٦٠٦هـ)، دراسة وتقديم المستشرق آرثر أربري، جبيل، لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٩م.

٣٤. فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، ط١، مؤسَّسة أم أبيها، دار القارئ، بغداد، العراق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ: العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن حجر، دار الريَّان للتراث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣٦. الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفيّ (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري، ط١، دار الأضواء، ١٤١١هـ.

٣٧. فضائل الخمسة من الصِّحاح الستَّة: السيِّد مرتضى الحسينيّ اليزديّ الفيروزآباديّ، منشورات الفيروزآباديّ، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٣٨. فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمَّد عبَّاس، جامعة أمِّ القرى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٩. فضائل فاطمة الزَّهراء: أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله المعروف بابن البَيِّع الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ) تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، دار الفرقان، القاهرة.

٤٠. في نور محمَّد، فاطمة الزَّهراء: عبد الفتاح عبد المقصود، تحقيق: شوقي محمَّد، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، ط٢، الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة، طهران، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤١. كتاب المعراج: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الشقيريّ، تحقيق: أ.د. قاسم السامرَّائيّ، ط١، دار الورَّاق، بيروت، لبنان، ٢٠١٦.

٤٢. الكتاب المقدَّس الـدراسيّ، مقالات وموضوعات ومداخل دراسيَّة مع النصوص الكتابيَّة الكاملة، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.

٤٣. الكتاب المقدَّس، كتب العهد القديم، ط٣، ١٩٩٥، والعهد الجديد، ط٣٠، لبنان، دار الكتاب المقدَّس، الشرق الأوسط، ١٩٩٣م.

٤٤. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ: سليم بن قيس الهلاليّ، من أصحاب وأتباع أمير المؤمنين والإمامَين الحسنَين والإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهم السلام، ط١، النجف الأشرف، العراق، دار المجتبى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٥. الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزميّ (ت ٥٣٨هـ)، ط١ مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٦. لسان العرب: محمَّد بن مكرم بن علىّ، ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

٤٧. مجلة السبط السنة الخامسة، المجلَّد الخامس، العدد الأوَّل، ربيع الثاني ١٤٤٠هـ/ كانون الثاني، ٢٠١٩م، بحث الإمام الحسين عليه السلام بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، الدكتورة زهور كاظم زعيميان.

٤٨. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسيّ، أمين الإسلام أبو عليّ الفضل ابن المحسن (ت ٥٤٨هـ)، ط٢، بيروت، لبنان، دار المرتضى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٩. مجموع رسائل الجاحظ: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثيّ الكنانيّ البصريّ، تحقيق: محمَّد طه الحاجريّ، ط١، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٩٨٣م.

٥٠. مختار الصِّحاح: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة.

٥١. مختصر السيرة النبويَّة للمغطاى، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار المعارف، القاهرة: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٢. المسائل السرويَّة: طبعة المؤتمر العالميّ لألفيَّة الشيخ المفيد، إيران.

٥٣. المستدرك على الصحيحَين: أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٥٤. مسند الإمام أحمد: ابن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار إحياء التراث العربيّ.

٥٥. معالم التنزيل: البغويّ، محي السنَّة أبي محمَّد الحسين بن سعود (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الله القمر، وعثمان جمعة سليمان مسلم، دار طيبة.

٥٦. معاني الأخبار: أبو جعفر الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: السيِّد محمَّد كاظم الموسويّ، إشراف: شعبة التحقيق، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدسة، ط١، العراق، كربلاء، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٥٧. معجم العين: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٨. معجم الكافي:

59. https://play.google.com/store/apps/details?id=com.qamus_arabi.dictionary_arabic&hl=ar.

٦٠. المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط٢.

٦١. معجم المجالات والمترادفات القرآنيَّة، أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، ٢٠١٥م.

٦٢. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربيَّة، مكتبة الشروق الدوليَّة، ٢٠٠٤.

٦٣. المفردات في غريب القرآن: الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، لبنان، مؤسَّسة الأعلميّ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٤. المقتل، للخوارزميّ: الخوارزميّ، أبو المؤيّد الموفَّق بن أحمد المكِّيّ (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد السماويّ، دار أنوار الهدى.

٦٥. مناقب آل أبي طالب: أبي جعفر بن شهر آشوب المازندرانيّ، تحقيق وفهرسة: يوسف البقاعيّ، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٦٦. مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها سيِّدة نساء العالمين: أحمد بن محمَّد النصيح بن إدريس، تحقيق: طارق أحمد عثمان، ط١، سلسلة كرَّاسات ١٤، هيئة الأعمال الفكريَّة، المكتبة الوطنيَّة، السودان، ٢٠٠٦م.

٦٧. الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائيّ، السيِّد محمَّد حسين، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٨. نور المعجزات للطبريّ: مؤسَّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم.

٦٩. الهداية إلى بلوغ النهاية: القيسيّ، مكِّي بن أبي طالب القيسيّ، أبو محمَّد، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط١، ٢٠٠٧م.

٧٠. ينابيع المودَّة، مناقب الإمام عليّ وأهل البيت عليهم السلام: القندوزيّ، للشيخ إبراهيم الحسينيّ البلخيّ الحنفيّ، بيروت، لبنان، مؤسَّسة الأعلميّ.

فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها الرِّساليّ في الدفاع عن الإمامة

الباحث منيف فيَّاض عبد

مُلخَّص البحث

أصل فكرة البحث تقع في قسمَين، الأوَّل: تَبيين التشريع القرآنيّ والنبويّ للإمامة الإلهيَّة التي خَصَّ الله تعالى بها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وليَّه عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه؛ إذ تعدُّ إمامته كَمال الدين وتمام نِعمة الإسلام، الثاني: بيان الدور الرساليّ لسيِّدة نساء العالمين في الدفاع عن الإمامة قَولًا وفِعلًا.

وحيث إنَّ شَخص أمير المؤمنين عليه السلام كان يُمثِّل الإمامة في عصره؛ فكلُّ من كان مُدافعًا عنه ومُناصرًا له؛ فهو في الحقيقة مُدافعًا عن حقِّ الإمامة؛ لذا كانت السيِّدة الزَّهراء صلوات الله عليها أوَّل المُبادرين للدفاع عن هذا الحقِّ الشرعيّ والمنصب الإلهيّ في مواطن عِدَّة؛ فهي لم تصمت في قِبال الانقلاب الخطير الذي حَدث بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله من قِبل ناكثي بيعة الغدير، بل صَدحت بالحقِّ قَولًا وفعلًا في الدفاع عن إمام زمانها ونُصرته؛ حتَّى بَذلت مُهجتها ثَمنًا للحفاظ على هذا الميثاق الإلهيِّ المُقدَّس.

ونحن هنا نستعرض إليك أخي القارئ الكريم في هذا البحث على نحو الإيجاز أبرز المواطن التي وقفت فيها الزَّهراء صلوات الله عليها مُدافعةً عن الإمامة؛ ولذا جاء بحثنا بعنوان (فاطمة الزهراء عليها السلام ودورها الرساليّ في الدفاع عن الإمامة)، وقد قسَّمنا البحث إلى مَبحثَين وخاتمة:

المبحث الأوَّل: الإمامة منصب إلهيّ وتكليف شرعيّ، في مطلبَين.

المبحث الثاني: مواطن نُصرة الزَّهراء ودفاعها عن الإمامة، في مطلبَين.

الخاتمة: في النتائج التي توصَّل إليها الباحث.

المقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمَّد، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم على مُنكري فضائلهم، وجاحدي آياتهم، وغاصِبي حَقِّهم إلى قِيام يوم الدين، وبعد:

قال الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

تُحدِّثنا الآية الكريمة من سورة آل عمران عن حالة الانقلاب الثاني في مرحلة التأويل[2] بعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله سنة (١١هـ)؛ حيث حَدث الانقلاب على الحكومة الشرعيَّة لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ كما أخبر به باقر العلوم (صلوات الله عليه)[3]، فصيَّر الله

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) أمَّا الانقلاب الأوَّل، فكان في مَرحلة نزول الآية في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أُحد سنة (٣هـ)؛ حيث أشاع المنافقون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُتِل؛ كما هو في حديث أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام، وفيه: «**وأمَّا قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لـمَّا خَرج يوم أُحد وعهد العاهد به على تِلك الحال؛ فجعل الرجل يقول لَمن لقِيَه: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُتل! النجاء [النجاء]، فلمَّا رجعوا إلى المدينة أَنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، يقول: إلى الكُفر..**». (تفسير القمِّيّ: ١/ ١١٩، البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٦٩٨).

(٣) روى الكلينيّ بسنده عن حنَّان، عن أبيه، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**كان الناس أهل ردَّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلَّا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المِقداد بن الأسود، وأبو ذر الغِفاريّ، وسلمان الفارسيّ- رحمة الله وبركاته عليهم- ثمَّ عَرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين=**

تعالى هذه الظلامة الكبيرة محِنةً لأهل البيت عليهم السلام، وامتحانًا واختبارًا لهذه للأُمَّة؛ ليَرى من يُنصره مُجاهدًا في سبيل إقامة دينه الذي ارتضاه لعباده؛ بإعادة الحقِّ لأهله، مِمَّن يخذله ناكثًا مُنقلبًا على عَقبيه.

هذا، وإنَّ من يَتصفَّح كُتب السيرة والتاريخ، يَجد أنَّ أوَّل المُدافعين عن حقِّ الإمامة هي فاطمة بنت محمَّد (صلى الله عليهما وآلهما)؛ حيث كانت سيرتها حافلة بصور الجهاد والبطولة، الكاشفة عن دورها الرساليّ في مرحلةٍ حَرجة مَرَّ بها الإسلام في بدايات تأسيسه الأولى.

فكانت (صلوات الله عليها) مُمتحنةً صابرةً على ما نزل بهم، وهي مع ذلك لم تَدَّخر جُهدًا في سبيل نُصرة إمام زمانها؛ بل كانت صَادحةً بالحقّ قَولًا وفعلًا، مُذَكِّرةً الأُمَّة بلزوم طاعتهم، والتمسُّك بإمامتهم؛ لكونهما نِظامًا للمِلَّة، وأمانًا من الفرقة[1]، باذلةً (صلوات الله عليها) مُهجتها ثمنًا في الذبِّ والذود عن الإمام، وحِفظ ميثاقه الإلهيّ المُقدَّس.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى بيان أمرَين أساسيَّين:

=**دارت عليهم الرحا وأبوا أن يُبايعوا، حتَّى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مُكرهًا فبايع؛ وذلك قول الله تعالى:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾». (الكافي: ٨/ ٢٤٥-٢٤٦، ح٣٤١).

وفي آخر عن أبي عمرو الكشِّيّ بسنده عن الحارث النصريّ بن المغيرة قال: «سمعت عبد الملك ابن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام قال: فلم يزل يسأله حتَّى قال له: فهلك الناس إذًا؟ قال: **أيّ والله، يا ابن أعين، هَلك الناس أجمعون.** قُلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: **إنَّها فُتحت على الضلال، أيّ والله، هَلكوا إلَّا ثلاثة، ثمَّ لَحق أبو ساسان، وعمَّار، وشتيرة، وأبو عمرة، فصاروا سبعة**». (رجال الكشِّيّ: ١/ ٣٤).

(١) ينظر: الاحتجاج: ١/ ١٣٤.

الأوَّل: التأصيل والتشريع القرآنيّ والنبويّ للإمامة الإلهيَّة التي خَصَّ الله تعالى بها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وليَّه عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه)؛ إذ تُعدُّ إمامته كَمال الدين وتمام نِعمة الإسلام.

الثاني: بيان الدور الرساليِّ لسيِّدة نساء العالمين في الدفاع عن الإمامة قَولًا وفِعلًا، مُتناولين شيئًا يسيرًا من سيرتها الجهاديَّة.

وهذه الأهداف سيُبيِّنها الباحث؛ عن طريق الإجابة على التساؤلات المطروحة حول الموضوع.

التساؤلات المطروحة:

وهنا قد تُطرح بعض التساؤلات حول دور القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة وسيرة المعصومين عليهم السلام القوليَّة والفعليَّة تجاه الإمامة، وهي كالآتي:

١. ما هو دور القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة في تأصيل الإمامة وتشريعها؟.

٢. كيف تصدَّت السيِّدة الزَّهراء (صلوات الله عليها) للدفاع عن الإمامة؟.

وسيُجيب الباحث عن هذه التساؤلات وفق منهج البحث التأريخيّ القائم على استرداد الماضي تبعًا لما تركه مِن آثار، ومنها: الآثار الكتابيَّة التي تكون وصفًا لحادثٍ تأريخيّ، أو رواية عيانيَّة لهذا الحادث، أو جمع للروايات والآثار المُختصَّه بعصرٍ معيَّن؛ كي يستردّ حالة ذاك العصر كما كانت[1].

منهجيَّة البحث

انتهج الباحث المنهج التأريخيّ في الجواب على التساؤلات المطروحة، مُعتمدًا الأدلَّة النقليّة من: القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والأخبار التأريخيَّة أساسًا له في تحقيق الأهداف المذكورة أعلاه، وهذا ما سيُبيِّنه الباحث في مباحثه الآتية.

---

(١) ينظر: مناهج البحث العلميّ: ١٦، ١٩، ١٨٦.

عنوان البحث وهيكليَّته

وبما أنَّ مدار البحث حول جهود السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن الإمامة؛ جاء عنوان بحثنا مَوسومًا بـ(فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها الرساليّ في الدفاع عن الإمامة)، وقد قسَّمناه إلى مَبحثَين، وخاتمة:

المبحث الأوَّل: الإمامة منصب إلهيّ وتكليف شرعيّ، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: التأصيل التشريعيّ القرآنيّ للإمامة في النصوص القرآنيَّة.

المطلب الثاني: التأصيل التشريعيّ النبويّ للإمامة في الأحاديث الشريفة.

المبحث الثاني: مواطن نُصرة السيِّدة الزَّهراء ودفاعها عن الإمامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: مواطن الدفاع والنصرة في كلماتها (صلوات الله عليها).

المطلب الثاني: مواطن الدفاع والنصرة الميدانيّة في مُؤازرتها لأمير المؤمنين عليه السلام.

الخاتمة: في النتائج التي توصل إليها الباحث.

ونُشير هنا إلى إنَّ هذا البحث ليس على نحو الكمال؛ إذ الكمال لله سبحانه وحده، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطاهرين، والحَمدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الأوَّل

الإمامة منصب إلهيّ وتكليف شرعيّ

إنَّ الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، وهي خِلافة الله عزَّ وجلَّ، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام، ومِيراث الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، قد جَعلها الله تعالى زمام الدين، ونِظام المُسلمين، وصلاح الدنيا، وعِز المؤمنين[1].

وجاءت النصوص من القرآن والسنَّة بإثبات خصوصيَّتها بالمعصومين من آل الرسول (صلوات الله عليهم) دون غيرهم؛ وهذا ما سيُبَيِّنه الباحث في مطلَبَين:

المطلب الأوَّل: التأصيل التشريعيّ القرآنيّ للإمامة في النصوص القرآنيَّة

تُحدِّثنا النصوص القرآنيَّة عن المراحل التأصيليَّة، والتشريعيَّة لهذا المنصب الإلهيّ والتكليف الشرعيّ؛ الذي خَصَّ الله تعالى به صَفوَةً من خلقه، قد اختارهم على عِلم عنده؛ بأنَّ لهم القُدرة والاستطاعة على تَحمُّل العبء الكبيرة لهذا المنصب العظيم؛ في زمان كانت العصبيَّة القوميَّة والعرقيَّة في أَوجها؛ فكان لا بدَّ لصاحب هذا المَنصب التشريعيّ الإلهيّ أن يتمتَّع بصفات كماليَّة ربَّانيَّة تجعله أُسوةً لغيره في السيرة العلميَّة والعمليَّة، وأن يكون ذا قوَّة وعزيمة عالية تُمكِّنه من السير قُدمًا؛ في تحقيق حُكومة العدل الإلهيّ على صراط مستقيم؛ وقد ضَرب الله تعالى في ذلك مثلًا في الآية (٧٦)

(١) ينظر: الأمالي للشيخ الصدوق: ٧٧٦.

من سورة النحل؛ بقوله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، وجاء تفسيرها بأنَّ من يأمر بالعَدل؛ هو أمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام[2].

وفي هذا المطلب نستعرض بعض ما انتخبناه من النصوص القرآنيَّة التي نصَّت على تأصيل منصب الإمامة وتشريعها، ووجوب إقامتها بعد التبليغ:

النصُّ الأوَّل: في قوله تعالى لنبيِّه إبراهيم الخليل عليه السلام، بعد أن امتحنه الله تعالى بكلمات فأتمَّهنَّ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]؛ فالنصُّ القرآنيّ يُحدِّثنا في مرحلة التأصيل عن تعظيم الله تعالى لشأن نبيِّه إبراهيم الخليل؛ بأنْ جَعله بعد أن كان نبيًّا؛ إمامًا على الناس، ثمَّ سؤال إبراهيم عليه السلام أن تكون الإمامة في ذُريَّته، فجاء الجواب بأنَّها، أيّ: الإمامة، وهي عهد الله، لا ينالها إلَّا من عصمه الله وطهَّره عن كلِّ ذنب، أو ظُلم، كشِرك عبادة الأصنام، أو الأوثان، فتمَّت كلمة الله تعالى صِدقًا وعَدلًا بأنَّ الإمامة كائِنة في الصفوة من ذُريَّة إبراهيم عليه السلام حصرًا لا في غيرهم؛ وهذا ما فسَّرته أحاديث أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم)؛ وإليك بعض ما جاء فيها:

١. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كان إبراهيم عليه السلام نبيًّا، وليس بإمام، حتَّى قال الله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، فقال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، من عبد صنمًا أو وثنًا لا يكون إمامًا**»[4].

(١) سورة النحل: ٧٦.
(٢) ينظر: تفسير القمِّيّ: ١/ ٣٧٨، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٧٤، تفسير البرهان: ٣/ ٤٤٠.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٢٤.
(٤) الكافي: ١/ ١٧٥، طبقات الأنبياء والرسل والأئمَّة: ح١.

٢. وعنه عليه السلام في حديثٍ له، قال: «**كان إبراهيم دهرًا يَنزل عليه الأمر من الله، وما كان مُفترض الطاعة، حتَّى بدا لله أن يُكرِّمه ويُعظِّمه؛ فقال:** ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، **فعَرَف إبراهيم ما فيها من الفَضل؛ قال:** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، **فقال**(١): ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال أبو عبد الله: أي: **إنَّما هي في ذُرِّيتك، لا يكون في غيرهم**»(٢).

٣. وعن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في حديث له مُبيِّنًا مدلول الآية، قال عليه السلام: «**إنَّ الإمامةَ خَصَّ الله** عزوجل **بها إبراهيم الخليل** عليه السلام **بعد النبوَّة، والخلَّة مَرتبة ثالثة، وفضيلة شَرَّفه الله بها، فأشاد بها ذِكره، فقال** عزوجل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، **فقال الخليل** عليه السلام **سرورًا بها:** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، **قال الله تبارك وتعالى:** ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾؛ **فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوَة، ثمّ أكرمه الله بأن جَعلها في ذريّته أهل الصفوَة والطهارة؛ فقال** عزوجل: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾(٣).

فلم تَزل في ذُريَّته يَرثها بعض عن بعض قَرنًا فقَرنًا، حتَّى ورثها النبيّ صلى الله عليه وآله، **فقال** عزوجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، **فكانت له خاصةً، فقلَّدها النبيّ** صلى الله عليه وآله **عليًّا** عليه السلام؛ **بأمر الله** عزوجل، **على رَسم ما فَرض الله، فصارت في ذُريَّته الأصفياء الذين آتاهم الله العِلم والإيمان؛ بقوله** عزوجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى

(١) أي: الله تبارك وتعالى.
(٢) بصائر الدرجات: ٥٣٠، النوادر في الأئمَّة عليهم السلام، ح١٢.
(٣) سورة الأنبياء: ٧٢-٧٣.
(٤) سورة آل عمران: ٦٨.

يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[1]، فهي في وُلد عليٍّ عليه السلام خاصَّةً إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبيّ بعد محمَّد صلى الله عليه وآله..»[2].

النصُّ الثاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[3]؛ تُحدِّثنا الآية الكريمة في مرحلة التنزيل عن وَلاية الله تعالى، ووَلاية رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، ووَلاية المُؤمنين المُوصوفين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم راكعون، وهذا الوصف منه تعالى، هو تخصيص واختيار لصَفوة من المُؤمنين المُصطفين؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ وَلاية الله هي وَلاية خاصَّة، لا تكون لكلِّ أحد؛ إلَّا مَن ارتضاه الله تعالى لهذا التكليف الشرعيّ والحقِّ الإلهيّ.

وجاءت النصوص عن أهل بيت العصمة تُحدِّثنا عن ماهيَّة هذه الوَلاية، وعن تسمية هؤلاء الموصوفين الذين نزلت فيهم الآية، وإليك بعض ما جاء فيها:

١. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى هذه الآية، قال: «**إنَّما يعني: أولى بِكم، أي: أحقُّ بكم وبأموركم وأنفُسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا، يعني: عليًّا وأولاده الأئمَّة عليهم السلام إلى يوم القيامة.**

ثمَّ وَصفهم الله عزَّ وجلَّ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾، وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر وقد صلَّى ركعَتَين وهو راكع، وعليه حُلَّة قيمتها ألف دينار، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله كساه إيَّاها، وكان النجاشيّ أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليك يا وليَّ الله، وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدَّق على مسكين، فطرح الحُلَّة إليه، وأومأ بيده إليه أن احملها؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه هذه الآية، وصَيَّر نعمة أولاده بنعمته، فكُلُّ من بَلغ من أولاده مَبلغ الإمامة، يكون

(١) سورة الروم، من الآية: ٥٦.
(٢) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٧٧٤-٧٧٥.
(٣) سورة المائدة: ٥٥.

بهذه النعمة مثله، فيتصدَّقون وهم راكعون..»[1].

٢. وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية: «**أنَّ رهطًا من اليهود أسلموا، فقالوا: مَن وصيُّك يا رسول الله، ومن وليُّنا من بعدك؟ فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا، فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل، أما أعطاك أحد شيئًا؟ فقال: بلى هذا الخاتم، فقال: مَن أعطاك؟ فقال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يُصلِّي، قال: على أيِّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعًا، فكبَّر النبيّ صلى الله عليه وآله، وكبَّر أهل المسجد، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: عليّ بن أبي طالب وليُّكم بعدي..**»[2].

٣. وعنه عليه السلام قال: «**أمرَ الله عزَّ وجلَّ رسوله بوَلاية عليّ، وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وفرض وَلاية أُولي الأمر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمَّدًا صلى الله عليه وآله أن يُفسِّر لهم الوَلاية، كما فَسَّر لهم: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ.. [إلى أن قال عليه السلام:] وكانت الفريضة تَنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الوَلاية آخر الفرائض..**»[3].

النصُّ الثالث: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[4]؛ فتُحدِّثنا الآية في مرحلة التبليغ عن أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يُبلِّغ ما أُنزل إليه، وتَواعده تعالى إنْ هو لم يُبلِّغ ما أمره، فما بلَّغ رسالته التي بُعث بها إلى العالمين، وهذا الخطاب

---

(١) الكافي: ١/ ٢٨٨-٢٨٩، ما نصَّ الله عزَّ وجلَّ ورسوله على الأئمَّة: ح٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٩/ ٤٧٩، جواز الصدقة في حال ركوع الصلاة: ح٤.
ويعلِّق الحرُّ العامليّ رحمه الله على الحديثَين الأوَّل والثاني، في كيفية التصدُّق: «أقول: لا يبعد أن يكون أعطى الحُلَّة والخاتم معًا واحدًا، أو سائِلَين في صلاةٍ واحدةٍ، أو صلَاتَين».

(٣) الكافي: ١/ ٢٨٩، ما نصَّ الله عزَّ وجلَّ ورسوله على الأئمَّة: ح٤.

(٤) سورة المائدة: ٦٧.

في الآية الشريفة على نحو الوجه القرآنيّ الذي نزل به القرآن: «بإيّاك أعني واسمعي يا جارة»، أي: أن تكون المُخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله، والمَعنى للناس[1]؛ وهذا الخطاب يكشف عن أهميَّة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّ أمر الرسالة وتبليغها مَرهون بتبليغ أمر الولاية، فتأمَّل.

وقد بيَّنت كتب التفاسير عند الخاصَّة والعامَّة أنَّ الأمر بالتبليغ هو في وَلاية عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه؛ وإليك أنموذجين ممَّا جاء في تفسير هذه الآية المباركة:

١. ما رواه جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ) في تفسيره، قال: «وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتِم وأَبو الشيخ عن مُجاهد قال: لـمَّا نزلت ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، قَالَ [أيّ: النبيّ صلى الله عليه وآله]: يا ربِّ، إِنَّمَا أَنا وَاحِد كَيفَ أصنع ليجتمع عليَّ النَّاس؟ فَنزلت: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

[قال:] وَأخرج ابن أبي حاتم وابن مردَوَيه وابن عساكر عن أبي سعيد الخُدريّ قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ على رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم يوم غدير خُم في عليّ بن أبي طالب.

[قال:] وأخرج ابن مردَوَيه عن ابن مَسعود قال: كُنَّا نَقْرَأ على عهد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أَنَّ عليًّا مَولى الْمُؤمِنِينَ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾»[2]، ومثله الشوكانيّ (ت١٢٥٠هـ) في تفسيره[3].

(١) ينظر: تفسير القمِّيّ: ٢/ ١٧، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٨.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣/ ١١٧.
(٣) ينظر: فتح القدير: ٢/ ٦٩.

٢. ما رواه محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ (ت٣٢٠هـ) في تفسيره بسنده عن ابن عبَّاس، وجابر بن عبد الله قالا: «أمر الله تعالى نبيَّه محمَّدًا صلى الله عليه وآله أن ينصِّب عليًّا عليه السلام عَلَمًا للنَّاس ليُخبرهم بولايته، فتخوَّف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقولوا: حابى[1] ابن عمِّه، وأن يطعنوا[2] في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خُمّ»[3].

المطلب الثاني: التأصيل التشريعيّ النبويّ للإمامة في الأحاديث الشريفة

تُخبرنا الأحاديث من السنَّة الشريفة، وأقوال المعصومين (صلوات الله عليهم)؛ عن الجهد الكبير الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وآله في التأصيل والتأسيس والتشريع لإمامة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن الله تعالى؛ باعتبارها النظام للمسلمين، في أمور الدنيا والدين، فلم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله موطنًا من المواطن، أو مناسبةً خاصَّة أو عامَّة؛ وإلَّا ودعا فيها إلى ولاية وصيِّه، وبيان فضله؛ سائرًا في ذلك على خُطى القرآن الكريم في مرحلة التأصيل والتشريع لإمامة عليّ بن أبي طالب وولايته (صلوات الله عليه).

ونستعرض في مطلبنا هذا على نحو الإيجاز بعض المواطن التي قام فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بالتأسيس والتشريع لمنصب الإمامة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه):

١. يوم دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله لعشيرته الأقربين في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[4]؛ حيث قام النبيّ في بداية دعوته بإنذار عشيرته من بني عبد المطلب، داعيًا إيَّاهم لـمُساندته في تبليغ رسالته إلى العالمين؛ ففي الحديث الذي

(١) في المصدر: (حامى)، وما أثبتناه من تفسير البرهان: ٢/ ٣٣٧.
(٢) في المصدر: (تطغوا)، وما أثبتناه من تفسير البرهان.
(٣) تفسير العيَّاشيّ: ١/ ٣٣٢.
(٤) سورة الشعراء: ٢١٤.

رواه الصدوق بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لـمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ورهطك المخلصين، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بنى عبد المطّلب، وهم إذ ذاك أربعون رجلًا، يزيدون رجلًا أو ينقصون رجلًا، فقال: أيُّكم يكون أخي ووصيّي ووارثي ووزيري وخَليفتي فيكم بعدي؟ فعَرض عليهم ذلك رجلًا رجلًا كلُّهم يأبى ذلك، حتَّى أتى عَلَيّ، فقُلت: أنا يا رسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب، هذا أخي، ووارثي، ووَصيّي، ووَزيري، وخليفتي فيكم بعدي..**»[1].

٢. يوم غزوة تبوك سنة (٩هـ)، فيما رواه أحمد بن حنبل بسنده إلى ابن عبَّاس قال: «خَرج [أي: النبيّ] بالنَّاس في غَزوَة تَبوك، قَالَ: فقال له عليّ: **أَخرُج مَعك؟ قال: فقال له نبيّ الله: لا، فَبَكَى عليّ، فقال له: أما ترضى أن تكون مِنِّي بِمنزلة هارون من موسى، إِلَّا أنّك لست بنَبيّ، إِنَّه لا يَنبغي أن أذهب إِلَّا وأنت خَليفتي**»[2].

٣. يوم غدير خُمّ في حُجَّة الـوداع سنة (١٠هـ)؛ فيما رواه أبان بن أبي عيَّاش عن سليم بن قيس الهلاليّ، قال: سمعت أبا سعيد الخدريّ يقول: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس بغدير خُمّ، فأمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقُمَّ، وكان ذلك يوم الخميس[3]، ثمَّ دعا الناس إليه وأخذ بضبع[4] عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها حتَّى نَظَرت إلى بياض إبط رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **من كُنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللَّهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.**

(١) علل الشرائع: ١/ ١٧٠، العلَّة التي من أجلها ورث عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله: ح٢.
(٢) ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ١٨٠، ح٣٠٦١.
(٣) وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام أنَّه كان يوم الجمعة.
(٤) الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد.

قال أبو سعيد: فلم ينزل عن المنبر حتَّى نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، وبولاية عليّ من بعدي**. فقال حسَّان بن ثابت: يا رسول الله، ائذن لي لأقول في عليّ عليه السلام أبياتًا، فقال صلى الله عليه وآله: **قُل على بَركة الله**. فقال حسَّان: يا مشيخة قريش، اسمعوا قولي بشهادة من رسول الله، ثمَّ أنشأ يقول:

ألم تعلموا أن النبيّ محمّدًا
لدى دوح خُمّ حين قام مُناديا
وقد جاء جبريل من عند ربّه
بأنّك معصوم فلا تك وانِيا
وبَلّغهم ما أنزل الله ربّهم
وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغيا
عليك فما بلّغتهم عن إلهم
رسالته إن كنت تخشى الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه
بيمنى يديه مُعلن الصوت عاليا
فقال لهم: من كُنت مولاه منكم
وكان لقولي حافظًا ليس ناسيا
فمولاه من بعدي عليّ وإنّني
به لكم دون البريّة راضيا
فيا ربّ من والى عليًّا فوَالِه
وكُن للذي عادى عليًّا مُعاديا

(١) سورة المائدة: ٣.

ويــا ربّ فـانـصر نـاصريـه لـنَصرهـم
إمــام الهــدى كـالـبـدر يجـلـو الـدياجـيا
ويــا ربّ فـاخـذل خـاذلـيـه وكُــن لهم
إذا وقـفـوا يــوم الحـسـاب مُـكـافـيـا[1]

وفي آخر عن صفوان الجمَّال، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث بيعة الغدير قال: «**ثمَّ أمَر[2] الناس ببيعته، وبايعه الناس، لا يجيء أحد إلَّا بايعه ولا يتكلَّم، حتَّى جاء أبو بكر، فقال: يا أبا بكر بايع عليًّا بالولاية، فقال: من الله، أو من رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله، ثمَّ جاء عمر فقال: بايع عليًّا بالولاية[3]، فقال: من الله، أو من رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله.. ثمَّ** قال أبو عبد الله عليه السلام: **لقد حَضر الغدير اثنا عشر ألف رجل يشهدون لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فما قَدَر على أخذ حقِّه، وإنَّ أحدكم يكون له المال، وله شاهِدان، فيأخذه حقَّه!..**»[4].

(١) أصل سليم بن قيس الهلاليّ: ٣٥٥-٣٥٦.
(٢) أي النبيّ صلى الله عليه وآله.
(٣) في المصدر زيادة: (به)، وما أثبتناه من تفسير البرهان: ٢/ ٣٢٨.
(٤) تفسير العيَّاشيّ: ١/ ٣٢٩.

المبحث الثاني

مواطن نُصرة الزَّهراء ودفاعها عن الإمامة

وعن طريق ما مرَّ من مُعطيات في المبحث الأوَّل في مسألة تأصيل وتشريع الإمامة في القرآن الكريم وأحاديث النبيّ والأئمَّة (صلوات الله عليهم)؛ سنُبرهن في هذا المبحث على عِظَم الدور الرساليّ الذي قامت به الزَّهراء (صلوات الله عليها) في دفاعها عن هذا الحقِّ الإلهيّ والمنصب الشرعيّ؛ حيث يعتبر دورها دورًا مُكمِّلًا لدور النبيّ صلى الله عليه وآله في مرحلة التأسيس والتشريع؛ وذلك عن طريق مُناداتها بحفظ حقِّ الإمامة لصاحبها الشرعيّ، وتصدِّيها للانقلاب الخطير عليه بعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله.

فأقوالها وأفعالها صلوات الله عليها حُجَّة على الأمَّة؛ كونها تُمثِّل بقيَّة النبوَّة؛ كما وصفها بذلك أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وأيضًا هي أحد الأركان الساندة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ كما سمَّاها بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله[2]؛ حيث إنَّ مُلازمتها لأمير المؤمنين كانت تُعدُّ مَصدر قُوَّة وتأييد له في محنته

(١) ينظر: الأمالي للطوسيّ: ٦٨٤، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٥١، وهو قوله عليه السلام مُصبِّرًا عليها: «..**نهنهي عن وجدك، يا بنت الصفوة، وبقيَّة النبوَّة**..». مشارق أنوار اليقين للبرسيّ: ١٢٧، وفيه: «.. **يا بقيَّة النبوَّة، وشمس الرسالة، ومعدن العصمة والحكمة**..».

(٢) ينظر: الأمالي للصدوق: ١٩٨، ولفظ الحديث: عن الإمام جعفر بن محمَّد، عن أبيه عليهما السلام، قال: قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: سلام الله عليك أبا الريحانتَين، أُوصيك بريحانتي من الدنيا؛ فعن قليل ينهدّ رُكناك، والله خليفتي عليك.

فلمَّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليّ عليه السلام: **هذا أحد رُكنيّ الذي قال لي رسول الله** صلى الله عليه وآله، فلمَّا ماتت=

إلى أن استُشهدت (صلوات الله عليها)؛ ويُؤيِّد هذا المعنى ما ذكره البخاريّ ومسلم في صحيحيهما، حيث قالا: وكان لعليّ من الناس وُجهةً في حياة فاطمة، فلمّا تُوُفِّيت استنكر عَليٌّ وُجوه الناس![1].

فكانت (صلوات الله عليها) شبيهه بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله في صفاته؛ ما تَخرم مشيتها مشيته، ولا كلماتها كلماته، ولا أفعالها أفعاله، وهي أصدق من تكلَّم بعد النبيّ والوصيّ، تَنطق عن لسان أبيها مُنذرةً، وواعظةً، ومُذكّرةً لهذه الأُمَّة بواقعها الذي كانت عليه في الماضي، وما آل إليه حالهم في الحاضر، وما سيُؤول إليه في المستقبل، فكانت صلوات الله عليها بحقٍّ بضعة الرسول وروحه التي بين جنبيه[2]، صادعةً بأمر الله، صادحةً بحقِّ رسول الله وحقِّ أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين).

ونورد في هذا المبحث أبرز المواطن التي قامت فيها سيِّدة النساء مُناصرةً ومُدافعةً عن حقِّ الإمامة؛ وذلك في مَطلبين:

المطلب الأوَّل: مواطن الدفاع والنصرة في كلماتها صلوات الله عليها

دوَّنت لنا كُتب الحديث والسيرة الكثير من كلماتها البليغة العصماء، الناطقة بأحقيَّة أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة والخِلافة دون غيره من هذه الأُمَّة، وإليك بعض ما انتخبناه منها:

١. ما رواه الخزَّاز القمِّيّ (ت٤٠٠هـ) بسنده عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد قال: لـمَّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلمَّا كان في بعض الأيَّام، أتيت قبر حمزة رضي الله عنه، فوجدتها صلوات الله عليها

=فاطمة عليها السلام قال عليّ عليه السلام: **هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله**».

(١) ينظر: صحيح البخاريّ: ٥/ ١٣٩، غزوة خيبر، ح٤٢٤٠، صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٠، قول النبيّ صلى الله عليه وآله «لا نورِّث ما تركنا فهو صدقة»، ح٥١.

(٢) ينظر: الاعتقادات للصدوق: ١٠٥، وفيه حديث النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة بضعة منِّي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، يسوؤُني ما ساءها، ويسرُّني ما سَرَّها**».

تبكي هناك، فأمهلتها حتَّى سكتت، فأتيتها وسَلَّمت عليها.. [إلى أن قال:] قُلت: يا سيِّدتي، إنِّي سائلك عن مسألة تلجلج في صدري، قالت: سَلْ، قُلت: هل نصَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَبل وفاته على عليّ بالإمامة؟ قالت : واعجباه، أنسيتم يوم غدير خمّ؟!

قُلت: قد كان ذلك، ولكن أخبريني بما أسرَّ إليك، قالت: **أُشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: «عليّ خَير من أُخلِّفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسِبطيَّ وتِسعة من صُلب الحسين أئمَّة أبرار، لئن اتَّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديِّين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة»**.

قُلت: يا سيِّدتي، فما باله قعد عن حقِّه؟ قالت: **يا أبا عمر، لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ الإمام مَثَل الكعبة؛ إذ تُؤتى ولا تأتي[1]»**، أو قالت: **مَثَلُ عليّ**، ثمَّ قالت: **أما والله لو تركوا الحقَّ على أهله واتَّبعوا عِترة نبيِّه؛ لما اختلف في الله تعالى اثنان، ولورثها سَلف عن سَلف، وخَلف بعد خَلف، حتَّى يقوم قائمنا التاسع من وُلد الحسين.**

ولكن قَدَّموا من أخَّره الله[2]، وأخَّروا من قَدَّمه الله، حتَّى إذا أُلحد المبعوث وأودعوه الجَدث[3] المجدُوث[4]، اختاروا بشهوتهم، وعَملوا بآرائهم، تبًّا لهم، أو لم يسمعوا الله يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[5]، بل سمعوا ولكنَّهم كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[6]،

(١) في المصدر: (ولا يأتي)، وما أثبتناه من نسخ بدل وردت في هامش المصدر، ومن (غاية المرام وحجَّة الخصام: ١/ ٣٢٦). (ينظر: كفاية الأثر: ١٩٩ هامش٣).

(٢) لفظ الجلالة أثبتناه من نُسخ بدل وردت في هامش المصدر، ومن (بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٥٣).

(٣) الجدث: القبر. (مجمع البحرين: ٥/ ٣٢).

(٤) في المصدر: (الحدث المحدوث)، وما أثبتناه من (بحار الأنوار).

(٥) سورة القصص، من الآية: ٦٨.

(٦) سورة الحجّ، من الآية: ٤٦.

هيهات، بسطوا في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم، ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]..»[2].

٢. ما ذكره ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ) بسنده في تظلُّم الزَّهراء عليها السلام قال: «دخلت أُمُّ سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله ؟ قالت: **أصبحت بين كمدٍ وكربٍ؛ فَقدُ النبيّ صلى الله عليه وآله، وظُلمُ الوصي، هتك والله حجابه، مَن أصبحت[3] إمامته مُقتصَّة على غير ما شَـرَّع الله في التنزيل، وسَنَّها النبيّ في التأويل، ولكنَّها أحقاد بدريَّة، وترات أُحديَّة كانت عليها قلوب النفاق مُكتمنة لإمكان الوشاة، فلمَّا استهدف الأمر، أرسلت علينا شآبيب الآثار من مُخيَّلة الشقاق، فيقطع وَتر الإيمان من قِسيِّ صدورها، ولبئس[4] على ما وعد الله من حِفظ الرسالة، وكفالة المؤمنين، أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممَّن فتك بآبائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات»[5].**

٣. ما رواه محمّد الجزريّ الشافعيّ (ت٨٣٣هـ) بسنده عن أُمِّ كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عن أُمِّها فاطمة عليها السلام في مُحاجَّتها في فضائل أمير المؤمنين، قالت: «**أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم يوم غدير خُمّ: (من كُنت مولاه فعليّ مولاه)، وقوله: (أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى)..**»[6].

٤. ما رواه الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) بسنده عن عبد الله بن الحسن، عن أُمِّه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، قال: لـمَّا اشتدَّت علَّة فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليها)، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يا بنت رسول الله، كيف

---

(١) سورة محمّد، من الآية: ٨.
(٢) كفاية الأثر: ١٩٨-٢٠٠.
(٣) في المصدر: (حجبه أصبحت)، وما أثبتناه من (بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٦).
(٤) في المصدر : (وليس)، وما أثبتناه من (بحار الأنوار: ٤٣/ ١٥٧).
(٥) مناقب آل ابي طالب: ٢/ ٤٩.
(٦) مناقب الأسد الغالب عليّ بن أبي طالب: ١٤، شرح إحقاق الحقِّ وملحقاته: ٢٢/ ١٢٢.

أصبحت من علَّتك؟.

فقالت: **أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم.. [إلى أن قالت عليها السلام:] ويحهم أنَّى زَحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين[1] بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي حسن، نقموا والله منه نَكير سيفه، وشِدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتَنمره[2] في ذات الله عزوجل، والله لو تكافُّوا[3] عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لاعتلقه[4]، ولسار بهم سيرًا سجحًا[5] لا يكلم خشاشه[6]، ولا يتعتع[7] راكبه، ولأوردهم منهلًا نميرًا فضفاضًا تطفح ضِفتاه، ولأصدرهم بطانًا، قد تخيَّر لهم الري، غير متحلٍّ منه بطائل إلَّا بغمر الماء، وردعه سورة الساغب[8]، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.**

ألا هُلمَّ فاسمع، وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تَعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أيِّ سناد استندوا؟ وبأية عُروة تمسَّكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقَوادم[9]، والعَجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يَحسبون أنَّهم يحسنون صُنعًا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ

(١) الطبين: العالم، يقال: فلان لهذا الأمر يطبن إذا فطن له. (ينظر: العين: ٧/ ٤٣٨، معاني الأخبار: ٣٥٦).

(٢) تنمره: أي غضبه.(ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦)

(٣) تكافوا: أي كفُّوا أيديهم. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦).

(٤) لاعتلقه: أي لأخذه بيده. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦).

(٥) السجح: السير السهل. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦).

(٦) لا يكلم: لا يجرح، والخشاش: ما يكون في أنف البعير من الخشب. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦).

(٧) لا يتعتع: لا يكره. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٦-٣٥٧).

(٨) سورة الساغب: ثوران الجوع. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٧).

(٩) الذنابي: ما يلي الذنب من الجناح، والقوادم: ما تقدّم منه. (ينظر: معاني الأخبار: ٣٥٧).

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾.. [إلى أن قالت عليها السلام:] **ثمَّ طيبوا عن أنفسكم أنفسًا، واطمأنُّوا للفتنة جأشًا، وأبشروا بسيف صارم، وهَرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا وزرعكم حصيدًا، فيا حسرتي لكم، وأنَّى بكم، وقد عميت عليكم، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾**»[1].

المطلب الثاني: مواطن الدفاع والنصرة الميدانيَّة

حفظت لنا كتاب الحديث والتاريخ والسيرة صورًا من المواقف الجهاديَّة لفاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليها وآلها) في الدفاع عن إمام زمانها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث سنتعرَّف في هذا المطلب على المواطن التي وقفت فيها الزَّهراء عليها السلام مُؤازرةً، ومناصرةً لأمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجاته على قُريش في المُطالبة بحقِّه الشرعيّ، وأيضًا جهادها واستبسالها في الذبِّ عن حرمة الإمام، وإحالتها دون قتله عليه السلام، وإليك ما انتخبناه منها:

١. ما رواه ابن قُتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ) في أحداث السقيفة، بسنده عن عبد الله بن عبدالرحمن الأنصاريّ قال: وخَرج عليّ عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابَّة ليلًا في مجالس الأنصار؛ تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مَضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زَوجك وابن عمِّك سَبق إلينا قَبل أبي بكر ما عدلنا به! فيقول عليّ عليه السلام: **أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟** فقالت فاطمة عليها السلام: **ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صَنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم**[2].

٢. وعنه أيضًا: إنَّ أبا بكر تفقَّد قومًا تخلَّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب، وقال: والذي

(١) معاني الأخبار: ٣٥.

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠، ومثله باختلاف في (الاحتجاج: ١/ ١٠٧).

نفسه عمر بيده، لتخرجنَّ، أو لأحرقنَّها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص، إنَّ فيها فاطمة؟ فقال: وإنْ!.

فخرجوا فبايعوا إلَّا عليًّا، فإنَّه زعم أنَّه قال: حَلَفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتَّى أجمع القرآن.

فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: **لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقًّا؟!**[1].

ومثله معنى ما رواه الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) بسنده عن ابن أبي هلال، عن مروان ابن عثمان في مخاطبتها للقوم: «**لا عهد لي بقوم أسوأ محضرًا منكم؛ تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تَستأمرونا، وصنعتم بنا ما صنعتم، ولم تروا لنا حقًّا؟!**»[2]

٣. ما رواه الشيخ الكلينيّ (ت٣٢٩هـ) بسنده عن أبان، عن أبي هاشم قال: «لـمَّا أُخرج بعليّ عليه السلام، خَرجت فاطمة عليها السلام واضعةً قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها، آخذةً بيَدَي ابنيها، فقالت: **مالي ومالك يا أبا بكر؟ تُريد أن تُؤتم ابنَيَّ وتُرَمِّلَني من زوجي؟! والله لولا أن تكون سَيِّئَةً؛ لنَشرت شعري، ولصرخت إلى ربي**.

فقال رجل من القوم: ما تُريد إلى هذا؟ ثمَّ أخذت بيَده، فانطلقت به»[3].

وروى الكلينيّ في بيان عِلَّة توقُّف الزَّهراء عليها السلام عن الدعاء هو هلاك القوم قاطبةً، وهو قول الإمام الباقر عليه السلام: «**والله، لو نَشرت شَعرها؛ ماتوا طُرًّا**»[4]؛ ويُؤيِّده ما رواه أيضًا بسنده عن عبد الله بن محمَّد الجعفيّ، عن الإمامَين أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام

(١) ينظر: الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠.
(٢) الأمالي للمفيد: ٥٠.
(٣) الكافي: ٨/ ٢٣٨، ح٣٢٠.
(٤) الكافي: ٨/ ٢٣٨، ح٣٢١.

قالا: «إنَّ فاطمة عليها السلام، لـمَّا أن كان من أمرهم ما كان، أخذت بتلابيب عمر فجذبته إليها ثمَّ قالت: أمَا والله يا ابن الخطاب، لولا أنِّي أكره أن يُصيب البلاء مَن لا ذَنب له؛ لعلمت أنِّي سأُقسم على الله، ثمَّ أجده سريع الإجابة»[1].

٤. ما رواه الشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ) بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال: «لـمَّا استخرج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله، خَرجت فاطمة (صلوات الله عليها) خَلفه، فما بقيت امرأة هاشميَّة إلَّا خَرجت معها، حتَّى انتهت قريبًا من القبر، فقالت لهم: **خَلُّوا عن ابن عمِّي، فوالذي بعث مُحمَّدًا أبي صلى الله عليه وآله بالحقِّ إن لم تُخلُّوا عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قَميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي، ولأصرخنَّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم منِّي، ولا الفصيل بأكرم على الله من وَلَديَّ.**

قال سلمان رضي الله عنه: «كُنت قريبًا منها، فرأيت والله أساس حِيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تقلَّعت من أسفلها، حتَّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدَنوت منها، فقُلت: يا سيِّدتي ومولاتي، إنَّ الله تبارك وتعالى بَعث أباك رحمةً، فلا تكوني نقمة، فرَجعت ورَجعت الحيطان حتَّى سَطعت[2] الغُبرة من أسفلها، فدَخلت في خياشيمنا»[3].

وهذا آخر ما أردنا ذكره من النصوص والأخبار، وهو غيض من فيض ممَّا جرى من أحداث على بضعة الرسول (صلوات الله عليها)، وقد أتينا به هنا على سبيل الأنموذج والمثال؛ مراعاةً منَّا للاختصار، وإلَّا فالنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًّا لا يسعها المقام.

---

(١) الكافي: ١/ ٤٦٠، مولد الزَّهراء عليها السلام، ح٥.
(٢) سطع: انتشر. (ينظر: العين: ١/ ٣٢٠).
(٣) الاحتجاج: ١/ ١١٣.

الخاتمة

نُلخِّص في هذه الخاتمة أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها الباحث في مباحثه السابقة، وهي كالآتي:

١. الـدورُ المهمُّ للقرآن الكريم؛ كونه يمثل الجهة التشريعيَّة الأولى، حيث أكَّدت نصوصه على وجوب الإمامة تأصيلًا وتشريعًا في ثلاثة مراحل، مُبيِّنًا خصوصيَّتها بالمعصومين من آل الرسول صلوات الله عليهم من ذُريَّة إبراهيم الخليل عليه السلام من أهل الصفوة والطهارة؛ ونجد ذلك صريحًا في الآية (٧٦) من سورة النحل في مرحلة التأصيل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ثمَّ نجده في مرحلة التنزيل قد فَرض ولاية الإمام مُبيّنًا صفاته في الآية (٥٥) من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ثمَّ نجده في مرحلة التبليغ قد أمر بتبليغ ما أُنزل في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في الآية (٦٧) من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وقد بيَّنت التفاسير من الخاصَّة والعامَّة أنَّ الآية في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؛ كما ذكرناه في محلِّه من هذا البحث.

٢. كان للسنَّة النبويَّة دورٌ مهمٌ أيضًا؛ كونها تمثِّل الجهة التشريعيَّة الثانية بعد القرآن الكريم، حيث نجد الاهتمام الكبير الذي أبداه النبيّ صلى الله عليه وآله في التأسيس لإمامة

أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن الله تعالى؛ باعتبارها النظام للمسلمين في أمور الدنيا والدين، فلم يدع النبيّ صلى الله عليه وآله مُوطنًا من المواطن، أو مُناسبةً خاصَّةً أو عامّة، إلَّا ودعا فيها إلى ولاية وصيِّه وبيان فضله؛ سائرًا في ذلك على خُطى القرآن الكريم في مرحلة التأصيل والتشريع للإمامة؛ ومن الأمثلة على ذلك ما صنعه في بداية دعوته يوم انذاره لعشيرته الأقربين بأنَّ عليًّا وارثه، ووصيُّه، ووزيره، وخليفته من بعده فيهم، ويوم غزوة تبوك سنة (٩هـ) بأنَّه منه بمنزلة هارون من موسى، ويوم غدير خمّ سنة (١٠هـ) بأنَّه مولى وقد كان من حضر ذلك اليوم من المسلمين اثنا عشر ألف رجل؛ كما قد ذكرناه في محلِّه.

٣. إنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام قَدَّمت لنا أنموذجًا رساليًّا سماويًّا في حُريَّة التعبير في الدفاع عن الحقوق المشروعة؛ وذلك عِبر دفاعها عن حقِّ الإمامة الشرعيَّة، مُرسَّخةً بذلك أصل الاعتقاد بركن الإمامة إلى يوم القيامة.

٤. كانت أقوالها وأفعالها (صلوات الله عليها) حُجَّة على الأمَّة؛ لكونها تُمثِّل بقيَّة النبوَّة؛ كما وصفها بذلك أمير المؤمنين عليه السلام في أحدى خطبه، ومرَّت الإشارة إليه سابقًا.

٥. كانت الزَّهراء تُمثِّل أحد الأركان الساندة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ كما سمَّاها بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؛ حيث إنَّ مُلازمتها لأمير المؤمنين كانت مَصدر قُوَّة وتأييد له في مِحنته، إلى أن استشهدت (صلوات الله عليها)؛ ويُؤيِّد هذا المعنى ما ذكره البخاريّ ومسلم في صحيحيهما، حيث قالا: وكان لعليّ من الناس وُجهَةً في حياة فاطمة، فلمَّا تُوُفِّيت استنكر عَليٌّ وُجوه الناس.

٦. يُعتبر دورها الرساليّ دورًا مُكمِّلًا لدور النبيّ صلى الله عليه وآله في مرحلة التأسيس والتشريع؛ وذلك عن طريق مُناداتها بحفظ حقِّ الإمامة لصاحبها الشرعيّ، وتصدِّيها للانقلاب الخطير عليه بعد شهادة النبيّ صلى الله عليه وآله.

٧. حفظت لنا كتب التاريخ والسيرة صورًا جهاديَّةً من سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي تذكِّرنا بمواقف أبيها صلى الله عليه وآله في بدايات دعوته، حيث كانت تنطق عن لسان أبيها منذرةً، وواعظةً، ومذكِّرةً، صادعةً بأمر الله، صادحةً بحقِّ الإمامة لصاحبها الشرعيّ.

٨. إنَّ من النماذج عن هذه الصور الجهاديَّة؛ ما كان في كلماتها العصماء الناطقة بأحقيَّة أمير المؤمنين بالإمامة والخلافة، مُذكِّرة الناس ببيعة يوم الغدير، وأنَّ الإمام مثله مثل الكعبة يُؤتى ولا يأتي؛ مجيبةً بذلك عن السؤال الذي يطرحه الناس: «لمَ قعد الإمام عن حقِّه الشرعيّ؟»، كاشفةً عِلَّة زحزحتهم للإمامة عن قواعد النبوَّة ومهبط الوحي؛ وذلك لنقمتهم من جَرَّاء نكير سَيف أمير المؤمنين، وشدَّة وطأته، ونَكال وقعته، وتَنمُّره في ذات الله عز وجل.

٩. أمَّا صور الدفاع الميدانيَّة؛ فوقوفها إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام مُؤازرةً ومُناصرةً له في احتجاجاته على قُريش في المُطالبة بحقِّه الشرعيّ، حيث دعت الأنصار إلى نصرته، وأيضًا استبسالها في الذبِّ عن حُرمة الإمام، وإحالتها دون قتله (صلوات الله عليه)؛ وقد فصَّلنا ما ذكرنا هنا في محلِّه من هذا البحث.

وأخيرًا أشدُّ على أيدي المُنظِّمين لمثل هكذا مُؤتمرات علميَّة؛ فيها إحياءٌ لتراث أهل بيت النبوَّة، مُثمِّنًا جهودهم المبذولة في ذلك، لاسيَّما فيما يختص بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ حيث إنَّ الدارسات المتناولة لحياتها (صلوات الله عليها)؛ تُعدُّ رافدًا مهمًا لمكتبتنا الشيعيَّة بمُختلف فروعها: الدينيَّة، والعلميَّة، والمعرفيَّة، والاجتماعيَّة.. وغيرها، مقدِّمةً للأجيال ثروةً معرفيةً تُنير لهم طريق الحقيقة.

قائمة بالمصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج: الشيخ أبو منصور أحمد بن عليّ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: السيِّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.

٢. أصل سُليم بن قيس: سُلَيْم بن قيس الهلاليّ (ت٧٦هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ، الناشر: دليل ما، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣. الاعتقادات في دين الإماميَّة: الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عصام عبد السيِّد، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ.

٤. الأمالي: الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

٥. الأمالي: الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (ت٤١٣هـ)، تحقيق: الحسين أستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦. الأمالي: الشيخ محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٧. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: عليّ شيري، الناشر: انتشارات الشريف الرضيّ، ط١، ١٤١٣هـ.
٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، الناشر: مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٩. البرهان في تفسير القرآن: السيِّد هاشم الحسينيّ البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات، مؤسَّسة البعثة، قم، تقديم: الشيخ محمَّد مهدي الآصفيّ.
١٠. بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّدعليهم السلام: الشيخ محمَّد بن الحسن بن فروخ الصفَّار (ت٢٩٠هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، الناشر: منشورات الأعلميّ، طهران، ط ١٤٠٤هـ.
١١. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، الناشر: مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٢. تفسير العيَّاشيّ: محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ (ت٣٢٠هـ)، تحقيق: السيِّد هاشم الرسوليّ المحلَّاتيّ، تقديم: السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، الناشر: المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران.
١٣. تفسير القمِّيّ: عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ت نحو ٣٢٩هـ)، تحقيق: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، الناشر: مؤسَّسة دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١٤. الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١٥. رجال الكشِّيّ المسمَّى بـ(اختيار معرفة الرجال): محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: مير داماد الأستراباديّ، تحقيق:

السيِّد مهدي الرجائيّ، الناشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ.

١٦. شرح إحقاق الحقِّ وملحقاته: السيِّد شهاب الدين المرعشيّ (ت١٤١١هـ)، تحقيق: السيِّد محمود المرعشيّ، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ط٢، ١٤١٧هـ.

١٧. صحيح البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاريّ (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصوَّرة عن السلطانيَّة بإضافة ترقيم، ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. صحيح مسلم: مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٩. علل الشرائع: الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تقديم: السيِّد محمَّد صادق آل بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ط١٣٨٥هـ.

٢٠. العين: الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزوميّ، د. إبراهيم السامرَّائيّ، الناشر: مؤسَّسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢١. غاية المرام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ المفلح الصيمريّ البحرانيّ (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ جعفر الكوثرانيّ العامليّ، الناشر: دار الهادي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٢. فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير: الشيخ محمَّد

ابن عليّ بن محمَّد الشوكانيّ (ت١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيّب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٣. الكافي: الشيخ محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازيّ (ت٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٢٤. كفاية الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر: عليّ بن محمَّد بن عليّ الخزَّاز القمِّيّ الرازيّ (ت٤٠٠هـ)، تحقيق: السيِّد عبد اللطيف الحسينيّ الكوهكمريّ الخوئيّ، الناشر: انتشارات بيدار، ١٤٠١هـ.

٢٥. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، الناشر: مرتضويّ، ط٢، ١٣٦٢ش.

٢٦. مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيبانيّ (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنـؤوط، عادل مرشد، وآخـرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، الناشر: مؤسَّسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٧. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: الحافظ رجب البرسيّ من أعلام القرن التاسع الهجريّ، تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، الناشر: مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٨. معاني الأخبار: الشيخ الصدوق محمَّد بن عليّ بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ط١٣٧٩هـ.

٢٩. مناقب آل أبي طالب: محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ط١٣٧٦هـ.

٣٠. مناقب الأسد الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: محمَّد بن محمَّد بن يوسف الجزريّ (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: طارق الطنطاويّ، الناشر: مكتبة القرآن، ط١، ١٩٩٤م.

٣١. مناهج البحث العلميّ: للدكتور عبدالرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧م.

٣٢. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمَّد بن الحسن الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

الإيحائيَّة العقديَّة في خطب الزَّهراء عليها السلام
الخطبة الفَدكيَّة أنموذجًا

م.م. كرَّار إبراهيم عيسى
جامعة ساوة الأهليَّة

ملخَّص البحث

جاءت الخطبة الفدكية للزَّهراء عليها السلام على إثر رفض أبي بكر أحقيَّتها في الإرث، وخطبتها في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان، واحتوت على جوانب عقائديَّة عدَّة، عمدنا إلى بيانها في ورقتنا البحثيَّة، وتعريف القارئ بما في الخطبة من قوَّة الحجَّة، والاستدلال بما يتعلَّق بالإلهيَّات وغيرها من المتعلَّقات العقديَّة التي بيَّنتها الرسالة السماويَّة، ولا ضير أنَّ كلام الزَّهراء عليها السلام يُستدَلُّ به، ويؤخَذ على محمل الحقيقة، كونها استمدَّت علومها من القرآن الكريم، والنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحيَّة: الخطبة، فدك، العقائد.

المقدِّمة

الحمد لله أوَّلًا وآخرًا على نعمة الاسلام التي حُمِّل النبيّ صلى الله عليه وآله إيصالها للأمَّة، وجعل بعد النبيّ صلى الله عليه وآله أئمَّة تقع على عاتقهم مسؤوليَّة الرسالة السماويَّة، إذ جعلهم الله تعالى في الأرض، يرشدون الناس، ويحثُّونهم على الصواب، وينهونهم عن المنكر، وبعد.

تعرَّضت مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام إلى حربٍ شعواء، يقودها أناس يدَّعون الانتماء للإسلام، إذ حرموها حقَّها -فدك- وغيرها من الفقد والحرمان، فظهرت للناس وهم مجتمعون في المسجد، لبيان ظلامتها، وحقيقة الإسلام، وأحقيَّتها بالإرث، كما في كتاب الله تعالى، لتدلي بالحجَّة على جميع المسلمين آنذاك، الذين تخلَّوا عن المطالبة بحقِّها سلام الله عليها، فعمدنا إلى استثمار ما في الخطبة من مضامين أو إشارات عقائديَّة، لطرحها بين يدي القارئ وأظهارها للعامَّة، مع أنَّ الخطبة تزخر بالجوانب البلاغيَّة واللغويَّة، وتتَّسم لغتها بالوضوح، وكلامها حافلٌ باللغة الصوريَّة، ممَّا يُحسَب للزَّهراء عليها السلام، العالمة بكتاب الله عزَّ وجل، وما يتضمنه من أحكام ومعارف إلهية، وما تملك من براعة وفصاحة. فاقتضى الأمر أن يحتوي البحث على تمهيد يُذكِّرُ بالخطبة، ومبحثين: يقوم الأوَّل على بيان الألهيَّات في أكثر من مطلب، واختصَّ المبحث الثاني: بالمضامين العقديَّة في خطبة فدك، لتكون في آخر البحث خاتمة تبيِّن أهمَّ ما توصَّل إليه العمل البحثيّ.

ورجوت بذلك خدمة للزَّهراء عليها السلام، وبيان جزءٍ يسير من معارفها، فإن استقام البحث ونال الاستحسان فالفضل لله تعالى وحده، وإن وجدت هنات وركاكة، فذلك سهوٌ مني، وجلَّ من لا يُخطئ.

تمهيد تعريفي

أوَّلًا: تعريف المصطلحات

لا بدَّ لنا من تعريفٍ بمصطلَحَي الخطبة والعقيدة، لتكون بدايةً للحديث عن الملامح العقديَّة في خطبة الحوراء الإنسيَّة (سلام الله عليها).

ورد لفظ (خَطَبَ) في المعاجم اللغوية بمعانٍ، منها أنَّ «الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ»[1]. ونكتفي بهذا التخريج لـ(خطب)؛ كونه أقرب لدلالة التعريف الاصطلاحيّ الذي يرى بأنَّ: «الْخُطْبَة: بِالضَّمِّ كَلَام منثور مؤلف من الْمُقدمَات اليقينية والمقبولة والمظنونة أَو إِحْدَاهَا ترغيبًا أَو ترهيبًا أَو كِلَاهُمَا مصدَّرًا بِالْحَمْد وَالصَّلَاة»[2].

والخطاب هو «القول الذي يفهم المخاطَب به شيئًا»[3]، أو هو «الْكَلَام الَّذِي يُقْصد بِهِ الإفهام»[4].

وأمَّا العقيدة فتعني في المعاجم أنَّ ألـ«ع ق د: (عَقَدَ) الْحَبْلَ عَقْدًا وَهِيَ الْعُقْدَةُ.. (وَالْعَقْدُ) الْعَهْدُ وَعَاقَدَهُ عَاهَدَهُ»[5]. وهو الأكثر قبولًا، لدلالته على الإحكام وربط شيء بآخر، ومعناه الاصطلاحيّ: «هو أحكام ذهنيَّة جازمة قابلة للتشكيك، يتمسَّك

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢/ ١٩٨.
(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٢/ ٦٠.
(٣) التوقيف على مهمَّات التعاريف: ١٥٦.
(٤) الكليَّات: ٤١٩.
(٥) المغرب في ترتيب المعرب: ٣٢٣.

بها الإنسان ويقبل بها، وهي قد تكون مطابقة للواقع، فتفيد تصديقًا وعلمًا، وقد لا تكون مطابقة للواقع، فتكون جهلًا مركَّبًا، وإلَّا فالتمسُّك بها، مع العلم بعدم صدقها، يكون مكابرةً وعنادًا»[1].

ثانيًا: نصُّ الخطبة الفدكيَّة

«إنَّه لـمَّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكًا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لِـمَّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثمَّ أنَّت أنَّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلس، ثمَّ أمهلت هنيئة حتَّى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدَّم، من عموم نِعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتِّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنَّى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها. الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوَّنها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلَّا تثبيتًا لحكمته، وتنبيهًا على طاعته، وإظهارًا لقدرته، وتعبُّدًا لبريته، وإعزازًا لدعوته، ثمَّ جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنبه.

(١) العقيدة، جواد الورد: ٩.

وأشهد أنَّ أبي محمَّدًا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسمَّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور، ابتعثه الله إتمامًا لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقًا في أديانها، عُكَّفًا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة الله مع عرفانها.

فأنار الله بأبي محمَّد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم.

ثمَّ قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار، ورغبةٍ وإيثار، فمحمَّد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، قد حفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربِّ الغفَّار، ومجاورة الملك الجبَّار، صلَّى الله على أبي نبيِّه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيِّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحَمَلة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حقٍّ له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيِّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسِّرة، ومحارمه المحذِّرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصة الموهوبة، وشرائعة المكتوبة. فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشِّرك، والصَّلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزَّكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحجّ تشييدًا للدين، والعدل تنسيقًا

للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا للفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرُّ الوالدين وقاية من السَّخَط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرًا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس، واجتناب القذف حجابًا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابًا للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصا له بالربوبيَّة.

فاتَّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنَّه إنَّما يخشى الله من عباده العلماء.

أيُّها الناس أعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد، أقول عودًا وبدوًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمِّي دون رجالكم، ولنِعم المعزي إليه، فبلَّغ الرسالة صادعًا بالنذارة، مائلًا عن مدرج المشركين، ضاربًا ثبجهم آخذًا بأكظامهم، داعيًا إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام، حتَّى انهزم الجمع وولوا الدُّبر، حتَّى تفرَّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقُّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلَّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفرٍ من البيض الخِماص، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلَّة خاسئين، تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمَّدﷺ، بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجمَ قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتَّى يطأ جناحها بأخمصه،

ويخمد لهبها بسيفه، مكدودًا في ذات الله، مجتهدًا في أمر الله، قريبًا من رسول الله، سيِّدًا في أولياء الله، مشمِّرًا ناصحًا، مجدًّا كادحًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربَّصون بنا الدوائر وتتوكَّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال.

فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلِّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفًا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثمَّ استنهضكم فوجدكم خفافًا، وأحشمكم فألفاكم غضابًا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمَّا يندمل، والرسول لمَّا يُقبَر، ابتدارًا زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامة باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

ثمَّ لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتُها، ويسلس قيادها، ثمَّ أخذتُم تورون وقدتها، وتهيِّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سُنن النبيّ الصَّفيّ، تشربون حشوًا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضرَّاء، ونصبر منكم على مثل حزِّ المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحُكم الجاهليَّة تبغون؟ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلَّى لكم كالشمس الضاحية، أنِّي ابنته، أيُّها المسلمون أُأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًا!

أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وقال فيما أقتصَّ من خبر يحيى بن زكريَّا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وقال: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمَّدﷺ، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكلِّ نبأٍ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب، يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

ثمَّ رمت بطرفها نحو الأنصار، فقالت:

يا معشر النقيبة، وأعضاء الملَّة، وحَضَنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقِّي، والسِّنَة عن ظلامتي؟ أما كان رسول اللهﷺ أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أُحاول، وقوَّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمَّدﷺ؟ فخطبٌ جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واظلمَّت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكْدَت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحزمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله حكم فصل، وقضاء حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

إيها بني قيلة، أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منِّي ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وأنتم ذوو العدد والعدَّة، والأداة والقوَّة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تُجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون

بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنُّخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحمَّلتم الكدَّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتَّى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرَّ حلب الأيَّام، وخضعت ثغرة الشِّرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنَّى حزتم بعد البيان؟ وأسررتُم بعد الإعلان؟ ونكضتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسًا لقومٍ نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهمُّوا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أوَّل مرَّة، أتخشونهم فالله أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى أن قد أخذتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط والقبض، وخلوتُم بالدِّعة، ونجوتم بالضيق من السِّعة، فمججتُم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوَّغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإنَّ الله لغنيٌّ حميد.

ألا وقد قلت ما قلتُ هذا على معرفة منِّي بالجذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنَّها فيضة النفس ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثَّة الصدر، وتقدمة الحجَّة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفِّ، باقية العار، موسومة بغضب الجبَّار وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطَّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، وأنا ابنة نذيرٍ لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد، فاعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون».

المبحث الأوَّل

مطالب عقائديَّة (نظرات في المعارف الإلهيَّة)

المطلب الأول: الألهيَّات

الاعتقاد بأنَّ الله موجود لا امتراء فيه عند المذاهب السماويَّة، وهذا ما دعا إليه الرسل والأنبياء، فلا بدَّ من مُوجِد لكلِّ مخلوق، والشكُّ في وجود الله وعدمه أمرٌ غير مبرَّر، فكثيرًا ما يشعر الإنسان بحاجته إلى الأقدر منه في ظرفٍ معيَّن أو حاجةٍ ما[1]. وإن لم يكن بني البشر على قناعةٍ بذلك، فأين هم من مشاهدة هذا العالم؟ وما فيه من بدائع الله وخلقه المختلفة، التي تعجز العقول دونها، ولينظر إلى السماء كيف رفعت؟ وإلى الأرض كيف دحيت؟ وما فيها من معادن ونبات. وليتأمَّل في نفسه، واختلاف البشر من حيث الصفات والأحوال. أليست كافية للقول بوجوده ووحدانيَّته؟ بلى، إنَّها براهين ساطعة وأنوار لامعة تدلُّنا على وجود الصانع[2].

ولو نظرت في قول مصطفى محمود: «إنَّ الله عند جدِّي يتمثَّل في شخص طيِّب رحيم غفور توَّاب يداوي الروماتزم، ويقوِّي المفاصل، وهو عند أمِّي مأذون يجمع رؤوس بناتها على رؤوس عرسان أغنياء في الحلال، وهو عند الأطفال يشبه عروسة المولد، وهو عند اينشتين معادلة رياضيَّة وقانون تخضع له الأشياء بالضرورة، وهو عند عاشق مثلي حبٌّ، وهو عند مشايخ الصوفيَّة وزير أوقاف يوزِّع الكساوي والأعانات

(١) ينظر: العقيدة الإسلاميَّة، جعفر السبحانيّ: ٤٣.
(٢) ينظر: منهج الإرشاد، خضر الدجيليّ: ٥٨-٥٩.

والمعاشات، وهو عند الملحد موضوع دراسة، وعند المؤمن موضوع عبادة، وهو دائمًا شيء حتَّى عند الذي يُنكره»[1]؛ لانتابك العجب منه ومن أمثاله في نفي الخالق اعتمادًا على تخيُّلات العجائز والأطفال، فالله عزّ وجلّ هو الذي «خلق كلَّ شيء، وهو لا يفتقر إلى شيء، ولا يظلم أحدًا، وينهى عن الظلِّم ويعاقب عليه، يحكم بالقسط ويأمر به، ويكافيء أهله بأضعاف ما يستحقُّون، يساوي بين الجميع دون تفاضل إلَّا بالتَّقوى وصالح العمل، لا يعزب عنه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء، كريم رحيم لا ييأس أحد من رحمته، لأنَّها أوسع من غضبه ونقمته»[2]. كلُّ هذه صفات لله سبحانه وتعالى فلا يُختصر بالخرافات والأوهام المتعارف عليها عند الإنسان القديم، فلا بدَّ من معرفةٍ وقراءةٍ في وجود الله وتوحيده وإثبات عدله، والعمل على «ثبوت واجب الوجود لذاته، ضروريٌّ. وهو المؤَثِّر الموجِدُ للممكنات بأجمعها»[3]. وأنَّه واحدٌ لا إله غيره. ولو قلنا تقديرًا بوجود آلهة كثيرين «واختلاف دواعيهم في إيجاد مقدورٍ واحدٍ بعينه، في وقتٍ واحد، على صفةٍ واحدةٍ، وعدم إيجاده، أو إيجاده في غير ذلك الوقت، أو على غير تلك الصفة، ممكن. وعند وقوعِ ذلك الاختلاف، يستحيلُ أن يَحْصُلَ مرادُهم جميعًا، لاستحالة حصولِ الأمورِ المتقابلةِ المتناقضةِ معًا، ويلزمُ من ذلك أن لا يكون جميعُهم آلِهَة؛ فإذن يستحيل كونهم كثيرين»[4].

ويُستلزَم على الإنسان عند بلوغه مرحلة التكليف أن يعتقد بالوجوب في معرفة الله عزّ وجلّ؛ لكون شكر المنعم واجبٌ عقلًا، والله سبحانه وتعالى منعمٌ على الإنسان، فشكره لله واجب عليه[5]. ألا يكفي الانسان أن ينظر في «الآثار واختلاف الليل

(١) الله والإنسان: ١٠٠-١٠١.
(٢) الله والعقل، محمَّد جواد مغنية: ٥٢.
(٣) كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، الطوسيّ والعلَّامة الحِلِّيّ: ١٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٩٤.
(٥) ينظر: زاد المسافرين في أصول الدين، محمَّد الأحسائيّ: ٣٣.

والنهار، ونزول الأمطار وجري الأنهار، وركود البحار وحركة السماء، واضطراب الهواء، وتغيُّر الأشياء، وإجابة الدعاء، وما نزل على سالف الأمم من البلاء، وإيجاد الموجودات، وصنع المصنوعات، وتكوين الأبـدان.. وكفى بصنع الإنسان، فضلًا عن سائر أنواع الحيوان، دليلًا قاطعًا وبرهانًا ساطعًا»[1]. فلا بدَّ من الاعتراف بأنَّ الله واحد لا شريك له، كونه من المرتكزات الأساسيَّة للإيمان بوجود خالق الكون سبحانه وتعالى، وكما للعقل دور في الدلالة على وجوده، للنقل كذلك بيان وتوضيح[2]. وجاء تأكيد الوحدانيَّة لله في كتابه العزيز:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١).

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (المائدة: ٧٣).

وجاء في السنَّة النبويَّة الشريفة قول النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله: «**بُني الاسلام على عشرة أسهم: على شهادة أن لا إله إلَّا الله، وهي الملَّة، والصلاة، وهي الفريضة، والصوم، وهو الجُنَّة، والزكاة، وهي الطُّهر، والحجّ، وهي الشريعة، والجهاد، وهو الغزو، والأمر بالمعروف، وهو الوفاء، والنهي عن المنكر، وهو الحجَّة، والجماعة، وهي الأُلفة، والعِصمة، وهي الطاعة**»[3]، فذكر رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله الإيمان بالله عزَّ وجلَّ أوَّل الأسهم العشرة، وقال: هي الملة أي: مذهب الإنسان الذي إليه ينتمي، وبه يفاخر. بل يجب الاعتقاد بأنَّ الله واحد لا شريك له، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا الله وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ: الأَوَّلُ لَا شيءَ قَبْلَهُ، والآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ على صِفَةٍ، ولا تُعْقَدُ القُلُوبُ مِنْهُ على كَيْفِيّةٍ، ولَا تَنَالُهُ التّجزِئَةُ والتّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالقُلُوبُ**»[4].

(١) العقائد الجعفريَّة، جعفر كاشف الغطاء: ١١.

(٢) ينظر: التوحيد قراءة في رحاب نهج البلاغة، محمَّد صادق الخرسان: ٣٧.

(٣) الخصال، الصدوق: ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) نهج البلاغة، عبَّاس الموسويّ: ١٦٩. خطبة ٨٥.

وحقيقة الوجود الإلهيّ جليَّةٌ، ولا حاجة للإسهاب بقدر أن ندعو للتفكير في الخلق والموجودات كافَّة، والاعتقاد بأنَّ الله تعالى هو خالق هذا العالم وكلّ ما فيه. وهو العادل في خلقه، إي إنَّ الله «لا يجورُ في قضائه، ولا يتجاوز في حكمه وبلائه، يُثيب المطيعين، وينتقم بمقدار الذَّنب من العاصين، ويكلِّف الخلق بمقدورهم، ويعاقبهم على تقصيرهم دون قصورهم.. لا يأمر عباده الَّا بما فيه صلاحهم، ولا يكلِّفهم إلَّا بما فيه فوزهم ونجاحهم.. ويكفي في البرهان عليه، غناه عن الظلم، وعدم حاجته إليه، والله تعالى منزَّه عن فعل القبيح، كما يشهد بذلك العقل الصحيح»[1].

وحاشا الله من الظلم والجور على عباده، وأنَّ له الصفات الحسنة، وبعيدٌ عن القبح وأفعاله، فلا يحاسب أحدًا بذنب غيره، وهو الغفور الرحيم، الذي وسعت رحمته كلَّ شيء، وأنَّ «بعض الأفعال حسن بالضرورة كردِّ الوديعة، والصدق النافع، وبعضها قبيح بالضرورة كالظلم والكذب الضار، وأفعالنا الحاصلة عند قصودنا ودواعينا نحن الفاعلون لها باختيارنا، لاستحالة أن يخلق الله تعالى فيها المعاصي ثمَّ يعذِّبنا عليها؛ لأنَّه غاية الظلم، تعالى الله عنه»[2].

وجاء في إرشاد السائلين إبانة لجعل العدل أصلًا من الأصول الدينيَّة، قائمًا بذاته، غير منطويًا تحت أصلٍ آخر، مع أنَّ لله صفات عدَّة، يطول المقام في ذِكرها، وذلك لأمرَين[3]:

الأوَّل: وقوع النزاع بين أتباع الطوائف الإسلاميَّة في مسائل مختلفة ترتبط بهذه الصفة، مثل مسألة الجبر والتفويض، ومسألة اختيار العبد، ومسألة القضاء والقدر، ومسألة استحالة فعل الله للقبيح، واستحالة إرادته سبحانه له، وغيرها من المسائل الأخرى، لذلك جعل العدل أصلًا مستقلًّا؛ ليتمَّ إشباعها بحثًا.

(١) العقائد الجعفريَّة، جعفر كاشف الغطاء: ١٧.
(٢) زاد المسافرين في أصول الدين، محمَّد بن عليّ الأحسائيّ: ٤١.
(٣) عليّ آل محسن: ٤١-٤٢.

والثاني: كثرة مباحثه وتعدُّد مسائله وتشعُّبها، فإنَّ المسائل المرتبطة به كثيرة.

وحظيت صفة العدل تبلك الأهميَّة من بين سائر صفاته عزَّ وجلَّ، كون الله يتعامل مع المذنب بما عُرِف عنه تعالى من العفو والمغفرة، أو يعاقبه بما يقابل معصيته، ولا يجور في محاسبته للمسيء، فكلُّ إساءة وعند الله ما يماثلها من العقاب، وللمحسنين جزاءٌ وثوابٌ، ذلك وعد الله لهم[1].

المطلب الثاني: في النبوَّة والأمامة والمعاد

تعدُّ النبوَّة والأمامة والمعاد من أصول الدين الخمسة التي تبدأ بالتوحيد والعدل الإلهيّ، والتعريف بهذه الأصول أمرٌ ضروريّ. وبعد الحديث عن الوجود الإلهيّ ووحدانيَّته وعدله تعالى، صار لزومًا أنْ نخوض في الأركان الإسلاميَّة الأخرى من النبوَّة والإمامة، والمعاد ذلك اليوم الموعود. وجعل الله تعالى في نبيِّه الكريم محمَّد صلَّى الله عليه وعلى أهل بيته الكرام خصال عدَّة خصَّهم فيها دون غيرهم. إذ ذَكر الصدوق (ت ٣٨١هـ) عشر خصال جمعها الله عزَّ وجلَّ للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيِّبين الطاهرين، فقال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ: «**جَمَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ لَنَا عَشْرَ خِصَالٍ لَمْ يَجْمَعْهَا لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، وَلَا تَكُونُ فِي أَحَدٍ غَيْرِنَا: فِينَا الْحُكْمُ وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالنُّبُوَّةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْقَصْدُ وَالصِّدْقُ وَالطُّهُورُ وَالْعَفَافُ، وَنَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوى، وَسَبِيلُ الْهُدى، وَالْمَثَلُ الْأَعْلى، وَالْحُجَّةُ الْعُظْمى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَنَحْنُ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ لَنَا بِالْمَوَدَّةِ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾**[2]»[3].

وحديثنا في النبوَّة قائمٌ على أساس بيان المراد من النبيّ، وغاية ارسال الأنبياء، وليس اقتصارًا على نبيِّنا صلى الله عليه وآله، وخصصناه بالذِّكر لما كرمه الله به عن الآخرين، ممَّن حُمِّلوا

(١) ينظر: دروس في العقائد والمعارف، محمَّد تقي سبحانيّ: ٩٠.

(٢) سورة يونس: ٣٢.

(٣) الخصال: ٢/ ٣٢٩.

رسالة الإسلام. والنبيُّ «إنسانٌ مبعوثٌ من الله تعالى إلى عِبادِه ليُكلِّمهم بِأن يُعرِّفهم ما يحتاجون إليه في طاعته، وفي الاحتراز عن معصيته. وتعرف نبوَّته بثلاثة أشياء، أوَّلها: أن لا يقرِّر ما يخالف ظاهر العقل، كالقول بأنَّ الباري تعالى أكثرُ من واحد. والثاني: أن تكون دعوته للخلق إلى طاعة الله والاحتراز عن معصيته. والثالث: أن يظهر منه عقيب دعوى النُّبوَّة، معجِزٌ مقرونٌ بالتَّحَدِّي»[1]. تعريف موجز بالنبيّ، وما يميِّز نبوَّته من خلال دعوته لعبادة الله الواحد الأحد، والعمل على طاعته بالأخذ في أوامره، وترك ما نهى عنه، وأن تقترن دعوته بإعجاز قومه عن الإتيان بمثلها، كإعجاز العرب عندما جاءهم النبيّ صلى الله عليه وآله بالكتاب المكنون، وإرسال الله تعالى للأنبياء لا يخرج عن حكمته وعدالته.

ولا بدَّ في النبيّ من توافر بعض الصفات التي تخصُّه عن عامَّة الناس، وابتعاده عن الأمور غير المقبولة، فكانت كالآتي: أن يكون كامل العقل، وصاحب رأي سديد، وأن يُعرف بسلامته من العيوب الواضحة، كانطلاق الريح، ومتَّصفًا بالعصمة عن الخلل والزلل[2]. فما هي إلاَّ ليكون قدوة حسنة للناس، ويرون فيه ما يميِّزه عنهم، حتَّى يقتدون به قائدًا، ومخرجًا من الظلمات، هاديًا إلى الحقِّ، داعيًا للايمان بالله الواحد، خالق السماوات والأرض، ذلك النور المبين. ويستوجب على كلِّ أمَّةٍ أنْ تعرف نبيَّها، الذي بعثه الله لهم ليبلِّغهم الأحكام، ويعرِّفهم بالحلال والحرام، كون النبيّ الواسطة بين العباد وربِّهم، وإبعاد النَّاس من الفساد، وتقريبهم إلى الصَّلاح واجبٌ على ربِّ العزَّة. ولو أراد الله أن يخاطبهم بخلق أصوات، أو يبعث من لا يدخل في فئة النَّاس؛ لكثر الشكُّ والاحتمال عند العباد[3]. وبعث الله لنا النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وهو «أعلى الأنبياء قدرًا، وأرفع الرُّسل في الملأ الأعلى ذِكرًا، الذي بشَّرت الرُّسل بظهوره، وخُلقت الأنوار كلُّها

(١) كشف الفوائد: ٢٦٩-٢٧٠.
(٢) المسلك في أصول الدين، المحقِّق الحِلِّيّ: ١٥٤-١٥٥.
(٣) ينظر: العقائد الجعفريَّة: ٢١.

بعد نوره، علَّة الإيجاد، وحبيب ربِّ العباد، محمَّد المختار صلى الله عليه وآله وأحمد صفوة الجبَّار، ذو المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، التي حصرت عن حصرها ألسن الحساب، وكلَّت عن سطرها أقلام الكتاب، كانشقاق القمر، وتظليل الغمام، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وتكليم الموتى»[1]، وغيرها من المغيَّبات التي كان نبيُّنا على معرفة بها. والإنسان الذي عرف الله، وعرف أنَّ كلَّ ما يقوم به من عملٍ فيه حكمة أو مصلحة، فذاك يؤمن بأنَّ الله عادل، والعدل الإلهيّ يلزم أنْ يُرشد الإنسان إلى الحقِّ ولا يُترك ضائعًا، وإرشاده من خلال ارسال من يدله ويهديه ليتمَّ إيصاله إلى الهدف الذي خلق البشر من أجله، وهو الإيمان بوحدانيَّة الله، والعمل الصالح، والأخلاق الرفيعة، والتخلِّي عن الأخلاق المنبوذة، والعمل القبيح، والابتعاد عن الشرك والكفر[2]. فليس من الصَّواب أنْ تنتهي مرحلة النبوَّة ويبقى الإنسان تائهًا بلا مرشد وموجِّه له، وحاشا عدالته تعالى من ذلك، إذ جعل الأمامة متمِّمة للنبوَّة، ولا بدَّ من الإيمان بالإمامة، ومعرفة من يمثِّل هذه المرحلة، ويقود الأمَّة فيها، وكَسَبَ مبحث الأمامة أهميَّة عند الباحثين في الأصول العقديَّة الأساسيَّة، إذ أفاضوا وفصَّلوا القول فيها. و«اعلم أنَّ التوحيد بلا عدل محال، وأنَّ العدل بلا نبوَّة والنبوَّة بلا إمامة من المحال؛ إذ كلُّ جزء من الموجودات يدلُّ على وجود الصانع، ولا يمكن افتراض وجود الصانع بدون التوحيد. والتوحيد إنَّما يتمُّ بالعدل، والعدل يتمُّ بالنبوَّة، والنبوَّة تتمُّ بالإمامة، فمن أنكر أحدها لم يكن من أصحاب الجنَّة، ولم يكن مسلمًا بل هو مستسلم»[3]. وفي مسائل الإمامة إجماع على أنَّ المسلم من يؤمن بأمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فالإمامة من بعد وفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله لعليّ وأبنائه عليهم السلام، وهو أمرٌ إلهيّ وتنصيبٌ سماويّ[4]. وليس بالخفيِّ على أحدٍ أنَّ المعاد

(١) العقائد الجعفريَّة: ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: النبوَّة المعاد الإمامة، عبد الحسين دستغيب: ٧.

(٣) تحفة الأبرار في مناقب الأئمَّة الأطهار، عماد الدين الطبريّ: ٣٠-٣١.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١٢٩-١٣٠.

من الأصول العقديَّة التي لا تقلُّ أهميَّة عن سابقاتها من الأصول، إذ «لولاه لذهبت مظالم العباد، وتساوى أهل الصَّلاح والفساد، وضاعت الدِّماء، ثمَّ لم تبقَ ثمرة لإرسال الأنبياء»[1]. كون الأيمان بعالم ما بعد الموت له ارتباط بالعدالة الإلهيَّة. ويعمل الإنسان في الحياة الدنيا من خلال الانتفاعات الماديَّة والمعنويَّة لبلوغه السعادة في دار الآخرة، ولا يقتصرها على توفير احتياجاته الدنيويَّة فقط. ومن يرتبط بالله تعالى ويؤمن بيوم المعاد يكون بعيدًا كلَّ البعد عن اليأس والقنوط، فهو ينظر ليومٍ يُجزى فيه خيرًا على ما قدَّم ويقدِّم، ويرى أنَّ أزماته ومشاكله محلولة في هذه الدنيا الفانية. ووجود المعاد في أصول الإسلام المهمَّة لا يؤثر فقط في حياة الفرد المسلم، بل ترى أثره يصل المجتمع برمَّته، وذلك في التعامل الطيِّب، والسلوكيَّات الحسنة، إيمانًا بمبدأ الثواب والعقاب، ونبذ الاقتتال والظُّلم[2].

(١) العقائد الجعفريَّة: ١٠٢.

(٢) ينظر: العقائد والمعارف: ٣٣٣-٣٣٤.

المبحث الثاني

الإيحاء العقديّ في خطبة فدك

يتعلَّق المبحث في دراسة الجوانب العقائديَّة الواردة في الخطبة الفدكيَّة للزَّهراء عليها السلام، وأظهارها للقارئ بشكلٍ يسير، وتقوم الدراسة على بيان الجوانب العقديَّة التي أشارت لها مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مضمون خطابها بالمسجد أمام ملإٍ من أتباع الدين الإسلاميّ آنذاك.

المطلب الأوَّل: التوحيد والعدل

بعد أن دخلت مولاتنا الزَّهراء (سلام الله عليها) على أبي بكر للمطالبة بـ(فدك)، بدأت بالحمد لله عز وجل والثناء عليه، وبيَّنت أنَّ نِعم الله تعالى على العباد لا تُحصى ولا تُعدّ، وانتقلت لبيان حقيقة العلم وعينه. بقولها: «**وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ له، كلمَةً جَعَلَ الإخلَاصَ تأويلَها، وَضَمَّنَ القلوبَ مَوْصولَها، وأنارَ في التفكُّر معقولَها، الممتنعُ من الأبصارِ رؤيَتُه، ومِنَ الألسُنِ صِفَتُه، ومن الأوْهام كيفيَّتُهُ، ابتدعَ الأشياءَ لا مِن شيءٍ كان قَبْلَها وأنشأها بلا احتذاءِ أمثِلَةٍ امتَثَلَها، كَوَّنَها بقدرتِه، وذَرَأها بمشِيَّتِه، مِن غيرِ حاجَةٍ منهُ إلى تكوينِها**».

فإنَّ (لا إله إلا الله) كلمة الأخلاص، لا يكفي اللفظ بها، إذ لا بدَّ من الجمع بين اللفظ والعمل؛ لأنَّ العمل دليلٌ على صدق النيَّة والعقيدة. وفي قولها (سلام الله عليها) تلميحٌ إلى فسادِ أولئك الذين أظهروا كلمة الأخلاص بأفواههم، وتركوا العمل بها. مع أنَّ الله خلق بني البشر، وجعل فيهم فطرة القابليَّة على التوحيد، إذ قال تعالى:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠)، بمعنى يولد الانسان معترفًا بالوجود الألهيّ ووحدانيَته، ولكن للأهل دور في تعليمهم الدين، فيصبح مثلهم. ولو فكَّر الإنسان في المخلوقات لأيقن واعتقد بوجود الخالق، الذي لا يشاركه أحد في ملكه. فخَلَقَ الله تعالى السماء والأرض والحيوانات والنباتات، ولم يأتِ خلقها مشابهًا لمخلوقٍ قبلها، وإنَّما خلقت ابتداءً. إذ قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ (مريم: ٦٧)، فمن خلال خلقه أظهر لنا قدرته، ووعدنا بالثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، ألا يعدُّ كلَّ ذلك كافيًا للقول بوجوده عز وجل ووحدانيته[1]؟ فدار الحديث عن «الشهادة لله، وما يتمِّمها من الأخلاص القلبيّ والتفكير العقليّ، وامتناع رؤية الباري عز وجل، وعجز الألسن، عن إدراك وصفه، ومن الوهم الإحاطة به.. فكان هذا من التذكير باكتمال الدين وإتمام النعمة، المدخل إلى الثقافة القرآنيَّة المحمَّديَّة الحقَّة، التي تستند إلى الثبات على الدين وأهله، وأخلاص النيَّة لله، والثقة به جلَّ وعلا، لا التردُّد والتقلُّب، والتفكير في منافع دنيويَّة قريبة»[2]. وفي قولها عليها السلام بيان لوجوب العبادة لله تعالى وحده لا شريك له نطقًا وعملًا، وأنْ لا يكون الهدف من القول بكلمة الأخلاص السعي لمغنمة أو شهرة؛ وفي ذلك فساد وابتعاد عن حقيقة الأخلاص بالعبادة لله عز وجل. ولا يمكن للانسان أنْ يُخفِ ما في قلبه على الباري تعالى، فهو علَّام الغيوب، لا تخفى عليه صغيرة ولو كانت بقدر أنْمُلة. وأشارة الزَّهراء (سلام الله عليها) في خضمِّ حديثها عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى معرفة الله تعالى بكلِّ الأمور، إذ قالت: «**عِلمًا من الله تعالى بمآيِلِ الأُمور، وإحاطةً بحوادثِ الدهور، ومعرفةً بمواقعِ الأُمور**». فالمراد «أنَّ الله تعالى سمَّى نبيَّه، أي قرَّر خلقته، وعيَّنه باسمه ورسمه، لهداية خلقه لعلمه بعدم استقامة أمور خلقه بدونه، وأنَّهم يضلُّون الطريق بدون الاستضاءة بنوره.. أي كان الله يعلم ما يرجع إليه أمور الخلق من الأنحراف عن الجادة المستقيمة، وسلوك طريق

(١) ينظر: شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام وأسبابها: ٨٣-٨٧.

(٢) خطبة الزَّهراء عليها السلام قراءة حديثة وحوار جديد، مهدي صالح سلطان، إصدار العتبة: ٤٤.

الغواية والضلالة، فسمَّاه.. ليكون مرجعًا للأمَّة، بل جميع الخليقة في أمورهم الدنيويَّة والأخرويَّة»[1]. وللنبوَّة بيان إن شاء الله.

ويُظهر للقارئ قول: «علمًا من الله بمآيل الأمور»، توضيحًا للعلمِ والمعرفةِ الإلهيَّة بالأمور الغيبيَّة، وما ستؤول إليه الأمور في مستقبل العباد. فالعالِمُ بالغيبيَّات، وحوادث كلِّ زمانٍ، والخالق والمُوجِد لكل شيء، ألا يستحقُّ الاعتراف بربوبيَّته وتوحيده، فكيف للعبد أنْ لا يؤمن بمَن خلقه وأنزل له من يأخذ بيده لطريق الصلاح والفوز في دار الدنيا الفانية، ليخلِّصه من دارٍ أُعدَّت للناكرين للوجود الإلهيّ، والمتخلِّين عن وحدانيَّته، الخالق الذي يجازي كلَّ أنسانٍ بما قدَّم، مع أنَّه غفَّارٌ وتوَّابٌ، لكنَّه تعالى لا يغفر لعبدٍ على حسابِ عبدٍ آخر، فهو عادلٌ في حكمه لا يقبل الظلم لأحد.

وفي الخطاب السابق للزَّهراء عليها السلام إشارة للسامع في حينها، وللقارئ، مفادها أنَّ الله أحدٌ، فلا تعبدوا غيره، ولا أحد أعدل منه. إلى أنْ يصل بها الكلام لتقول لأهل المجلس: «**أنتُمُ عِبادُ الله نَصْبَ أمرِه ونهيه**». وفي قولها عليها السلام: عباد الله حذفٌ لـ«حرف النداء أي يا عباد الله... وإقحام النداء بين الخبر والمبتدأ إشارة إلى الحرص على التنبيه، وأنَّ المطلب الملقى إليهم أمرٌ خطير لا بدَّ أنْ ينبَّه المخاطب عليه؛ لئلَّا يذهب عليه ولا يفوت عنه من جهة الاشتباه والغفلة... وتنبيهٌ آخر على أنَّ المطلب مهم فليلاحِظ حتَّى لا يفوت بطول النداء»[2]، ونصبكم الله لأوامره ونواهيه[3].

وعلى العبد أن يأتمر بأوامر الله عزَّ وجلَّ، ففي ذلك نجاته وخلاصه، وفي ترك ما نهى الله تعالى عنه فوزٌ ورضوان. وقول: (عباد الله) حصر العبوديَّة لله عزَّ وجلَّ، والشرك به محرَّمٌ. إذ قالت عليها السلام: «**وحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصًا لَهُ بالربوبية. فاتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتُنَّ**

(١) اللمعة البيضاء، محمَّد عليّ التبريزيّ: ٣٥-٣٦.
(٢) المصدر السابق، ٤٩٧.
(٣) ينظر: شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام وأسبابها: ٩٥.

إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا اللهَ فيما أمركُمْ به ونهاكُمْ عنه، فإنَّهُ إنَّما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماء».

منع الله تعالى الشرك حتَّى يعبد الأنسان ربَّه الذي أوجده ومكَّنه في الأرض. وفي قولها (سلام الله عليها) أنذارٌ للبشريَّة بوجود خطرٍ يأخذ بهم إلى الظلمات، فلا بدَّ من الإقرار بأنَّه لا مؤثِّر في الوجود إلَّا الله تعالى، والابتعاد عن عبادة الشمس وغيرها ممَّا يفتقر لكلِّ شيء، مع أنَّ الله غنيٌّ عن كلِّ شيء، لا تحيط بقدرته الأوهام والخرافات، وبالشرك يتمُّ إلغاء الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجلها. ويُذكر أنَّ صاحب الزمان عجل الله فرجه عندما يظهر ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا، يقول الناس: لقد جاءنا بدينٍ جديد، والعلَّة ابتعادنا عن المنهج النبويّ المستقيم، وبقينا نحمل اسم الإسلام دون المضامين الفعليَّة لتلك الرسالة، فرسالة الإسلام تسير بنا نحو الجنان والعطف الألهيّ، والمتخلِّف عنها يسير نحو النيران والعذاب[1].

المطلب الثاني: النبوَّة والإمامة

يشكِّل مفهوما النبوَّة والإمامة مطلبًا مهمًّا في الجنبة العقائديَّة، فالرسول محمَّد صلى الله عليه وآله النبيّ الذي بَشَّرَ بقدومه جميع الأنبياء السابقين له، وفي مجيئه صلى الله عليه وآله تمام الرسالة السماويَّة. وأراد الله تعالى أن يكون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إمامًا للناس من بعد رسولنا الكريم؛ ليأخذ بالمؤمنين إلى الطريق المستقيم الذي رسمه النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بتوجيه من الله عزَّ وجلَّ، فكانت آخر آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله في حجَّة الوداع، عندما بلَّغ المؤمنين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بعده، جاء قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

لتُشير الآية إلى أهميَّة النبوَّة والإمامة، فبعد التصديق بمحمَّد صلى الله عليه وآله بأنَّه نبيّ الله تعالى لا بدَّ من الإيمان بتنصيب عليّ عليه السلام إمامًا للأمَّة، إذ به أكمَلَ النبيّ صلى الله عليه وآله الدين الإسلاميّ،

(١) ينظر: شرح خطبة الصديقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١٩٥-١٩٨.

وأتمم الرسالة التي كلَّفه الله ﷻ بها.

وشهدت الحوراء الأنسيَّة عليها السلام بأنَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله رسول الله تعالى الذي أختاره قبل أن يبعثه نبيًّا، وجاء ذلك بقولها عليها السلام: «**وأشهدُ أنَّ أبي مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ أختارَهُ قبلَ أنْ أرسَلَهُ، وسَمّاه قبلَ أنِ اجْتباه، وأصطفاهُ قبلَ أنِ ابْتعثَه، إذِ الخلائِقُ بالغيبِ مكنونَة، وبسترِ الأهاويل مصونَة، وبنهايَةِ العَدَمِ مقرونَة**». فبيَّنت أنَّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله عبد من عباد الباري ﷻ، وله عند الله تعالى منزلة رفيعة وكرامة عظمى، إذ سمَّاه الله تعالى قبل أن يخلقه ويظهره للناس، فكان اختياره واصطفائه قبل وجود الخلائق أجمعين[1]، وأرسله رحمةً للعالمين، إذ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فكان النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديم إلى طريق الحقِّ، وقالت (سلام الله عليها)، «**فأَنارَ اللهُ بأبي محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عن القلوبِ بُهَمَها، وجَلى عن الأبصارِ غُمَمَها، وقامَ في الناسِ بالهدايَة، فأنقذَهُم من الغوايَة، وبَصَّرَهُم من العَمايَة، وهَداهُم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم**». فالله ﷻ بعث الأنبياء لبني البشر ليرشدوهم إلى قوانين وضعيَّة تحفظ حقوق البشريَّة بالتساوي، ومن دون فوارق طبقيَّة أو غيرها ممَّا يدعو للتفرقة. و«حيث إنَّ ابن آدم هو موجود عجيب فإنَّه يزرع الاختلاف في نفس العوامل التي من شأنها أنْ تمحو الاختلافات. فالله ﷻ قد بعث النبيِّين وأرسل معهم الكتب السماويَّة من أجل إزالة ما وقع بين الناس من اختلافات؛ أي إنَّه فعل ذلك كي يرضخ الجميع للقانون، وحينئذ ينفِّذون ما هو حقٌّ ولا يظلم بعضهم بعضًا لينعموا بحياة هانئة سعيدة»[2]. وتجدها عليها السلام عندما «تتحدَّث عن الحالة الإجتماعيَّة لما قبل الاسلام، تتوكَّأ على عنصر الصورة، «**فأَنارَ اللهُ بأبي محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عن القلوبِ بُهَمَها، وجَلى عن الأبصارِ غُمَمَها**»... فاستخدام الصورة منسجمًا على مختلف الصعد... حسب متطلَّبات الموقف... حينما

(١) ينظر: شرح خطبة الزَّهراء عليها السلام وأسبابها: ٨٨.

(٢) شرح الخطبة الفدكيَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ: ١٢. (محاضرات).

تحدَّثت عن الأحكام الصلاة والصوم.. الخ جاءت بالصور تمثيليَّة، لكنَّها جاءت بالصور استعاريَّة في أغلب المواقف، نظرًا لكون الأحكام تتطلَّب بُعدًا تعريفيًا بها»[1]. وأخذت عليها السلام تعرِّفهم بشخص النبيّ صلى الله عليه وآله، وبيَّنت من خلال بعض المفردات انتخاب النبيّ صلى الله عليه وآله جاء لخلاص الأمَّة واخراجها من الظلمات إلى النور. وكشفت الخطبة عن العصمة اللغويَّة والبلاغيَّة، وما تتَّسم به لغة الزَّهراء عليها السلام من الوضوح، ودلالات وسمات جماليَّة، وكلامها حافلٌ بلغة صوريَّة تمثيليَّة وتعريفيَّة[2]. ثمَّ قالت عليها السلام: «**جعلَ اللهُ الإيمانَ تطهيرًا لكُمْ من الشرك، والصلَاةَ تنزيهًا لكُمْ عن الكِبَر، والزكاةَ تزكيةً للنفسِ ونماءً في الرزق، والصيامَ تثبيتًا للإخلاص، والحجَّ تشييدًا للدِّين، والعدلَ تنسيقًا للقلوب، وطاعتَنا نظامًا للمِلَّة، وإمامَتَنا أمانًا للفُرقَة**». أشارة إلى أمور مهمَّة ومبادئ رسمها الله عزّ وجلّ كالإيمان والصلاة والزكاة.. الخ.

ثمَّ ما نودُّ الحديث عنه موضوع الإمامة. فهي محطّ اختلاف في مَن صاحب الحقِّ بكونه إمامًا للناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالت الشيعة إنَّ عليّ عليه السلام هو الأحقُّ والأجدر في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، لحمله صفات الفضل والورع والتقوى والكمال، وشجاعته في ميادين الجهاد، وعلمه بالأمور التشريعيَّة[3]. وفي القرآن الكريم بيان لذلك، إذ قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ (المائدة: ٦٧). ومتفَّق على أنَّها نزلت في عليّ عليه السلام عندما طُلب من النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبلغ بولاية عليّ عليه السلام بعده في غدير خم. فـ«الطاعة للعترة الطاهرة... تجسِّد نظامًا للملَّة، وأمَّا الإمامة فهي أمان من الفرقة... وتحقيق التوازن الاجتماعي للملَّة... بأنَّه الطاعة لأهل البيت عليهم السلام، وأمَّا الإمامة... أمان من الفرقة أي هي الدعم للتوازن الاجتماعيّ المذكور، وبالفعل فإنَّ تجاهل هذا الجانب

(١) أدب الشريعة الإسلاميَّة، محمود البستانيّ: ١٩٢-١٩٣.
(٢) ينظر: أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمود البستانيّ: ٣٤-٣٥.
(٣) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمَّة، أبو الحسن الأربلّيّ: ١/ ١٢٨.

أفضى، وكما هو ملاحَظ من زمن السقيفة وحتَّى حياتنا المعاصرة، إلى الفرقة، كما تنبَّأت الزَّهراء عليها السلام بذلك»[1]. لتقول (سلام الله عليها): «**اعلموا أنيِّ فاطِمةُ، وأبي محمَّد... فإن تَعْزوهُ وتَعرفوهُ تَجِدوهُ أبي دون نسائِكُم، وأخا ابن عَمِّي دون رجالِكُمْ**». بيَّنت نَسَبها لشيء ذو أهميَّة، فشكَّلت به أسلوبًا فنيًّا تسعى من خلاله للدلالة على أمرٍ شديد الأهميَّة، وكذلك وصفها للنبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّه أخ للإمام عليّ عليه السلام أسلوب له دلالة، إذ يشتبك النسب مع الإمامة، توثيقًا لحقائق ما تقرِّره[2]. والقيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مركز حسَّاس في الدين الإسلاميّ، إذ من خلاله دوام الرسالة المحمَّديَّة، التي تحمَّل من أجلها نبيُّنا صلى الله عليه وآله الكثير من الصعاب والعناء الذي لا توصف قسوته؛ من أجل النهوض بالأمَّة وانتشالها من الظلم. وإن صحَّ قول: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أهمل أمر الولاية بعده، فهذا خروج عن الصواب، كيف للنبيّ صلى الله عليه وآله أنْ يترك رسالة تحمَّل لأجلها عناءً كثيرًا. وما آلت إليه الأمَّة من أزمات ومآسي، نتيجة طبيعيَّة لعزل أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة وإدارة شؤون المسلمين بعد نبيِّنا الكريم صلى الله عليه وآله، وكانت الأطماع السياسيَّة والسعي للوصول إلى السلطة سببًا رئيسًا في ذلك[3]. ولقد «أحبَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أن يعيِّن القيادة من بعده بعد تحضير طويل، ولقد وجد في عليّ عليه السلام كلّ انصباب الصفات المؤهِّلة، ولقد جليت هذه الصفات وبرزت جلوتها، ولا شكَّ في أنَّ جلوتها كانت نتيجة هذا الاحتكاك المتين»[4]. بينهما.

وذكرت التقيَّة النقيَّة عليها السلام صفات الإمام عليّ عليه السلام في قولها: «**فلا يَنكَفِيء حَتَّى يَطأَ جَناحَها بأَخْمصِه، ويُخْمِدَ لَهَبَها بسَيْفِه، مَكدودًا في ذاتِ الله، مجتهدًا في أمرِ الله، قريبًا من رسولِ الله، سيِّدًا في أولياءِ الله، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا، لا تأْخُذهُ في اللهِ لومَةُ لائِم**». وقبل ذلك ذكرت صفات الرسول صلى الله عليه وآله، لتبيِّن عمق العلاقة الروحيَّة بين

(١) أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، البستانيّ: ٣٩.
(٢) ينظر: المصدر السابق: ٤١.
(٣) ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشيّ: ٩/ ٢٥٤.
(٤) فاطمة الزَّهراء عليها السلام وتر في غمد، سليمان كتَّاني: ٢٠٥-٢٠٦.

النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، ولتقول إنَّ الإمام عليّ عليه السلام أخذ صفاته من نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، نتيجة التواصل والاحتكاك ببعضهما، ليستلهم من ذلك الإمام القدرة على إدارة شؤون الأمَّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وبيان أحقيَّة الإمام بمنصب الخلافة، وتخليص الجزيرة من صراع الكرسيّ الذي تتناحر عليه قياداتهم(١). وأعلم «أنَّ الحاجة إلى الإمام أمر حسن، وأنَّ في نصبه صلاح العالمين قاطبة، وأنَّ الفوز في الدارين إنَّما يحصل بالإمامة... ولا بدَّ عند تعيين الإمام ونصبه من أن يكون الإمام عالمًا ببواطن الأمور والأشخاص، إذ الإمامة رئاسة عامَّة، ولا علم للجاهل بين الحسن والقبيح ليختار بينهما، ولا بصلاح العالمين وفسادهم»(٢).

المطلب الثالث: البعث والمعاد

يومٌ يجمع الله تعالى فيه عباده ليمثلون إلى العدل الالهي، الذي لا مفرّ لاحدٍ منه، فتلك سنّة الله عزّ وجلّ، إذ قال في كتابه المكنون: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وجاء فيه قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾(المؤمنون: ١٢-١٥). مدلول الآيتَين القرآنيَّتين أنَّ الموت حقٌّ على البشريَّة، فلا يُستثنى منه أحد، وجاء قول البتول الزكيَّة (سلام الله عليها) في ذِكرها لوفاة والدها صلى الله عليه وآله، «**ثمَّ قبضَهُ اللهُ إليهِ قبضَ رأفَةٍ واختيار، ورغبةٍ وإيثار، فمحمَّدٌ صلى الله عليه وآله من تَعَبِ هذه الدار في راحَة، قد حُفَّ بالملائِكَةِ الأبرار، ورضوانِ الربِّ الغفار، ومجاورَةِ المَلِكِ الجبَّار**». مؤيِّدةً بذلك النهج القرآنيّ الذي رسمه الله تعالى لنا، ومعبِّرةً عن معرفتها بمكنون القرآن الكريم، وما فيه من معارفٍ وأحكامٍ، وتشريعاتٍ سماويَّة.

(١) ينظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام وتر في غمد: ٢٠٦.
(٢) تحفة الأبرار، عماد الدين الطبريّ:٥٢.

وقالت عليها السلام: قبض الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وآله قبض رأفة، أي «خرج من الدنيا بتمام اللطف والعناية من الله... فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا إلَّا بنفسٍ راضيةٍ مطمئنَّة، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨)، فرغبة من النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وإيثارًا من الله تعالى بأن آثر الله نبيَّه بايثارٍ فوق إيثار البشريَّة، وأعطاه فوق ما أعطى الأنبياء والأولياء؛ لأنَّ الخدمة من النبيّ صلى الله عليه وآله تستدعي الإيثار وتوجِب المزيد من الفضل، فقبضه بلطف ورأفة لا بشدَّة وعنف، وهو الرؤوف بعباده الصالحين»[1].

وانتقلت الزَّهراء عليها السلام إلى التذكير لمن سلبوا حقها في فدكٍ، بأنَّ الحَكَم بيننا الله تعالى، وزعيمنا محمَّد صلى الله عليه وآله، وموعدنا يوم الحساب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩)، إذ قالت (سلام الله عليها): «**أَوَلَسْتُ أَنَا وَأبي مِنْ أهلِ مِلَّةٍ واحِدةٍ؟ أَم أَنْتُم أَعْلَمُ بخصُوصِ القُرآن وعُمُومِهِ مِنْ أبي وَابن عمِّي؟ فَدُنَكها مَحطُومةً مَرحُولةً تلقاكَ يَومَ حَشرِكَ، فَنِعمَ الحَكَمُ اللهُ، والزَّعيمُ محمَّدٌ صلى الله عليه وآله، وَالمَوعِدُ القِيامَةُ، وعِندَ السَّاعةِ يخسَرُ المُبْطِلُون**». فبدأت تستفهم عن معرفتهم لها، وتذكرهم أنَّها بنت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر واضح لهم كوضوح الشمس، بل هم يعرفونها، ويعلمون حقيقة قضيتها علم اليقين، بل عين اليقين، ووجَّهت نداءها للمسلمين عامَّة، ثمَّ قالت (سلام الله عليها) (أُغلب)، وجاء الاستفهام في خطابها هنا توبيخيّ إنكاريّ[2].

و«**نِعمَ الحكم الله**» حيث لا يجور في حكمه ولا يحيف في قضائه. «**والزَّعيم**» بمعنى الكفيل، أي كفيل أمر مخاصمتنا... حيث لا أحد في عوالم الكون والإمكان أقوى منه وأعلى مرتبة عند الله سبحانه، ولا يضيع ظلامته سيَّما من أمته. «**ونِعمَ الموعد القيامة**» حيث يحشر إليها الأوَّلون والآخرون، ويقتصُّ من القرناء للجمّاء، وعند الساعة يخسر

(١) شرح خطبة الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١٥٧.
(٢) ينظر: اللمعة البيضاء: ٦٥٠.

المبطلون»[1].

وإن دلَّ الموت إنَّما يدلُّ على أنَّ الخلائق كلُّها فانية إلَّا الله تعالى عن ذلك، إذ إليه تعود الخلائق؛ ليجازي كلًّ بما كسبت يداه، إنْ قدَّم خيرًا فجزاؤه خيرًا، وإنْ قدَّم شرًّا فجزاؤه شرًّا.

و«ينفرد الحيُّ القيُّوم الذي كان أولًّا وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، وبعدما يهلك كلُّ من في السماوات والأرض يسأل الله: (**لِمَن الملك اليوم؟**) ثلاث مرَّات، فلا يجيب أحد، فيجيب نفسه بنفسه، فيقول سبحانه: (**لله الواحد القهَّار**)، أنا الذي كنت وحدي، وقهرت كلَّ شيء وحكمت بالفناء على كلِّ شيء، ثمَّ يعيد الله النشأة الآخرة للخلق»[2]. ليعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ويأخذ للمظلوم ما سلب منه من ظلمة عصره وملَّته، فأرادت بنت نبيِّنا الكريم صلى الله عليه وآله أنْ تذكِّر ظالميها بيومٍ لا مفرَّ منه، والحاكم الله الذي لا يُظلَم عنده أحد، فإنْ مكَّنتكم السلطة الدنيويَّة من سلب حقوق العباد، فللعبد ربٌّ لا يقبل بالظلم لعباده، وعند الله عز وجل علمُ كلِّ شيء.

(١) اللمعة البيضاء: ٦٥٥.

(٢) الموت ماذا أعددنا له، عبد الله أحمد خشيم: ١٨.

الخاتمة

١. فدك من خطب الزَّهراء عليها السلام التي عُرِفت بالفصاحة والبلاغة، وجاءت بلغة سلسة تتَّسم بالوضوح، وفي ثناياها عبارات حافلة باللغة الصوريَّة، ودلالات وسمات جماليَّة.

٢. الإيمان بالله تعالى وتوحيده من الضرورات التي دعا إليها أهل العقائد، وإثبات أحقيَّة العبادة والوحدانية لله عزَّ وجلَّ، واتِّباع النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة من بعده، حقيقة لا مناص عنها.

٣. في الخطبة الفدكيَّة عدد من المضامين التي تشير إلى جنبة ما تعلَّق بالألهيَّات، إذ ذكَّرت الحاضرين بأنَّ الإيمان بالله تعالى قولًا غير كافٍ، فلا بدَّ للعبد أن لا يحيد عن أوامر الله تعالى ونواهيه، فالعمل دليلٌ على صدق الإيمان بالله عزَّ وجلَّ العالم بالأمور الغيبيَّة.

٤. وبيَّنت الخطبة في بعض مضامينها أنَّ الإيمان بالله تعالى لا بدَّ أن يعضد بالإيمان بنبوَّة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، والأئمَّة من بعده أولياء يدعون إلى الله عزَّ وجلَّ لإتمام الرسالة السماويَّة الداعية إلى الأخذ بالمسلمين نحو الظفر والصَّلاح.

٥. ذكَّرت الزَّهراء عليها السلام المسلمين بيوم القيامة، إذ لا ينفع الإنسان فيه إلَّا العمل الصالح الحسن، الذي دعا اليه النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام، وفيه يُعطى كلُّ مظلومٍ حقَّه، ويُحاسَب الظالم على أفعاله، وظلُمه للعباد.

المصادر والمراجع

١. أدب الشريعة الإسلاميَّة دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصومًا عليهم السلام، محمود البستاني، مؤسَّسة السبطَين عليهما السلام العالميَّة، الطبعة الأولى، قم، ايران، ١٤٢٤هـ.

٢. أدب فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمود البستانيّ، دار الحسنَين، الطبعة الأولى، قم، إيران، ١٤٢٤هـ.ق.

٣. إرشاد السائلين، عليّ آل محسن، باقيات، الطبعة الأولى، قم، ٢٠١٠م.

٤. تحفة الأبرار في مناقب الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، عماد الدين الطبري، تعريب: عبد الرحيم مبارك، مجمع البحوث الإسلاميَّة، الطبعة الثانية، مشهد، ١٤٢٨ق.

٥. التوحيد قراءة في رحاب نهج البلاغة والرؤى المعاصرة، محمَّد صادق محمَّد رضا الخرسان، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

٦. التوقيف على مهمَّات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي القاهريّ (ت ١٠٣١هـ)، علم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبيّ الأحمد نكري (ت ق١٢هـ)، نقله للعربيَّة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨. الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: أحمد الماحوزيّ، مركز أهل الذكر لنشر تراث أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، قم، ٢٠١٨م.

٩. خطبة الزَّهراء سيِّدة النساء عليها السلام قراءة حديثة وحوار جديد، مهدي صالح سلطان، دار الكفيل، الطبعة الأولى، كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٠. دروس في العقائد والمعارف، محمَّد تقي سبحاني، ورضا برنجكار، مؤسَّسة معارف أهل البيت عليهم السلام، قم، ١٣٩٧.

١١. زاد المسافرين في أصول الدين، محمَّد بن عليّ الأحسائيّ، تحقيق: أحمد الكنانيّ، مؤسَّسة أم القرى لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢. شرح الخطبة الفدكيَّة، محمَّد تقي اليزدي، دروس أُلقيت في شهر رمضان المبارك عام ١٤٣١هـ/ آب ٢٠١٠م.

١٣. شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها، نزيه القميحا، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٤. شرح خطبة الصدِّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، محمَّد طاهر آل شبير الخاقانيّ، تعليق: محمَّد كاظم محمَّد طاهر آل شبير الخاقانيّ، تنقيح: كاظم النورانيّ، أنوار الهدى، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٢هـ.

١٥. العقائد الجعفريَّة، جعفر كاشف الغطاء، اهتمام: مهدي شمس الدين، مؤسَّسة أنصاريان، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٦. العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، جعفر السبحانيّ، نقله إلى العربيَّة: جعفر الهادي، شبكة الفكر، (د.ط)، (د.ت).

١٧. العقيدة، جواد الورد، دار مسامير، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢.

١٨. فاطمة الزهراء وتر في غمد، سليمان كتَّاني، تحقيق: محمَّد الساعديّ، المعاونيَّة الثقافيَّة للمجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، (د.ت).

١٩. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، أبو الحسن بن أبي الفتح الأربليّ (ت ٦٩٢هـ.ق)، تحقيق: علي آل كوثر، المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٠. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، المحقِّق الطوسيّ والعلَّامة الحِلِّيّ، تحقيق: حسن مكِّي العامليّ، دار الصفوة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢١. الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة، أبو البقاء الحنفيّ (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمَّد المصريّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

٢٢. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، محمَّد عليّ التبريزيّ الأنصاريّ (ت ١٣١٠هـ.ق)، تحقيق: هاشم الميلانيّ، دار التبليغ الإسلاميّ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٣. الله والإنسان، مصطفى محمود، دار الجمهوريَّة، (د.ط)، (د.ت).

٢٤. الله والعقل، محمَّد جواد مغنيَّة، منشورات الرِّضا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢٥. المسلك في أصول الدين وتليه الرسالة الماتعيَّة، المحقِّق الحِلِّيّ (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: رضا الأستاديّ، الطبعة الثانية، مشهد، ١٤٢١ق.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٧. المغرب في ترتيب المعرب، برهان الدين الخوارزميّ (ت ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، (د.ط)، (د.ت).

٢٨. منهج الإرشاد إلى ما يجب فيه الاعتقاد، خضر الدجيلي (ت ١٣٨٣هـ)، تحقيق: أمير كريم الصائغ، مجمع الإمام الحسين عليه السلام العلميّ لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢٩. الموت ماذا أعددنا له، عبد الله أحمد خشيم، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلاميّ، العدد ١٦١، السنة الرابعة عشر، جمادي الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٠. موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام- فاطمة الزَّهراء عليها السلام، باقر شريف القرشيّ، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، مؤسَّسة الامام الحسن عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، النجف الأشرف، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣١. النبوَّة المعاد الإمامة، عبد الحسين دستغيب، ترجمة: محمَّد صادق الحسينيّ، الدار الإسلاميَّة، الطبعة الأولى، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٢. نهج البلاغة من كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (شرح جديد لأكبر عدد من المفردات اللغويَّة)، عبَّاس عليّ الموسويّ، دار الهادي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

الخصائص والمناقب الفاطميَّة

المبلِّغة فاطمة عبد الواحد كاظم
بغداد

ملخَّص البحث

إنَّ شخصيَّة عظيمة ومهمَّة بحجم مولاتنا الزَّهراء عليها السلام لايمكن أن توصَف بوريقات، ولايمكن تحديد مكانتها، فهي كما وصفها السيِّد عادل العلويّ: سرُّ الوجود وعصارته، فإنَّ النبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله شجرة الوجود، وباقي الناس من شجرٍ شتَّى، فقال صلى الله عليه وآله: «**فاطمة ثمرة فؤادي وقرَّة عيني ومهجة قلبي**»، ومن خصائص الثمرة:

١. عصارة الشجرة وخلاصتها.
٢. قيمة الشجرة بثمرتها.
٣. جمال الشجرة بالثمرة.
٤. تعرف الشجرة بثمرتها، كما يُقال هذه (شجرة التفَّاح).
٥. غاية وجود الشجرة هي الثمرة.
٦. لذَّة الشجرة بالثمرة.
٧. حلاوة الشجرة بثمرتها.
٨. مقصود الفلَّاح من الأشجار أثمارها.

وخصائص كثيرة أخرى[1].

ولمعرفة مزيد من خصائص ومناقب ومقامات تلك الشخصيَّة العظيمة بين يديك عزيزي القارئ هـذا البحث البسيط الـذي تناول بين صفحاته أنوارها، وقدسيَّتها، ومنزلتها عند الله عزَّ وجلَّ، ورسوله محمَّد صلى الله عليه وآله، والأئمَّة الأطهار (صلوات ربِّي عليهم أجمعين)، وقد تضمَّن البحث مبحثَين وأربعة محاور، أمَّا المبحث الأوَّل عنوانه (خصائص الزَّهراء عليها السلام قبل خلقها وأسرارها).

وتتناول فيه الباحثة السرَّ الإلهيّ في تكوين النطفة الإلهيَّة الملكوتيَّة للزَّهراء عليها السلام، هذا في المحور الأوَّل. أمَّا الثاني ففيه أهمّ خصائص الزَّهراء عليها السلام، والتي انفردت بها دون غيرها من العالمين، بعد أن نتعرَّف على معنى الخصائص لغةً واصطلاحًا.

أمَّا المبحث الثاني عنوانه (المناقب الفاطميَّة ومقاماتها القرآنيَّة)، نتعرَّف فيه أوَّلًا على معنى المناقب، ثمَّ ندخل في المناقب الفاطميَّة عند الفريقَين، وحسب ماورد في رواياتهم، هذا في المحور الأوَّل، بعدها نتطرَّق إلى أهمِّ مقامات البضعة الطاهرة عليها السلام في القرآن الكريم، وبعض الآيات التي خُصَّت بها دون غيرها من الأنبياء، والأولياء، والصالحين، فهي (سلام الله عليها)، كما ورد في الحديث: «**على معرفتها دارت القرون الأولى**»[2].

فهي أمُّ الرسالة وأمُّ أبيها، وهي التي جسَّدت أفعال رسول الله صلى الله عليه وآله باتِّباعه والاقتداء به، فمن نَصَر فاطمة عليها السلام فقد نصر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن خذلها واستهان بحرمتها، فقد خذل واستهان بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالرسالة المحمَّديَّة، وقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني، ومَن آذاها فقد آذاني**»[3].

---

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام معراج النبيّ صلى الله عليه وآله، السيِّد عادل العلويّ.
(٢) الأمالي، للشيخ الطوسيّ: ٦٦٨، البحار: ٤٣/ ١٠٥.
(٣) كشف الغمَّة- ابن أبي الفتح الإربلِّيّ: ٢/ ٣٧.

لذلك يمكن القول إنَّ ما تمتلكه هذه النسمة الطاهرة المليئة بالأسرار من خصائص ومناقب ومقامات بعضها نعرفه بمقدار محدوديَّة عقولنا، وإلَّا فإنَّ معرفة حقيقتها الكاملة لايعرفها إلَّا خالقها، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمَّة الأطهار (صلوات ربِّي عليهم).

فحاولت الباحثة جاهدة أن تسلِّط الأضواء على بعضٍ منها، فهي التي أضاءت وأشرقت السماوات والأرض بنورها، هذا ما علَّله الإمام الصادق عليه السلام لتسميتها بالزَّهراء قائلًا: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيِّدنا، ما لهذا النور؟ فأوحى الله إليهم هذا نورٌ من نوري، أسكنتهُ في سمائي، خلقته من عَظَمتي، أخرجته من صُلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضِّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمَّة يقولون بأمري، يهدون إلى حقِّي، وأجعلهم خلفائي بعد انقضاء وحيي**»[1].

(١) علل الشرائع، للشيخ الصدوق: ١/ ١٨٠.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقهِ أبي القاسم محمَّد صلى الله عليه وآله..

السلام عليكِ يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله، وملائكته، السلام عليكِ يا بنت خير البرية، السلام عليكِ يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخِرين[1].

إنَّ شخصيَّة عظيمة ومهمَّة بحجم مولاتنا الزَّهراء عليها السلام لا يُمكن أن توصفَ بوريقات، ولا يمكن تحديد مكانتها، فهي كما وصفها السيِّد عادل العلويّ «سرُّ الوجود وعصارته، فإنَّ النبيّ الأعظم محمَّد صلى الله عليه وآله شجرة الوجود، وباقي الناس من شجرٍ شتَّى، فقال صلى الله عليه وآله: **فاطمة ثمرةُ فؤادي وقرَّة عيني ومهجةَ قلبي**».

ولمعرفة بعض خصائص ومناقب ومقامات تلك الشخصية العظيمة، بين يديك عزيزي القارئ هذا البحث البسيط، الذي تناول بين صفحاتهِ أنوارها، وقدسيَّتها، ومنزلتها عند الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله، والأئمَّة الأطهار (صلواتُ ربِّي عليهم).

يتضمَّن بحث (الخصائص والمناقب الفاطميَّة) بعض من هذه المناقب والخصائص، التي اختصَّت وتميَّزت بها دون غيرها، حتَّى عن الأنبياء، بدءًا من التكوين الإلهيّ للنطفة المباركة، التي اختلفت فيها الروايات، اخترتُ منها ثلاث روايات صحيحةِ السَّند، أمَّا في باقي محاور البحث، فنحاول جاهدين أن نجمع تلك الخصائص والمناقب وما فيها من أسرار وخفايا، بحسب روايات الفريقَين، فهي (سلام الله عليها)، كما ورد في الحديث: «**على معرفتها دارت القرون الأولى**»[2].

---

(١) زيارة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

(٢) فاطمة الزَّهراء عليها السلام معراج النبيّ صلى الله عليه وآله، السيِّد عادل العلويّ.

وفي نهاية البحث، نذكر بعض المقامات القرآنيَّة التي اتَّصفت بها مولاتنا الزَّهراءعليها السلام، نسأل الله أن نوفَّق في هذا الجهد اليسير، بأن نرفع الظلامةَ عن مولاتنا الزَّهراءعليها السلام؛ لعدم معرفة قدرها عند البعض، والله وليُّ التوفيق.

المبحث الأوَّل

خصائص الزَّهراء عليها السلام قبل التكوين وما بعده

المحور الأوَّل: النطفة الملكوتيَّة

في عالم الأنوار سطعَ نورٌ ملكوتيّ يختلف عن أنوار الطبيعة، شاء الله أن يتحوَّل هذا النور الى نطفة ماديَّة تختلف وتتميَّز عن باقي النطف؛ لإنَّه ستُخلق منها البضعة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنت خير الخلق، وخاتم الرسل محمَّد صلى الله عليه وآله؛ ولأنَّها ستكون وعاءً للأئمَّة الطاهرين المعصومين عليهم السلام، ومن الروايات المعتبرة والمثبتة التي تؤكِّد على عناية الله عزَّ وجلَّ بهذهِ النطفة المباركة، هي:

١. **روى الشيخ الصدوق** بسندٍ صحيحٍ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**فلمَّا خلق الله عزَّ وجلَّ آدم وأخرجني من صُلبهِ، وأحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يُخرِجها من صُلبي، جعلها تفَّاحة في الجنَّة، وأتاني بها جبرائيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمَّد! قلت: وعليكَ السلام ورحمة الله حبيبي جبرائيل، فقال: يا محمَّد إنَّ ربَّك يقرِئك السلام. قال: يا محمَّد إنَّ هذهِ تفَّاحة أهداها الله عزَّ وجلَّ إليك من الجنَّة. فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمَّد يقول الله جلَّ جلاله: كُلها، ففلقتها فرأيتُ نورًا ساطعًا، وفزعتُ منهُ، فقال: يا محمَّد مالكَ لا تأكل؟ كُلها ولا تخف، فإنَّ ذلك للمنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرائيل ولمَ سُمِّيت في السماء المنصورة، وفي الأرض فاطمة؟ قال: سمِّيت في الأرض فاطمة، لإنَّها فطمت شيعتها من**

النار، وفُطِم أعداؤها عن حبِّها»[1].

٢. **أمَّا في الرواية الثانية**، فتقول إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما عُرِجَ بهِ الى السماء، ناوله جبرائيل عليه السلام رُطبًا من الجنَّة، فتحوَّل نطفةً في صُلبهِ، وهي رواية الشيخ الصدوق بسندٍ صحيح عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**لـمَّا عُرِجَ بي إلى السماء، أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام، فأدخلني الجنَّة فناولني من رُطبها فأكلته، فتحوَّل ذلك نطفة في صُلبي، فلمَّا هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة، فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة حوراء إنسيَّة، فكلَّما اشتقتُ إلى رائحةِ الجنَّة شممتُ رائحة ابنتي فاطمة**»[2].

٣. **الرواية الثالثة**، وهي رواية عليّ بن إبراهيم القمِّيّ، وبسندٍ صحيحٍ، تؤكِّد أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أكل من ثمار الجنَّة، فحوَّله الله عزَّ وجلَّ إلى ماء في ظهره، حيث تقول عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثِر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة إنَّني لـمَّا أُسري بي إلى السماء، دخلت الجنَّة فأدناني جبرائيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فحوَّل الله ذلك ماء في ظهري، فلمَّا هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة، فحملت بفاطمة، فما قبَّلتها قطُّ إلَّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها**»[3].

وعلى الرغم من اختلاف الروايات في أصل ما تناوله الرسول صلى الله عليه وآله، فالرواية الأولى ذكرت أنَّ ما تناوله النبيّ صلى الله عليه وآله كان تفَّاحة، بينما الرواية الثانية ذكرت أنَّه رُطب، أمَّا الثالثة فتقول من ثمار الجنَّة، بل هناك رواية تقول إنَّها سفرجلة، لكن بالنتيجة تكون ما تناوله النبيّ صلى الله عليه وآله من ثمار الجنَّة، وهي كلمة بصيغة الجمع، كما في الرواية الثالثة.

---

(١) معاني الأخبار، باب النوادر، للشيخ الصدوق، المعاني، ج٥٣، ص٣٩٦.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٩٣، للشيخ الصدوق.
(٣) تفسير القمِّيّ، ج١، ص٣٦٥.

المحور الثاني: الخصائص الفاطميَّة وأبعادها

بعد أن عرفنا في الجملة حقيقة تكوين النطفة الطاهرة لبنت المصطفى محمَّد صلى الله عليه وآله، ندخل ونغوص في أعماق تلك الشخصيَّة، لعلَّنا نعثر على جوهرة من جواهرها الثمينة والنفيسة، التي لا تقدَّر بثمن، وقبل ذلك فلنتعرَّف على معنى الخصائص:

الخصائص لغةً: قال صاحب القاموس: خصَّه بالشيء وخصوصًا وخصوصيَّة: فضَّله[1]، وقال ابن منظور: خصَّه بالشيء يخصُّه خصًّا وخصوصًا وخصوصيَّة والفتح: أفصح به دون غيره[2]. وفي المعجم الوسيط: الخصيصة: الصفة التي تميِّز الشيء وتحدُّه، والجمع: خصائص[3].

الخصائص اصطلاحًا: هي الفضائل والأمور التي انفرد بها مثلًا النبيّ صلى الله عليه وآله، وامتاز بها إمَّا عن اخوانهِ الأنبياء، وإمَّا عن سائر البشر[4]، ومن أهمِّ الشخصيَّات التأريخيَّة المهمَّة التي لها أنوارها القدسيَّة الخاصَّة بها، والتي تفيض به على الكون، تلك الشخصيَّة هي سيِّدة نساء العالمين، المنصورة في السماء، فاطمة بنت النبيّ الخاتم محمَّد المصطفى صلى الله عليه وآله. فلو بدأنا من أوَّل صفة كماليَّة، التي تعرَّض لها أغلب المؤرِّخين في شأن الزَّهراء عليها السلام، هي أنَّ نطفتها تكوَّنت من ثمار الجنَّة، وهذه الخصيصة محاطة ومقيَّدة بالزَّهراء عليها السلام دون غيرها من الخلق أجمعين من الأوَّلين والآخِرين، ومن الأنبياء، والأولياء، والعالمين، أمَّا باقي الخصائص التي تدلُّ على الأمور الغيبيَّة والكماليَّة، فيمكن إيجازها بالآتي:

١. **الحوراء الإنسيَّة**، تفوح منها رائحة الجنَّة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فإذا اشتقتُ إلى رائحة الجنَّة، شممتُ رائحة ابنتي فاطمة** عليها السلام»[5].

(١) القاموس المحيط، ص٦١٧.
(٢) لسان العرب، ج٧، ص٢٤.
(٣) المعجم الوسيط، ج١، ص٢٣٨.
(٤) نظرة النعيم من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وآله، المؤلِّف فريق من المتخصِّصين.
(٥) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٨ ص١٩٠.

٢. **ثمرة فؤاد النبي وروحه التي بين جنبيهِ وهي سيِّدة نساء العالمين.** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وأمَّا ابنتي فاطمة فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي**»(١).

٣. **أمُّ الأئمَّة الأطهار.**

٤. **أوَّل من تدخل الجنَّة،** عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأوَّلين والآخِرين، نادى منادي ربّنا من تحت عرشه: يا معشر الخلائق غضُّوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمَّد (اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد)**»(٢).

٥. **تجمع النورَين،** نور النبوَّة، ونور الإمامة.

٦. حجَّة الله على الحجج، ومفروضة الطاعة، كما ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام في قوله: «**نحن حجج الله على الخلائق، وأمُّنا فاطمة حجَّة الله علينا**»(٣).

٧. **من أصحاب الكساء** عليهم السلام، الذين أذهَب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا، فقط هي (سلام الله عليها) من النساء.

٨. **هي ليلة القدر،** عن الامام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: «**إنَّ فاطمة هي ليلة القدر، من عَرَف فاطمة حقَّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر**»(٤).

٩. **الإمام المهدي المنتظر إمام آخر الزمان** عجل الله فرجه الشريف **من ولدها.**

١٠. **فطم الخلق عن معرفتها،** عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنَّما سُمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الخلق فُطِمُوا عن معرفتها**»(٥).

---

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٤٣، ص١٧٢.
(٢) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٨، ص٦٨.
(٣) الأسرار الفاطميَّة، فاضل المسعوديّ، ص١٧.
(٤) تفسير نور الثَّقَلين، البرهان، وفي بحار الأنوار.
(٥) الحقُّ المبين في معرفة المعصومين، الشيخ عليّ الكورانيّ العامليّ، ص٢٦٥.

١١. **اشتُقَّ اسمها (فاطمة) من اسم الله** عزّ وجلّ **(فاطر)**، وفي حديث طويل نأخذ منه مورد الشاهد: «.. **فرأى آدم أشباح محمَّد وآل محمَّد، فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريَّاتي، هذا محمَّد وأنا الحميد المحمود في أفعالي، شققت له اسمًا من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليُّ العظيم، شققت له اسمًا من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطرَ السماوات والأرض**»[1].

١٢. **تسبيحها (سلام الله عليها) من مصاديق ذِكر الله الكثير**، روي عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام أنَّه سُئِل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، ما هذا الذِّكر الكثير؟ فقال: «**مَن سبَّح تسبيح فاطمة** عليها السلام، **فقد ذكر الله الذكر الكثير**»[2].

١٣. **فاطمة** عليها السلام **فرقانًا يميِّز الحقَّ عن الباطل**، فما رضيت عنه فاطمة فهو حقٌّ، وما غضبت عليه فهو باطل، إذ قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تبارك وتعالى ليغضَب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**»[3].

١٤. **أعظم مظلومة في التأريخ**، لإنَّها اعظم شخصية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، خلا بعلها أمير المؤمنين، فهي بنت خير الرسل وخاتم الأنبياء محمَّد صلى الله عليه وآله لكن!! غُصِبَ حقُّها من الإرث وحقّ زوجها من الخلافة، اعتدوا عليها وأحرقوا باب دارها، تلك الباب التي طالما استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله للدخول، وهي من البيوت التي أذِن الله أن تُرفع ويُذكَر فيها اسمه، ففي رواية عن ابن عبَّاس، سأل رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ما البيوت؟ فقال: **بيوت الأنبياء، وأومأ بيده**

---

(١) تفسير العسكريّ، ص٢٢٠، رقم الحديث ١٠٢، وفي بحار الأنوار، ج١١، ص١٥.

(٢) وسائل الشيعة، الشيخ الحرُّ العامليّ، ج٦، ص٤٤٣.

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٣٠٣.

إلى منزل فاطمة عليها السلام[1]، وعُصَرِت بين الحائط والباب وكُسَرِ ضلعها، وأُسقِط جنينها.

رحم الله أبو هاشم السيِّد إسماعيل الحميريّ، يقول:

ضُرِبَت واهتُضِمَت مِن حَقِّهَا
وأُذِيقَت بعده طعمَ السَّلَعِ
قطَعَ الله يَدَي ضارِبها
ويَدِ الرَّاضِي بذاك المُتَّبِعِ
لا عَفَا الله له عنها ولا
كفَّ عنه هُول يومِ المُطَّلَعِ[2]

الخصائص كثيرة، وهذا غيضٌ من فيض، فهي العلَّة الغائبة للوجود، وفيها الكثير من الأسرار الإلهيَّة التي أودعها الله في جمال فاطمة عليها السلام وكمالها.

(١) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٢٣، ص٣٢٦.
(٢) كتاب سليم، ص٦٧٥.

المبحث الثاني

المناقب الفاطميَّة ومقاماتها القرآنيَّة

المحور الأوَّل: مناقب البضعة الطاهرة عليها السلام عند الفريقَين

بدءًا نتعرَّف على معنى المناقب (مناقب الإنسان)، أي ما عُرِفَ بهِ من الخصال الحميدة والأخلاق النبيلة[1]، وفي لسان العرب ما عُرِفَ به من الخصال الحميدة والأخلاق النبيلة، وهي تكاد تكون مرادفة للفضائل.

من هذا المعنى ننطلق لنتعرَّف على أهمِّ المناقب التي حملتها، أمُّ الرسالة، وأمُّ أبيها، وهي التي جسَّدت أفعال ومناقب رسول الله صلى الله عليه وآله باتِّباعهِ والاقتداء به، فمَن نصرَ فاطمة عليها السلام فقد نصرَ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن خذَلها أو استهان بحرمتها، فقد خذل واستهان بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وبالرسالة المحمَّديَّة، وقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن آذاها فقد آذاني**»[2]، لذلك يمكن أن نقول إنَّ ما تمتلكه هذه النسمة الطاهرة المليئة بالأسرار من خصائص ومناقب ومقامات، البعض منه، والذي نتطرَّق إليه، نعرفه ونبحث عنه بمقدار محدوديَّة عقولنا، وإلَّا فإنَّ معرفة حقيقتها الكاملة لا يعرفها إلَّا خالقها ورسوله صلى الله عليه وآله، وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام والأئمَّة الأطهار (صلوات ربِّي عليهم)، فهي تلك التي أشرقت السماوات والأرض بنورها، هذا ما علَّله الإمام الصادق عليه السلام لتسميتها بالزَّهراء قائلًا: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور**

(١) قاموس (المعجم الرائد).

(٢) كشف الغمَّة، ابن أبي الفتح الأربلِّيّ، ج٢، ص٣٧.

عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغُشِيَت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة ساجدين، وقالوا إلهنا وسيِّدنا ما لهذا النور؟ فأوحى الله إليهم، هذا نورٌ من نوري أسكنته في سمائي، خلقته من عَظَمتي، أخرجته من صُلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضِّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمَّة يقولون بأمري، يهدون إلى حقِّي، وأجعلهم خلفائي بعد انقضاء وحيي»[1]، فإذا كانت (سلام الله عليها) قد خُلِقَت من نور عظمة الله، فكيف بنا أن نصل إلى حقيقتها المطلقة؟ لذلك تحاول الباحثة جاهدةً أن تسلِّط الأضواء في هذا المحور على بعض ما تمتلكه من مناقب وفضائل وأحوال، فهي المرآة العاكسة لأسماء الله الحسنى، فقد ورد عن معاوية بن عمَّار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، قال: «**نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملًا إلَّا بمعرفتنا**»[2].

ومن أهمِّ تلك المناقب:

١. العبادة ودرجة الكمال:

كانت (سلام الله عليها) كلُّ حركاتها وسكناتها جسَّدت فيها أقصى درجات العبوديَّة والطاعة والإخلاص، ولم تقتصر تلك العبادة على الصلاة، التي كانت فيها تتورَّم قدماها، ولا على الصوم حتَّى التصق بطنها بظهرها، وإنَّما كانت هي الصابرة والزاهدة، فلم تطلب شيئًا من متاع الدنيا وزخرفها، بل كانت سعادتها في قضاء حوائج الناس، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خير الناس من نفع الناس**»[3]، فلم تترك بابًا من أبواب الطاعة يحبُّه الله إلَّا ودخلته، لذلك استحقَّت أن تلقَّب بـ(حبيبة الله)، كما في القول أنَّ الله يخاطبها يوم القيامة، ويقول لها: «**يا حبيبتي وابنة حبيبي**»[4].

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٨٠.
(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج١، ص١٤٣-١٤٤.
(٣) غرر الحكم، ح ٥٠٠.
(٤) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، الأنصاريّ الزنجانيّ، ج١، ص١٣٣.

وكان شكل من أشكال العبادة عندها الإيثار والعطاء الكامل، حتَّى نزلت بحقِّها الآيات المباركة، نتطرَّق إليها في المحور الأخير إن شاء الله، وأيضًا جهادها ضدَّ الباطل والظلم، والوقوف مع الحقِّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تحمَّلت أعباء الرسالة مع أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، ومع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، حتَّى خرجت للمسجد تخطب بالناس، مدافعةً عن حقِّها وحقِّ زوجها عليه السلام بالخلافة، وكانت تطوف على بيوت المهاجرين والأنصار على دابَّة يسوقها أمير المؤمنين عليه السلام، فتدعوهم لنصرة إمام زمانها ولمبايعته، وتذكِّرهم ببيعة الغدير لعليّ عليه السلام بأمر من الله تعالى في آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ (المائدة: ٦٧).

وهكذا فقد تنوَّعت أشكال العبادة عندها، فتارةً جهادها خارج البيت، وخدمتها للناس، والدين، والرسالة، وأخرى داخل البيت ما بين صوم، وصلاة، وذِكر، ودعاء، فكان له الأثر الواضح في القبول، لدرجة أنَّ الملائكة تسلِّم عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في فاطمة عليها السلام: «**وإنَّها لَتقُوم في محرابها فيُسَلِّم عليها سبعون ألف مَلك من المقرَّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾**»[1] (آل عمران: ٤٢)، ولم تكتفِ الملائكة بالسلام، وإنَّما كانت تساعدها (سلام الله عليها)، ففي رواية عن أبي ذر أنَّه كان يرى رحى تدور، فيقول به رسول الله صلى الله عليه وآله مفسِّرًا ذلك: «**إنَّ ابنتي ملأ قلبها وجوارحها إيمانًا ويقينًا وعَلِمَ ضعفها وتعبها، فأعانها على دهرها وكفاها**»[2].

ومن أشكال عبادتها الدعاء التي كانت تنطق به وكأنَّها تنطق عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله، كيف لا، وهي من بيت الوحي وبيت القرآن الكريم والبلاغة والفصاحة وبيت العلم، فعندهم (صلوات ربِّي عليهم) علوم الأوَّلين والآخِرين، فكانت (سلام الله عليها) تطلب العلم والعمل بجدٍّ واجتهاد، ومن أهمِّ الآثار العلميَّة التي تركتها، هو

(١) روضة الواعظين: ج١، ص١٤٩، الشيخ محمَّد بن فتَّال النيشابوريّ.
(٢) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٤٣.

المصحف الذي سمِّي بـ(مصحف فاطمة)، والذي فيه خبر ما كان، وما يكون، إلى يوم القيامة.

إذن كانت عبادة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ترقى إلى مستوى عبادة الأحرار، وإلى عبادة العارفين بالله، فهي التي نظرت إلى الدنيا وإلى الكون بعين الله حتَّى رأت حقيقة عالم الملكوت الأعلى بجماله وبهائه، فتلاشت أعباء وانصهر تعب وعناء ما كانت تقوم به من عبادات إمام العشق الإلهيّ الذي كان ينقل روحها الشفَّافة إلى عالم آخر وإلى روضة من رياض الجنَّة.. عُذرًا مولاتي لأنِّي سمحتُ لنفسي أن أصِفَ عبادتك بهذا المستوى، فأنَّى لنا ذلك، ونحن الذين قيَّدتنا الدنيا بقيودها.

٢. الصدِّيقة:

عن الامام الكاظم عليه السلام أنَّه قال: «**فاطمة صدِّيقة شهيدة**»[١].

الصدِّيق: المداوم على التصديق، أي دائم الصدق بما يوجبه الحقُّ، وقيل الصدِّيق الذي عادته الصدق[٢].

وبديهيّ أنَّ مقام الصدق والاستقامة في القول والفعل يأتي تلو مقام النبوَّة، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ (الحديد: ١٩)[٣].

فهي (سلام الله عليها) الصدِّيقة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام عندما أراد تغسيلها: «**والصدِّيقة لا يُغَسِلُها إلَّا صدِّيق**»[٤].

٣. الأشبه بالرسول صلى الله عليه وآله:

كانت الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى في مشيتها، عن أمِّ سلمة قالت: «**كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله أشبه الناس وجهًا وشبهًا برسول**

(١) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج١، ص٤٥٨.
(٢) الطبرسيّ، مجمع البيان.
(٣) الخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكنجوريّ، ج١، ص٢٢١.
(٤) البحار، ج٢٧، ص٢٩١.

اللهصلى الله عليه وآله**»**[1]. ورُوي عن عائشة أنَّها قالت: «**ما رأيتُ أحدًا كانَ أشبهَ كلامًا وحديثًا برسول الله**صلى الله عليه وآله **من فاطمة**عليها السلام**»**[2].

وفي مصادر أهل السنَّة المعتبرة، نذكر بعض أقوال الرسولصلى الله عليه وآله بشأن الزَّهراء فاطمةعليها السلام، ففي صحيح الترمذيّ قول الرسولصلى الله عليه وآله: «**فاطمة أشبه الناس برسول الله**صلى الله عليه وآله**»**[3]، وقولهصلى الله عليه وآله: «**الله يرضى لرضا فاطمة**»[4]، وقولهصلى الله عليه وآله: «**أوَّل من يدخل الجنَّة فاطمة**»[5]، وقولهصلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي من أغضبها أغضبني**»[6].

٤. محدِّثة الملائكة:

في الرواية إنَّ الصديقة فاطمةعليها السلام بنت محمَّد رسول اللهصلى الله عليه وآله كانت محدِّثة، ولم تكن نبيَّة[7].

يقول الإمام الصادقعليه السلام في حديث: «**فلمَّا حملت خديجة**عليها السلام **بفاطمة**عليها السلام**، وكانت خديجة تغتمُّ وتحزن إذا خرج رسول الله**صلى الله عليه وآله**، فكانت فاطمة**عليها السلام **تُحَدِثُهَا من بطنها وتصبِّرها**»[8].

٥. عقد زواجها المبارك في السماء:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح عليّ وفاطمة**عليهما السلام**، فكان جبرئيل المتكلِّم عن عليّ وميكائيل الراد عنِّي..**»[9].

(١) كشف الغمَّة، بهاء الدين الأربلِّيّ، ج٢، ص١٠٠.
(٢) المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ.
(٣) صحيح الترمذيّ، ج١٣، ص٢٤٩.
(٤) المستدرك للحاكم النيسابوريّ، ج٣، ص١٥٣.
(٥) الخصائص الكبرى للسيوطيّ، ج٢، ص٢٢٥.
(٦) صحيح البخاريّ، ج٥، ص٢١، ٢٩.
(٧) بصائر الدرجات، ج٨، ص٣٩٢.
(٨) دلائل الإمامة، ص٧٧، خبر ولادتهاعليها السلام.
(٩) شرح الاخبار، النعمان بن محمَّد المغربي، ج٣ ص٦٦، ٦٧.

٦. الحجاب الفاطميّ:

إنَّ فقه الحجاب عند سيِّدة عظيمة، وهي سيِّدة نساء العالمين له شروطه الخاصَّة، باعتبار أنَّها المثال الأوَّل والأعلى للستر، والحجاب، والعفَّةِ، والحياء، والقدوة الأولى في تطبيق جميع الأحكام والتشريعات الإلهيَّة، فلو أخذنا هذه الجنبة المهمَّة في حياة سيِّدة الطهر، وهي الحجاب، وتطبيقهُ بما أمر الله، نجدها لم تخالف قدر أنملة، وإنَّما تقف عند حدود وشرعة المصطفى صلى الله عليه وآله، فلم تكتفي (سلامُ الله عليها) بالحشمة الكاملة، وستر جميع البدن بما فيه الوجه والكفَّان، وإنَّما كان أوسع من ذلك بكثير، فهي التي تحجَّبت من أعمى!.

ففي الجعفريَّات: أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمَّد، حدَّثني موسى، قال: حدَّثنا أبي، عن أبيهِ، عن جدِّهِ جعفر بن محمَّد، عن أبيهِ عليهم السلام: «**إنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذنَ عليها أعمى فحجبتهُ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: لِمَ حجبتهِ وهو لا يراكِ؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكُنْ يراني فأنا أراهُ، وهو يشمُّ الريح، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أشهدُ أنَّكِ بضعةٌ منِّي**»[1].

واعجباهُ سيِّدتي تتحرَّجينَ من رؤيةِ الأعمى، فكيفَ بالبصير؟ ما أعظَمها من رسالة تُوَجَّه إلى نساءِ العالم اللواتي يفصِّلن العفَّةَ والستر على مقاسِهِنَّ وعلى أهوائهنَّ بلا حياء ولا خوف من الله عزَّ وجلَّ، تلك الرسالة من امرأةً عظيمة لم يمنعها حجابها الكامل من أداءِ دورها الرساليّ في الدفاع عن عقائدِ الإسلام وسنَّةِ أبيها صلى الله عليه وآله، وفي استرجاعِ حقِّها السليب، فقد وصفها الرواة حينما جاءت إلى مسجدِ النبيّ صلى الله عليه وآله بقولهم: لـمَّا بلَغَ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكر على مَنعِها فدك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّةٍ من حفدتها ونساءِ قومها، تطأُ ذُيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنِيطَت دونَها مِلاءة[2].

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوريّ، ج١٤، ص٢٨٩.
(٢) الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ص٤٧١.

كان هذا في حياتها، فلم نذكر المجمل ولا التفصيل، وإنَّما هو النزر اليسير، فلو دخلنا فيه لطالَ بنا المقام؛ لأنَّها (سلام الله عليها) عكست لنا ماهيَّة الحجاب الحقيقيّ، أمَّا بعد وفاتها، فكانت تعيش همَّ ذلك اليوم، كيف ستظهر ملامح جسدها الطاهر العفيف من النعش؟ فعن أبي عبد الرحمن الحذَّاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **أوَّل نعش أُحدِثَ في الإسلام نعشُ فاطمة عليها السلام إنَّها اشتكت شكوتها التي قُبِضَت فيها، وقالت لأسماء: إنِّي نحلتُ وذهب لحمي ألا تجعلي لي شيئًا يسترني؟ قالت أسماء: إنِّي كنتُ بأرضِ الحبشة رأيتهم يصنعون شيئًا أفلا أصنع لكِ؟ فإن أعجبكِ صنعتُ لكِ، قالت: نعم، فدعت بسرير فأكبَّتهُ لوجههِ، ثمَّ دعت بجرايد فشدَّتهُ على قوايمه ثمَّ جلَّلتهُ ثوبًا فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون، فقالت: اصنعي لي مثلهُ، استريني سترك الله من النار**[1].

كان كلُّ وجودها وكيانها لله عزَّ وجلَّ وللآخرة لم تجعل الدنيا، وزخرفها، وزبرجها، وزينتها جُلَّ همِّها واهتمامها، ولا نصب عينيها، يُذكَر في رواية ابن شاهين في مناقب فاطمة وأحمد في مسندِ الأنصار بإسنادهما عن أبي هريرة وثوبان أنَّهما قالا: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يبدأ في سفرهِ بفاطمة ويختم بها، فجعلت وقتًا سترًا من كساء خيبريَّة لقدوم أبيها وزوجها فلمَّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تجاوز عنها، وقد عُرِف الغضب في وجهه، حتَّى جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت السِّتر، فبعثت به إلى أبيها وقالت: **إجعل هذا في سبيل الله**. فلمَّا أتاه قال عليه السلام: «**قد فعلت فداها أبوها ثلاث مرَّات ما لآل محمَّد والدنيا، فإنَّهم خُلِقوا للآخرة وخُلِقت الدنيا لهم**»[2]، نعم كان يرى رسول الله صلى الله عليه وآله في ابنتهِ فاطمة الزَّهراء عليها السلام أرفع من هذه الأمور، كوضع الزينة بالمنزل، وهو الكساء الخيبريّ المزركش والملوَّن؛ لفرحها بقدومهم (صلوات ربِّي عليهم)، فهذه المظاهر الدنيويَّة في قياساتهم لغيرهم، لكن ماذا فعلت مولاتنا الزَّهراء عليها السلام؟ تصدَّقت بكلِّ تلك الزينة؛ لأنَّ سجيَّتها الكرم والإيثار.

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ، ج١، ص٤٦٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٨٦.

هذه إشارات مختصرة لجوانب من مناقب البضعة الطاهرة، فهي: الزَّهراء، البتول، سيِّدة نساء العالمين، الحوراء الإنسيَّة، حبيبة الله، المنصورة الحرَّة، المباركة، الطاهرة، الزكيَّة، الراضية، المرضيَّة، المحدَّثة، الصدِّيقة الكبرى، النوريَّة، الحانيَّة، بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

المحور الثاني: مقامات السيِّدة فاطمة عليها السلام في القرآن الكريم والتلازم بينهما

إنَّ أسماء والقاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تكشف عن مقاماتها وملامح عظمتها في كلِّ المجالات، أمَّا إذا أردنا أن نتعرَّف على مقاماتها القرآنيَّة، علينا أن نستقرئ بعض الآيات، لوجود الاقتران والتلازم بين القرآن الكريم، وأهل البيت عليهم السلام، وهي (سلام الله عليها) منهم، وبحسب حديث الثَّقَلين الذي أجمع الفريقان على صحَّتهِ وصدورهِ عن النبيّ صلى الله عليه وآله، ففي مسند أحمد بن حنبل (مسند الأنصار)، بسنده عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنِّي تاركٌ فيكم خَليفَتَين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوض**».

وانطلاقًا من هذا التلازم، وهذا الاقتران بين القرآن الكريم، وبين العترة الطاهرة، ومنهم السيِّدة العظيمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، نستنتج مقامات رفيعة نذكر بعضًا منها:

١. مقام العصمة:

القرآن الكريم معصوم من الخطأ والزلل، فهو الحقُّ؛ لأنَّه المنزَّل من الحكيم الحميد، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، وكذلك السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي المعصومة بدليل آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وبإجماع الفريقَين.

٢. نزول القرآن الكريم في ليلة القدر:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، وللسيِّدة الزَّهراء عليها السلام ارتباط وثيق بليلة القدر، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**فمَن عرف فاطمة عليها السلام حقَّ معرفتها، فقد أدرك ليلة القدر**»(١).

٣. القرآن الكريم شافع مشفّع:

كما وصفه النبي صلى الله عليه وآله: «**فعليكم بالقرآن فإنَّه شافعٌ مشفّع**»(٢)، وللزَّهراء عليها السلام مقام الشفاعة إلى شيعتها ومحبِّيها يوم المحشر، فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحبَّ الجيِّد من الحبِّ الرديء، قال الإمام الباقر عليه السلام في رواية طويلة نأخذ ما يفيد المقام: «**والله يا جابر إنَّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبِّيها كما يُلتقَط الحبُّ الجيِّد من الحبِّ الرديء**»(٣).

٤. القرآن عصمة للأمَّة من التفرُّق والتشتُّت والضياع:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، والقرآن وأهل البيت عليهم السلام هم الحبل الممدود الذي يعصم الأمَّة، وفي هذا قالت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام: «**وجعل إمامتنا نظامًا للملَّة وأمانًا من الفُرقة**»(٤).

٥. القرآن مبارك:

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢)، فهو كثير البركة والخير والعطاء، ومبارك في آثاره على النفس والمجتمع؛ لأنَّه مصدر الهداية والإرشاد والسعادة والحياة المطمئنة للبشريَّة ومصدر العلوم كلِّها، وهكذا الزَّهراء عليها السلام كثيرة البركة وعطائها

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام سرُّ الوجود، السيِّد عادل العلويّ، ص٦٣.
(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ، ج٢، ص٥٩٩.
(٣) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ، ج٨، ص٥٢.
(٤) مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت عليهم السلام، المرجع اليعقوبيّ.

لا ينفد، حتَّى أنَّ الله تعالى سمَّاها الكوثر الذي يعني الخير الكثير[1].

هذه المقامات لمولاتنا الزَّهراء عليها السلام، والمتلازمة مع القرآن الكريم في الجملة ولم نخُض أكثر، أمَّا أهمُّ الآيات التي ذُكِرت فيها الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام، فهي:

١. آية التطهير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

٢. آية المباهلة:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١).

٣. آية الإطعام في سورة الإنسان:

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).

٤. سورة الكوثر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر).

٥. سورة القدر:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، الليلة فاطمة، والقدر الله، فمن عَرَف فاطمة عليها السلام حقَّ معرفتها، فقد أدرك ليلة القدر[2].

٦. آية مرج البحرين:

عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩)، قال: **عليّ**

(١) مقامات القرآن الكريم وصنوه أهل البيت عليهم السلام، المرجع اليعقوبيّ.
(٢) تفسير فرات الكوفيّ، فرات بن إبراهيم الكوفيّ، ص٥٨١.

وفاطمة عليها السلام بحران عميقان لايبغي أحدهما على صاحبه»[1].

٧. آية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾:

عن الإمام الصادق عليه السلام عن جابر الأنصاريّ: «أنَّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام، وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**، فقالت: **يا رسول الله، الحمد لله على نعمائِهِ والشكر لله على آلائه**، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى: ٥)[2].

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج٢ ص ٣٤٤.
(٢) بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج٤٣ ص ٨٥-٨٦.

الخاتمة

انتهى البحث (الخصائص والمناقب الفاطميَّة) بحمد الله وتوفيقه، والنتيجة أنَّ سيِّدة عظيمة مثل مولاتنا الزَّهراء عليها السلام، وما امتازت به من خصائص ومناقب ومقامات من قَبل ولادتها، ومُذ كانت في عالم الأنوار عند العرش، إلى التكوين المبارك من النطفة الملكوتيَّة هي سرٌّ من أسرار الله، وأنَّى لنا أن نعرف مكنونات هذا السرّ العظيم، لكن بالقدر المحدود سلَّطنا الضوء على بعض منها؛ لأنَّنا علينا أن نعرفها كما يقول السيِّد عادل العلويّ رحمه الله: «بالمعرفة الجلاليَّة في أفعالها وأقوالها، والجماليَّة في صفاتها وسلوكها، والكماليَّة في ذاتها وسيرتها».

فكانت أسماؤها وألقابها المباركة، التي أُطلقت عليها ولقِّبت وكنِّيت بها من قبل خالقها ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله، والأئمَّة الأطهار عليهم السلام، جسَّدت تلك الخصائص والمناقب والمقامات.

هذا والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر

١. **معاني الأخبار**.

المؤلِّف: الشيخ الصدوق.

الوفاة: ٣٨١هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

٢. **اسم الكتاب: عيون أخبار الرضا**.

المؤلِّف: الشيخ الصدوق.

الجزء: ١.

الوفاة: ٣٨١هـ.

سنة الطبع: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣. **تفسير القمِّيّ**.

المؤلِّف: عليّ بن إبراهيم القمِّيّ.

الجزء: ١.

الوفاة: ٣٢٩هـ.

المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة.

الطبعة: الثالثة.

سنة الطبع: صفر ١٤٠٤هـ.

٤. **القاموس المحيط.**

المؤلِّف: مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب الفيروز آباديّ.

الوفاة: ٨١٧هـ.

الناشر: مؤسَّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥. **لسان العرب.**

المؤلِّف: ابن منظور.

الناشر: دار صادر، بيروت.

٦. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام.**

المؤلِّف: العلَّامة الحجَّة الشيخ محمَّد باقر المجلسيّ (قدَّس الله سرَّه).

الجزء: ٨.

مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٧. **المعجم الوسيط.**

المؤلِّف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيَّات، محمَّد النجَّار، حامد عبد القادر).

الناشر: دار الدعوة.

٨. **بحار الأنوار.**

المؤلِّف: العلَّامة المجلسيّ.

الجزء: ٤٣.

الوفاة: ١١١١هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام.

سنة الطبع: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩. الأسرار الفاطميَّة.

المؤلِّف: الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ.

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة.

تحقيق: تقديم السيِّد عادل العلويّ.

الطبعة: الثانية.

سنة الطبع: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠. الحقُّ المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام.

المؤلِّف: الشيخ عليّ الكورانيّ العامليّ.

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة.

١١. تفسير نور الثَّقلين.

المؤلِّف: الشيخ عبد عليّ بن جمعة العردسيّ الحويزيّ.

الناشر: مؤسَّسة قم.

الوفاة: ١١١٢هـ.

١٢. وسائل الشيعة (آل البيت).

المؤلِّف: الحرّ العامليّ.

الجزء: ٦.

الوفاة: ١١٠٤هـ.

سنة الطبع: ١٤١٤هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

تحقيق: مؤسَّسة آل الشيوع لإحياء والتراث.

١٣. تفسير العسكريّ.

المؤلِّف: الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة.

تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

الطبعة: الأولى محقَّقة.

١٤. معاني الأخبار.

المؤلِّف: الشيخ الصدوق.

الموضوع: الحديث.

الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ ودار المعرفة.

١٥. بحار الأنوار.

المؤلِّف: العلَّامة المجلسيّ.

الجزء: ٢٣.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام.

الطبعة: الثانية.

سنة الطبع: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦. سليم.

المؤلِّف: أبو صادق سليم بن قيس الهلاليّ.

١٧. المعجم الرائد.

المؤلِّف: جبران مسعود.

١٨. كشف الغمَّة.

المؤلِّف: ابن أبي الفتح الإربلِّيّ.

الجزء: ٢.

الوفاة: ٦٩٣هـ.

المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمَّة عليهم السلام.

١٩. علل الشرائع.

المؤلِّف: الشيخ الصدوق.

الجزء: ١.

الوفاة: ٣٨١هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

٢٠. الكافي.

المؤلِّف: الشيخ الكلينيّ.

الجزء: ١.

الوفاة: ٣٢٩هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

الطبعة: الخامسة.

سنة الطبع: ١٣٦٣هـ.

٢١. غرر الحكم (كلمات قصار وحكم ومواعظ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

المؤلِّف: الشيخ عبد الواحد بن محمَّد التميميّ الآمديّ.

الوفاة: ٥١٠ هـ.

٢٢. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المؤلِّف: إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ الخوئينيّ.

التصنيف: الحديث الشريف وعلومه.

٢٣. روضة الواعظين.

المؤلِّف: الشيخ محمَّد بن فتَّال النيشابوريّ.

٢٤. مجمع البيان.

المؤلِّف: أمير الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ.

٢٥. الخصائص الفاطميَّة.

المؤلِّف: الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ.

الجزء: ١.

الوفاة: ١٢٥٥هـ.

المجموعة: مصادر سيرة النبيّ والأئمّة عليهم السلام.

الطبعة: الأولى.

سنة الطبع: ١٣٨٠ش.

٢٦. صحيح الترمذيّ (سنن الترمذيّ).

المؤلِّف: محمَّد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحَّاك الترمذيّ (أبو عيسى).

الوفاة: ٢٧٩هـ.

الطبعة: الثانية.

الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ مصر.

٢٧. المستدرك.

المؤلِّف: الحاكم النيسابوريّ.

الجزء: ٣.

الوفاة: ٤٠٥هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

٢٨. الخصائص الفاطميَّة.

المؤلِّف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ.

الوفاة: ٩١١هـ.

الناشر: دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٢٩. صحيح البخاريّ.

المؤلِّف: أبة عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاريّ الجعفيّ.

الطبع: بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠. بصائر الدرجات.

المؤلِّف: محمَّد بن الحسن الصفَّار (من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام).

الوفاة: ٣٩هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم اللغة.

٣١. دلائل الامامة.

المؤلِّف: محمَّد بن جرير الطبريّ (الشيعيّ).

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام.

تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة.

٣٢. شرح الأخبار.

المؤلِّف: القاضي النعمان المغربيّ.

الجزء: ٣.

الوفاة: ٣٦٣هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام.

تحقيق: السيِّد محمَّد الحسين الجلاليّ.

٣٣. مستدرك الوسائل.

المؤلِّف: الميرزا النوريّ.

الجزء: ١٤.

الوفاة: ١٣٢٠هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

الطبعة: الثانية.

سنة الطبع: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٤. الأسرار الفاطميَّة.

المؤلِّف: الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ.

الوفاة: معاصر.

المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإماميَّة.

تحقيق: السيِّد عادل العلويّ.

٣٥. تفسير فرات الكوفيّ.

المؤلِّف: فرات بن إبراهيم الكوفيّ (وهو من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجريّ).

٣٦. تهذيب الأحكام.

المؤلِّف: الشيخ الطوسي.

الجزء: ١.

الوفاة: ٤٦٠هـ.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، قسم الفقه.

الطبعة: الثالثة.

سنة الطبع: ١٣٦٤ش.

٣٧. تفسير القمِّيّ.

المؤلِّف: عليّ بن إبراهيم القمِّيّ.

الجزء: ٢.

الوفاة: ٣٢٩هـ.

سنة الطبع: ١٣٨٧هـ.

٣٨. بحار الأنوار.

المؤلِّف: العلَّامة المجلسيّ.

الجزء: ٤٣.

المجموعة: مصادر الحديث الشيعيَّة، القسم العام.

تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ.

الطبعة: الثانية المصحَّحة.

سنة الطبع: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

والحمد لله رب العالمين.

إسهام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إثبات ولاية عليّ عليه السلام (دراسة تحليليَّة)
الجهاد الفاطميّ في إثبات ولاية عليّ عليه السلام

د. حمزة حسن عبَّاس الموسويّ
الأمانة الخاصَّة لمزار السيِّد عليّ بن طاووس قدس سره

ملخَّص البحث

يعدُّ خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من الخطابات البيانيَّة العالية، لما يزخر به من مضامين ومقاصد لا تصدر إلَّا من المعصوم الذي يتلقَّى علومه من العلم المطلق، فقد تجلَّى في ضوء خطابها عليها السلام إحاطتها بالأبعاد المعرفيَّة كافَّة، ولاسيما معرفة الله عزوجل، فضلًا عن المعرفة التاريخيَّة والاجتماعيَّة والأحكام الفقهيَّة، والكشف عن أسرار العبادات والفرائض، وتبيان عِلَلِها، فقد كانت عليها السلام تمتلك مقوِّمات القراءة الدقيقة للواقع والمستقبل، ناهيك عن الأسلوب البيانيّ العالي، والدرجة العالية في البلاغة وأفانين القول.

يهدف هذا البحث للحديث عن المهام الكبرى الزاخرة بالفخر والسموِّ والارتقاء في خطاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ رسمت معالم ومواقف عظيمة البيان جليلة المضمون في نصرة الدين والعدل ومظاهر الإنسانيَّة العظمى.

وأبرقت بدروس رائعة في الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وإثبات أحقيَّته في قيادة الأمَّة وإمامتها بعد الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، ويتجلَّى هذا الرسم المبارك والمنهج الباصر في خطبتها الفدكيَّة في المسجد النبويّ، وخطبتها لنساء المهاجرين والأنصار.

حقًّا وصدقًا واجهت الزَّهراء عليها السلام القوم إعلاميًّا وسياسيًّا وأخلاقيًّا وعاطفيًّا بلزوم اتِّباع هدْي محمَّد صلى الله عليه وآله، ومشروعه الرساليّ في الاقتداء بوليِّه وصهره الإمام عليّ عليه السلام، بوصفه عنوان الإمامة وعتبة الاقتداء، وخلاف ذلك عدم شرعيَّة أي خلافة دونه عليه السلام.

من هنا جاءت هذه المحاولة البحثيَّة للتعرُّف على جهاد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والدفاع عنها.

اقتضى الأمر بحسب المادَّة المجموعة أن يكون البحث في مقدِّمة ومبحثَين وخاتمة بأهمِّ النتائج، انعقد المبحث الأوَّل بعنوان: مدخل إلى خطبَتَي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تعريفًا، وجاء المبحث الثاني بعنوان: موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والدفاع عنها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين حبيب قلوب العالمين أبي القاسم محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

أمَّا بعد:

فإنَّ البحث عن سيرة العظماء والشخصيَّات التي خطَّت على جبين التاريخ خطوطًا عريضة، ودروسًا للأجيال اللاحقة، رفض الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا بدَّ من التعرُّف عليها والتعريف بها، إذ تمثِّل نهجًا، وترسم دربًا لكلِّ من رام الاقتداء بها، واستلهام عناصر النصر، وتوسيع أفق النظر لمحاربة الباطل والفساد، والسيِّدة الزَّهراء عليها السلام من أعظم الشخصيَّات الإسلاميَّة بعد أبيها وبعلها، وذلك أنَّها الامتداد الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله، والامتداد النسبيّ للرسول من خلال أبنائها، فضلًا عن الامتداد النسبيّ، كانت امتدادًا قيميًّا ورساليًّا للرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا كان البحث موجَّهًا للدور المهمِّ والكبير الذي قامت به الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام في بناء مذهب أهل البيت، وثورتها العلنيَّة، والدفاع عن مبادئ الإسلام، والوقوف أمام أشرس هجمة بالتاريخ، وهو الاعتداء على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، تلك البداية الأولى للمذهب، وثبات ولاية آل البيت عليهم السلام، فالدروس والمعاني تستلهم من الفكر والإرادة القويَّة في المطالبة باسترجاع الحقِّ، والوقوف بوجه الظلم، والعمل على إثبات الحقِّ بشتَّى الطرق.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسَّم على مبحثَين تتبعها خاتمة، خُصِّص المبحث الأوَّل لدراسة خطبتَي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتعريف بهما بالدراسة والتحليل، وتناول المبحث الثاني الموقف الرساليّ والثابت للصديقة الزَّهراء عليها السلام، وإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والدفاع عنها، الذي من أجله استشهدت سيِّدة النساء، ثمَّ كانت الخاتمة، وفيها ذِكر أهم ما توصَّل إليه البحث من نتائج.

وسيحاول البحث تفصيل ما تقدَّم ذِكره، معزَّزًا بالآيات القرآنيَّة، مستشهدًا بنصوص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وأقوالها.

المبحث الأوَّل

مدخل إلى خطبَتي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

تُفصح خطبَتا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ما يحيط بهما من المحن والآلام، ومنها محنة التغيير وشدَّة التداخل والاختلاف، ولبيان شجاعتها وفصاحتها وإعلاء الحقِّ، فكانت محاور هذا المبحث على الشكل الآتي:

أوَّلًا: الخطاب الحجاجيّ في المناظرة

هناك طرق عدَّة استُخدمت للدفاع عن ولاية أهل البيت عليهم السلام على مرِّ العصور، ومنها المناظرات، والمحاججات، وتأليف الكتب، وغيرها، فهي أقدم الأساليب المستعملة منذ عصر المعصومين عليهم السلام إلى عصرنا هذا.

وتُعرَّف المناظرة: بأنَّها حوار وجدال علميّ قائم على التحاور حول قضيَّة فيها إشكاليَّة معيَّنة، ويكون هناك طرف مؤيِّد وطرف آخر معارض.

ومعظم المناظرات تعالج قضايا مثيرة للجدل، وتشدُّ انتباه الجمهور، وتجذب اهتمامه، فإنَّ الأسلوب الذي طرحته الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام كان من أفضل المناظرات، وطرح القضايا المهمَّة التي قدَّمتها وأحرجت القوم بها.

وعليه تكون المناظرة نوعًا من الحوار بين طرفَين أو أكثر، حول قضيَّة معروفة بين المتحاورين، ومطروحة للمناظرة، أو لديه رأي مخالف بما جاء به الطرف الأوَّل، إذ يقوم كلُّ طرفٍ بمحاولة إثبات صحَّة رأيه، والدفاع عنه باستخدام الحجج والبراهين العلميَّة، كما يحاول بكلِّ جهده إقناع الجماهير وإثبات خطأ موقف الطرف الآخر ورأيه،

وبالتأكيد تُدار المناظرة ضمن قواعد وضوابط وشروط معيَّنة، تختلف حسب المكان والزمان، ونوع القضيَّة المطروحة.

والمناظرة طريقة مصدرها القرآن الكريم، والسيرة النبويَّة الشريفة، والأئمَّة المعصومين عليهم السلام، وخير مَن طبقت القرآن والسيرة وشروط المناظرة وتصدَّت لها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لقضيَّة مهمَّة يتوقَّف عليها المسار الإسلاميّ والمطالبة بحقِّها وحقِّ بعلها عليّ عليه السلام، حيث عَرَضت أعزَّ ما يملك الإنسان، وهو النفس، أمام الرأي العام، ليعلم هؤلاء أنَّ هذا الموقف في سبيل إعلاء كلمة الله والدفاع عن الحقِّ، فقد جاهدت عليها السلام في ميادين حرب المخالفين لله ولرسوله، وبذلت قصارى جهودها لملء الساحة، حتَّى يتبيَّن من هو الأحقُّ في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن باب المسؤوليَّة، اتَّجهت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالاتِّجاه الدفاعيّ أمام من يصادم الدين الإسلاميّ، ويتعرَّض إلى مَن نصَّ عليه القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1].

وامتدَّت المناظرات إلى عصر العلماء بعد أخذ الدروس وعلم المناظرة من الأئمَّة المعصومين عليهم السلام إلى زمان الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، والسيِّد المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، والشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، والعلَّامة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ) الذي قام بمناظرته المعروفة في مجلس السلطان (الشاه خدابنده)، التي أدَّت إلى هداية بلاد إيران إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والتمسُّك بهم، وصار التشيُّع مذهبًا رسميًّا في البلاد[2].

وأمَّا تأليف الكتب تجاه المضلِين والمبتدعين، فإنَّ أكثر العلماء كتبوا في الردِّ على فرقةٍ ضالَّةٍ أو شخصٍ مضلٍّ، فأُلِّفت كتب كثيرة على سبيل المناظرة، ولعلَّ أوَّل مَن أقدم

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) ينظر: روضات الجنَّات، الخوانساريّ: ٢/ ٢٧٩، المناظرات في الإمامة، عبد الله الحسن: ٣٣١.

على ذلك، هو الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ)، من أصحاب الإمام الرِّضا والجواد والعسكريَّين عليهم السلام، في كتابه (الإيضاح)، وتبعه الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات)، و(المسائل الصاغانيَّة)، وغيرهم.

ثانيًا: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله

الحوادث التي عاشتها الزَّهراء عليها السلام، وتحمَّلت مع أبيها شتَّى أنواع الأذى والآلام، عندما أعلن مشركو قريش المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين، وعاشت ظروف الجوع والحرمان وهي في صِباها، بعد المقاطعة والحصار الاقتصاديّ الذي فرضه المشركون على بني هاشم لحمايتهم رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي دام ثلاث سنوات في شِعب أبي طالب، وكانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تمسح التُّراب والدَّم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وتبكي ممَّا أصابه من أذى المشركين، وكان الرسول يحاول أن يخفِّف عنها عبء الألم ويحثها على التجلُّد قائلًا: «**لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانعٌ أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته**»[1]، وهكذا يزرع الرسول صلى الله عليه وآله في نفس ابنته روحًا جهاديَّة عالية، ويملأ قلبها بالصبر والثقة بالنصر.

فقد جاهدت من مكَّة إلى المدينة عبر الصحراء القاحلة، بعد ملاحقة المشركين للنسوة ومطاردتهم القافلة، وكانت مع النساء في واقعة أُحد يحملن الطعام والشراب على ظهورهنَّ، ويسقين الجرحى ويداوينهم[2]، وكانت مع النساء في غزوة الخندق، وفي غزوات أخرى، إضافة إلى ذلك، فإنَّها أعطت كلَّ ما ورثته من أمِّها خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لينفقه في الدعوة إلى الإسلام.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وجسده الطاهر مازال على وجه الأرض ولم يوارَ الثرى، وانشغال أمير المؤمنين عليه السلام بتغسيله، انعقد اجتماع سرِّي للغاية للتداول بشأن الخلافة

(١) تاريخ الطبري: ١/ ٤٢٦، سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسني: ٢٠٥.
(٢) المغازي، الواقدي: ١/ ٢٤٩.

التي كان النبي صلى الله عليه وآله قد حسم أمرها قبل وفاته بتبليغ النصِّ الإلهي على صاحبها، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وحضر هذا الاجتماع بعض الإنصار وثلاثة من المهاجرين، وكان جميع الصحابة غائبين عن هذا الحضور الذي تمخَّض بعد مشادات ساخنة عن اختيار خَلَفٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله في إدارة شؤون المسلمين، وضربوا عرض الحائط ببيعتهم مع سيِّد الأوصياء في يوم الغدير، فقد نكثوا البيعة والعهد والميثاق الذي أبرموه علانية أمام الأمَّة من المسلمين.

وبعد نكث بيعة الرسول ووصيِّه الإمام عليّ عليه السلام، والتغافل عن الأمر تمامًا، كلُّ ذلك من أجل تحصيل زعامات غير شرعيَّة، والإسراع في ملذَّات الحياة وزخرفها، وهذا دليل على ما خبَّأته النفوس الضالَّة من حقدٍ وحسدٍ دفين لأهل البيت عليهم السلام، وإن دلَّ الأمر على شيء، فهو تعبير عن عدَّة انهيارات للأمَّة، فهناك انهيار عقائديّ وأخلاقيّ، وانهيار أدبيّ صريح، ما كان من المعقول والأدب أن يترك الناس الاشتراك بمراسم دفن الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكن هناك من اهتمَّ بهذا الأمر غير عليّ عليه السلام وأُسرته والخلَّص من أصحابه، أمَّا باقي القوم سكنوا السقيفة لتحصيل مكاسب الدنيا[2].

قال الشيخ المفيد: «ولم يحضر دفن رسول الله كثير من الناس؛ لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه، وأصبحت فاطمة تنادي: **وا سوء صباحاه**، فسمعها عمر فقال لها: إنَّ صباحك لصباح سوء»[3].

وقد ذكرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها هذا المضمون حول نقض العهد والوعد الذي أعطوه في بيعة الغدير حيث قالت: «**هذا والعهد قريب**»، كما جاء في القرآن الكريم

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.
(٢) ينظر، قراءة في السيرة الفاطميَّة، كفاح الحدَّاد: ٢١٤.
(٣) الإرشاد، المفيد: ١/ ١٨٩.

في كثير من الآيات المباركة منها، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[1]، و﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[2].

ثمَّ قالت عليها السلام: «**والكلم رحيب**»، أي الجرح، فإنَّ الكلم عبارة عن الجرح، والرحيب وسيع؛ لأنَّ موت الانسان يُحدِث جرحًا عميقًا واسعًا في نفوس أقربائه وأودَّائه، ثمَّ يتجمَّع الجرح حتَّى يندمل، وفي هذا إلفات إلى أنَّه لم يمضِ على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله سوى ساعات حتَّى اجتمعوا في السقيفة، وكلامها هذا يدلُّ على شدَّة حُرمة ما فعله القوم[3].

وقد أشار ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) إلى ما كان منهم أصحاب السقيفة عند وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، انصرفوا عن غسله إلى تنصيب خليفة عليهم يلي أمورهم بعد النبيّ، ولم يشتغل بتكفينه إلَّا آل البيت وآخرين معهم[4].

وبعد سماع الإمام عليّ عليه السلام وبني هاشم وكثير من الصحابة بأخبار البيعة، تخلَّفوا عنها وعارضوها، وكانوا يجتمعون بدار الزَّهراء عليها السلام، ويتشاورون في مصير الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة، وفي موقفهم من البيعة؛ لأنَّهم يرون أحقيَّة الإمام عليّ عليه السلام للنصوص الواردة في هذه الأحقيَّة، ومنها ما جاء في حجَّة الوداع من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع المسلمين، وأخذ بيد عليّ عليه السلام وقال: **ألستم تعلمون أنِّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا، بلى.. فقال صلى الله عليه وآله: **من كنت مولاه فعلي مولاه**[5].

إضافةً إلى عشرات الأحاديث التي عبَّر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن عليّ عليه السلام بـ«سيِّد المسلمين، قائد الغُرِّ المحجَّلين، إمام أوليائي، يعسوب الدين، إمام المتَّقين».

والحديث الذي نصَّ عليه بالخلافة، إذ جاء في حوار ابن عبَّاس مع عمر بن

(١) سورة النحل، آية: ٩١.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.
(٣) من فقه الزَّهراء عليها السلام، السيِّد محمَّد الحسينيّ: ٣/ ٢٨١.
(٤) بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢٥.
(٥) مسند أحمد: ٥/ ٣٥٥، صحيح مسلم: ٢/ ٣٦٢.

الخطَّاب، وكان عمر يقول: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذرؤ من قول... لا وربّ هذه البنيَّة لا تجتمع عليه قريش أبدًا[1].

وحينما أقرُّوا الخلافة الجديدة في السقيفة، أرادوا أخذ البيعة من المعارضين المجتمعين في دار فاطمة عليها السلام، لم تستطع إخراجهم من دارها بعد أن قابلتهم بحجَّة قاطعة، «**تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حق**»[2].

وكانت عليها السلام تخرج لتدعوا الأنصار إلى نقض البيعة، وإلى الدعوة الى بيعة الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وهي تقول لهم: «**ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم**»[3].

وخطبت عليها السلام في المهاجرين والأنصار، توضِّح لهم دور عليّ وآهل البيت عليهم السلام في الأمة، قالت: «**نحن وسيلة في خلفه، ونحن خاصَّته ومحلّ قدسه، ونحن حجَّته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه**»[4].

وأوضحت العوامل التي دعت قريش للتخلُّف عن بيعة عليّ عليه السلام بالخلافة، حيث قالت: «**... وما الذي نقموا من أبي حسن؟ نقموا والله نكير سيفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته**»[5].

وقد طالبت بميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم تُعطَ ذلك الحق، واستمرَّت بالمطالبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تارةً بالميراث، وتارةً بالنِّحلة، فدُفِعت عنها.

على ضوء ما تقدَّم، بقيت الزَّهراء عليها السلام تعيش الأيَّام الساخنة، إذ كانت الأحداث

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢/ ٢١.
(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوريّ: ١/ ١٢.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٢١٠.
(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ٢٣٤.

قاسية، وفي ظروفٍ حِرِجة للغاية، فقد تسارعت في أيَّام قلائل بعد رحيل النبيّ، كان الحدث القاسي هو غصب حقِّها في أرض فدك التي نَحلها رسول الله صلى الله عليه وآله في زمانه، غير أنَّ الحدث الأقسى هو غصب الولاية من زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، رغم العهود والوثوق.

اتَّخذت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام خطًّا قويًّا تذود عن حياض الإمامة، ومن فدك جسرًا للمطالبة بكلِّ الحقوق المسلوبة، ولبيان الخطر الذي تتعرَّض له الأمَّة.

تنقل مصادر الفريقَين أنَّ القوم بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله هجموا على بيت فاطمة الزَّهراء عليها السلام وأضرموا فيه النار، وروى خبر الهجوم وحرق الدار جملة من أئمَّة المخالفين[1].

وروته الإماميَّة من طرق كثيرة، أنَّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريده، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس، فتلقَّته فاطمة على الباب، فقالت: **يا بن الخطَّاب، أتراك محرقًا عليَّ بابي؟** قال، نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[2].

أشارت الروايات أنَّ الهجوم قد تحقَّق على دار الزَّهراء عليها السلام، وأخذوا عليًّا عليه السلام مكبَّلًا بالحبال، إذ يقول المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ): «فوجَّهوا إلى منزله، فهجموا عليه وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهًا، وضغطوا سيِّدة النِّساء حتَّى أسقطت محسنًا، وأخذوه بالبيعة فامتنع، وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلوني فإنِّي عبد الله وأخو رسوله، وبسطوا يده فقبضها، وعسر عليهم فتحها، فمسحوا عليها وهي مضمومة...»[3].

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١/ ٣٠، أنساب الأشراف، البلاذريّ: ١/ ٥٨٦، العقد الفريد، ابن عبد ربِّه الأندلسيّ: ٥/ ١٢.

(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢٨/ ٣٨٩ ٤١١، بيت الأحزان، عبَّاس القمِّيّ: ١٢٧.

(٣) إثبات الوصيَّة، المسعوديّ: ١٢٤.

وكانت السلطة الحاكمة وحماة السقيفة قد دبَّروا غصب الخلافة من قبل، فلم يعبأوا بالاعتراضات وواجهوا المخالفين للسقيفة بقسوة، ورغم أنَّهم ادَّعوا الاجماع على خلافة أبي بكر؛ لإسباغ الشرعيَّة عليها، إلَّا أنَّ التاريخ زاخر بالشواهد على استعمالهم العنف ضدَّ مخالفيهم بالضرب والجرح.

يقول البراء بن عازب: «وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية، لا يمرُّون بأحد إلَّا خبطوه وقدَّموه فمدُّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى[1].

هناك من يتردَّد في قبول روايات الهجوم على دار فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولكن ليس عندهم أدنى شكٍّ أنَّ ثمَّة أحداث ساخنة قد حصلت بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وأدَّت إلى غصب الخلافة والهجوم على بيت عليّ عليه السلام بالطريقة الوحشيَّة، وأوجعوا الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام وأسقطوا جنينها، وعصروها ما بين الحائط والباب، وكسروا ضلعها، ووضعوا الحبال في عنق علي عليه السلام وجرُّوه إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بتهديد السلاح، إذ قال النبيّ في وصيَّته لعليّ عليه السلام عن فاطمة عليها السلام: «... **وويلٌ لمن هتك حرمتها، وويلٌ لمن أحرق بابها، وويلٌ لمن آذى خليلها، وويلٌ لمن شاقها وبارزها**»[2].

ويومًا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ابنته الصدِّيقة المظلومة فبكى، وقال: «**إنِّي لـمَّا رأيتها ذكرت ما يُصنَع بها بعدي، كأنِّي وقد دخل الذلُّ بيتها، وانتُهِكت حرمتها، وغُصِب حقّها، ومُنِعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي: يا محمَّداه، يا محمَّداه، فلا تُجاب، وتستغيث فلا تُغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية... ثمَّ يبتدئ بها الوجع فتمرض... فتكون أوَّل من يلحقني من آهل بيتي، فتقدُم عليَّ محزونة مكروبة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهمَّ العن من ظلمها، وعاقب من غصبها،**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢١٩.
(٢) مأساة الزَّهراء، جعفر مرتضى العاملّي: ٢/ ٢٩٢.

وأذلَّ من أذلها، وخلِّد في نارك مَن ضرب جنبيها حتَّى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين»[1].

لقد أدَّت بيعة السقيفة إلى تولِّي الحكم من قِبل أشخاص مخالفين لآهل البيت عليهم السلام، أصابتهم حروب صدر الإسلام بمطعن، ولم يتظاهروا بالإسلام إلَّا اضطرارًا ونفاقًا.

وتفيد الروايات بأنَّ أساس الإسلام ليس حبّ عليّ وأهل بيته فحسب، بل هو أمرٌ أبعد من هذا، وهو (الإمامة والولاية) اللذَان يكون إنكارهما موتًا جاهليًّا وارتدادًا وحرمانًا من حوض الكوثر «**مَن مات ولا إمام له مات ميتة الجاهليَّة**»[2]، والدليل العقليّ يحكم لا بدَّ للإمام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يكون معصومًا من الذنوب قبل الإمامة وبعدها، وأن يكون منصوصًا عليه، وهو أفضل الناس وأعلاهم في جميع الخصائص الفردية والاجتماعيَّة والفضائل الأخلاقيَّة كالزُّهد والتقوى والعلم والعبادة والشجاعة والإيمان، وهذه الصفات لا تنطبق إلَّا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحده[3].

ثالثًا، جهاد فاطمة الزَّهراء عليها السلام

وقفت الزَّهراء عليها السلام إلى جانب أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله في جهاد الأعداء، وتحمَّلت المصاعب والمصائب في مسيرتها، وكانت تنصر المظلوم وتدافع عن الحقِّ، ودفاعها عن حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلمَّا رآها القوم خطرًا على حكومتهم، حاولوا التخلُّص منها، وكذلك فعلوا، فقضت شهيدة في سبيل الله، وهي في سنِّ الثامنة عشر من عمرها الشريف.

(١) أمالي الصدوق: ١٧٤، ح ١٧٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١١١، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثميّ: ٥/ ٢١٨-٢١٩، ٢٢٣-٢٢٥، ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة، والمضمون من المضامين المؤكَّدة والمقبولة لدى جميع المسلمين.

(٣) خلف جدران السقيفة، نجم الدين الطبسيّ: ٥.

قامت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالدفاع والوقوف الصلب والإيمانيّ ومواجهة القوم بما عندها من قوَّة، هو الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعدُّ من أوائل التضحية والإعلان سياسيًّا وإعلاميًّا، وبيَّنت للناس عدم شرعيَّة الخلافة للقوم وغصبها، وبقيت الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام تبكي على ظلامة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام، وما يقوم به القوم من بعدها من ظلم عليه[1].

عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: «**لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: يا سيِّدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى بعدي، فقال لها: لا تبكي فو الله إنَّ في ذلك لصغير عندي في ذات الله**»[2].

لقد حقَّقت الصديقة الزَّهراء عليها السلام في حركتها الجهاديَّة، وهي الممتحَنة الصابرة، الأهداف التي من أجلها تعرَّضت للأذى والمِحن والآلام، وهذه هي سيرة الأنبياء والصالحين ممَّا تعرَّضوا له طول مسيرتهم الرساليَّة.

نفهم من خلال هذا النهج أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان حاكمًا وقائدًا مضافًا إلى نبوَّته وإمامته، وقد أشار القرآن الكريم إلى مظلوميَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله، كانت الزَّهراء عليها السلام أشدَّ الناس حزنًا على أبيها، وما مرَّت الابتسامة والضحكة على وجهها منذ قُبِض أبوها حتَّى شهادتها، وقد تملَّكها الحزن الشديد، فقد غاب عنها الأب الحنون والحامي والمواسي والسند، ممَّا جعل همَّ الفراق يطحن قلبها.

---

(١) من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ: ٢١٧.
(٢) الأنوار البهيَّة في تواريخ الحجج الإلهيَّة، عبَّاس القمِّيّ: ٥٠.
(٣) سورة التوبة، آية: ٦١.

ربَّما كانت آخر ضحكة لها عندما بشَّرها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل بعده، روي عن عائشة أنَّها قالت: طلب رسول الله الزَّهراء عليها السلام، وهو يحتضر، وهمس في أذنها شيئًا فبكت، ثمَّ همس بشيء آخر، ففرحت فاطمة وضحكت، فسألتها عن سبب البكاء وذلك السرور، فأجابت: **كان بكائي بسبب أنَّ والدي أخبرني بقرب وفاته، ثمَّ قال لي إنَّني أوَّل من يلحق به من أهل بيته، ففرحت وضحكت**»[1].

جاء في كشف الغمَّة، أنَّ هذا الحديث ورد عن عدَّة مصادر مضمونة، يدلُّ على علوِّ شأنها وأفضليَّة هذه المعصومة على جميع البشر، سوى أبيها وزوجها، إلى أن يقول: إنَّ طبيعة كلِّ إنسان جُبلت على حبِّ الحياة والتألُّم من الموت، بحيث يفرُّ منه، وحين يسمع بموته يستولي عليه الحزن[2].

إنَّ فاطمة عليها السلام بالرغم من كونها في ريعان الشباب، ولم تكن قد ذاقت بعد لذَّات الحياة، ولديها أولاد كانت متعلِّقة بهم جدًّا، وكذلك لها زوج لامثيل له في الدنيا، ومع كلِّ هذا فحين يخبرها أبوها بنبأ موته وأنَّها ستلحق به سريعًا يدخلها السرور العظيم، ويغدو هذا الخبر مهدِّئًا لها عند فقدانه، وهذا لا يؤثِّر فيها أبدًا انتهاء الحياة الدنيويَّة، وفراق الأبناء والزوج، تغدو سعيدة فرِحة بالموت، ومستعدِّة للقائه، وهذا حقًّا أمرٌ عظيم، يعجز اللسان عن وصفه، وتقصر العقول عن إدراكه.

وانطلاقًا من هذه الحقيقة ومقامها عليها السلام، لم يعرفها أحد كما هو حقه غير رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمَّة الهدى عليهم السلام، إذ نفهم من الحديث السابق أنَّها بلغت حدَّ العلم بالعيان، بل بلغت إلى حقِّ اليقين، إضافة إلى أنَّنا نفهم أنَّ فاطمة عليها السلام كانت من أولياء الله؛ لأنَّ الاشتياق إلى الموت علاقة حبّ الله والموت هو الوسيلة الوحيدة لرفع الحجاب وبلوغ لقاء المحبوب، إذ قال تعالى، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، محمَّد كاظم القزوينيّ: ١٨٢.
(٢) كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الأربلِّيّ: ٢/ ٧٩.

ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين: «**والله إنَّ ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمِّه**»[2].

وجاء عن الإمام الحسين عليه السلام في خطبته لـمَّا عزم على الخروج إلى العراق، قام خطيبًا في الثامن من ذي الحجَّة عام (٦٠هـ)، قال: «**خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف...**»[3].

لقد أسَّست الزَّهراء عليها السلام كيف يتحقَّق الجهاد في سبيل الله، وما قدر الدنيا أمام إثبات حقِّ الله ورسوله، وإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بالاستعداد للتضحية بكلِّ ما تملك، وليس هناك أعزُّ من النفس، فقد بذلتها الزَّهراء عليها السلام، وقد روي أنَّها ما زالت بعد أبيها معصوبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدَّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: **أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرَّة بعد مرَّة؟ أين أبوكما الذي كان أشدَّ الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبدًا، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما**[4].

ويروى كان جبرئيل يأتيها، فيُحِسن عزاءها على أبيها، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعد في ذريَّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مُصحف فاطمة عليها السلام[5].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٦.
(٢) نهج البلاغة: ١/ ٤١.
(٣) اللهوف على قتلى الطفوف، عليّ بن طاووس: ٢٦.
(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب.
(٥) الكافي، الكلينيّ: ١/ ٢٤١، بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢٦/ ٤١.

المبحث الثاني

موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في اثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع عنها

بعد انحراف الأمَّة عن جادَّة الصواب، وكان بإمكان أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلن الحرب والمعارضة التي لم تخدم الإسلام، ولربَّما تُنذِر بفتنة كبرى قد تترك آثارًا لا يُحمد عقباها على مدى الدهر، ممَّا جعل أمير المؤمنين عليه السلام يسكت عن حقِّه وفي العين قذًى، وفي القلب شجًى، ممَّا دفع أن تقف الزَّهراء عليها السلام في حملات دفاعيَّة عن الإمامة والولاية، بل الدفاع عن الإسلام، فقامت بطلب الحقوق الشرعيَّة واحتجاجاتها مع القوم المنافقين، واستمرَّ هذا الدور حتَّى ظهور قام آل محمد صلى الله عليه وآله، ويقع الكلام في هذا المبحث عن دراسة مواقف الزَّهراء عليها السلام مع القوم.

أوَّلًا: احتجاج الصديقة الزَّهراء عليها السلام بحقِّها الشرعيّ

من المواقف الجهاديَّة للصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، ونتيجة للأحداث القاسية التي عاشتها، قامت بإطلاق موقفها الجهاديّ الأوَّل، فأرسلت إلى أبي بكر تطالبه بميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي فدك[1].

(١) قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحًا، وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لـمَّا نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبقَ إلَّا ثلاث، واشتدَّ بهم الحصار، راسلوا رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء، وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي ممَّا لم يوجف عليها بخِيلٍ أو ركابٍ، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله. معجم البلدان، ياقوت الحمويّ: ٤/ ٢٣٨.

فالأسلوب الذي انتهجته في مطالبتها بحقوقها لتصل إلى الهدف الحقيقيّ، وهو المطالبة بخلافة الإمام عليّ عليه السلام التي تراها امتدادًا لرسالة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

حينما طالبت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بفدك، لم تطلب بتلك البقعة من الأرض، بل كانت تقصد إلى السلطة والخلافة التي كانت لأبيها في جميع الشؤون السياسيَّة والماديَّة وغيرها.

وقد ثبَّت القرآن الكريم حكم فدك، إذ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[1].

هكذا وصلت فدك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن فُتِحت خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام، أصبحت غنائمها من نصيب المسلمين، فأصيب سكَّانها وهم من اليهود بالرعب بعد أن علموا أنَّهم لا يستطيعون مقاومة جيش المسلمين، فاضطرُّوا للاستسلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، واتَّفقوا على أن يدفع كلُّ من يسلم من أهلها ثلث ماله، ويكون بعدها في أمان، ومن لا يسلم فكلُّ ماله يصبح من نصيب الرسول صلى الله عليه وآله[2].

المسلمون لو فتحوا مدينة بواسطة الحرب، أخذوا الغنائم بعد فصل خمسها، وقسَّموها بينهم، أمَّا إذا صار الاتِّفاق بينهم دون حرب، كانت الغنائم من نصيب الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، لذا صارت فدك التي أخذوها وحصلوا عليها دون حرب من نصيب النبي صلى الله عليه وآله، إذ سلَّم اليهود أنفسهم لجيش المسلمين خوفًا منهم.

إضافة إلى (العوالي)، وهي من أملاك مخيريق اليهوديّ، وتضمُّ عدَّة قطع من نواحي فدك، وكان عائدها ضخمًا.

---

(١) الحشر، آية: ٦-٧.

(٢) سيرة الزَّهراء عليها السلام عبد الحسين دستغيب: ٢٢٧.

ويقول السيِّد عبد الحسين دستغيب: «هذا الشخص مخيريق اليهوديّ دخل المدينة المنوَّرة بعد أن كانت معركة أُحد قد بدأت، فأسلم ووهب أملاكه (العوالي) التي تشتمل على سبعة بساتين، وذَهَبَ إلى ميدان القتال وقُتِلَ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مخيريق من أهل الجنَّة، ولو أنَّه لم يستطع أن يصلِّي رَكعتين**»[1].

وبناءً على هذا، فإنَّ مجموع عوائد فدك والعوالي كان أكثر من سبعين ألف مثقال من الذهب سنويًا، وعندما نزلت آية: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء عليها السلام وأعطاها فدكًا، فجعل فدكًا لفاطمة عليها السلام بأمر من الله عزَّ وجلَّ، لما نزل قوله تعالى، ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وهذا خطاب من الله عزَّ وجلَّ يأمر الرسول صلى الله عليه وآله أن يوتي ذا القربي حقَّه، فمن ذو القربى؟ وما هو حقُّه؟.

وقد ذكر القرآن الكريم (القربى) في آية المودة: ﴿... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ...﴾[3]، والمقصود من القربى هم أقرباء الرسول صلى الله عليه وآله، وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فيكون المعنى: وأَعطِ ذوي قرباك حقوقهم.

والروايات كثيرة في هذه القضيَّة، خصوصًا مسألة فدك، فقد روى أبو سعيد الخدريّ وغيره أنَّه لـمَّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وآله أعطى فدكًا وسلَّمها إليها، وهو المرويُّ عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام، وهو المشهور بين جميع علماء الشيعة[4].

---

(١) سيرة الزَّهراء عليها السلام: ٢٢٨.

(٢) الروم، آية: ٣٨.

(٣) الشورى، آية: ٢٣.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسيّ: ٨/ ٣٠٦.

في ضوء ما تقدمَّ أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام عبَّرت عن موقف آل النبيّ صلى الله عليه وآله ممَّا جاءت به السقيفة من تدبير، وخطبتها أرادت أن تفضح القوم وتنزع الصورة الشرعيَّة من السقيفة، وتنبِّه على مخالفتها منهج أبيها، وهنا الخطورة التي جاء بها أصحاب الفتنة.

ثانيًا: مخالفات الشَّيخَين لنصوص الكتاب والسنَّة

مخالفات الشَّيخَين لنصوص الكتاب والسنَّة كثيرة، يتعذَّر إنكارها وإحصاؤها عند موقفهم أثناء توجُّع النبيّ صلى الله عليه وآله وتجرُّأهم عليه بكلام غليظ، إلى مخالفة السيرة الصحيحة، عندما وضعوا الكثير من الأحاديث المزوَّرة والموضوعة، التي ليس لها أساس، وأكثرها كانت تعمل لصالحهم، وهي لا تعدُّ ولا تُحصى.

فقد تعمَّدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، والمصيبة الكبرى، يقولون من يتعمَّد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله يكفر كفرًا يُخرجه من ملَّة المسلمين، هكذا قال علماء القوم، وهو حقٌّ.

وكانوا هم من طليعة الكاذبين عليه، إذ ورد قوله: «لقد كثرت عليَّ الكذابة، فمن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار»[1].

ولو نظرنا مَن هم الذين كذَّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله من الصحابة منذ الأيَّام الأولى للردَّة، وكذَّبوا عليه صلى الله عليه وآله من الصحابة والتابعين بإيعاز ثاني خلفاء الشجرة الملعونة في القران الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾[2].

ومن مخالفات الشَّيخَين أيضًا أنَّهم قد شهدوا بيعة الغدير مع مجموعة كبيرة من الأصحاب، وكان الخليفة الثاني ممَّن شهد هذه البيعة وخلَّد التاريخ بخبخته المشهورة

(١) صحيح البخاريّ: ١/ ٣٥.
(٢) الإسراء، آية: ٦٠.

ووثقة عمر نفسه بحديثه لرسول الله صلى الله عليه وآله عن الشاب الذي حذَّره من نقض البيعة، إذ لا ينقضها إلَّا منافق[1].

أبو بكر وعمر ومن لفَّ لفَّهم ضربوا وصايا وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وخصوصًا وصاياه بالخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد أخذ البيعة من آلاف الصحابة، وأوَّل من بايع أبا بكر وعمر، فكان أوَّل مغتصب للخلافة أبو بكر ثمَّ صاحبه عمر، وليتَ الشَّيخَين اكتفيا بغصب الخلافة، ولم يفعلا ببيت الوحي، سعيًا منهما لحطِّ قَدَر أمير المؤمنين عليه السلام، وتحقير أمره وتصغير شأنه، وطمس فضائله وفواضله ومنازله التي أنزله إيَّاها الله ورسوله.

يعدُّ نقض البيعة وغصب الخلافة أوَّل ارتداد من قِبَل الشَّيخَين، وباشرا بتغيير ما شرَّع الله ورسوله صلى الله عليه وآله فور استيلائهما على مقاليد الحكم.

بدأ أبو بكر بتخصيص آيات المواريث، ونسخ ما خصَّ الأنبياء منها، وكلُّ ذلك بحديث موضوع لا أساس له (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث)، الذي وضعه ونسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله، وصولًا لغصب إرث أهل البيت عليهم السلام عامَّة، ونِحلة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام فدك خاصَّة.

بعد ذلك قام بإلغاء أحكام الخُمس وسهم المؤلَّفة قلوبهم وغيرها، حتَّى جاء يومٌ بات هناك قولان يعارض أحدهما الآخر، قال الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وقال أبو بكر وعمر، و... غني عن البيان، أنَّ حكم ما قاله أبو بكر وعمر هو النافذ[2].

إن خبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث وما تركناه صدقة»[3]، رواه أبو بكر وسمع نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه قال هذا الحديث، وهو ذو خبر واحد غير ظاهر الدلالة ولا يخصّص به القرآن.

(١) ينظر: ينابيع المودَّة لذوي القربى، القندوزيّ: ٢/ ٢٨٤.
(٢) الظليمة فدك ثاني رواشح الردَّة، موسى فيروز حيدر الأردبيليّ النجفيّ: ٣٠٤.
(٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٧٩، ح٥١، بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢٨/ ١٠٤.

بعد بيعة القوم لأبي بكر، وتصديقهم بأنَّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، لا يجوز لهم تكذيبه ولا مخالفة ما فهمه من اجتهاده عن مدلوله، فلذا لم ينكره أحد ممَّن بايع أبا بكر، فإنَّ تصديق قوله ومتابعة فهمه واجتهاده من لوازم تصديقه وبيعته، وأنَّه خليفة المسلمين، فلا يمكن لهم ردعه وتكذيبه، وعدم تكذيب الصحابة يدلُّ على صحَّة رواية أبي بكر، فيكون قطعيًا، وهو ليس في محلِّه[1].

ويضيف العلَّامة فضل عليّ القزوينيّ حول موضوع إنكار ومبايعة الخليفة الأوَّل يقول: «كلُّ من أنكر ولم يبايع أبا بكر كذَّبه في أصل الرواية وفي فهمه، كفاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وأم أيمن والزبير وعبَّاس وسلمان ومقداد وأبي ذر وعمَّار وسائر بني هاشم، وكلُّ من أنكر الخلافة ولم يبايع»[2].

أساسًا هذا الحديث لم يُسمع في حياة النبي صلى الله عليه وآله من أحد، حتَّى أقرب الناس إليه، وهم الصادقون بوصف القرآن الكريم، مثل فاطمة ابنته وعليّ وسائر قرابته، فضلًا عن أمَّته، ويعدُّ هذا إخفاء حكم الله وشرعه إلى بعد وفاة خاتم الأنبياء، ولم يسمَع ذلك منه إلَّا رجل واحد، ممَّا يقطع بكذبه وعدم ترتيب الأثر عليه.

إنَّ فاطمة عليها السلام كذَّبت أبا بكر في ادِّعائه، وتكذيب الرواية التي نقلها، تكذيب لأصل الخلافة والولاية على المسلمين.

إنَّ فدك لـمَّا أرجعها عمر بن عبد العزيز إلى أولاد فاطمة، اعترضوا عليه بأنَّ هذا طعن على الشَّيخَين وخلافٌ لهم، فخاف عبد العزيز واعتذر بأنَّ مروان وهب فدك لأبي، ووهبت منافعه لولد فاطمة.

والذي تبيَّن واضحًا والتصريح به علنًا من تاريخ الفريقَين، أنَّه بعد عثمان، أخذ معاوية بن أبي سفيان فدكًا وأعطاه لمروان بن الحكم وعمر بن عثمان ويزيد بن معاوية

(١) حياة الزَّهراء بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فضل عليّ القزوينيّ: ٨١.
(٢) حياة الزَّهراء بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فضل عليّ القزوينيّ: ٨٢.

أثلاثًا، وبعد موت يزيد وعمر بن عثمان، واستقرار مروان على الخلافة أعطاه إلى عبد العزيز، وأعطى عبد العزيز إلى عمر بن عبد العزيز، وردَّه عمر بن عبد العزيز إلى ولد فاطمة، ثمَّ غُصب وردَّها إليهم السفاح، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم المهدي العبَّاسيّ، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم المأمون، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم الواثق بالله، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم المنتصر بالله، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم المعتضد بالله، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم الراضي بالله، ثمَّ غُصب فردَّ عليهم المعتمد بالله، فكلَّما رُدَّ عليهم اعترض عليه بأنَّه طعن على الشَّيخَين وخلاف لهما[1].

ويلاحَظ ممَّا تقدم أنَّ موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت مقاومة في مطالبتها لإرثها، ومرَّة أخرى طالبت بفدك بعنوان النِّحلة والهبة، وخاصمت الشَّيخَين وغضبت عليهما، حتَّى انتحب أبو بكر يبكي، وخرج باكيًا، عندما قالت: **لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاة أصلِّيها، فإنِّي أُشهِد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونَّكما إليه**[2].

ثالثًا: دور السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إثبات ولاية عليّ عليه السلام

كان الهدف من حركة الزَّهراء عليها السلام في الأيَّام الأخيرة من حياتها، والتي تسعى إلى تحقيقها من خلال حركتها التي يمكن أن نعبِّر عنها بأنَّها حركة استشهاديَّة، إذ أصبح هذا المصطلح شائعًا هذه الأيَّام ومعروفًا في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، فكلُّ إنسانٍ يقوم بعمل ويعلم أنَّ عمله هذا من ورائه الموت الحتميّ، فهذا يعبَّر عنه بأنَّه عمل استشهاديّ، وبعد هذا العمل ما هو الهدف منه؟ هل هذا المشروع الذي ضحَّى من أجله بأعزِّ ما يملك- وهي النفس- مشروعٌ صالحٌ؟ فإن كان بهذه الصورة فهو عمل استشهاديّ، وأمَّا إذا كان الهدف غير صالح، فهو الانتحار بعينه، ويُعدُّ محرَّمًا.

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضيّ الدين عليّ بن طاووس.

(٢) ينظر، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ٢٤.

وهـذا الأسـاس الـذي سـار عليه الإمـام الحسين عليه السلام، حينما عـزم على مقارعة بني أميَّة، ورأى أنَّـه لا بدَّ أن يقوم بعمل استشهاديّ من أجل الإسلام والمسلمين.

وحركة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام كانت استشهاديَّة، هي وجنينها المحسن عليه السلام، فكان الهـدف مـن هـذا هـو الثبات والإثـبـات لـولايـة أمـير المؤمنين عليه السلام، وذلـك عندما تقدَّمت إلى مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله لإلقاء خطبتها، ممزوجة بظاهرة الحزن والعاطفة.

إنَّ للزَّهراء عليها السلام ثـلاثـة أهـداف رئيسـة وأسـاسيَّـة مـن الحـزن والـبـكـاء، **الهـدف الأوَّل**: إبـراز المصيبة والهـدف منها، المصيبة الـتي شهدتها البشريَّة بفقد خـاتـم النبيِّين صلى الله عليه وآله، ممَّـا جعل إبـراز الجـانـب العاطفيّ لـدى الزَّهراء عليها السلام واضحًا.

فلمَّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، بكى حتَّى بلَّت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال: **أبكي لذريَّتي**، فبكت فاطمة، فقال لها: **لا تبكي فإنَّك لا تمكثين بعدي إلَّا اثنين وسبعين يومًا ونصف يوم حتَّى تلحقي بي، ولا تلحقي بي حتَّى تتخفي بثمار الجنَّة**، فضحكت فاطمة[1].

وأمَّا **الهدف الثاني**: فهو التركيز على البيعة، وأنَّ ما جرى في السقيفة لم يكن أمرًا شرعيًّا، وأن الخلل الذي حصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان له دور عظيم في انحراف الإسلام عن الجـادَّة التي تُوصِل البشريَّة إلى السعادة المطلقة والعدل المطلق، والى الاستقرار والتكامل[2].

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما يُقاد إلى المسجد من أجل أن يبايع، كان سلمان

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ١٥٦.
(٢) ينظر، فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد باقر الحكيم: ٣٨٠.

المحمَّديّ رحمه الله يسير خلفه ويقول: «والله لو ولُّوها عليًّا لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم»[1].

وهذا الحديث الذي قاله سلمان المحمَّديّ رحمه الله، ليس ذلك لأنَّ الامام عليّ عليه السلام صديقه أو إمامه، بل هو قول الحقِّ، والقضية أكبر من ذلك، فهي قضيَّة الإمامة التي جاءت الرسالات الإلهيَّة من أجل تحقيق أهدافها وأغراضها، وهذا ما تحمَّله الأنبياء، حتَّى خاتم الأنبياء تحمَّل كلَّ الآلام والتضحية من أجل هذه الأهداف[2].

ولقد أشارت وثبَّتت الزَّهراء عليها السلام هذه القضيَّة المهمَّة في أحاديثها وخطبها.

والهدف الثالث: هو مضمون الخلافة الإسلاميَّة وبيانها، فالزَّهراء عليها السلام لم تتحدَّث عن البيعة فقط، وإنَّما تحدَّثت عن هذا المضمون، كما في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار، لـمَّا مرضت فاطمة عليها السلام، واشتدَّ بها الوجع، وأصبحت على أبواب الرحيل من هذه الدنيا، جاءت النساء تزورها، وتسأل عن حالها، فأخذت تتحدَّث عن حالها، وخصَّصت حديثها عن الخلافة ومضمونها، فقالت: «... ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة[3]، وقواعد النبوَّة، ومهبط الوحي الأمين، والطَّبين بأمور الدنيا والدين[4]، ألا أنَّ ذلك هو الخسران المبين»[5].

الحديث واضح المعاني، إنَّه يشير إلى أنَّ عليًّا عليه السلام هو الامتداد الحقيقيّ للرسالة والنبوَّة، وامتدادًا للوحيّ الإلهيّ، ثمَّ تشير في الخطبة فتقول: «... **والله لو تكافوْا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله، لاعتلقه، ولساربهم سيرًا سجحًا، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع**

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٢٨/ ٢٧٨.

(٢) فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد باقر الحكيم: ٣٨١.

(٣) ويح: كلمة تستعمل في الترحُّم والتوجُّع والتعجُّب، والزحزحة، التنحية، والتبعيد، والرواسي من الجبال، الثوابت الرواسخ، وقواعد البيت، أساسه.

(٤) الطبين، بالطاء المهملة والباء الموحدة، الفطن الحاذق.

(٥) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ١٥٨.

راكبه، ولأوردهم منهلًا نميرًا فضفاضًا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانًا، قد تحيَّرَ بهم الرَّيُ...»[1].

إذن هذا هو حال الامام عليّ عليه السلام، وهذه هي قضية الزَّهراء وهدفها، فضلًا عن أنَّها أرادت أن تضع مظلوميَّتها أمام التاريخ، وتبيِّن زيف هؤلاء الذين تعرَّضوا للانتقام منها ومن بعلها، وسلبوه حقَّه وحقَّها، والنصوص واضحة وصريحة وصحيحة السَّند بهذا الموضوع.

يبقى المحور الدائر بين الولاية وقضيَّة فدك، فكما أنَّ القوم اغتصبوا الخلافة، كذلك قاموا بغصب فدك، وأخذها من أهل البيت عليهم السلام، والمواجهة التي حصلت عندما خطبت الزَّهراء في المسجد النبويّ في قضية فدك، لم يقم الإمام عليّ عليه السلام، بهذه المواجهة، وهو الخطيب الذي لا يباريه خطيب، وصاحب نهج البلاغة، فكان بإمكانه أن يقف في المسجد ويتحدَّث حديثًا إذا لم يكن أفضل من حديث الزَّهراء، فليس بأقلٍّ منه، فلماذا تحدَّثت الزَّهراء، ولم يتحدَّث الإمام عليّ؟.

إنَّ الأحداث المتسارعة والمواقف المنحرفة، وظهور أطراف عديدة تعدُّ للإسلام المكائد، وتطرق أبواب الفتن وغياب الوعي الرساليّ، والحرص على سلامة العقيدة، أملت الأمام عليّ عليه السلام أن يقف عند مفترق طرق ثلاثة، كلٌّ منها على حرج:

الأوَّل: أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقيَّة المسلمين، بل يحظى بمكانه مرموقة لدى السلطة الجديدة، ويحافظ على وجوده وكيانه ومنافعه من دون اهتمام بمسيرة الدعوة الإسلاميَّة، وطبعًا هذا غير ممكن؛ لأنَّه يعني إمضاءً لبيعةٍ مخالفةٍ لأوامر رسول الله.

والثاني: أن يسكت وفي العين قذًى وفي الحلق شجًى، ويحاول أن يجد مسلكًا معتدلًا وسط التناقضات التي ستحصل من جرَّاء حكومة غير مؤهَّلة؛ ليحافظ على

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ١٥٨.

كيان الإسلام، ويصون العقيدة الإسلاميَّة من الانهيار التام.

وأمَّا **الثالث**: أن يعبِّئ الجماهير ويعدَّهم لإعلان الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر[1].

إنَّ هذه الخيارات صعبة لمواجهة هؤلاء الطغاة تجاه الوضع الجديد، فانتهى الإمام عليّ عليه السلام إلى قرار حاسم، وهو ترك الثورة والمقاومة المسلَّحة، على الرغم من معرفة الإمام بشجاعته في الحروب، وجندل صناديد العرب، وقد شهد له القاصي والداني، وهذا ما عَرَف به أوَّلهم وآخرهم، وما شهد به أعداؤهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

تسلَّح الإمام عليّ عليه السلام بالنصوص في وجه الحاكمين جهارًا وعلانية، والاطمئنان إلى قدرته على تجنيد الرأي العام ضدَّ أبي بكر وصاحبيه، وهذا ما أخذ يحاول عليّ عليه السلام في محنته آنذاك، فبدأ يطوف سرًّا على زعماء المسلمين ورجالات المدينة، يعظهم ويذكِّرهم ببراهين الحقِّ وآياته، وكانت إلى جانبه فاطمة الزَّهراء عليها السلام، تعزِّز موقفه وتشاركه في جهاده السرِّي، جاء في شرح نهج البلاغة، «إنَّ عليًّا حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلًا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له»[2].

فقصد بذلك التطواف أن يمهِّد لتلك المقابلات لإجماع الناس عليه، ومحاولة الالتفاف حوله، فكان الدور الذي قامت به الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام أن تقف وتطالب أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، وهي مسألة فدك، لتحتلَّ الصدارة في السياسة العلويَّة الجديدة، وتجعل هذه المطالبة وسيلة للمناقشة في المسألة الأساسيَّة، وهي مسألة الخلافة، وإفهام الناس بأنَّ اللحظة التي عدلوا فيها عن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر، كانت لحظة هوس وشذوذ، وقالت في هذا المعنى من خطبة لها: «**وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه،**

(١) سلوا فاطمة عن مصائبها، هشام آل قطيط: ٥٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ١٣.

فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرَّة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافًا... فوسمتم غير أبلكم»[1].

والقوم بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب الله، ووردوا غير شربهم، حيث جاء في شرح نهج البلاغة، قال عليّ عليه السلام في محاورة مع القوم: «**يا معشر المهاجرين، الله الله لا تُخرجوا سلطان محمَّد من داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقِّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم...**»[2].

اندفعت الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام لتصحِّح أوضاع الساعة، وتمسح عن الحكم الإسلاميّ الوحل الذي تلطَّخ به، حينما وضعت قاعدته الأولى في السقيفة، عن طريق اتِّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة، والعبث بكرامة القانون، واتِّهام نتائج المعركة الانتخابيَّة التي خرج منها أبو بكر خليفة بمخالفة الكتاب والصواب[3].

نفهم من هذا أنَّ سبب خروج الزَّهراء عليها السلام لفتح الباب، وعدم خروج الإمام عليّ عليه السلام، وكيف يمكن للزَّهراء أن تتعرَّض لمثل هذا الأذى البدنيّ من كسر الضلع وسقوط الجنين، وهذه الحادثة والموقف المؤلم لما تعرَّضت له تجعل الإنسان غير قادر على الحركة، لكنَّها تتحامل على نفسها، وتخرج من البيت، وتحرِّض المسلمين، وتستمر في المقاومة، وكان من الممكن أن تتراجع، لكنَّها أرادت أن تثبت هذا الموقف، وهو أن لا يبايع الإمام عليّ، فبقيت تدافع عن الولاية والإمامة، وكانت تريد أن تقاتل حتَّى الموت من أجل تثبيت هذا الموقف.

فوقفت على الباب، وقدَّمت نفسها للتضحية والمطالبة بعدم المبايعة، وتعرَّضت لهجوم المرتدِّين، فقد كان موقفها الذي وقفته بصلابة لأجل حماية الإمام عليّ عليه السلام والدفاع عنه حيث استشهدت من أجل الولاية، فقد شابه هذا الحدث ما قامت به في

(١) ينظر: بلاغات النساء، ابن طيفور: ٢٣.
(٢) ابن أبي الحديد: ٦/ ١٢.
(٣) سلوا فاطمة عن مصائبها، هشام آل قطيط: ٥٧٩.

مسجد الرسول وإلقاء خطبتها، ولم يتقدَّم أمير المؤمنين عليه السلام، يعود السبب في ذلك إلى توافر أمرَين للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لم تتهيَّأ للإمام فيما لو وقف موقف الزَّهراء عليها السلام:

الأمر الأوَّل: إن ظروف الزَّهراء أقدر من بعلها، وذلك بسبب الفجيعة التي مرَّت عليها برحيل النبيّ صلى الله عليه وآله، على استثارة العواطف، لإيصال المسلمين وربطهم بروح أبيها وأيَّامه الغرَّاء، وتجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت عليهم السلام.

الأمر الثاني: إنَّ الزَّهراء عليها السلام مهما تتَّخذ لمنازعتها من أشكال، فلن تكتسب لون الحرب المسلَّحة التي تتطلَّب زعيمًا يهيمن عليها ما دامت امرأة، ومادام الإمام عليه السلام في بيته محتفظًا بالهدنة التي أعلنها حتَّى تجتمع الناس عليه، ومراقبًا للموقف، ليتدخَّل فيه متى شاء، متزعِّمًا للثورة إذا بلغت حدَّها الأعلى، أو مهدِّئًا للفتنة إذا لم يتهيَّأ له الظرف الذي يريده، فالحوراء عليها السلام بمقاومتها إمَّا أن تحقِّق انتفاضًا إجماعيًّا على الخليفة، وإمَّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع، ولا تجرّ إلى فتنة وانشقاق[1].

عبارة لطيفة استخدمها مؤلِّف كتاب سلوا فاطمة عن مصائبها، حول موقف عليّ والزَّهراء عليهما السلام حينما تُلقي خطبتها الفدكيَّة، وتكون مقبولة المنطق والعقل حيث قال، فقد أراد الامام عليّ عليه السلام أن يُسمِع الناس يومئذٍ صوته من فم الزَّهراء، ويبقى هو بعيدًا عن ميدان المعركة، ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، والفرصة التي تجعل منه رجل الموقف، وأراد أيضًا أن يقدِّم لأمَّة القرآن كلّها في المقابلة الفاطميَّة برهانًا على بطلان الخلافة القائمة، وقد تمَّ للإمام ما أراد، حيث عبَّرت الزَّهراء عليها السلام عن الحقِّ العلويّ تعبيرًا واضحًا، فيه ألوان من الجمال والنضال[2].

الوثائق التاريخيَّة التي كشفت وأثبتت ما جرى على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من ظلم وقسوة وهضم حقّ ممَّا يندى له جبين الإنسانيَّة، وقد كانت من الأمور المسلَّمة

(١) سلوا فاطمة عن مصائبها، هشام آل قطيط: ٥٧٩.
(٢) المصدر نفسه.

حتَّى أنَّ بعض مَن تلطَّخت أيديهم بدماء المسلمين، أخذوا يبرِّرون ما يقترفونه بعمل الخليفة، ومن هذه الوثائق خطبة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام التي ألقتها أمام حشدٍ كبيرٍ ضمَّ المهاجرين والأنصار، فالأسلوب الذي انتهجته لم تكتف بالتركيز على مطالبة حقِّها فقط، بل انتهزت الفرصة لتفجِّر للمسلمين عيون المعارف الإلهيَّة، وتكشف لهم محاسن الدين الإسلاميّ، وتبيِّن لهم علل الشرائع والأحكام، وتوجيه الخطاب إلى الحاضرين، وبيان موقف زوجها عليّ عليه السلام من تلك الأحداث، وإقامة الأدَّلة والبراهين لإثبات الولاية.

كانت فاطمة عليها السلام على معرفة تامَّة بمجريات الأمور، وكانت ترى المستقبل في ظلِّ رؤيتها للحاضر، وتقدِّر الأحداث التي ستقع فيه، لقد كانت نظرتها المستقبليَّة صحيحة ومدروسة، ولا تخلو من التسديد الربَّانيّ، ولم يغب عن ذهنها أنَّ التلاعب بالخلافة وغصب حقِّ عليّ سينعكس بعواقب مريرة على المجتمع، وأنَّ بعض الناس بعملهم هذا قد حفروا قبورهم بأيديهم[1].

أوضحت نظرتها المستقبليَّة لجماعة من نساء المهاجرين والأنصار قائلة: «**أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوا ملء القعب دمًا عبيطًا وذعافًا مبيدًا**[2]**، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غِبَّ**[3] **ما أسَّس الأوَّلون**»[4].

وبهذا صدقت تنبؤات فاطمة عليها السلام وصحَّة التصوُّرات المستقبليَّة التي طرحتها، وانكشفت أنواع العنت الذي لقيه الناس على يد الحكومة التي حكمت باسم الإسلام، والويلات التي عاناها المسلمون من الخلفاء المتخفِّين بستار الدين، لقد سبق للنبيّ

(١) في مدرسة الزَّهراء عليها السلام، الدكتور علي القائميّ: ٩٤.
(٢) القعب: قدح من خشب ضخم، العبيط: الخالص الطريّ، ذعاف: السُّم، الزعاف: اسم يُطلق على الموت السريع والسِّم القاتل.
(٣) الغِبَّ، العاقبة.
(٤) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٤٣/ ١٦٨.

وعليّ وفاطمة عليهما السلام، والصحابة المخلصين، أن عرضوا للناس سبيل الرِّفعة والتقدُّم إلَّا أن نصائحهم لم تجد الآذان الصاغية، ولم تلقَ طريقها إلى التطبيق والممارسة.

حديث الزَّهراء عليها السلام في خطبتها الغرَّاء حينما ذكرت وركَّزت على الولاية، لأنَّها إذا فُقِدت فقد الناس الأمان والعدل، وقد ثبَّتها الرسول صلى الله عليه وآله في بيعة الغدير بنصٍّ إلهيّ في تنصيب عليّ عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وهذا دليل على أنَّ الخلافة أمر مهم، والمعادلة واضحة المعالم؛ لأنَّه لو لم يبلِّغ الرسالة بأكملها، فالخلافة إذن لها هذه الدرجة من الأهميَّة.

وفي النصِّ المرويّ عن الأمام الباقر عليه السلام بيان لهذه الأهميَّة، فقد فقال: «... **ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية**»[2]، وفي رواية أخرى، بعد أن بيَّن عليه السلام الأركان التي قام عليها الإسلام من قبيل الصلاة، والزكاة، قال: «... **الولاية أفضل، لأنَّها مفتاحهنَّ، والوالي هو الدليل عليهنَّ**...»[3].

أمَّا ذِكر الولاية والتركيز عليها في خطبتها، فقد ضمَّنت ذِكرها حيث قالت: «**وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة**».

الإمامة الكبرى هي الخلافة العظمى، منصب سماويّ، ومنزلة تتعيَّن من عند الله تعالى؛ لأنَّها تالية للنبوَّة من حيث العظمة والأهميَّة، فلو نظرنا إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلك المنزلة الرفيعة والدرجة السامية، فهذا النبي إبراهيم الخليل عليه السلام يأتيه النداء من عند الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا...﴾[4]، أي المقتدى به في أفعاله وأقواله، وأنَّه الذي يقوم بتدبير الأمَّة وسياستها

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.
(٢) الكافي، الكلينيّ: ٢/ ١٨، ح ١، ٣.
(٣) المصدر نفسه: ح ٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٢٤.

والقيام بأمورها، وإقامة الحدود على مستحقِّيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها، وليس المقصود من الإمامة النبوَّة؛ لأنَّ إبراهيم كان نبيًّا حينذاك، وإنَّما أضاف الله له الإمامة إلى النبوَّة[1].

يتَّضح من الآية المباركة أنَّ تعيين الإمام يجب أن يكون من عند الله، ولا يحقُّ للناس أن يعيِّنوا لأنفسهم إمامًا حسب آرائهم الشخصيَّة وهواياتهم الفرديَّة، مثلما فعلوا هذا في مؤامرة السقيفة.

وقد كرَّرت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها الفدكيَّة عدَّة مرَّات قضيَّة الخلافة والولاية، أضافة إلى دفاعها طوال حياتها، لاسيما بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أرادت التذكير ومواقف الإمام عليّ التي خلَّدتها الأحداث الإسلاميَّة الكبرى، وبتثبيت حقِّ أهل البيت، فهي تنبِّههم على قرابة الإمام عليّ من النبي، فهو ربيبه وابن عمِّه وزوج ابنته، وكان له البلاء المشهود في كلِّ مرحلة من مراحل حروب رسول الله وجهاده الذي لا يبارى في كلِّ المواقع، فالإمام المتقدِّم وقطب الرحى، والمطفىء لما يُوقَد من نيران هذه الحروب، فلا يعود منها حتى يُخمد لهبها بحدِّ سيفه، وهو العابد الزاهد والمعروف بالإخلاص وغزارة العلم، وهذه المؤهِّلات هي مؤهِّلات الإمام لمقام الخلافة بعد رسول الله، في حين لم يكن المخاطَبون كذلك، بل كانوا ينكصون عند النزال، وينتظرون النتائج في تلك المواقف والشدائد، إذ كانوا في دعة وسعة وأمان، حتَّى أقام الله عمود الدين[2]، وأكَّدت بقولها: «**أنتم في رفاهية آمنون وادعون فرحون تتوكَّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، حتَّى أقام الله بمحمَّد عمود الدين**»[3].

وحول فلسفة الإمامة وفائدتها في فكر وثقافة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام قالت: **فجعل**

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، ٢٦٥.
(٢) خطبة الزَّهراء(عليها السلام) سيِّدة النساء، الدكتور مهدي صالح سلطان، ٥٩ـ٦٠.
(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي، ١١٢.

الله اطاعتنا نظامًا للملَّة، وامامتنا أمانًا من الفرقة، تشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾»[1]، وكان الدور الكبير الذي قام به النبيّ ودور الإمام التربويّ، وانطلاقًا من ضرورة وجود القدوات التربويَّة الكاملة في المجتمعات البشريَّة، أشارت السيِّدة فاطمة الزَّهراء إلى الدور التربويّ للنبيّ والإمام عليّ عليه السلام فقالت: «**أَبوَا هذه الأمَّة محمد وعليّ، يُقين أَوَدَهم، وينقذانهم العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويُبيحانِهمُ النعيم الدائم إن وافقوهما**»[2].

وربطت كلَّ ما تقدَّم بخشية الله، التي لا تدرَك إلَّا بالعلم وبالوسيلة إليه، ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[3]، التقوى أوَّلًا، ثمَّ ابتغاء الوسيلة اليه، للنَّجاة من كلِّ شقاء وعذاب، فلا منجى إلَّا بالتوسُّل إليه صلى الله عليه وآله، وآل البيت الوسيلة إليه، بعد اتِّباع الشريعة والتقوى، فهم أبواب رحمته في الأرض، قال تعالى: ﴿... وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[4]، أي آتوا الأمور من وجوهها الصحيحة، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[5]، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**الأوصياء هم أبواب الله، وبهم احتجَّ الله تبارك وتعالى على خلقه**»[6].

على ضوء ما تقدَّم، فإنَّ هذه رسالة خالدة أوصلتها الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام إلى الأجيال على مرِّ التاريخ، ليبقى التساؤل مطروحًا دائمًا، لـمَ صنعوا كلَّ هذا بالسيِّدة

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.
(٢) بحار الأنوار، المجلسيّ: ٣٦/ ٩.
(٣) سورة المائدة، آية: ٣٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩.
(٥) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٢٥.
(٦) أصول الكافي، الكلينيّ: ٤٢٥.

الزَّهراء؟ أكيد أنَّ الجواب هو الحقد والضغينة التي دفنوها في قلوبهم حتَّى أظهرها الشيطان، وقاموا بظلم الزَّهراء وعليّ عليهما السلام، وتركوا كلَّ ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وآله من قولٍ وفعلٍ، ودفاعها في عدَّة مواضع، منها حادثة السقيفة، وحادثة الهجوم على الدار وإحراقه، فقامت بالدفاع أمام المهاجمين على بيت الإمام عليّ وفضحهم، ولكن باستشهاد السيِّدة الزَّهراء، وصبر أمير المؤمنين عليه السلام نهض الإسلام، وعاد من جديد.

نتائج البحث

من خلال عرض بعض النصوص لخطبَتَي السيِّدة الزَّهراء، ودفاعها لأثبات الولاية والتضحية والتصدِّي لطغاة عصرها، توصَّل الباحث إلى النتائج الآتية:

١. إنَّ الهدف العام عند السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هو تحقيق الغاية لبيان عظمة وقدرة الله عزَّ وجلَّ.

٢. تتجلَّى مقاصد خطبة السيِّدة بالسعي في النهضة وتغيير الرأي والموقف وتعديل المسار، الذي بدأ يتأسَّس بعد رحيل النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣. إظهار صور المنازعة مع الطرف الذي كان قد اجتهد لهذا التوجه الجديد، وانحراف القوم عن سيرة الرسول وعليّ عليهما السلام.

٤. طرح ثقافة جديدة أمام هؤلاء الذين وقفوا الندّ مع أمير المؤمنين عليه السلام والابتعاد عن خط الرسول صلى الله عليه وآله.

٥. من خلال المناقشة والمناظرة مع القوم طرحت الكثير من المسائل الفقهيَّة، وجعلتها واضحة البيان من خلال نصوص القرآن الكريم، والسيرة النبويَّة الشريفة.

٦. استخدام الأساليب والطرق الثقافيَّة من أجل حوار رصين جسَّدته بإدارتها وتوجيهه الوجهة الصحيحة والمفيدة.

٧. وقد كشفت المضامين القرآنيَّة وأوضحت نصوص السيرة النبويَّة في سبيل الدفاع وإثبات ولاية الإمام الحقِّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

المصادر والمراجع

* القران الكريم خير الكلام وشريف الخطاب.

١. إثبات الوصيَّة للأمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ (ت ٣٤٦هـ)، (الناشر، مكتبة بصيرتي، قم، إيران، بلا طبعة وتاريخ).

٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، (تحقيق ونشر، مؤسَّسة آل البيت، قم، ط١، ١٤١٣هـ).

٣. الأمالي، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح، عليّ أكبر الغفاريّ وبهراد الجعفريّ، (الناشر، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، بلا طبعة، ١٣٨١هـ.ش).

٤. الإمامة والسياسة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق، خليل المنصور، (الناشر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م).

٥. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذريّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق، سهيل زكار ورياض الزركليّ، (الناشر، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

٦. بحار الانوار الجامعة لدُرر أخبار الإئمَّة الأطهار عليهم السلام، محمَّد باقر المجلسيّ

(ت ١١١١هـ)، (الناشر، مؤسَّسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م).

٧. بيت الأحزان في ذِكر أحوال سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، عبَّاس القمِّيّ، (الناشر، مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، ط١، إيران، قم المقدَّسة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

٨. بلاغات النساء، الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت ٢٨٠هـ)، (انتشارات مكتبة الحيدريَّة، بلا طبعة وتاريخ).

٩. تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ)، المحقِّق، محمَّد أبو الفضل إبراهيم، (الناشر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٠. حياة الزَّهراء عليها السلام بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فضل عليّ القزوينيّ (ت ١٣٦٧هـ)، تحقيق، السيِّد أحمد الحسينيّ، (الناشر، الأمانة العامَّة للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة)، قسم الإعلام، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

١١. خطبة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء، الدكتور مهدي صالح سلطان، راجعه، شعبة الدراسات والنشرات، (الناشر، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدسة، المطبعة، دار الكفيل للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

١٢. سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسنيّ (ت ١٤٠٤هـ)، (الناشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بلا طبعة وتاريخ).

١٣. الشافي في الإمامة، علم الهدى أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن محمَّد الموسويّ (ت ٤٣٦هـ)، (الناشر، مؤسَّسة الصادق عليه السلام، طهران، بلا طبعة، ١٩٨٦م-١٩٨٧م).

١٤. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين عبدالحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق، محمَّد ابراهيم، (الناشر، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ).

١٥. صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجَّاج بن مسلم النيسابوريّ (ت ٢٦١هـ)، (الناشر، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا طبعة وتاريخ).

١٦. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضيّ الدين عليّ بن موسى ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، (الناشر، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

١٧. الظليمة فدك.. ثاني رواشح الردَّة، موسى فيروز حيدر الأردبيليّ النجفيّ (ت ١٣٥٤هـ)، (الناشر، نشر فرصاد، قم، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

١٨. العقد الفريد، أحمد بن محمَّد بن عبد ربَّه الأندلسيّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق، أحمد أمين وآخرون (الناشر، دار الكتاب العربيّ، بيروت، بلا طبعة وتاريخ).

١٩. فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، محمَّد كاظم القزوينيّ، (الناشر، مؤسَّسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢٠. في مدرسة الزَّهراء، الدكتور عليّ القائميّ، (الناشر، دار النبلاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م).

٢١. الكافي، محمَّد بن يعقوب الكلينيّ (ت ٣٢٨هـ)، (الناشر، دار المرتقى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٢٢. كشف الغمة في معرفة الأئمَّة، عليّ بن عيسى الإربلِّيّ (ت ٦٨٧هـ)، تصحيح، هاشم الرسولي المحلَّاتيّ، (الناشر، دار الكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ).

٢٣. اللهوف على قتلى الطفوف، رضيّ الدين عليّ بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، (الناشر، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ.ق/ ١٣٨٣هـ.ش).

٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، (الناشر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ/ ١٣٣٩ش).

٢٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق، محمَّد عبد القادر عطا، (الناشر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٦. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقِّق، شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، (الناشر، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢٧. معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت عبدالله الحمويّ (ت ٦٢٦هـ)، (الناشر، دار صادر، بيروت، بلا طبعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٣م).

٢٨. المغازي، محمَّد بن عمر بن واقد السهميّ الواقديّ (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق، مارسدن جونس، (الناشر، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ).

٢٩. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر أشوب المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، (الناشر، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٣٧٦هـ).

٣٠. من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، محمَّد الحسيني الشيرازيّ (ت ١٤٢٢هـ)، (الناشر، مؤسَّسة أمّ أبيها الثقافيَّة الخيريَّة، كربلاء المقدَّسة، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٣١. من فقه الزَّهراء عليها السلام، محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ، (الناشر، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

٣٢. ينابيع المـودَّة لـذوي القربى، سليمان بـن إبراهيم البلخيّ القندوزيّ (ت ١٢٩٤هـ)، (الناشر، دار ذوي القربى، قم، بلا طبعة، ١٤١٦هـ).

سُنن الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام

الباحث د. إياد حمزة الشريفيّ

ملخَّص البحث

بعد كتاب الله العظيم، كانت ولا زالت السنَّة تعدُّ المصدر الثاني الرئيس لاستنباط الحكم الشرعيّ، ولبيان الموقف العمليّ تجاه الكثير من الحوادث الواقعة، فالسنَّة بحسب اصطلاح الفقهاء والمحدِّثين، هي قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره[1]، وما يصدر من المعصوم بأحد هذه الاتِّجاهات الثلاثة يمثِّل موقف الشرع الحنيف واقعًا، ولذا فلا يمكن الاستغناء عن السنَّة المباركة؛ لاستيضاح معالم الطريق، وعدم العطب في مسير المكلَّف في حياته اليوميَّة، لما يمرُّ به من وقائع وحوادث تتطلَّب التوافق في سلوكها مع خطى الشرع الحنيف، وفي سائر ميادين الحياة.

والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تعدُّ أحد المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا[2]، وسيرتها الحياتيَّة الهادفة والمباركة مليئة بالسنن الحسنة الصالحة التي حكمت ظروفها التي مرَّت بها، وبهذه السنن يتمكَّن المكلَّف من حفظ نفسه من الوقوع في الزيغ والانحراف، فيما لو جعلها نصب عينيه، وفي جملة مهمَّة من مواقف حياتها، وهذا البحث يسلِّط الضوء على عدد من سنن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وقد جعلته ثلاثة مطالب، وهي ما يلي:

(١) ينظر: منتهى المطلب، العلَّامة الحِلِّيّ: ١/ ٦١.

(٢) كما هو مفاد آية التطهير من سورة الأحزاب : الآية ٣٣.

المطلب الأوَّل: معنى السنَّة والدليل على حجيَّة سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وفيه تناولت بعض الأدلَّـة الدالَّة على حجيَّة سنن الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد كانت خمسة أدلَّة.

المطلب الثاني: سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام العباديَّة.

وذكرت في هذا المطلب أهمَّ السنن العباديَّة التي سنَّتها الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، وعملت بها، وقد ذكر البحث ستًّا من تلك السنن العباديَّة.

المطلب الثالث: سنن فاطمة الزهراء عليها السلام الاجتماعيَّة.

وذكر البحث ضمن هذا المطلب جملة من السنن السياسيَّة والاجتماعيَّة التي انتهجتها الزَّهراء عليها السلام، وقد تمَّ ذِكر عشر سنن سنَّتها فاطمة (سلام الله عليها).

نسأل الله تعالى أن يكون البحث موفَّقًا في تسليط الضوء على تلك السنن، وتحديد معالمها، فمنه السَّداد والتوفيق.

المطلب الأوَّل

الأدلَّة على حجيَّة سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام

يتناول هذا المطلب أهمَّ الأدلَّة التي تدلُّ على كون سنن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حجَّة شرعًا، وهي ما يلي:

أوَّلًا: النجاة بفاطمة عليها السلام

في رواية عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله اقتطعنا منها موضع الحاجة النافع في مقام الاستدلال على حجيَّة سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومفاد هذا الجزء من الرواية أنَّ الله تعالى لـمَّا خلق آدم أبا البشر عليه السلام، ونفخ فيه من روحه، ألتفت إلى يمنة العرش، فرآى خمسة أشباح سجَّدًا ركَّعًا، فقال عليه السلام مستفسرًا أن يا ربّ: «**هل خلقتَ أحدًا من طين قبلي؟** قال: **لا يا آدم**، قال: **فمَن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟**... قال: **هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، يا آدم هؤلاء صفوتي بهم أُنجي وبهم أُهلِك**»(١).

وإنَّما يقع الاستدلال بمقطع «**يا آدم هؤلاء صفوتي، بهم أُنجي وبهم أُهلِك**»، فالباء في قوله بهم فيها معنى السببيَّة، وظاهر الرواية أنَّ الإنجاء والهلكة، إنَّما يكون باتِّباعهم ومخالفتهم عليهم السلام، فمن اتَّبعهم نجا، ومن خالفهم هلك، والزَّهراء عليها السلام هي أحد أولئك الخمسة الذين هم أصحاب الكساء، وقد ذكرتهم الرواية بأسمائهم، فمن اتَّبعها وسار بنهجها واستنَّ بسننها نجا، وهو دالٌّ بوضوح على كون سننها (سلام الله عليها) حجَّة ينبغي اتِّباعها.

(١) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربيّ: ٢/ ٥٠٠.

ثانيًا: كونها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله

ورد عن المسوَّر بن مخرمة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة بضعة منِّي، أو مُضْغَةٌ منِّي، فمَنْ آذاها آذاني**»(١)، ولـمَّا كانت فاطمة عليها السلام بضعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وجزء منه، والجزء يكون له حكم الكلِّ، ويحمل كلَّ خصائصه، ولا يمكن أن ينفكَّ عنه، والله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾(٢)، وهو دليل على أولويَّة النبيّ بالمؤمنين، وهذه الأولويَّة تتجلَّى لفاطمة (سلام الله عليها)، التي هي البضعة النبويَّة، والنفس المقدَّسة المصطفويَّة، ولها نفس الحكم(٣)، كلُّ ذلك مع ملاحظة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو نذير ومشرِّع، وكان في مقام ومرحلة التأسيس للشريعة وأحكامها، لا في مقام إظهار عواطفه تجاه متلقِّيه وبيانها للمسلمين، وإن لم تكن تلك العواطف تصبُّ ضمن غايات الشريعة المقدَّسة وأهدافها.

ثالثًا: علوُّ منزلتها وارتفاع مقامها عليها السلام

منازل الأولياء والأنبياء والصالحين ومقاماتهم لا يمكن دركها والإحاطة بها، إلَّا من خلال ما يردنا من نصوص شرعيَّة؛ ذلك لأنَّها من الخفايا التي لا يحيط بها إلَّا الله تعالى، ومن أطلَعه الله تعالى عليها، وعند ذلك لا ملاذ لنا لمعرفة كُنه شخصيَّات أولياء الله إلَّا الآية أو الرواية.

وقد وردت جملة من النصوص المعتبرة الدالَّة على أنَّ لفاطمة الزَّهراء عليها السلام منزلة عالية ومقامًا ساميًا، ومن تلك الروايات ما يأتي:

١. إنَّها خير أهل الأرض:

ذكر ابن عبَّاس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعبد الرحمن بن عوف: «**لو كان الحُسن**

(١) فضائل الصحابة، النسائيّ: ٧٨.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦.
(٣) ينظر الخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ: ١/ ٤٩٤.

شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا»[1].

٢. إنَّها لا كفؤ لها سوى الإمام عليّ عليهما السلام:

ورد هذا المعنى في خبرَين، أحدهما عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوَّجها؛ لما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض من آدم فمن دونه**»[2].

وثانيهما جاء في الخبر الوارد أنَّ جبرئيل عليه السلام قال: «**يا محمَّد إنَّ الله جلَّ جلاله يقول: لو لم أخلق عليًّا عليه السلام لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه**»[3]، وظاهر الرواية هو بيان أفضليَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من آدم فمن دونه، مع قطع النظر عن حرمة النكاح أو حلِّه، فلا يرد أنَّها عليها السلام كانت حرامًا على آدم عليه السلام...»[4]..

فهذه الروايات وغيرها وردت لبيان مقامها الشامخ، وأنَّها فوق الأنبياء، وأنَّ ما حباها الله به من الفضل والكرامة والمقام المحمود عنده جلَّ وعلا لا يمكن أن يقع في وهم أحد[5]. وإذا كانت لها كلُّ هذه المكانة، كانت أفعالها وأقوالها حجَّة على الخلق دونما أدنى شك، فسنن الأنبياء عليهم السلام حجَّة بلحاظ كونهم مبلِّغين عن الله ومرسَلين من قِبَله جلَّ وعلا، فكذا سنن من هو أفضل منهم حجَّةً بقياس الأولويَّة.

٣. كونها خير من الإمام الحسين عليه السلام:

لقد ورد هذا المعنى في كلام الإمام الحسين عليه السلام مع أخته زينب الكبرى عليها السلام في

(١) مائة منقبة، محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن القمِّيّ (ابن شاذان): ١٣٦.
(٢) دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ (الشيعيّ): ٨٠.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق قدس سره: ١/ ٢٠٣. والكافي، الشيخ الكلينيّ قدس سره: ١/ ٤٦١.
(٤) شرح أصول الكافي، مولى محمَّد صالح المازندرانيّ: ١/ ٢٢٢.
(٥) الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام السيِّد جعفر مرتضى العامليّ دام ظله.

ليلة العاشر من شهر محرَّم الحرام، إذ طلب منها أن تتعزّى بعزاء الله، وأنَّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأنَّ كلَّ شيء هالك إلَّا وجه الله تعالى، إلى قوله عليه السلام: «**أبي خيرٌ منِّي، وأمِّي خيرٌ منِّي، وأخي خيرٌ منِّي**»(١)

ولا يخفى أنَّ الحسين عليه السلام إمام بنصٍّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قال: «**الحسن والحسين إمامان قام أو قعدا**»(٢)، فإذا كانت سنَّة الإمام عليه السلام بلحاظ كونه إمام حجَّة، كانت سنَّة من هو أفضل منه حجَّة بالأولويَّة.

رابعًا: كونها صدِّيقة

جاء في الخبر أنَّه سُئل الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام مَن غسَّلها ؟ فقال: «**غسَّلها أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنَّها كانت صدِّيقة لم يكن ليغسِّلها إلَّا صدِّيق**»(٣).

والصدِّيق هو «اسم مبالغة من الصدق، وهو الذي يبالغ في الصدق، فيقول ما يفعل ويفعل ما يقول، لا مناقضة بين قوله وفعله»(٤)، والصدِّيق شخص لا يكذب مطلقًا، بل إنَّه لا يملك القدرة على الكذب وباختيارٍ منه؛ لاعتياده طيلة حياته على الصدق، والصدِّيقيَّة مرتبة قبل النبوَّة، «ولعلَّها تكون ممهدِّةً لتلقي مَنْ امتازَ بها النبوَّةَ»(٥)، وإذا قبلنا هذا يكون كلُّ نبيٍّ صدِّيق، وليس كلُّ صدِّيقٍ نبيّ.

وأطلق القرآن الكريم هذه الصفة والخصيصة على الأنبياء أحيانًا، وعلى بعض الأولياء والصالحين أحيانًا أخرى، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾(٦)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد رحمه الله: ٢/ ٩٤، وتاريخ الطبريّ، محمد بن جرير الطبريّ: ٤/ ٣١٩.
(٢) الفصول المختارة، الشيخ المفيد رحمه الله: ٣٠٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله: ٣/ ١٤٣.
(٤) تفسير الميزان، السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ: ١٤/ ٥٦.
(٥) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ: ٩/ ٤٥٧.
(٦) سورة مريم، آية: ٤١.

نَبِيًّا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[2]، وقال تعالى في الحديث عن النبيّ عيسى عليه السلام: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[4].

والصدِّيقون مرتبتهم دون الأنبياء في الفضيلة بنصِّ هذه الآية المباركة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[5]، لكن يبدو أنَّها مع ملاحظة كلِّ صدِّيق بالنسبة الى نبيِّه عليه السلام، فربَّما كانت مرتبة بعض الصدِّيقين أفضل من بعض الأنبياء.

وكذا في الحديث الوارد أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الصِّدِّيقُونَ ثَلَاثَةٌ: حَبِيبُ بْنُ مُرِّيٍّ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ يَاسِينَ، وَخِرْتِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ**»[6]

وبناءً على كلِّ ما ورد أعلاه، تكون مرتبة الزَّهراء عليها السلام كصدِّيقة دون مرتبة خصوص نبوَّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وهي مؤهَّلة لتسنُّم مقام النبوَّة بحكم كونها صدِّيقة، فتكون سننها حجَّة.

خامسًا: احتجاج الأئمَّة المعصومين عليهم السلام بأفعالها

الكثير من الروايات تنقل استدلال الأئمَّة المعصومين عليهم السلام بفعل الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء أو قولها عليها السلام، ممَّا يدلُّ على حجيَّة فعلها وقولها (صلوات الله عليها)،

(١) سورة مريم، آية: ٥٦.
(٢) سورة يوسف، آية: ٤٦.
(٣) سورة المائدة، آية: ٧٥.
(٤) سورة النساء، آية: ٦٩.
(٥) سورة الحديد، آية: ١٩.
(٦) فضائل الصحابة، أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ: ٢/ ٦٢٧.

ومن ذلك ما ورد عن يزيد بن خليفة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فسأله رجل من القمِّيِّين فقال: يا أبا عبد الله تصلِّي النساء على الجنائز؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**إنَّ زينب بنت النبيّ صلى الله عليه وآله توفِّيت، وإنَّ فاطمة عليها السلام خرجت في نسائها فصلَّت على أختها**»[1].

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ قدس سره: ٣/ ٣٣٣.

المطلب الثاني

سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام العباديَّة

هناك جملة من السنن العباديَّة التي دأبت فاطمة الزَّهراء عليها السلام عليها، وأكَّدتها الروايات الواردة عن الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، ومن أهمِّ تلك السنن المباركة ما يلي:

أوَّلًا: الدعاء آخر ساعة من نهار الجمعة

إنَّ ليوم الجمعة خصوصيَّة عند الله وعند أوليائه، ففي رواية المعلَّى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**مَن وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلنَّ بشيء غير العبادة، فإنَّ فيه يُغفر للعباد، وتنزل عليهم الرحمة**»[1]، وفي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ العبد ليَدعو فيؤخِّر الله حاجته إلى يوم الجمعة**»[2].

فإنَّ للجمعة في فكرهم وثقافتهم عليهم السلام حقًّا واجبًا لا ينبغي أن يُضيَّع، ولا يُقصَّر في شيء من عبادة الله تعالى فيه، والتقرب إليه بالعمل الصالح، وترك المحارم كلِّها؛ ذلك لأنَّ الله تعالى يضاعف فيه الحسنات، ويمحو فيه السيِّئات، ويرفع فيه الدرجات، ويوم الجمعة مثل ليلتها، فمن يستطيع إحياءها بالدعاء والصلاة فليفعل[3].

وفي يوم الجمعة ساعة، تلك الساعة لها خصوصيَّة استجابة الدعاء أكثر من غيرها من ساعات ذلك اليوم، وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ في يوم الجمعة لساعة لا يحال**

(١) مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ رحمه الله: ٢٨٣.
(٢) الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ: ٣٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.

بين الدعاء، وبين الإجابة»[1].

وعندما سُئل الإمـام الصادق عليه السلام عن الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء يـوم الجمعة، فذكر ساعَتَين، إحداهما «ساعة أخـرى من آخـر النهار إلى غروب الشمس»[2]

وقد اختصَّت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بواحدة منها، وهي الساعة التي تقع قبل غروب الشمس، والتي كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام تتحرَّاها لتدعو وتسأل الله حاجتها، وهذا ما ذكرته مصادر الخاصَّة والعامَّة عن فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)[3]، وقد روي أنَّ تلك الساعة هي الساعة التي غاب فيها نصف قرص الشمس وبقي نصفه. وكانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام تدعو في ذلك الوقت، فيستجيب الدعاء فيها[4]

ثانيا: زيارة قبور الأولياء والشهداء

ممَّا يُستشكَل به على شيعة أهل البيت عليهم السلام، خصوصًا وباقي المسلمين عموما، مسألة زيارة قبور الأئمَّة عليهم السلام والأولياء والصالحين، والحال أنَّها كانت سنَّة ثابتة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، قد التزمت الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام بهذه السنَّة بصورة دائمة ومستمرَّة، على مرأى ومسمع من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وباقي المسلمين، ولم ينكر أحد عليها ذلك، وقد نقلت هذه السنَّة المباركة روايات الطَّرفَين من المسلمين، وعلى صور وأشكال مختلفة، منها ما يلي:

ماورد عن يونس عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كلِّ غداة سبت، فتأتي حمزة عليه السلام وتترحَّم عليه وتستغفر له**»[5].

(١) الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ: ٣٥.
(٢) مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسيّ رحمه الله: ٣٦٣.
(٣) مسند إسحاق بن راهويه، ابن راهويه: ٥/ ١٢.
(٤) ينظر الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ: ٣٧.
(٥) تهذيب الأحكام الشيخ الطوسيّ رحمه الله: ١/ ٤٦٥.

وفي رواية عبد الرزاق الصنعاني عنه عليه السلام كل جمعة[1]، وقيل كانت تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو[2]، وفي محل آخر أنّ فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها) كانت تأتي قبر حمزة وأنّها كانت قد وضعت عليه علما، لكي تعرفه[3].

وكذا ورد أنّها عليها السلام كانت في كلِّ سنة تأتي قبور الشهداء مع نسوة معها يدعون ويستغفرون[4]. وفي هذا المعنى تأسيس لسنَّة أخرى غير سنَّة الزيارة نفسها، وهي سنَّة إحياء الذكرى السنويَّة لاستشهاد أولئك الأعلام. هذه الروايات وغيرها تدلُّ بوضوح على ثبوت أصل سنَّة الزيارة بصورة متواصلة لتلك المراقد الشريفة، فهذه السنَّة ثابتة عن الزَّهراء عليها السلام، وبعد هذا فلا يحقُّ لأحد الطعن بزيارة النساء للمراقد المشرَّفة، إلَّا إذا استلزم فعلًا محرَّمًا.

ثالثا: التبرُّك بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقبور والشهداء

ومن السنن التي أسَّست لها فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي سنَّة التبرك بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقبور الشهداء، ومن مفاصل ذلك التبرُّك:

١. وضع تراب قبر النبيّ صلى الله عليه وآله على عينيها، فقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّ فاطمة عليها السلام أخذت قبضة من تراب قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، فوضعتها على عينها، ثمَّ قالت:

ماذا على مُشْتَمٍّ تُرْبَةِ أَحْمَدٍ

أنْ لا يشمَّ مدى الزمان غواليا[5]

(١) ينظر: المصنَّف، عبد الرزَّاق الصنعانيّ: ٣/ ٥٧٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/ ٤٠.

(٣) ينظر: المصنَّف، عبد الرزَّاق الصنعانيّ: ٣/ ٥٧٣.

(٤) مختصر مفيد، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ: ٢٢٧.

(٥) ينظر: المغني، أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة: ٢/ ٤٠٧-٤٠٨، وكذا مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ=

٢. اتّخاذها عليها السلام المسبحة من قبر حمزة بن عبد المطّلب عليه السلام، فقد «كانت فاطمة تتبرّك بتراب قبر حمزة عليه السلام، فجعلت منه مسبحة لها»[١].

كما ورد ذلك في بعض الروايات عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: أنّ فاطمة عليها السلام كانت مسبحتها من خيط من صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت بيدها عليها السلام تديرها، تكبّر وتسبّح إلى أن قُتِل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، فاستعملت تربته وعملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلمّا قتل الحسين عليه السلام، عدل بالأمر عليه، فاستعملوا تربته؛ لما فيها من الفضل والمزيّة»[٢].

وسنّة التبرك بقبور أئمّة أهل البيت عليهم السلام دأب عليها المسلمون إلّا من شذّ منهم، فعن أبي بكر محمّد بن الحسن بن عبدان الصيرفيّ يقول: سمعت جعفر الخلديّ يقول: كان بي جرب عظيم، فتمسّحت بتراب قبر الحسين عليه السلام، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء[٣].

رابعًا: الدعاء للغير

كان ولا زال الدعاء يشكّل العماد الأهم من أعمدة العلاقة بين العبد وربه جلّ وعلا، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[٤]، وقد اهتمّت الصدّيقة الكبرى عليها السلام بالدعاء كثيرًا، وكانت تحرص بشدّة أن تكون دعواتها مقبولة، فأكّدت على ضرورة كون العبادة، التي يشكّل الدعاء جزءًا مهمًّا منها، خالصة لله تعالى، إذ قالت عليها السلام: «من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عزّ وجلّ له أفضل مصلحته»[٥].

=(ت ٥٩٧هـ): ٤٨٩.

(١) خلفيّات كتاب مأساة الزّهراء عليها السلام السيّد جعفر مرتضى العامليّ: ٢/ ١٧٣.

(٢) المزار، الشيخ المفيد: ١٥٠.

(٣) ترتيب الأمالي الخميسيّة، القاضي محيي الدين محمّد بن أحمد القرشيّ العبشميّ: ١/ ٢١٧.

(٤) سورة الفرقان: آية ٧٧.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، (مجموعة ورّام)، ورّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ: ٤٢٧.

وهناك سنَّة كانت معروفة عن الزَّهراء عليها السلام، قد أُثِرت عنها واشتهرت بها (سلام الله عليها)، وهي سنَّة الدعاء للغير، فقد ورد عن الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أنَّه قال: «**رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى اتَّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسمِّيهم وتُكثِر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت يا بني: الجار ثمَّ الدار**»(١).

وجاءت الأخبار الكثيرة الدالَّة على بيان فائدة هذه السنَّة المباركة سواء على صعيد الدنيا أو الآخرة، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما مِن مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلَّا ردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه مثل الذي دعا لهم به مِن كلِّ مؤمن ومؤمنة، مضى من أوَّل الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة، إنَّ العبد ليؤمَر به إلى النار يوم القيامة، فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا ربِّ هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه فيشفعهم الله عزَّ وجلَّ فيه فينجو**»(٢)

خامسًا: البكاء

البكاء بالمدِّ يعرَّف بأنَّه: «سيلان الدمع عن حزن وعويل، يُقال إذا كان الصوت أغلب كالرّغاء والثغاء وسائر هذه الأبنية الموضوعة للصوت، وبالقصر يُقال إذا كان الحزن أغلب»(٣).

والبكاء خلق تندب إليه الشريعة المباركة لما فيه من جلاء الهموم عن القلوب ورقَّة تلك القلوب، واستعدادها لقبول الحقِّ وتقبُّله والانفتاح عليه، بل إنَّ البكاء يعدُّ من أهمِّ الثمار المهمَّة المرجوَّة من العلم، فالبكاء يحكي رقَّة القلب وخشوعه المتجلِّي على

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله: ١/ ١٨٢.
(٢) الكافي، الشيخ الكلينيّ رحمه الله: ٢/ ٥٠٧.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانيّ: ١٤١.

الجوارح على شكل دموع تذرفه العيون وتزفره النفوس، وفي وصيَّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأبي ذر تأكيدٌ على هذا المعنى، حيث قال له «**يا أبا ذر: من أوتي من العلم ما لا يُبكيه لحقيقٌ أنْ يكون قد أوتي علمًا لا ينفعه، إنَّ الله نعت العلماء فقال** عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾[1]، **يا أبا ذر: من استطاع أن يبكي فليبك، ومَن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك، إنَّ القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا يشعرون**»[2].

ومن هنا كانت الدموع ذات قيمة عالية، ليس لها وزن ولا كيل، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**ما مِن شيء إلَّا وله كيل ووزن إلَّا الدموع، فإنَّ القطرة منها تُطفئ بحارًا من النار، فإذا أغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلَّة، فإذا فاضت حرمه الله على النار، ولو أنَّ باكيًا بكى في أمَّة لرُحِموا**»[3].

ولذلك فالبكاء كان مدارًا لاستجابة الدعاء، وإن لم يكن لغير الله تعالى، فعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أكون أدعو فأشتهي البكاء ولا يجيئني، وربَّما ذكرت بعض مَن مات من أهلي فأرقُّ وأبكي، فهل يجوز ذلك؟ فقال: «**نعم فتذكَّرهم، فإذا رققت فابكِ وادعُ ربَّك تبارك وتعالى**»[4].

والبكاء محمود ومذموم، والأوَّل يُستجلَب لرقَّة القلب ولخشية الله أو شوقًا إليه جلَّ وعلا، والمذموم يُجتلَب لأجل الخلق، وهو للرياء والسمعة[5]، والبكاء المحمود هو سبيل

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٧-١٠٩.
(٢) الأمالي، الشيخ الطوسيّ رحمه الله: ٥٣٠.
(٣) الكافي، الشيخ الكلينيّ رحمه الله: ٢/ ٤٨٢.
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٤٨٣.
(٥) ينظر زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قيِّم الجوزيَّة: ١/ ٢٠١.

أهل الصلاح والهداية، وهو من أخلاق الأنبياء والصدِّيقين، وقد ذُكر أنَّ رأس البكَّائين ثمانية: آدم ونوح ويعقوب ويوسف وشعيب وداوود وفاطمة، وزين العابدين عليهم السلام[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**أمَّا فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله حتَّى تأذَّى أهل المدينة. فقالوا لها: آذيتنا بكثرة بكائك، إمَّا أنْ تبكي بالليل وإمَّا أنْ تبكي بالنهار، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي**»[2]، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنَّه قال: «**بكت فاطمة على أبيها خمسة وسبعين يومًا**»[3]، فالصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام عملت بهذه السنَّة وثبَّتتها ضمن السنن الشرعيَّة التي كانت سلوكًا جليًّا واضحًا لأهل البيت عليهم السلام، ومنهاجًا تربويًّا قويمًا اختطُّوه لأتباعهم إلى يومنا هذا، به يمتازون عن غيرهم؛ ذلك أنَّ البكاء يغسل أدران القلب، ويزيل أمراض الحقد والضغينة وما شاكلها من حبِّ الانتقام والتشفِّي عنه، وبه يترقَّق القلب، فيكون أكثر استعدادا لقبول نور الهدى والانفتاح على الحقِّ والحقيقة.

كما أنَّ البكاء على فقيد الشريعة والدين يُعدُّ تذكيرًا بالدين وقيمه السامية ومبادئه العليا، ومن هنا استفاضت بل تواترت الروايات الحاثَّة على البكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام عمومًا، ومصيبة الإمام الحسين عليه السلام خصوصًا.

سادسًا: ندب ورثاء وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله

النُّدْبةُ هي كلُّ نداء يكون بلفظ (وا)، وهو أَن تَدْعُوَ النادِبةُ الميتَ بحُسْنِ الثناءِ في قولها: وافُلاناه، ويكون بذكر الميتِ بأَحسن أَوصافه وأَفعاله[4].

وعرِّف بأنَّه: «تعداد محاسن الميت، وما يلقون بفقده بلفظ النداء، إلَّا أنَّه يكون بالواو مكان الياء، وربَّما زيدت فيه الألف والهاء، مثل قولهم: وا رجلاه وا جبلاه،

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٠٤.
(٢) المغازي، الواقديّ: ١/ ٢٨٩
(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله: ٢٠٤.
(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٧٥٤.

وانقطاع ظهراه وأشباه هذا»[1]

وأمَّا الرثاء لغةً فهو أن يبكي شخصٌ ميتًا معيَّنًا، ويعدِّد محاسنه، وكذا من معانيه: الترحُّم على الميت والترفُّق له، وبكاؤه ومدحه ونظم الشعر فيه[2].

وهناك عنوان ثالث ذكرته الروايات وفتاوى الفقهاء وهو النِّياحة، وأصل النوح يدلُّ على مقابلة الشيء للشيء، ومنه النوح والمناحة لتقابل النساء عند البكاء[3]، وعرِّفت النِّياحة: بأنَّها قول وا ويلاه وا حسرتاه، والندبة عدُّ شمائل الميت، مثل وا شجاعاه وا أسداه وا جبلاه[4]، والملاحَظ أنَّ الثلاثة وإن اختلفت أصولها اللغويَّة، لكنَّها عُبِّر بها عن معنًى واحد، وهو معنى الندب الذي نسبته بعض الروايات في مصادر العامَّة الى الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

فمن تلك الروايات ما روي عن أنس أنَّه قال: لـمَّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت فاطمة عليها السلام: «**يا أبتاه! أجَابَ رَبًّا دَعاه، يا أبتاه! جَنَّةُ الفردَوْسِ مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل نَنعاه، يا أبتاه! مِن ربِّه ما أدْنَـاه!**»[5]، ومنها كذلك ما رُوِيَ عن الإمام عليٍّ عليه السلام أنَّ فاطمةَ عليها السلام «أخَذَتْ قَبْضَةً مِن تُرَابِ قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فوَضَعَتْها على عَيْنِها، ثم قالتْ:

مـــاذا عـلى مُـشْـتَـمٍّ تُـرْبَـةِ أحْمَـدٍ
أنْ لا يَـشَـمَّ مَـدَى الـزَّمَـانِ غَـوَالِـيَـا
صُـبَّـتْ عَـلَـيَّ مُـصِـيـبَـةٌ لَـوْ أنَّهـا
صُـبَّـتْ عـلى الأيَّـامِ عُـدْنَ لَـيَـالِـيَـا»[6]

---

(١) المغني، أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة: ٢/ ٤٠٧-٤٠٨.
(٢) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيَّة، محمود عبد الرحمن عبد المنعم: ٢/ ١٢٥.
(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريَّا (ابن فارس): ٥/ ٣٦٧.
(٤) تحفة الأحوذيّ، المباركفوريّ: ٤/ ٧٠.
(٥) الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد بن منيع الزهريّ: ٥/ ١٤٤.
(٦) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمَّد الجوزيّ=

ومنه ما ورد من أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تتمثَّل بعد موت النبي صلى الله عليه وآله بهذه الأبيات:

يـا عـينُ أبـكـي عـنـد كـلِّ صـبـاحِ

جـــودي بـأربـعـةٍ عـلـى الجـــراحِ

الأربعة: الشؤون، وهي مجاري الدموع.

قـد كـنـتُ ذاتَ حـمـيَّـةٍ مـا عـشـتَ لي

أمـشي الـبـراحَ وكـنـتَ أنـتَ سلاحي

البراح، بالفتح: المتَّسع من الأرض، لا زرع لي ولا شجر، أي أمشي في الفضاء عزيزةً ظاهرةً لا أخاف أحدًا، وما بعده يفسِّره.

فـالـيـوم أخـضـعُ لـلـذلـيـلِ وأتَّـقـي

مـنـه وأدفـــعُ ظـالـمـي بـالـــراحِ

وأغـــض مـن بـصري وأعـلـم أنَّـه

قـد بـان حـدُّ صـوارمـي ورمـاحـي

وإذا دعـــت قُـمـريَّـة شـجـنًـا لها

يـومًـا عـلى شـجـنٍ دعـوت صباحي

أي قلت: وا صباحاه»[1].

والروايات وإن كانت قد وردت في مصادر الحديث غير الإمامية، إلَّا إنَّه قد استدلَّ بها جملة من فقهائنا الأعلام على جواز النياحة على الميت بتعداد فضائله من غير تخطٍّ إلى كذب، ولا تظلم ولا تسخط[2]، بل قيل بجواز النياحة بالحقِّ إجماعًا[3] اعتمادًا على

=(ت ٥٩٧هـ): ٢/ ٣٠٠

(١) التذكرة الفخريَّة، بهاء الدين المنشئ الأربلِّيّ: ٤٥.

(٢) ينظر: المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ قدس سره: ١/ ٣٤٤.

(٣) ينظر: منتهى المطلب (ط.ج)، العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره: ٧/ ٤٢٣، و ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل قدس سره: ٢/ ٥٧.

تلك الروايات، ولذلك كان البكاء على الميت والحزن عليه والندبة له جائزًا إجماعًا على الظاهر[1].

بقي أمر آخر، وهو أنَّ الروايات السالفة الذِّكر تعارضها رواية واردة عن الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء (سلام الله عليها)، والتي رواها محمَّد بن مسلم عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ قال: «**قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم، فإنّ فاطمة (سلام الله عليها) لـمَّا قُبِض أبوها صلى الله عليه وآله أسعدتها[2] بنات هاشم، فقالت: اتركن التعداد وعليكن بالدعاء**»[3].

ويمكن الجمع بين تلك الروايات، وهذه الرواية وما شاكلها بعدَّة وجوه:

الأوَّل: كون النياحة مكروهة غير بعيد، لعدم النقل عنهم عليهم السلام، مع استشعار عدم الرضا والسخط[4].

الثاني: الجواز بشرط عدم القول الباطل، فتكون الرواية الثانية مقيِّدة للرواية الأولى[5].

الثالث: يمكننا القول إنَّ ما قامت فاطمة الزَّهراء عليها السلام مختصٌّ برسول الله صلى الله عليه وآله، ومَن هو قريب من مقامه من أئمَّة الهدى عليهم السلام، ولا يمكن صرفه إلى كلِّ ميت؛ ذلك لأنَّ هؤلاء يحملون من الخصال والصفات ومحامد الأخلاق ما يكون ذِكرها مدعاة لتثبيتها في نفوس أتباعهم حقًّا لا ادِّعاءً.

(١) ينظر: مجمع الفائدة، المحقِّق الأردبيليّ: ٢/ ٥٠٩.

(٢) هو إسعاد النساء في المناحات، حيث تقوم المرأة فتقوم معها أُخرى من جاراتها، إذا أُصيبت إحداهنَّ بمصيبة، فيمن يَعِزُّ عليها بكت حولًا، وأَسْعَدها على ذلك جاراتها وذواتُ قراباتها، فيجتمعن معها في عِداد النياحة وأَوقاتها، ويُتابِعْنها ويُساعِدْنها ما دامت تنوح عليه وتَبْكيه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢١٧.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله: ؟؟؟؟؟؟.

(٤) مجمع الفائدة، المحقِّق الأردبيليّ: ٢/ ٥٠٩.

(٥) المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ: ١/ ٣٤٤

ومن السنن التي تدور مدار هذه السنَّة المباركة، سنَّة التذكير برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد «وروي أنَّها ما زالت بعد أبيها معصَّبة الرأس ناحلة الجسم منهدَّة الركن باكية العين محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: **أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرَّة بعد مرَّة، أين أبوكما الذي كان أشدَّ الناس شفقةً عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه يفتح هذا الباب أبدًا، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما...**»[1]

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٣٧.

المطلب الثالث

سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام الاجتماعيَّة

الكثير من السنن الاجتماعيَّة تجلَّت في سيرة الصديقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وفيما يلي أهمُّها:

أوَّلًا: مناصرة الحقِّ والوقوف معه والدفاع عنه

لقد ظهرت هذه السنَّة المباركة في سيرة الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام بصورة جليَّة واضحة منذ نعومة أظفارها حتَّى شهادتها، ولم يقعدها عن ذلك كونها امرأة أو بنت نبيّ له سلطتا الدين والدنيا، أو زوجة ولي خَلَف رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين)، فالزَّهراء كانت تبادر بقوَّة لنصرة الحقِّ المتمثِّل بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله أو عليّ أمير المؤمنين عليه السلام.

فهي التي انتصرت لرسول الله صلى الله عليه وآله في وقتٍ تخاذل الرجال عن نصرته، وخافوا سطوة قريش وهيبة سلطانها، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله يصلِّي عند البيت الحرام، وكان أبو جهل وأصحاب له جلوسًا هناك، وعلى مقربة منهم سلا جزور قد نُحِر قبل يوم، فقال أبو جهل: أيُّكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفَي محمَّد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم، وهو عقبة بن أبي معيط فأخذه، فلمَّا سجد النبيّ صلى الله عليه وآله، وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وابن مسعود قائم ينظر، ولم يكن له منعة من قريش، وإلَّا لطرحه عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله كما هو يقول ذلك، وبقي النبيّ صلى الله عليه وآله ساجدًا ما رفع رأسه، حتَّى انطلق إنسان فأخبر فاطمة الصدِّيقة بنت

النبي (صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما)، فجاءت، وهي جويريَّة- تصغير جارية- كما يصف ذلك ابن مسعود ناقل الخبر، فطرحته عنه، ثمَّ أقبلت عليهم تشتمهم، فلمَّا قضى النبيّ صلى الله عليه وآله صلاته رفع صوته، ثمَّ دعا عليهم ثلاثًا[1].

ففاطمة الصدِّيقة الكبرى عليها السلام قد نالت من القوم ودعت عليهم، رغم صغر سنِّها الشريف، الذي كانت فيه جويريَّة بحسب وصف ابن مسعود، لكنَّها كانت صدِّيقة في موقفها، عظيمة في دفاعها عن رسول الحقِّ صلى الله عليه وآله، ففي الوقت الذي لم يكن لابن مسعود أيَّة منعة يلوذ بها من سطوة جبابرة قريش، كان لفاطمة عليها السلام تمام المنعة والعصمة بالله تعالى، فراحت تذود عن رسوله، وتتفانى في الدفاع عنه.

ويظهر من هذا الخبر أنَّه كان متعارفًا أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام رغم صغر سنِّها كانت مهتمَّة لأمر النبيّ صلى الله عليه وآله، ولأمر دعوته، لذلك هذا الإنسان بادر فأخبرها هي دون غيرها من رجال بني هاشم، ويبدو أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تتحرَّى كلَّ صغيرة وكبيرة تخصُّ الدعوة الإلهيَّة والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد نُقل عن ابْنِ عَبَّاس قَولُه: «إِنَّ المَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي حِجْرِ إسماعيل عليه السلام، فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاتَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى وَإِسَافَ وَنَائِلَةَ، أن لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لقُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ الصديقة (سلام الله عليها) وهي «تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، فَقَالَتْ: **هَذَا المَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَيَقْتُلُوكَ، فَمَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ**»، قَالَ: «**يَا بُنَيَّةُ أَدْلِي وُضُوءًا**»، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ المَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا هُوَ، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعُقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةً إِلَّا

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ٥/ ١٨٠.

قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا»[1]، فَقبَل رسول الله صلى الله عليه وآله ما أخبرت به فاطمة عليها السلام دون أدنى تردُّد، ورتَّب عليه الأثر، كما هو ظاهر الرواية.

ومن مواقف نصرة الحقِّ، هجرة فاطمة عليها السلام إلى المدينة المنوَّرة، وتحمُّلها العناء في سبيل متابعة حضورها كلَّ خطوات تطوُّر الرسالة المحمَّديَّة، رغم ما يرافق تلك الرحلة من مخاطر من طرف قريش، حيث قام الحويرث بن قصي بنخس الجمل الذي يحملها وأختها أمّ كلثوم فرمى بهما الى الأرض[2].

وهكذا كانت مواقف فاطمة الزَّهراء عليها السلام تدور مدار الرعاية للرسالة المحمَّديَّة المباركة، ولقائدها المصطفى محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله من لدن صباها حتَّى كانت امرأة بالغة، فعندما صاح إبليس لعنه الله بالمدينة «قُتِل محمَّد، وقتَ معركة أُحد لم يبقَ أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلَّا خرجن، وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعدو على قدميها حتَّى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكت لبكائه، وإذا انتحب انتحبت»[3] وفي رواية أخرى «أنَّه لـمَّا انتهت فاطمة وصفيَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ونظرتا إليه، قال صلى الله عليه وآله لعليّ: «**أمَّا عمَّتي فاحبسها عنِّي، وأمَّا فاطمة فدعها**». فلمَّا دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأته قد شُجَّ في وجهه وأُدمِي فوه إدماءً صاحت وجعلت تمسح الدَّم وتقول: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله**»، وكان يتناول رسول الله صلى الله عليه وآله ما يسيل من الدَّم ويرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء[4]، وجعلت فاطمة عليها السلام تَغْسِلُ الدَّمَ عن وجهه الشريف بيديها المباركَتَين، وكان الإمام عَلِيٌّ عليه السلام يَسْكُبُ المَاءَ عَلَيْهَا بِالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ الصديقة فاطمةُ عليها السلام أَنَّ المْاءَ لا يَزيدُ

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين الهيثميّ: ٨/ ٢٢٨، وشرح نهج البلاغة، ابن ميثم الحرَّانيّ: ٤/ ٣٦٤.
(٢) ينظر السيرة النبويَّة، ابن هشام الحميريّ: ٤/ ٨٦٨.
(٣) تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ: ١/ ١٢٤.
(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: ؟؟؟؟؟؟؟.

الدَّمَ إِلَّا كثْرَة أَخَذتْ قِطعةً مِنْ حَصيرٍ، فَأَحرقتهُ حَتَّى إِذا صارَ رَمادًا وأَلصقتْهُ بالـجُرْحِ؛ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ»[1].

وقد علَّق بعض أحاذق الأطباء بأنَّ رماد البردي له فعل قويّ في حبس الدَّم؛ لأنَّ فيه تجفيفًا قويًّا وقلَّة لدغ، فإنَّ الأشياء القويَّة التجفيف إذا كان فيها لدغ ربَّما عادت وهيَّجت الدم وجلبت الورم[2]، وهذا الفعل منها عليها السلام يمكن اعتباره سنَّة طبيَّة تُنسَب إليها (صلوات الله وسلامه عليها).

ثمَّ إنَّ هذه المتابعة والرعاية لفاطمة الزَّهراء عليها السلام تجاه أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله جعلتها في مقام أن تتوَّج بأنَّها أمُّ أبيها[3]، كما وصفها بذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. هذا ما كان من الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام من نصرة الحقِّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمَّا ما كان منها عليها السلام من نصرة الحقِّ مع عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أمضت تمام باقي عمرها الشريف بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي لم يتجاوز التسعين يومًا على أكثر الروايات، أمضته في نصرة عليّ عليه السلام، رغم قساوة الظرف عليهم، وغدر الزمان بهم، وانقلاب الصحابة على أعقابهم، وعزوف الأعمِّ الأغلب عن مساندتهم ونصرتهم، فبدوا منفردين في ميدان المواجهة مع الانقلابيِّين إلَّا من قليلٍ من الأنصار.

ومن أهمِّ تلك المواقف، خروجها مع الإمام عليّ عليه السلام يحملها عليها السلام على دابَّة ليلًا في مجالس الأنصار، تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمِّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام: «**أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟**»، وكان جواب فاطمة عليها السلام: «**ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد**

(١) ينظر سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ: ٢/ ١١٤٧.
(٢) بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ: ٥٩/ ١٩٣.
(٣) ينظر: مقاتل الطالبيِّين، أبو الفرج الأصفهانيّ: ٢٩.

صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[1].

وإلى هذا أشار معاوية بن أبي سفيان[2] عليه ما يستحق من اللعن، محاولاً غمز أمير المؤمنين عليه السلام في أنَّه حمل قعيدة بيته يقصد الزَّهراء عليها السلام ليلًا على حمار، ويداه في يدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام؛ طالبًا النصرة بهم.

والحال أنَّ الإمام عليه السلام صال بنفسه وأسرته، وهم يمثِّلون خيرة أهل الأرض آنذاك، وهكذا كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام الفم الناطق بالحقِّ نصرةً للإمامة، كما نصرت النبوَّة في كثير من مفاصل حركتها ومواجهتها مع الباطل، والحقّ أنَّها لم تألُ جهدًا ولم تدَّخر وسعًا لنصرة الإمامة خلال تلك الفترة القصيرة.

ثانيًا: الصبر على شظف العيش وضيق الحال

من السنن التي لم تفارقها الصديقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي الصبر على شظف العيش وقلَّة ذات اليد التي كان عليها زوجها أمير المؤمنين (سلام الله عليهما)، وهذا من الثوابت في حياتهم عليهم السلام، فما شبعوا من لحمٍ قطَّ، وهي وبعلها وبنوها (صلوات الله عليهم) كانوا يصومون ويفطرون على أقراص من الشعير، وربَّما آثروا بها السائلين وطووا جائعين، وفي الخبر أنَّهم فعلوا ذلك ثلاث ليال طووا في أيَّامها، حتَّى كان ذلك سبب نزول سورة هل أتى في حقِّهم، كما هو المشهور بين أهل التفسير[3].

وكانت الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي عماد هذا الخلق، والصابرة على شظف العيش هذا، مثبتة لهذه السنَّة وهي بنت خير البشر وسيِّد الكون زعيم الدين والدنيا، يقول عمران بن حصين أنَّه أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فسلَّم عليه، فقال له: «**يا عمران إنَّ لك منَّا منزلةً وجاهًا، فهل لك في عيادة فاطمة؟**»، فأحبَّ ذلك عمران، وقام مع رسول

(١) ينظر: الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: ١/ ٢٩.
(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢/ ٤٧.
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحرانيّ: ٣/ ٢٨٦.

الله صلى الله عليه وآله، حتَّى وقفا على باب فاطمة، فسلَّم رسول الله على فاطمة الزَّهراء (صلوات الله عليهما وعلى آلهما)، ثمَّ استأذنها في الدخول، فقالت: **أُدخل يا رسول الله بأبي أنت وأمِّي**، فقال لها: «**أنا ومن معي؟**»، قالت: ومَن معك يا رسول الله؟ قال: «**معي عمران بن الحصين الخزاعي**»، قالت: **والذي بعثك بالحق نبيًا ما علي إلَّا عباءة لي**، فقال: «**يا بنيَّة اصنعي بها هكذا وهكذا**»، وأشار بيده، فقالت: **يا رسول الله بأبي أنت وأمي هذا جسدي وقد واريته، فكيف لي برأسي؟** فألقى عليها ملاءة [ملحفة] له خلقًا، فقال: «**شدِّي هذه على رأسك**»، ثمَّ أذنت له فدخل ودخل عمران معه، فقال: «**كيف أصبحت أي بنيَّة؟**» قالت: **أصبحت والله وجعة يا رسول الله، وزادني على ما بي من الوجع الجوع، لست أقدر على طعام آكله، فقد أهلكني الجوع**، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكت فاطمة معه، ثمَّ قال: «**أبشري يا فاطمة وقرِّي عينًا ولا تحزني، فوالذي بعثني بالنبوَّة حقًّا إن كنت ذقت طعامًا منذ ثلاث، وإنِّي لأكرم على الله منك، ولو شئت أن أظلَّ عند ربِّي يطعمني ويسقيني لفعلت، ولكنِّي آثرت الآخرة على الدنيا، يا بنيَّة لا تجزعي، فوالذي بعثني بالنبوَّة حقًّا إنَّك سيِّدة نساء العالمين**». فوضعت يدها على رأسها، وقالت: **يا أبه! فأين آسية بنت مزاحم امرأة فرعون؟ ومريم بنت عمران؟** فقال صلى الله عليه وآله: «**آسية سيِّدة نساء عالمها، ومريم سيِّدة نساء عالمها، وخديجة سيِّدة نساء عالمها، وأنت فاطمة سيِّدة نساء عالمك. إنكنَّ في بيوتٍ من قصب، لا أذى فيه ولا نصب**»، قالت: **يا رسول الله وما بيوت من قصب؟** قال: «**درٌّ مجوَّف من قصب لا أذى فيه ولا صخب**»، قال: ثمَّ ضرب بيده على منكبها، وقال: «**يا بنيَّة والذي بعثني بالحقِّ نبيًّا لقد زوَّجتك سيِّدًا في الدنيا وسيِّدًا في الآخرة**»[1].

هذه سنَّة قويمة سنتها فاطمة الزَّهراء عليها السلام لتتبعها النساء، وتتحمَّل الظروف القاسية التي يمرُّ بها بيت الزوجيَّة أحيانًا، وتكون المرأة رغم ذلك السند والمعين لزوجها وقت الحاجة والعوز، فهي له على دهره، لا عليه مع دهره.

(١) ينظر: مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٤٦٤.

ثالثًا: الاهتمام بعبادات الأسرة

وتجلَّت هذه السنَّة في سيرة الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام، حيث إنَّها كانت لا تدع أحدًا من أهلها ينام في الليلة الثالثة والعشرين، التي يتوقَّع أنَّها هي ليلة القدر، وكانت وتداويهم بقلَّة الطعام، وتتأهَّب وتستعد لها من النهار، بأن تنام وطرًا منه، وكانت تقول: **محروم من حرم خيرها**[1].

والرواية الواردة بهذا الخصوص تنصُّ على أنَّها عليها السلام لا تدع أحدًا من أهلها، وهل أهلها إلَّا عليّ والحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم عليهم السلام، وكان أولادها صغارًا، إذ استشهدت وهم دون سنِّ البلوغ جميعًا، وكان مع ذلك تمنعهم من النوم في تلك الليلة المباركة التي يفرّق فيها كلَّ أمرٍ حكيم، وأي سنَّة أجلُّ قَدرًا وأعظم فائدة من مثل هذه السنَّة التي تُجرى على الصغار؛ لينشأوا طاهرين صالحين متعلِّقين بمفاهيم السماء، وما أحرى بالأمَّهات أن تستنَّ بهذه السنَّة، وتسلك هذا السبيل لتربية الأولاد وتنشئتهم على مثل هذه المعاني السامية. ولا يردُّ الإشكال بأنَّ أهل البيت عليهم السلام الأمر معهم مختلف، فهم مطهَّرون معصومون، قد أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا، فإنَّه يُجاب على ذلك بأنَّهم بشر قد فرض الله موالاتهم ومتابعتهم والاقتداء والتأسِّي بهم؛ لإمكان ذلك، وإلَّا فلو لم يكن الاقتداء بهم ممكنًا، لما يفرض علينا أن نسير بسيرتهم وجعلهم حجَّة علينا، وإن اختلفت استعداداتنا النفسيَّة عن استعداداتهم، لكن يمكننا السير وفق سيرتهم.

رابعًا: العمل في البيت

لقد كانت سنَّة الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام في حياتها الأسريَّة أن تولَّت إدارة أمور المنزل الداخليَّة بكلِّ ما في ذلك من مشقَّة وعناء، ففي الخبر الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستسقي ويكنس وكانت فاطمة عليها السلام**

(١) ينظر: دعائم الإسلام، القاضي النعمانيّ: ١/ ٢٨٣.

تطحن وتعجن وتخبز»[1]. وربَّما تتصوَّر بعض بنات الذوات والأكابر أنَّه ليس من شأنها الخدمة في بيت الزوجيَّة، لكنَّ الصدِّيقة الكبرى بنت رسول الإنسانيَّة وخاتم الرسل وسيِّد ولد بني آدم فاطمة الزَّهراء (سلام الله على أبيها وعليها) كانت تقوم بكلِّ مهامِّ الخدمة البيتيَّة دون كلل وملل، بل وتزيد، ومن يصف مثل هذه الحال كأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ قال: كانت فاطمة عنده، وكانت من أحبِّ أهل رسول الله إليه (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومع ذلك فمنزلتها تلك لم تمنعها من أن تستقي بالقِربة إلى درجة أن أثَّرت السقاية تلك في صدرها الشريف، أو تطحن بالرحى حتَّى مجلت يدها الكريمة، أو تكسح البيت، أو توقد النار تحت القدر حتَّى تغبر ثيابها المباركة بها عليها السلام، وتدكن من أثر الغبار والدخان، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقال لها الامام عليّ عليه السلام: **لو أتيت أباك فسألتيه خادمًا يكفيك حرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل**. فكان جواب رسول الله صلى الله عليه وآله أن علَّمها وعليّ عليهما السلام التسبيح المعروف بتسبيح الزَّهراء عليها السلام، وأخبرهما أنَّه خير لهما من الخادم، وقال لهما: «**إذا أخذتما منامكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبِّرا أربعًا وثلاثين**»[2].

وقد تظافرت الروايات الدالَّة على هذه السنَّة الفاطميَّة وبألسن مختلفة، ففي بعض الروايات أنَّه كان للإمام عليّ عليه السلام قميص تولَّت غزله فاطمة عليها السلام، وكان الإمام عليه السلام يقي به نفسه في الحروب[3]، ويبدو أنَّه كان من نسيج معيَّن، بحيث ينتفع به في ظرف مثل الحرب.

فكان هذا التفاني من فاطمة الزَّهراء (صلوات الله وسلامه عليها) بمسمع ومرأى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى جابر الأنصاريّ أنَّه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلَّة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله: ٣/ ١٦٩.
(٢) ينظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢/ ٣٦٦.
(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٤١.

«يا بنتاه تعجَّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد الله على نعمائه والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾»[1]

رابعًا: الاهتمام بالعلم ونشره وتعليمه

ممَّا يكون مثارًا للسؤال والجدل، مسألة طلب العلم وتعلُّمه ونشره بالنسبة للنساء، لكن نرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت مهتمَّة بالعلم والمعرفة تثبيتًا منها لهذه السنَّة المباركة في أوساط النساء، فضلا عن الرجال، فقد كانت تسأل أباها (صلوات الله

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[2]، قال: «**هم الأئمَّة بعدي عليّ وسبطاي، وتسعة من صُلب الحسين، فهم رجال الأعراف، لا يدخل الجنَّة إلَّا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلَّا من أنكرهم وينكرونه، ولا يعرف الله تعالى إلَّا على سبيل معرفتهم**»[3].

وكانت تقوم بنشر العلم والمعرفة تلك، وتبثُّها في أوساط النساء، بل حتَّى الرجال أحيانًا، «فقد حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أرسلتها والدتها التي كانت ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثمَّ ثنت في المسألة وثلَّثت إلى أن أوصلت مسائلها إلى العشر مسائل، وكانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام تُجيب، ثمَّ خجلت المرأة من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله.

قالت فاطمة عليها السلام: **هاتي وسَلي عمَّا بدا لك، أرأيت من اكترى يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟** فقالت: لا.

فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر مِن ملء ما بين الثَّرى إلى العرش لؤلؤًا**

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٢٠.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٦.
(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ٢٥٤.

فأحرى أن لا يثقل عليَّ، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ علماء شيعتنا يحشرون، فيُخلَع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم...»[1]

بل في رواية إنَّه قد اختصم إلى فاطمة عليها السلام امرأتان، وتنازعتا في شيء من أمر الدين، وقد حسمت فاطمة أمر المنازعة تلك[2].

وفي رواية أخرى أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام علَّمت سلمان الفارسيّ رضي الله عنه كلمات قالت فيها: **إنَّه مَنْ واظب على الدعاء بها لم تمسَّه الحمى**[3].

قال سلمان: فتعلَّمته، وقد لقَّنت أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكَّة، ممَّن بهم علل الحمَّى، وكلُّهم برئوا بإذن الله تعالى[4].

ثامنًا: المطالبة بالحقِّ

من سنن الصديقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام المعروفة والمشهورة عنها، هي مطالبتها بحقِّها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بذلت غاية وسعها في ذلك، ولم تدَّخر جهدًا من أجل تخليص حقِّها من يد غاصبيه، وهي وإن لم تنجح في استرجاع الحقِّ من يد غاصبيه، لكنَّها سجَّلت موقفًا ينير صفحات التاريخ في تثبيت حقِّها، وتبصرة الأمَّة بكون السلطة قد سلبتها حقَّها، خلافًا لحكم الشرع الحنيف، فأكدت في موقفها أمرَين مهمَّين، هما:

---

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام.

(٢) ينظر: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام: ٣٤٧.

(٣) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسيّ: ٣٠٢.

(٤) والكلمات هي: «بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبِّر الأمور، باسم الله خالق النور من النور، والحمد لله الذي خلق النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور (بقدر مقدور) على نبيٍّ محبور، الحمد لله الذي هو بالعزِّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السرَّاء والضرَّاء مشكور، وصلَّى الله على سيِّدنا خير خلقه محمَّد وآله الطاهرين الميامين المباركين الأطهار وسلَّم تسليمًا دائمًا كثيرًا». الدعوات، قطب الدين الراونديّ: ٢٠٨.

١. كون السلطة سلطة ظالمة؛ لأنَّها غصبت حقَّها، وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. وأنَّ فدك لها لا لمن قفز على مقام خلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

يقول عروة بن الزبير: إنَّ عائشة أخبرته بأنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسِّم لها ميراثها ممَّا ترك رسول الله ممَّا أفاء الله عليه، وكان جوابه لها مدَّعيًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر.

ثمَّ قال عروة: وكانت فاطمة عليها السلام تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك[١]، متغافلاً عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله بحقِّها «**فاطمة بضعة منِّي، أو مُضْغَةٌ منِّي، فمَنْ آذاها آذانى**»[٢]، وأنَّها لا تدَّعي ما ليس لها، وأنَّ يدها كانت على فدك، واليد علامة الملكيَّة.

فكان أن وَجَدَتْ فَاطِمَةُ الزَّهراء عليها السلام عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، ودَفَنَهَا أمير المؤمنين عَلِيٌّ عليه السلام لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ في ذلك وَصَلَّى عَلَيْهَا[٣].

واستشرافًا للمستقبل البعيد، فضلًا عن القريب، ونظرًا من الزَّهراء عليها السلام بنور بصيرة الصدِّيقين، ولئلا تأتي آلة الجرف الظلاميَّة على حقِّ الزَّهراء، فتقلبها عن حقيقتها، ولأجل تثبيت مظلوميَّتها، وإبقاء معالمها حاضرة في ضمير الأمَّة، تركت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام علامة استفهام كبرى وشاخصة المعالم إلى يومنا هذا، ألا وهي خفاء قبرها الشريف، حيث أوصت الصدِّيقة الزَّهراء (سلام الله عليها) لـمَّا حضرتها الوفاة

(١) ينظر: مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٦.

(٢) الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد بن منيع الزهريّ: ؟؟؟؟؟؟.

(٣) ينظر: صحيح البخاريّ، أبو عبد الله، محمَّد بن إسماعيل البخاريّ: ٥/ ١٩٤.

أميرَ المؤمنين عليه السلام أن يتولَّى أمرها ويدفنها ليلًا ويعفي قبرها! فتولَّى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، ودفنها سرًّا وعفى موضع قبرها[1]، ولعلَّ هذا واحد من الأسباب التي دعت الحركة الوهابيَّة إلى تبنِّي مبدأ هدم قبور الأولياء والصالحين؛ لتضيع الحقيقة ضمن ضياع المعالم.

تاسعًا: منع الظالمين لها من حضور تشييعها والصلاة عليها بوصيَّة منها

من السنن التي سنَّتها الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هو أنَّها أوصت ألَّا يحضر جنازتها مَن ظلمها، ولا يصلِّي عليها، ولم نعهد هذه السنَّة عند أحد من الأنبياء أو الأئمَّة عليهم السلام، بل إنَّهم يتجاوزون عن هذه المسألة ويتجاهلونها ويتجاهلون من ظَلَمهم، أمَّا فاطمة الزَّهراء عليها السلام فلم تتجاوز هذا الأمر؛ لما فيه من التأكيد على المظلوميَّة وغصب حقِّها.

وقد تواتر نقل هذا الأمر سواء في المصادر الحديثيَّة أو المصادر التاريخيَّة حتَّى بات من غير السهل إغماض العين عن حقيقة ظلامتها والتجاوز على حقِّها.

فممَّا هو مؤكَّد أنَّها عليها السلام مرضت ومكثت أربعين ليلة، ثمَّ دعت أمَّ أيمن وأسماء بنت عميس وعليًّا عليه السلام، وأوصت إليه بثلاث وصايا، وهي: أن يتزوَّج بابنة أختها أمامة لحبِّها أولادها، وأنْ يتَّخذ لها نعشًا كأنَّها كانت رأت الملائكة تصوَّروا صورته ووصفته له، وأنْ لا يشهد أحد جنازتها ممَّن ظلمها، أو يتركه يصلِّي عليها أحد منهم[2].

وقد سأل الأصبغ بن نباته أمير المؤمنين عليه السلام عن دفنها ليلًا، فقال: «**إنَّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاهم ان يصلي على أحد من ولدها**». وروي أنَّه سوَّى قبرها مع الأرض مستويًا، وقالوا سوَّى حواليها قبورًا مزوَّرة مقدار سبعة، حتَّى لا يعرف قبرها. وروي أنَّه رشَّ أربعين قبرًا حتَّى لا يبين قبرها

(١) الأمالي، الشيخ المفيد رحمه الله: ٢٨١.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٣٧.

من غيره؛ فيصلُّوا عليها. قال سلامة الموصلِّيّ:

لما قضت فاطم الزَّهراء غسلها
عن أمرها بعلها الهادي وسبطاها
وقام حتى اتى بطن البقيع بها
ليلا فصلى عليها ثم واراها
ولم يصل عليها منهم أحد
حاشا لها من صلاة القوم حاشاها»[1]

عاشرًا: جواز حضور النساء الدفن والخروج للتعزية بمصيبة الموت

ومن سننها (سلام الله عليها) حضورها جنازة أختها رقيَّة وبقائها حتَّى وارى رسول الله صلى الله عليه وآله جثمان رقيَّة، فقد «جلست فاطمة على شفير القبر وبكت، وجعل النبيّ يمسح دموعها بثوبه»[2].

وروى أبو بصير عن أحد الصَّادقَين عليهما السلام قال: لـمَّا ماتت رقيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إلحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه**، قال: وفاطمة عليها السلام على شفير القبر تنحدر دموعها في القبر، ورسول الله صلى الله عليه وآله يتلقَّاه بثوبه قائمًا يدعو قال: **إنِّي لأعرف ضعفها، وسألت الله عزّ وجلّ أن يجيرها من ضمة القبر**»[3]، وقيل إنَّ الثابت هو أنَّ رقيَّة ماتت ببدر، ولعلَّها غيرها من بناته[4].

وربَّما يُقال: إنَّ هذه السنَّة كانت بإمضاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

لكن ثبت لدينا أنَّ فعل فاطمة عليها السلام حجَّة بنفسه، فإذا وقع له إمضاء من رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت حجيَّته آكد.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ١٣٨.
(٢) موسوعة التاريخ الإسلاميّ، الشيخ محمَّد هادي اليوسفيّ الغرويّ: ٢/ ٢٢٦.
(٣) الكافي، الشيخ الكلينيّ قدس سره: ٣/ ٢٤١.
(٤) ينظر موسوعة التاريخ الإسلامي، الشيخ محمَّد هادي اليوسفيّ الغرويّ: ٢/ ٢٢٦.

وسُئل الإمـام الصادق عليه السلام عن النساء أتصلِّي على الجنائز؟ فقال عليه السلام: «**إنَّ زينب بنت النبيّ صلى الله عليه وآله توفِّيت، وإنَّ فاطمة عليها السلام خرجت في نسائها؛ فصلَّت على أختها**»[1].

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ قدس سره: ؟؟؟؟؟؟؟؟.

نتائج البحث

هناك جملة من النتائج يمكن الوقوف عليها من خلال البحث، وأهمها ما يلي:

١. إنَّ سنن فاطمة الزَّهراء عليها السلام حجَّة شأنها شأن سنن رسول الله والأئمَّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢. إنَّ أئمَّة الهدى عليهم السلام كانوا يحتجُّون بسنن الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام ويستدلُّون بها.

٣. إنَّ من سنن الزَّهراء (سلام الله عليها) سنن عباديَّة وسنن اجتماعيَّة سياسيَّة.

٤. كانت الزَّهراء عليها السلام قد واكبت حركة الرسالة منذ أيَّام صباها، وكان لها الحضور الريادي الفاعل والمناصر لحركة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله رغم صغر سنِّها، واستمرَّت على هذا النهج إلى آخر حياتها، حتَّى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أطلق عليها كنية (أمّ أبيها).

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا..

المصادر

* القرآن الكريم.

١. الإرشاد، الشيخ المفيد، الوفاة: ٤١٣، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢. الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ رحمه الله، الوفاة: ٥٤٨، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيِّد محمَّد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦/ ١٩٦٦م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

٣. الأمالي، الشيخ الطوسيّ رحمه الله، الوفاة: ٤٦٠، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم.

٤. الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله، الوفاة: ٣٨١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة.

٥. الأمالي، الشيخ المفيد رحمه الله الوفاة: ٤١٣، تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤/ ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوريّ، الوفاة: ٢٧٦، تحقيق: عليّ شيري،

الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣/ ١٣٧١ش، المطبعة: أمير، قم، الناشر: انتشارات شريف الرضي.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ.

٨. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي قدس سره، الوفاة: ٥٤٨، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ربيع الأوَّل ١٤١٧، المطبعة: ستاره، قم.

٩. البداية والنهاية، ابن كثير، الوفاة: ٧٧٤، تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨/ ١٩٨٨م، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان.

١٠. بحار الأنوار، العلَّامة المجلسيّ قدس سره، الوفاة: ١١١١، تحقيق: السيِّد إبراهيم الميانجيّ، محمَّد الباقر البهبوديّ، الطبعة الثانية المصحَّحة، سنة الطبع: ١٤٠٣/ ١٩٨٣م، الناشر: مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

١١. تاريخ الطبريّ، محمَّد بن جرير الطبريّ، الوفاة: ٣١٠، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلَّاء، الناشر: مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٢. التذكرة الفخريَّة، بهاء الدين المنشئ الأربلِّيّ، الوفاة: ٦٩٢، تحقيق: الدكتور نوري حمُّودي القيسيّ، الدكتور حاتم صالح الضامن، سنة الطبع: ١٤٠٤/ ١٩٨٤م، مطبعة ونشر المجمع العلميّ العراقيّ.

١٣. ترتيب الأمالي الخميسيَّة للشجريّ، القاضي محيي الدين محمَّد بن أحمد القرشيّ (ت ٦١٠هـ)، تحقيق: محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤. تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام، الوفاة: ٢٦٠،

تحقيق: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، الطبعة الأولى المحقَّقة، سنة الطبع: ربيع الأوَّل ١٤٠٩، المطبعة: مهر، قم المقدَّسة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدَّسة.

١٥. تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ، الوفاة: نحو ٣٢٩، تصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤، الناشر: مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.

١٦. تحفة الأحوذيّ، المباركفوريّ، الوفاة: ١٢٨٢، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٠/ ١٩٩٠م، الناشر: دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

١٧. تفسير الميزان، السيِّد محمَّد حسين الطباطبائيّ، الوفاة: ١٤٠٢، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

١٨. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، (مجموعة ورَّام) ورَّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ، الوفاة: ٦٠٥، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٨ش، المطبعة: حيدري، تهران، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة.

١٩. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسيّ قدس سره، الوفاة: ٤٦٠، تحقيق وتعليق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، الطبعة الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٢٠. الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسيّ، الوفاة: ٥٦٠، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٢، المطبعة الصدر، قم، الناشر مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدَّسة.

٢١. الخصائص الفاطميَّة، الشيخ محمَّد باقر الكجوريّ، الوفاة: ١٢٥٥، ترجمة: سيِّد عليّ جمال أشرف، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٣٨٠ش، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات الشريف الرضيّ.

٢٢. خلفيَّات كتاب مأساة الزَّهراء عليها السلام، السيِّد جعفر مرتضى العاملي، الوفاة: معاصر، الطبعة الخامسة، سنة الطبع: ١٤٢٢، المطبعة: دار السيرة، الناشر: دار السيرة، بيروت، لبنان.

٢٣. دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ (الشيعيّ)، الوفاة: ق ٤، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة.

٢٤. دعائم الإسلام، القاضي النعمانيّ، الوفاة: ٣٦٣، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي، سنة الطبع: ١٣٨٣/ ١٩٦٣م، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ملاحظات: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام.

٢٥. الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراونديّ، الوفاة: ٥٧٣، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٧، المطبعة: أمير، قم.

٢٦. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأوَّل، الوفاة: ٧٨٦، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: محرَّم ١٤١٩، المطبعة: ستاره، قم.

٢٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قيِّم الجوزيَّة (٦٥٩-٧٥١)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩ م.

٢٨. سنن ابن ماجة، محمَّد بن يزيد القزوينيّ، الوفاة: ٢٧٣، تحقيق وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٩. السيرة النبويَّة، ابن هشام الحميريّ، الوفاة: ٢١٨هـ، تحقيق وضبط وتعليق:

محمَّد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٣٨٣/ ١٩٦٣م، المطبعة: المدني، القاهرة، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

٣٠. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربيّ، الوفاة: ٣٦٣، تحقيق: السيِّد محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، المطبعة: مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٣١. شرح أصول الكافي، مولى محمَّد صالح المازندرانيّ، الوفاة: ١٠٨١، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح: السيِّد عليّ عاشور، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١/ ٢٠٠٠م، المطبعة والناشر: دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الوفاة: ٦٥٦، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨/ ١٩٥٩م، الناشر: دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ وشركاه.

٣٣. شرح نهج البلاغة. ابن ميثم الحرَّانيّ، الوفاة: ٦٧٩، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدَّة نسخ موثوق بها، الطبعة الأولى، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ش، المطبعة: چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلاميّ، الحوزة العلميَّة، قم، ايران.

٣٤. الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ قدس سره، معاصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠/ ١٣٨٨هـ، المطبعة: دفتر تبليغات إسلامي، الناشر: ولاء المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

٣٥. صحيح البخاريّ، البخاريّ، الوفاة: ٢٥٦، سنة الطبع: ١٤٠١/ ١٩٨١م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ملاحظات: طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٣٦. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ، الوفاة: ٢٦١، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ملاحظات: طبعة مصحَّحة ومقابلة على عدَّة مخطوطات ونسخ معتمدة.

٣٧. الطبقات الكبرى، محمَّد بن سعد بن منيع الزهريّ (ت ٢٣٠ هـ)، الدكتور عليّ محمَّد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهوريَّة مصر العربيَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١.

٣٨. الفصول المختارة، الشيخ المفيد رحمه الله الوفاة: ٤١٣، تحقيق: السيِّد نور الدين جعفريان الاصبهانيّ، الشيخ يعقوب الجعفريّ، الشيخ محسن الأحمديّ، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤/ ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٩. فضائل الصحابة، أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت ٢٤١هـ) المحقِّق: د. وصي الله محمَّد عبَّاس، الناشر: مؤسَّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

٤٠. فضائل الصحابة، النسائيّ، الوفاة: ٣٠٣، الناشر: دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.

٤١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله، الوفاة: ٣٨١، تحقيق: تقديم: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥/ ١٩٦٦م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها، النجف الأشرف.

٤٢. عمدة القاري، العينيّ، الوفاة: ٨٥٥، المطبعة ونشر: بيروت، دار إحياء التراث العربيّ.

٤٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، الوفاة: ٣٨١، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، سنة الطبع: ١٤٠٤/ ١٩٨٤م، المطبعة والنشر: مطابع مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان.

٤٤. الكافي، الشيخ الكلينيّ رحمه الله، الوفاة: ٣٢٩، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٧ش، المطبعة: حيدريّ، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٤٥. لسان العرب، ابن منظور، الوفاة: ٧١١، سنة الطبع: محرَّم ١٤٠٥، الناشر: نشر أدب الحوزة.

٤٦. مائة منقبة، محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن القمِّيّ (ابن شاذان)، الوفاة: ح٤١٢، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحد الأبطحيّ، الطبعة الأولى المحقَّقة المسندة، سنة الطبع: ذي الحجَّة ١٤٠٧، المطبعة: أمير، قم، الناشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، قم المقدَّسة.

٤٧. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، عبد الرحمن بن عليّ بن محمَّد الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، قدَّم له وحقَّقه وفهرسهُ: د. مصطفى محمَّد حسين الذهبيّ، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥.

٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر بن سليمان الهيثميّ (ت ٨٠٧هـ)، المحقِّق: حسام الدين القدسيّ، الناشر: مكتبة القدسيّ، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤٩. مجمع الفائدة، المحقِّق الأردبيليّ، الوفاة: ٩٩٣، تحقيق: الحاج آغا مجتبى العراقيّ، الشيخ عليّ پناه الاشتهارديّ، الحاج آغا حسين اليزديّ الأصفهانيّ، سنة الطبع: شوَّال المكرَّم ١٤٠٣، مرداد ١٣٦٢ش، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٥٠. مختصر مفيد، السيِّد جعفر مرتضى العامليّ، الوفاة: معاصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م، المطبعة: المركز الإسلاميّ للدراسات، الناشر: المركز الإسلاميّ للدراسات.

٥١. المزار، الشيخ المفيد، الوفاة: ٤١٣، تحقيق: السيِّد محمَّد باقر الأبطحيّ، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤/ ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٥٢. مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، الوفاة: ١٣٢٠، تحقيق ونشر: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى المحقَّقة، سنة الطبع: ١٤٠٨/ ١٩٨٧م.
٥٣. مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ) المحقِّق: د. عبد الغفور بن عبد الحقِّ البلوشيّ، الناشر: مكتبة الإيمان، المدينة المنوَّرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢/ ١٩٩١.
٥٤. مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، الوفاة: ٢٤١، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان.
٥٥. مصباح المتهجِّد، الشيخ الطوسي قدس سره، الوفاة: ٤٦٠، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١١/ ١٩٩١م، الناشر: مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.
٥٦. المصنَّف، عبد الرزاق الصنعانيّ، الوفاة: ٢١١، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظميّ، الناشر: منشورات المجلس العلميّ.
٥٧. المعتبر، المحقِّق الحِلِّيّ، الوفاة: ٦٧٦، تحقيق وتصحيح: عدَّة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازي، سنة الطبع: ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ش، المطبعة: مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الناشر: مؤسَّسة سيِّد الشهداء عليه السلام، قم.
٥٨. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيَّة، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، الوفاة: معاصر، الناشر: دار الفضيلة.
٥٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، الوفاة: ٣٩٥،

تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلاميّ، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلاميّ.

٦٠. المغازي، الواقديّ، الوفاة: ٢٠٧، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، سنة الطبع: رمضان ١٤٠٥، الناشر: نشر دانش إسلامي.

٦١. المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة (٥٤١، ٦٢٠ ه)، تحقيق: طه الزينيّ، ومحمود عبد الوهاب فايد، وعبد القادر عطا، ومحمود غانم غيث، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

٦٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانيّ، الوفاة: ٤٢٥، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٧، المطبعة: سليمان زاده، الناشر: طليعة النور.

٦٣. مقاتل الطالبيِّين، أبو الفرج الأصفهانيّ، الوفاة: ٣٥٦، تقديم وإشراف: كاظم المظفَّر، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٨٥/ ١٩٦٥م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها، النجف الأشرف، ملاحظات: مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.

٦٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، الوفاة: ٥٨٨، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦/ ١٩٥٦م، الناشر: مطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

٦٥. مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عليّ بن محمَّد بن محمَّد بن الطيِّب ابن أبي يعلى بن الجلابيّ، أبو الحسن الواسطيّ المالكيّ، المعروف بابن المغازليّ (ت ٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعيّ، الناشر: دار الآثار، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٦. منتهى المطلب (ط.ج)، العلَّامة الحِلِّيّ، الوفاة: ٧٢٦، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١/ ١٣٧٩ش، المطبعة: مؤسَّسة الطبع والنشر في الأستانة الرضويَّة المقدَّسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميَّة، إيران، مشهد.

٦٧. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله، الشيخ الصدوق، الوفاة: ٣٨١، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة.

٦٨. موسوعة التاريخ الإسلاميّ، الشيخ محمَّد هادي اليوسفيّ الغرويّ، الوفاة: معاصر، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٢٠، المطبعة: باقري، قم، الناشر: مجمع الفكر الإسلاميّ.

٦٩. نيل الأوطار، الشوكانيّ، الوفاة: ١٢٥٥، سنة الطبع: ١٩٧٣، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان.

صناعة الوعي عند المجتمع في فكر الزَّهراء عليها السلام
(دراسة استقرائيَّة استنتاجيَّة)

أ.د. قصي سمير عبيِّس الحِلِّيّ
كليَّة الامام الكاظم/ أقسام بابل
أ.د. سيف طارق حسين العيساويّ
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

ملخَّص البحث

تلتقي جهود الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلوات عليهم، عند غاية تكوين الوعي الإسلاميّ الإلهيّ النقيّ لدى المجتمع، وتهيئتهم للحياة اللائقة والمنشودة، ومن ثمَّ تأتي غاية البناء النفسيّ في سياق صناعة الوعي؛ للرقيِّ بحياة الإنسان عن طريق تشخيص أهداف ذلك البناء، وبيان مجالاته، وتحدُّد أولويَّاته وفق الرؤى الوجوديَّة والتصوُّرات التي يتبنَّاها أصحاب القرار لنوع الحياة المنشودة وأبعادها ومراتبها.

إنَّ صناعة الوعي السليم لا بدَّ أن تكون وفق معايير علميَّة مناسبة، تسعى إلى تكامل الإنسان، بحيث يظهر هذا التكامل في حياة الأفراد بنسب متفاوتة، ويظهر في عموم المجتمع ملبِّيًا كافَّة المطالب، وخير من يمثِّل كماليَّة الوعي هم آل بيت النبوَّة عليهم السلام، وعلى رأسهم سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، التي مثَّلت أُنموذجًا متكاملًا وفق الرؤية الإسلاميَّة الرساليَّة.

ومن هنا اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثَين يسبقهما تمهيد، تناولنا في **التمهيد** تعريفًا للوعي لغةً واصطلاحًا، وبيان مكوِّناته وتشكُّلاته عند الإنسان.

وخصِّص **المبحث الأوَّل** في بيان أسس الوعي عند الزَّهراء عليها السلام، وهي: طول التأمُّل والتفكُّر، الشجاعة في المواقف المصيريَّة، تحمُّل الانتقاد السلبيّ والتجريح، ترك الجمود والأفكار الجاهزة، الربط والمقارنة، والإصرار والتحدِّي.

أمَّا **المبحث الثاني** فتناول تطبيقات الوعي في فكر الزَّهراء عليها السلام، ومن تلك التطبيقات: المعرفة والاستطلاع اللدنِّيّ والذاتيّ، والتمسُّك بهدفٍ سامٍ، والتفاني في الوصول إليه، والقدرة على تقديم الأفكار المقنعة، وقراءة الماورائيَّات، والتعمُّق في تحليل الفكرة، والقدرة العالية على تفهُّم المشكلات وحلِّها.

وختمنا البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّل إليها الباحثان.

والله وليُّ التوفيق.

تمهيد

الوعي مفهومه، مكوناته، العوامل المؤثرة به

ربَّما لا يوجد جانب من جوانب العقل أكثر أُلفة أو أكثر إثارة للحيرة من الوعي، وفي ضوء اطِّلاعنا الواعي وقراءتنا المتأنيَّة يمكن القول بِأنَّ معضلة الوعي هي القضية المركزية في التشكيل الحاليّ لنظريَّات العقل. وعلى الرغم من عدم وجود أي نظريَّة متَّفق عليها حَول الوعي، فإنَّ هُنَاك إجماع منتشر، إن لم يكن إجماعًا شاملًا، بِأنَّ أيَّ فهمٍ كافٍ للعقل يتطلَّب فهمًا واضحًا للوعي ولموقعه في الطبيعة الإنسانيَّة، فنحن نحتاج إلى فهم ماهيَّة الوعي، وكيفيَّة ارتباطه بالجوانب الأخرى غير الواعية من الواقع.

يعرَّف الوعي في اللغة: حِفْظ القلبِ الشيءَ، وعَى الشيء والحديث يَعِيه وَعْيًا، وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واعٍ، وفلان أَوْعَى من فلان، أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ[1].

وفي الاصطلاح: حالة عقليَّة من اليقظة، يدرك فيها الإنسان نفسه وعلاقاته بما حوله من زمانٍ ومكانٍ وأشخاصٍ، كما يستجيب للمؤثِّرات البيئيَّة استجابة صحيحة[2]. ويعدُّ الوعي محصِّلة لعمليَّات ذهنيَّة وشعوريَّة معقَّدة في التفكير، والتفكير وحده لا يتفرَّد بتشكيل الوعي، فهناك الحدث والخيال والأحاسيس والمشاعر والإرادة والضمير، وهناك المبادئ والقيم وحوادث الحياه والنظم الاجتماعيَّة والظروف التي تكشف حياة المرء، وهذا التخطيط الهائل من مكوِّنات الوعي يعمل على نحوٍ معقَّد

(١) لسان العرب، (وعي): ١٥/ ٣٩٦.

(٢) ايقاض الوعي، عادل سعيد آل عواض: ١٣.

جدًّا، يُسهم كل مكوِّن بنسبة تختلف من شخص إلى آخر، ممَّا يجعل لكلِّ شخص نوعًا من الوعي يختلف عن وعي الآخرين(١).

فهو شكلٌ من أشكال القوى التي قد تؤثِّر تأثيرًا مباشرًا في العالم، أمَّا بالتأثير في أجسامنا كما يحدث عندما أقرِّر أنا بوعي أن أحرَّك ذراعي، فيتحرَّك، وأمَّا بالتأثير في أمور مثل العلاج الروحانيّ أو التخاطر(٢).

من التوضيح أعلاه، يجد الباحثان أنَّ الوعي عمليَّة معرفيَّة عليا ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالإدراك، إذ نجد كثيرًا من علماء النفس فسروا الوعي على أنَّه إدراك متقدِّم، وحين نرجع إلى تعريف الإدراك: هو العمليَّة التي تتمُّ بها معرفتنا لما حولنا من أشياء عن طريق الحواس، كأن ادرك أنَّ هذا الشخص الماثل أمامي هو صديق لي، وهذا صوت سيَّارة، وهذا العطر عطر الورد(٣)، فالإنسان بسبب التكوين الطبيعيّ يميل إلى التركيز على البيئة الخارجيَّة، ويعنى على وجه الخصوص بالأحداث الجديدة أو غير المتوقعة أو المختلفة، وهذا الأسلوب الإدراكيّ له قيمة مهمَّة في الحفاظ على البقاء، حيث يساعد على الاستجابة للخطر المفاجئ، وتحديد موضوع الأشياء، ومعالجتها في المكان(٤).

أمَّا اللغة التي يستعملها المدرِك للإفصاح عن إدراكه للواقع لغة دقيقة في وصف الظواهر؛ لأنَّ ترجمة الواقع إلى أفكار، عمليَّة بالغة التعقيد، وأنَّ كلَّ مدرك حسِّيّ يعتبر صيغة مهما كان نوعه، حيث إنَّه يؤلِّف وحدة تظهر منفردة في مجال الإدراك ومتميِّزة عمَّا يحيط بها، والصيغة هي أشياء أو عناصر معيَّنة تتَّضح في مجالنا الإدراكيّ، وتجذب انتباهنا على إدراكها دون سواها من الأشياء. ويمكن القول إنَّ المدرك هو الحالة التي تحصل بعد

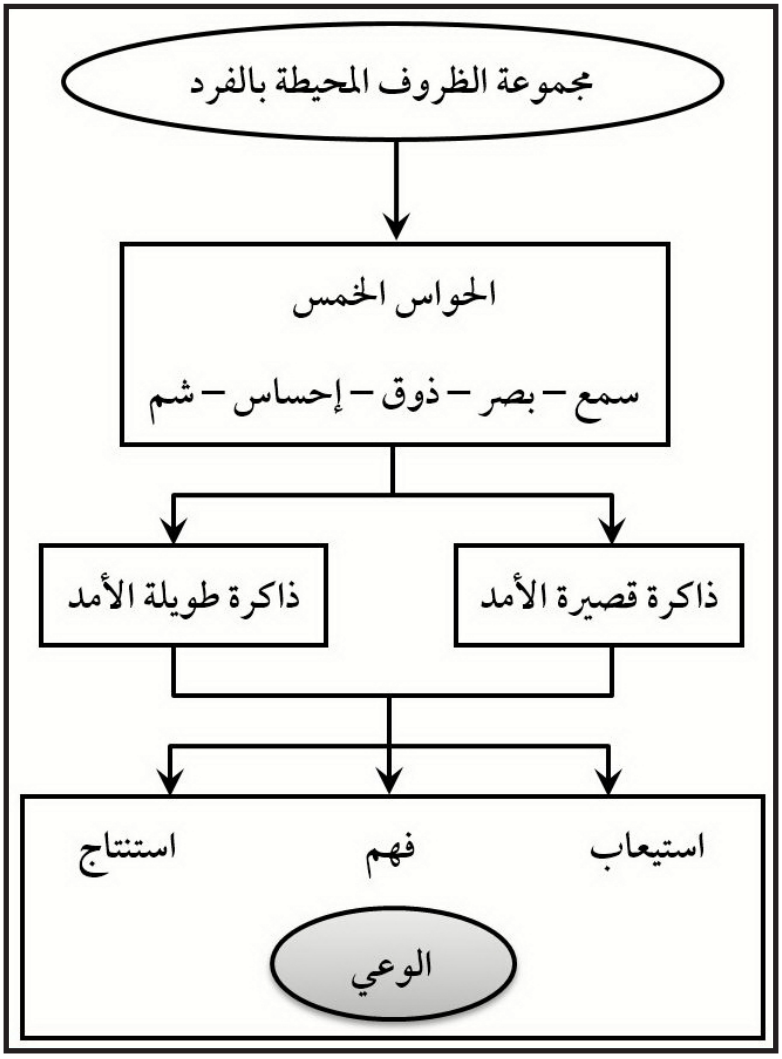
(١) تجديد الوعي، عبد الكريم بكار: ٩-١٠.
(٢) الوعي مقدِّمة قصيرة جدًّا، سوزان بلاكمور: ١٣.
(٣) مدخل علم النفس، لندال دافيدوف: ٦٢.
(٤) بهاء عدنان الحسنيّ، الإدراك تكويناته ومؤثِّراته: ٢-٣.

الإدراك، أو إنَّه المحصِّلة النهائيَّة لعمليَّة الإدراك، فمثلًا عندما تنظر إلى كتاب أمامك وتراه، فالكتاب أصبح في هذه الحالة مدرك حسِّيّ، فإن أغمضت عينيك استطعت أن تراه أيضًا، ومع ذلك فإنَّ هذه العملية تمرُّ أوَّلًا بالإحساس، فالإحساس أوَّل حالة بالمدرك هو أوَّل خطوة لمعرفة العالم الخارجي، إلَّا أنَّ الأمر يمتدُّ ليتناول إحساسات الإنسان؛ ليفسِّرها ويؤوِّلها ويضيف إليها من خبرته وتجاربه، ممَّا يجعلها معاني ورموزًا في إدراكنا، فبالإحساس وحده لا ندرك شيئًا، وكذلك بدونه لا ندرك؛ لأنَّ الإدراك هو تفسير الإحساس وتأويله، وهذا ما يؤكِّد أنَّ الصورة في المدرك والصراع الذي جرى بين المدارس الفلسفيَّة حول كون المدرك حالة ماديَّة أو ميتافيزيقيَّة، يؤكِّد انتصار المذهب المتيافيزيقيّ[1]، وهذا يدلُّ على مدى التوافق بين المصطلَحَين، إذ أنَّ الإدراك والوعي محصِّلة العمليَّات العقليَّة، والتي تُنتج وعيًا كليًّا بما نريد أن نعرفه ونتحقَّق منه، وعلى هذا الأساس، ومن المنطلقات السابقة، يمكن أن نرسم المخطَّط الآتي، الذي يوضِّح عمليَّات حدوث الوعي:

(١) بهاء عدنان الحسنيّ، الإدراك تكويناته ومؤثِّراته: ٣.

مخطَّط

يبيِّن تمثيل عمليَّة تكوُّن الوعي



من المخطَّط أعلاه نلحض أنَّ الوعي يمرُّ بعمليَّات عقليَّة منظَّمة تبدأ بالحواس، وتنتهي بالإدراك، ثمَّ يتكوَّن الوعي الكامل، فأي خلل في أي عمليَّة سابقة للوعي، يجعل وعينا غير مكتمل الصورة، ومن هذا سنعرف كيف يتمُّ التلاعب بالوعي.

منطلقات الوعي المعرفيَّة

١. يرجع الأساس الفلسفيّ للوعي إلى مفاهيم (المعرفة، والإدراك، والسيطرة)، والتي تعدُّ من نواتج التعلم ونواتج استعمال طرائق التعلُّم الفعَّالة، فالمعرفة: هي ما يرتبط بطبيعة المتعلِّم وعمليَّاته المتنوِّعة، فضلًا عن خصائص التعلُّم الذاتيّ، وإستراتيجيَّاته، وكيفيَّة استخدامها وزمنها، و(الإدراك) يرتبط بالهدف من النشاط التعليميّ، ومدى تقدُّم المتعلِّم خلال فعَّاليَّاته، أمَّا السيطرة فترتبط بطبيعة قرارات المتعلِّم وسلوكيَّاته أثناء أداء الفعاليَّات.

٢. التعلُّم على وفق منطلقات الوعي بالعمليَّات المعرفيَّة، هو تأمُّل واعٍ مشعورٌ به للنشاطات المعرفيَّة لكن المتعلِّم يجد صعوبة في تحديد رؤيته عن الوعي بوضوح (بسبب نقص التدريب والخبرة)، وبناءً على ذلك، فإنَّ من العوامل المساعدة على تعلُّم مهارات الوعي، هو تدريبه على إدراك العلاقات الخفيَّة في المعرفة (المفاهيم، والحقائق)، وكذلك الروابط التي تربط أجزاء المعرفة، وإظهار هذا الإدراك في المواقف التعليميَّة، وتدريبه على كيفيَّة الإفادة من هذه المواقف في مواقف مشابهة، وهو ما يسمَّى بـ(التجسير)[1].

٣. يتطلَّب من ترسيخ المعرفة تحقيق الثبات في التعلم (الجانب الإجرائيّ، كالإستراتيجيَّات، والاتِّجاهات، والدافعيَّة)، ولا يتحقق الثبات إلَّا عن طريق فهم المفاهيم والحقائق، والتي بدورها تحتاج معالجة عبر نموذج، وتنظيم مناسب يتمُّ رسم آليَّاته وخطواته من قِبَل المتعلِّم (ذاتيًّا)، دون أن يفرض عليه من الخارج، الأمر الذي يتطلَّب أن تكون لدى المتعلِّم خبرة كافية عن كيفيَّة بناء هذا النموذج، وإستراتيجيَّات تحقيقه عبر المعرفة بالنماذج والإستراتيجيَّات

(1) Bou Jaude, S.B, 2000, Secondary School Students Difficulties, School Science Review, Vol. 81.

المختلفة، التي ستتيح له الاختيار، وبما يتناسب مع المواقف التعليميَّة التي يمرُّ بها[1].

٤. يتأسَّس الوعي من مكوِّنَين رئيسَين، يتَّجه الأوَّل نحو الوعي بالمعرفة، والذي يشمل معرفة المتعلِّم بمعارفه وإدراكاته الذاتيَّة، وهذا هو الجزء المشعور به، ويمكن أن يتَّضح من طريق التقرير الذاتيّ، أمَّا الآخر فيتَّجه نحو التحكُّم بالموقف، الذي يقابل العمليَّات التنفيذيَّة (الإستراتيجيَّات) التي تشمل العمليَّات من الرتبة العليا، ويكون تأثيرها عامًّا، وتتمُّ بنحوٍ آليٍّ غير مشعور به، أو التلفُّظ به في التقرير الذاتيّ[2].

الدور الوظيفيّ للوعي بالعمليَّات المعرفيَّة

الدور الوظيفي للوعي: يرتكز الدور الوظيفيّ للوعي بالعمليَّات المعرفيَّة على:

١. التدريب على الاستكشاف والمشاركة، وتحمُّل المسؤولية، والضبط والتنظيم الذاتيَّين، وتحويلها عُرفًا سلوكيًّا لدى المتعلِّم.

٢. الانطلاق من الخبرة والاستعداد الموضوعيّ للتفكير الإبداعيّ الذاتيّ.

٣. تجذير مفهوم الإدارة الذاتيَّة للتعلُّم والإدارة الذاتيَّة للوقت.

٤. بناء منظومات التفكير الإستراتيجيّ الشموليّ.

٥. رفع مستوى الاستشعار بالمشكلات، والمهمَّات، وتشخيص الصعوبات.

٦. ترسيخ قدرات تنظيميَّة تتعلَّق بفعَّاليَّات التمثيل البصريّ للمعرفة، والتدوين العلميّ.

٧. الاستعمال المنهجي لتكتيكات التعامل مع المعرفة (الربط، الانتقال، التقويم... الخ).

(1) R. 1998, Learning to Teach, 4th Edition, Boston, McGraw Hill.

(2) Lawson M.J. 1984, Being Executive about Meta Cognition (in) J.R. Kirby, cognitive strategies, Orlando: Academic Press, Inc.

وغيرها من المرتكزات التي تعكس أهمية تنمية وتطوير الوعي بالعمليات المعرفية، وهنا تساؤل يعترض على قدر كبير من الأهمية مفاده "هل يستطيع المعلم إكساب الوعي بالعمليات المعرفية للمتعلمين؟ الإجابة الموضوعية لكثير من الدراسات النفسية والتربوية كانت، نعم [1].

أساليب فاطمة الزَّهراء عليها السلام في صناعة الوعي عند المجتمع

أوَّلًا: التصدِّي للمسؤوليَّة

إنَّ التصدِّي للحقِّ، ولنشر الوعي هو مصداق إلهيّ أكَّدت عليه الشرائع السماويَّة جمعاء، ومنها القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [سورة عبس: ٥-١٠]، ففي هذه الآية الكريمة دعوة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله للتصدِّي لمن يستحق وقلبه واعٍ، ليوقظ الأمَّة من غفلتها من أصعب المواقف، عن طريق نشر الوعي، فهو يبدأ بفكرة بالذهن، ثمَّ ينتقل إلى سلوك، ولكي يكون سلوكًا مؤثِّرًا يجب أن يُحبَك بعناية، وهذا ما وجدناه عند الزَّهراء في موقفها الرافض للاضطهاد السياسيّ ومقاومتها له، واستمرَّت في معارضتها لتصرُّفات الحكومة التنفيذيَّة في طرد عمَّالها، وسحب فدك منها[2]، وهي تعدُّ وثيقة تأريخيَّة إسلاميَّة تُثبت مقام آل بيت النبيّ الرفيع من ناحية، وتشير إلى ظلامتهم من ناحية أخرى، وتكشف الغطاء عن المؤامرات التي حاكها الأعداء لهم من ناحية ثالثة، فوقفت معارضة لتصرُّفات الحكومة، ومن طريق الخطبة الغرَّاء التي ألقتها أمام المهاجرين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، مزيلةً الستار عن كثير من الحقائق، ومبيِّنة للقوم الظلم الذي تعرَّض له النبيّ الأكرم بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى،

(1) Hacher, D.J, 1996, Meta Cognition. Definition and empirical foundation, The University of Memphis magazine V.119.

(٢) الحمويّ، معجم البلدان: ٤/ ٢٣٩، مادة فدك، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/ ٢٢٣.

وكانت هذه الخطبة بمثابة تحذير مروِّع، وهزَّة وجدانيَّة وفكريَّة للمجتمع، ولأولئك الذين سعوا إلى تحريف الحكومة الإسلاميَّة عن مسيرها الصحيح الذي أراده الشرع المقدَّس، فخطبت الزَّهراء بالمهاجرين والأنصار خطبتها المعروفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا بدَّ من الإشارة ألى أنَّ الزَّهراء عليها السلام ركَّزت في تصدِّيها شكلًا ومضمونًا، كون الشكل والهيأة تكملان مشروعها التوعويّ والرساليّ، فقد وصف الرواة هيأتها في التصدِّي للحقِّ وإثارة الوعي، فذكروا بأنَّها «لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله، حتَّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة»[1]، ولعلَّ هذه الهيأة تستدعي القوم إلى أنَّ الزَّهراء عليها السلام جاءت بأمرٍ عظيم.

أمَّا تصدِّيها من حيث المضمون، فقد كانت عليها السلام تثقِّف لمنهج تغيير أسس الدين الحقَّة، ومصادرة الحقوق تحت أيِّ عنوان كان، ولو بلون الشَّرع والدين، فلم تتأثَّر بعددهم ولا باتِّفاقهم ولا بقسوتهم، بل كانت الشجاعة الصابرة المحتسبة التي عن حليلها عليّ عليه السلام، كما كان يدافع عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت متجرِّدة من كلِّ سلاح أو درع إلَّا سلاح الإيمان وبلاغة الخطاب، فقالت: «**معشر المسلمين، أأُغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًا! أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه**»[2]، ودقيق اللحظ يجد أن الزَّهراء عليها السلام جعلت في تصدِّيها القرآن حكمًا في مظلوميَّتها، ولهذا استشهدت بإرث سليمان من داوود في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [سورة النمل ١٦]، وكذلك مع ما قصَّ من خبر يحيى وزكريا، إذ يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم ١-٦]... فختمت خطبتها بأنَّ الله هو الحكم العدل بيننا، فكانت كلماتها:

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١١.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٠٣.

«فنِعمَ الحكم الله، ونِعمَ الزعيم محمَّد، والموعد القيامة..»[1].

ثانيا: التعريف بشخص المتصدِّي وبيان رؤيته

إنَّ شخصيَّة المتصدِّي للوعي ومكانته في المجتمع له أثر في التوعية، فمن الضروريّ أن يعرِّف الشخص بنفسه، لكي يجذب له الأذهان، وأن يعرف بهدفه؛ كي يتفاعل معه الجمهور، فنجد السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم تغفل عن هذا البيان، فقالت: «**أيُّها الناس اعلموا أنِّي فاطمة، وأبي محمَّد صلى الله عليه وآله، أقول عودًا وبدءًا، ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا**»[2].

إنَّ الاشخاص ذوي الهويَّة المجهولة أقلُّ تأثيرًا في المجتمع؛ لأنَّ الناس تتأثَّر بمن تعرفه، وهذه الخصلة ركَّز عليها القرآن الكريم في أكثر من موقف، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [سورة مريم ٢٩-٣٤]، إنَّ هذا التعريف الذي قدَّمه نبي الله تعالى قد أنقذ موقف أمِّه الصدِّيقة، وأضاف هالة من القدسيَّة عليها، بل إنَّ التعريف يشمل حتَّى الملائكة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم ١٨-١٩]، فالتعريف بشخص المتحدِّث يبعث الاطمئنان في النفس الإنسانيَّة، أمَّا بيان الرؤية فهي من سمات العظماء، فالرؤية: هي شيء يريده المتصدِّي أكثر من شيء آخر، فالذي عنده رؤية واضحة لا يريد أن يكون موضع اتِّهام أو استهزاء أو هجوم من الآخرين؛ لأنَّه يعرف ما يريد بوضوح، فالرؤيا أشمل، وأعمق، وأعمُّ من

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوريّ: ١/ ٣١.
(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٣.

الهدف[1]، فلهذا قالت الزَّهراء: «**ولا أقول ما أقول غلطًا، ولا أفعل ما أفعل شططًا**»[2]، هنا بيَّنت عليها السلام إلى أنَّ رؤيتها للأمور يقينيَّة، ترتقي إلى مرتبة الكمال؛ وأنَّها كانت تدرك ما خرجت لأجله.

ثالثًا: استدرار العاطفة وتوجيه الانفعال

ربَّما يسأل سائل هل للعاطفة والانفعالات دور في التأثير بالوعي؟ ولكي نجيب عن السؤال علينا أن نعرف أنَّ السلوك يتكوَّن من ثلاثة جوانب: ١. المعرفي: التصوُّرات والإدراكات، ٢. والحركي: وهو الاستجابة الحركيَّة الدالَّة على السلوك، ٣. الانفعاليّ: وهو مدى الميل والاندماج والحماس لذلك السلوك. ولذلك يمكن من طريق الجانب الثالث أن نستدلَّ على قوَّة الدافع أو السلوك، إذ كلَّما كان الفرد مندمجًا متحمِّسًا في سلوكه، أعطى ذلك مؤشِّرًا على قوَّة الدافع ورغبته في الأداء، إذ إنَّ للانفعال قيمة اجتماعيَّة، حيث إنَّه يُحدِث تغيُّرات تعبيريَّة مصاحبة تؤثِّر بالمجتمع، وتزيد من الشحنة الوجدانيَّة لديهم[3]. وقد استثمرت الزَّهراء عليها السلام هذا الجانب أفضل استثمار من بداية القضيَّة إلى نهاية حياتها الشريفة، وذلك لعِظَم القضيَّة، وهي الدفاع عن الإمام وحقوقها المسلوبة، فيروي لنا الراوي أنَّها حين وصلت الى المسجد والناس مجتمع:

«فجلست ثمَّ أنَّت أنَّة أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلس، ثمَّ أمهلت هنيئة حتَّى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه..»، هذا الموقف كان في بداية القضيَّة، ولها مواقف أخرى، فلم تكتفِ الصدِّيقة الكبرى عليها السلام بما قدَّمت من مقاومة ومواجهة لمن أراد تغيير طريق النبيّ ورسالته السمحاء، بل استعملت دموعها وبكاءها؛ لإظهار قوَّة رفضها، ومدى تأثُّرها لأعمالهم التي تخالف

(١) الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي: ٩٦-٩٧.
(٢) نهج البلاغة: ١٠/ ١٢٨، الاحتجاج، الشيخ الطبرسيّ: ١/ ١٣٤.
(٣) علم النفس الفسيولوجيّ، علي محمود كاظم الجبوريّ: ٢٠٤-٢٠٦.

شرع الله سبحانه وتعالى، حيث قالت: «**ما أقلَّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فو الله لا أسكت ليلًا ولا نهارًا أو ألحقَ بأبي رسول الله**صلى الله عليه وآله. فقال لها عليّ عليه السلام: **أفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**. ثمَّ إنَّه بنى لها بيتًا في البقيع نازحًا عن المدينة يسمَّى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية، فإذا جاء الليل، أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه»[1]. وهنا أرادت مولاتنا الزَّهراء استنهاض القوم بإثارة عواطفهم، بأنَّها ستفارقهم وتلحق بأبيها، وإلى ذلك الوقت ستبكي لفقد أبيها صباحًا ومساءً؛ بهدف التأثير في القوم لمراجعة أنفسهم، وهذا الأمر وافق عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وبنى لها بيت الأحزان، وكان مواسيًا لها في تعاملها العاطفيّ مع المواقف.

رابعًا: اغتنام فرص التثقيف التوعويّ

لقد كانت الزَّهراء عليها السلام تغتنم أي فرصة لتوعية المجتمع حتَّى في مرضها، فعن سويدِ ابنِ غفلةَ روي أَنَّهُ لَـمَّا مَرِضَت السيدة فاطمةُ عليها السلام المرضةَ التي تُوُفِّيَتْ فِيْهَا، اجْتَمَعَتْ إِلَيْهَا نِسَاءُ الْمُهاجِرِينَ وَالأَنْصَار لِيَعُدْنَها، فقُلْنَ لَهَا: كيف أصبحتِ مِنْ عِلَّتِكِ يا ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله؟ فَحَمِدَتِ الله وَصَلَّتْ عَلَى أَبِيْهاصلى الله عليه وآله ثُمَّ قالَت[2]: «**أَصْبَحْتُ والله عائِفةً لدُنياكُنَّ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُنَّ، لَفَظْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ عَجَمتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرتُهُم، فَقُبحًا لِفُلُولِ الحدِّ واللَّعبِ بَعْدَ الجِدِّ، وَقَرْعِ الصفاة، وَصَدْعِ القناة، وَخَتَلِ الآراء، وَزَلَلِ الأهواء، وَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَـهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُم خَالِدُون**»[3]. فمن مضمون مقدِّمة الخطبة أعلاه، نجد أنَّ الزَّهراء على رغم من مرضها، إلَّا أنَّها لم تتوانَ للحظة في تثقيف المجتمع، فاستثمرت وجود النساء لتثبث لهم الفكر المحمَّديّ ممزوجًا بالعاطفة،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزليّ: ١٦/ ٢٣٤.

(٢) بلاغات النِّساء: ١٩-٢٠، الأمالي للطوسي (ت٤٦٠هـ): ٢٣٨.

(٣) في بلاغات النساء: وبئسما قدَّمت لهم... أمّا في دلائل الإمامة فقد ذكرت نصَّ الآية (٨٠) من سورة المائدة: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

محاولة التأثير فيهم، مؤدِّية دورها الرساليّ، وهي في أصعب الأوقات، والذي قامت به الزَّهراء عليها السلام، وهو مصداق لوصايا أمير المؤمنين عليه السلام: «**الفرصة تمرُّ مرَّ السَّحاب، فانتهزوا فُرَص الخير**»، وعنه عليه السلام: «**الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود**»[1]، بل إنَّ القران قد أشار إلى ذلك لتجنُّب الندم، ومنه قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر ٥٦-٥٨].

خامسًا: الإشارة إلى أهل الحقِّ

من أهمِّ مرتكزات صناعة الوعي، الإشارة إلى أهل الحقِّ؛ لتميِّزهم عن أهل الباطل والمتلوِّنين، والمتشبِّهين بأهل الحقِّ، فنجد الزَّهراء قد أبدعت بذلك أيَّما إبداع، فممَّا جاء في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار: «**وَيْحَهُمْ أَنَّى زَعْزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسالة، وَقَوَاعِدِ النُّبوَّةِ والدَلالَة، وَمَهْبِطِ الرُوح الأَمِين، والطِبينِ بأُمورِ الدُّنيا والدِّين؟! أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. وَمَا الَّذي نَقِمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ؟! نَقِمُوا والله مِنْهُ نكيرَ سَيْفِهِ، [وَقِلَّةَ مُبَالاتِهِ لحتفِهِ]، وَشِدَّةَ وَطْأَتِه، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ الله. وتالله لَوْ مَالُوا عَنِ المَحَجَّةِ اللايحَة، وَزَالُوا عَنْ قَبُولِ الْحُجَّةِ الواضِحَة، لَرَدَّهُم إِلَيْهَا، وَحَمَلَهُم عَلَيْهَا، وَلَسَارَ بِهِمْ سِيْرًا سُجُحًا، لا يَكْلَمُ خِشَاشُه، ولا يَكِلُّ سَائِرُه، ولا يَمَلُّ راكِبُه، ولأوردَهُم مَنْهلًا نَمِيرًا صافيًا رويًّا، تطفحُ ضِفَتاه، وَلا يترَنَّقُ جانباه، وَلأصْدَرَهُمْ بِطانًا، وَنَصَحَ لَهُم سِرًّا وإِعْلانًا، وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَلَّى مِنَ الغِنى بِطَائِل، وَلا يَحْظَى مِنَ الدُّنيَا بِنائِل، غَيْرَ رَيِّ النَّاهِل، وَشِبْعَةِ الكَافِل، وَلَبَانَ لَهُمْ الزَّاهِدُ مِنَ الراغِب، والصادِقُ مِنَ الكَاذِب**»[2]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف ٩٦]، فهذه الإشارات كلُّها تشير إلى

(١) ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ: ٣/ ٢٣٩٨.
(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٥.

الإمام عليّ، ولكنَّها لم تصرِّح بالاسم، بل أعطت الصفات، وأنهتها بالتحذير الشديد من طريق إيرادها النصَّ القرآنيّ.

يرى البلاغيُّون أنَّ الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وأنَّ التعبير عن المعنى نفسه بالكناية يزيد في إثباته، ويجعله أبلغ وآكد وأشدّ. وتنقسم الكناية باعتبار الوسائط إلى التعريض والرمز والتلويح والإشارة، كما أنَّ التورية واللحن من أنواع الكناية، والإشارة هي الكناية التي قلَّت وسائطها مع وضوح الدلالة، ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء[1].

سادسًا: إضعاف حجج الخصم

لا يكفي في صناعة الوعي بيان قوَّة حججك، بل يجب أن يسايرها إضعاف حجج الخصم، فالتأمّل في أسلوب الزَّهراء في إضعاف وتوهين حجج القوم في قولها: «**أَلا هَلُمَّ فاسْتَمِع ! وما عِشْتَ أَرَاكَ الدَّهرُ عَجَبًا !! وَإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ! لَيْتَ شِعْرِي إلى أيِّ سِنادٍ استندُوا؟! وإلى أيِّ عِمادٍ اعتمَدُوا؟! وبأيَّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟! وَعَلَى أيَّة ذُرِيَّةٍ أَقْدَمُوا واحْتَنَكُوا؟! لَبِئْسَ الْـمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ، و بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، استبدَلوا وَالله الذُّنابي بالقوادِم، والعجزَ بالكاهلِ، فَرَغْمًا لِـمعاطسِ قومٍ يَحسَبونَ أَنَّهُم يُحْسِنُون صُنعًا، أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْـمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ، ويحهم**»[2]، ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! [سورة يونس ٣٥]؟! فابتدأت بالتعجب، وترسَّلت بالتحقُّق، وأنهت المقطع بالتعجُّب القرآنيّ، وهذا النوع من الأسلوب مدعاة لبثّ التشكيك والحيرة في عقل المقابل، فالأسلوب الناجح للحجاج أو التفاوض يتَّخذ منحَيَين، الأوَّل: إثبات حججك بالأدلَّة المنطقيَّة أو الحسيَّة بحسب المتلقِّي، والمنحى الثاني: بيان ضعف حجج المقابل وأدلته بأفضل اسلوب[3]، وهذا

(١) علم البيان، عبد العزيز عتيق: ٢٢٤-٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٣٤.

(٣) التفاوض الناجح، بادن أديسون، ترجمة: زكريا القاضي: ٤٦.

مصداق لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل ١٢٥].

سابعًا: التذكير بالحقائق المطلقة

التشويش والتشويه للحقائق آفات يُصاب بها المجتمع، وهذه تأتي تدريجيًّا من قبل المبطلين، فوجب على المتصدِّي لاستنهاض الوعي الوقوف على الحقائق المتَّفق عليها، والانطلاق منها، وقد برعت السيِّدة الطاهرة عليها السلام أن ترسِّخ هذه الحقيقة في قلوب وعقول الأمَّة، لـمَّا رأت غفلة الكثيرين عنها، وأنَّ سلوكهم كان لا ينمُّ عن إيمانٍ حقيقيّ بها، وإن اعتقدوا بها ظاهرًا، فخاطبت جمعهم بقولها: «**أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه**»[١]، وقالت عليها السلام: «**فاتَّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموُّتن إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه**»[٢].

وتُحذِّر (سلام الله عليها) من عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة والعمل بها، فقالت: «**لتجدنَّ والله محمله ثقيلًا، وغِبَّه أي عاقبته وبيلًا إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه الضرَّاء، وبدا لكم من ربِّكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هناك المبطلون**»[٣]. إنَّ المنهج الذي اتَّبعته السيِّدة فاطمة عليها السلام يسمَّى وفق مصطلحات العلم الحديث بـ(العقلانيَّة الإسلاميَّة)، وهو الخطُّ الفكريّ الذي كان الأنبياء على مرِّ العصور يدعون إليه، وهو يرتكز على ما يسمِّيه بعضهم بالعقل المستقل الذي يعتمد على بديهيَّات العقل النظريّ في الحقل النظريّ، وعلى بديهيَّات العقل العمليّ في المجال العمليّ، وهذا النوع من العقل حجيَّته ذاتيَّة، فالعقل في الدائرة الإسلاميَّة مستقل في تشخيص الدين الصحيح قِبل الورود إلى مجاله[٤]، وهذا ما استعملته الزَّهراء عليها السلام في هذا الجزء من الخطاب، حيث

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٣.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٨٣.
(٤) القرآن والعقل الحداثيّ، د. سيد روح الله الموسويّ: ٢٢-٢٣.

أرجعتهم إلى الفطرة، وهو من متبنَّيات العقلانيَّة الإسلاميَّة، فلا تخرج عن إطارها أبدًا، سواء في إصدار الأحكام، أو التمييز بين الحقِّ والباطل[1].

ثامنًا: استعمال أسلوب الصدمة

قد يتقهقر الوعي عند الناس إلى درجة لا ينفع معها التنبيه والتذكير والتأنيب، وفي هذه المرحلة يجب أن ينتقل المتصدِّي إلى أسلوب أعمق وأكثر تأثيرًا، وهو أسلوب الصدمة، وقد استعملته السيِّدة الزَّهراء بإستراتيجيَّة استثمار المواقف. فلنتأمَّل بهذه الحادثة: «فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنَّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعًا، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليًّا فكلَّماه، فأدخلهما عليها، فلمَّا قعدًا عندها، حوَّلت وجهها إلى الحائط، فسلَّما عليها، فلم تردَّ عليهما السلام، فتكلَّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من قرابتي، وإنَّك لأحبّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنِّي متُّ، ولا أبقى بعده، أَفَتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقَّك وميراثك من رسول الله إلَّا أنِّي سمعت أباك رسول الله صلَّى الله عليه وسلم يقول: لا نورث ما تركنا، فهو صدقة، فقالت: **أرأيتكما إن حدَّثتكما حديثًا عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟** قالا: نعم. فقالت: **نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟** قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، قالت: **فإنِّي أُشهِد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيَّ لأشكونَّكما إليه.** فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثمَّ انتحب أبو بكر يبكي، حتَّى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: **والله لأدعونَّ الله عليك في كلِّ صلاةً أصلِّيها**[2].

(١) القرآن والعقل الحداثي، د. سيد روح الله الموسويّ: ٢٤.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢١٧.

لقد استعملت السيِّدة فاطمة هذا الأسلوب (الصدمة) في محاولة لإعادتهما إلى الصواب، بعد أن لم تنجح معهما الأساليب الأخرى، إذ تمثِّل الصدمة خبرة مؤذية تُلحِق ضررًا بالنفس أو الجسم، نتيجة التعرُّض لحدث صادم يشكِّل قلب الأزمة، ويصاحِب هذه الخبرة اضطراب في توقُّعات الفرد وفي نظام معتقداته، كما يصاحبها حالة (عجز الخريطة المعرفية) للفرد المختبر للصدمة، وبهذا يقوم المكون المعرفيّ لهذه الخبرة، بتأثير بالغ في درجة الإحساس بآثار الأزمة وأحداثها الصادمة المكوِّنة لها[1]. ويختلف ردُّ فعل الأفراد تجاه الأحداث الصادمة، فما يشكِّل صدمة نفسيَّة شديدة لدى أحد الأفراد، كالذهول أو الانفعال الشديد، أو التقهقر، وقد يمثِّل موقفًا مؤلـمًا لدى فرد آخر[2].

تاسعًا: تحشيد الرأي العام

ومن محاولاتها عليها السلام تثقيف الأمَّة ونشر الوعي بين أفرادها، حين كانت تدور على بيوت المهاجرين والأنصار في محاولة هزِّ ضمائرهم؛ ليتحرَّكوا في الوقوف بجانب الحقِّ ونصرة الدين، وهكذا تجسِّد الزَّهراء (سلام الله عليها) دور المرأة التي لا تستسلم ولا تيأس، فهي المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهيَّة للناس أجمع، والمستعدَّة دائمًا لمواجهة كلِّ الظروف، وتحمُّل كلّ المسؤوليَّات التي يتطلَّبها المجتمع الإسلاميّ، ممَّا يدُّل على قابليَّة المرأة وأهليَّتها لأعلى درجات الكمال، وأن تكون في موقع الريادة والاقتداء، وفي مستوى التفوُّق والامتياز على سائر بني البشر نساءً ورجالا[3]، وهذا الأسلوب هو أسلوب قرآنيّ اتَّبعه الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى في قضيَّة نصارى نجران، حيث ذكر الله سبحانه تلك الحادثة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا

(١) إستراتيجيَّة المواجهة الشاملة لآثار العدوان، بشير صالح الرشيديّ: ٢٩.
(٢) بعض الأعراض المصاحبة لاضطراب ما بعد الضغوط الصدميَّة وعلاقتها ببعض المتغيِّرات (لدى الأسرى العراقيِّين العائدين)، رواء ناطق صالح نوري الشيخ: ٢٩.
(٣) ينظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام: نموذج المرأة القياديَّة في المجتمع، زهراء وحيدي، شبكة النبأ، ٢٠١٨.

نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٦١]، فلكي لا تضيع القضيَّة بين فئة من الناس، يحتاج القائد إلى التحشيد من باب التنبيه، ومن باب إلقاء الحجَّة على الآخرين، فالتنبيه وفق علم النفس يحتاج إلى عوامل عدَّة، منها شدَّة المنبِّه، والحركة، والجِدَّة والحداثة، والتغيير والتبيان والتضاد[1]، وقد استعملت الزَّهراء عليها السلام كلَّ ذلك بصحبة أمير المؤمنين عليهما السلام.

عاشرًا: المقاطعة الإشهاريَّة

حين لاينفع الكلام والخطاب والنصح والإرشاد، لا يتوقَّف المصلح إلى هذا الحدِّ، بل يعلن المقاطعة العلنيَّة أو الإشهاريَّة، وهي من ضمن آليَّات تحريك الوعي، فنجد الزَّهراء عليها السلام بعد خطبتها المشهورة في المسجد النبويّ، وعدم الإذعان لمطالبها، بل المقابل كانت هناك خطبة مختصرة لأبي بكر ضلَّل فيها الرأي العام، لم تتوقَّف الزَّهراء واختارت المقاطعة، فأعلنت رسميًّا وأمام الملأ «**والله لا أكلِّمك بكلمة ما حييت**»[2]، وانتشر الخبر بين الناس أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطة على أبي بكر ولم تكلِّمه، وسمع بذلك القاصي والداني، فزاد سخط الناس على الخليفة ونفورهم منه، ورغم محاولة أبي بكر إعادة المياه إلى مجاريها والمصالحة مع الزَّهراء، إلَّا أنَّها استمرَّت في جهادها، وبقيت على صمودها[3]، والذي فعلته عليها السلام له أساس قرآنّي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [سورة مريم ٢٦]، وهذا أمر من الله سبحانه لمريم عليها السلام بالصمت؛ لمعرفته سبحانه بأنَّ الكلام لا يجدي نفعًا مع الذين أُغلقت قلوبهم وعقولهم عن الحقِّ.

---

(١) علم النفس الإسلاميّ: عماد حسين المرشديّ، ورحيم كامل الصجريّ: ١١٩-١٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ٦/ ٤٤٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ٦/ ٤٤٦.

الحادي عشرة: الوصيَّة الثائرة

الوصيَّة لغة: اسم مصدر من أوصاه ووصاه توصية، أي: عهد إليه[1]. وأَوْصى الرجلَ ووَصَّاه عَهِدَ إِليه.. وأَوْصَيْتُ إِليه إِذا جعلتَه وَصِيَّكَ وأَوْصَيْتُه ووَصَّيْته إِيصاء وتَوْصِيةً بمعنى وتَواصي القومُ أَي أَوْصى بعضهم بعضًا[2].

والوصيَّة في الاصطلاح: هي هبة الإنسان غيره عينًا أو دينًا أو منفعةً على أن يملك الموصى له الهبة بعد الموت[3]. أو هي تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريقة التبرُّع[4]. ويستحبُّ أن يوصي الرجل لقرابته بشيء من ماله، قلَّ أم كثُر، وأوَّل شيء يبدأ به من المال الكفن، ثمَّ الدَّين، ثمَّ الوصيَّة، ثم الميراث[5]. والوصية لا تنحصر في الجوانب الماديَّة فحسب، وإنَّما في الجوانب التربويَّة والأخلاقيَّة والسلوكيَّة، وهذا المصداق أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة ١٣٢]، والمتأمِّل في النظر يجد أن الله تعالى لم يقل: وأمر إبراهيم بنيه، بل قال وصَّاهم. ويقول الرازي: «ولفظ الوصيَّة أوكد من الأمر؛ لأنَّ الوصيَّة عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لديه أشدُّ وأتمُّ»[6]، ومن ذلك أيضًا وصيَّة الزَّهراء عليها السلام، فقد أراد الله تعالى أن تواصل الزَّهراء جهادها بعد مماتها، فكانت وصيَّتها الإعلان الأخير لموقفها الصامد والمستمر، من استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وحتَّى مرضها، وتريده باقيًا إلى ما شاء الله، فأوصت الإمام عليّ عليه السلام: «**وادفنِّي ليلًا لا نهارًا إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، وسرًّا لا جهارًا، وعفِ موضع قبري،**

(١) القاموس المحيط: ٤/ ٤٠٠ (وصى).
(٢) لسان العرب: ١٥/ ٣٩٤ (وصي).
(٣) كشاف القناع: ٤/ ٣٣٥.
(٤) ينظر حاشية ابن عابدين: ٦/ ٦٤٨.
(٥) سلسلة المتون الفقهية: ١/ ١٠٩ (باب الوصايا).
(٦) التفسير الكبير: ٤/ ٦٦.

ولا تشهد جنازتي أحدًا ممّن ظلمني»[1]، وهذه الوصيَّة الرساليَّة قلَّ مثيلها عند القادة الذين تنتهي رسالتهم بموتهم، ولكن السيِّدة فاطمة عليها السلام أرادت أن يبقى استشهادها وإعفاء قبرها رسالة محرِّكة للوعي المجتمعيّ، وهذا الاسلوب الذي اتَّبعته الزَّهراء عليها السلام لم يجد الباحثان له مثيلًا عند مستنهضي الوعي والمفكِّرين والفلاسفة، إذ ما زال استشهاد فاطمة بنت النبيّ (صلوات الله عليها)، وطريقة دفنها، وإعفاء قبرها، مثار السؤال والاستفسار لدى المسلمين عن السبب والمسبِّب، والغرض من ذلك.

إنَّ هذا الموقف الثابت الذي اتَّخذته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كان الغرض منه بثَّ الوعي الإسلاميّ المحمَّديّ الأصيل، واستمرَّ بعد شهادتها بوصيَّتها الأخيرة، وهذا الموقف له دور في فضح المخالفات الشرعيَّة والقرآنيَّة من أجل التوصُّل إلى طموحات شخصيَّة، وفي المقابل كان ذلك تعريفًا بحقوق أهل البيت (صلوات الله عليهم) المغتَصَبة، إذ بعد هذا الموقف الفاطميّ أمكن تعميم أحكامه على أيِّ وجودٍ حاكميّ يخرج عن نطاق شرعيَّة أهل البيت، ممَّا يعني أنَّ موقف الزَّهراء كان خزينًا من الشرعيَّة الإلهيَّة يستخدمه الأئمَّة ضدَّ أعدائهم، إي إنَّ موقفها يعدُّ وثيقة تكشف خروقات أيِّ نظامٍ مستقبلا[2].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٥٠.

(٢) مقامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الكتاب والسنَّة، السيِّد محمَّد عليّ الحلو: ١٢٩.

نتائج البحث

من طريق استقراء فكر الزَّهراء عليها السلام خلص البحث إلى جملةٍ من النتائج، والتي تخص جوهر البحث أساليب نشر الوعي، وهي:

١. التصدِّي للمسؤولية شكلًا من طريق هيأتها، ومضمونًا من خلال خطابها، وهذان الأمران يكملان مشروعها التوعويّ والرساليّ.

٢. ضرورة التعريف بالنفس، وأن تعبِّر عن هدفها الرساليّ؛ لكي تجذب لها الأذهان، ويتفاعل معها الناس.

٣. ركَّزت الزَّهراء عليها السلام على استدرار العاطفة وتوجيه الانفعال، كون ذلك يؤثِّر تأثيرًا مباشرًا على استنهاض الوعي لدى المتلقِّي.

٤. اغتنام أي فرصة تحصل عليها لتوعية المجتمع، حتَّى في مرضها، محاوِلةً التأثير في القوم، مؤدِّية دورها الرساليّ وهي في أصعب الأوقات.

٥. ارتكزت الزَّهراء عليها السلام في صناعة الوعي عند المتلقِّي من خلال الإشارة إلى أهل الحقِّ لتميِّزهم عن أهل الباطل والمتلوِّنين، والمتشبِّهين بأهل الحقِّ.

٦. صناعة الوعي للمجتمع تتمُّ بيان قوَّة الحجَّة، وإضعاف حجج القوم وتوهينها.

٧. ترسيخ الحقائق المتَّفق عليها، والانطلاق منها لاستنهاض الوعي لـمَّا رأت غفلة الكثيرين عنها، وأنَّ سلوكهم كان لا ينمُّ عن إيمان حقيقيّ بها، وإن اعتقدوا بها ظاهرًا.

٨. استعملت الزَّهراء عليها السلام أسلوب الصدمة لكي لا يتقهقر الوعي عند الناس إلى درجة لا ينفع معها التنبيه والتذكير والتأنيب.

٩. سعت الزَّهراء عليها السلام على تثقيف الأمَّة ونشر الوعي بين أفرادها من طريق تحشيد الرأي العام في محاولة هزِّ ضمائرهم ليقفوا مع الحقِّ وينصروا الدين.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الإدراك تكويناته ومؤثِّراته، بهاء عدنان الحسنيّ، مطبعة، بغداد، ١٩٩٩.

٢. اعلام الهدايا (فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء)، تصحيح ابن عاشور، دار الأميرة، بيروت، ٢٠٠٥.

٣. الأمالي، أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، قدَّم له: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم، المكتبة الأهليَّة، بغداد، د.ت.

٤. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، تحقيق: محمَّد محمود الرافعيّ، مطبعة النيل، القاهرة، ١٩٠٤.

٥. إيقاض الوعي، عادل سعيد آل عواض، مطابع الحميضيّ، الرياض، ١٤٣٢هـ.

٦. بحار الأنوار، محمَّد باقر بن محمَّد تقي مجلسي، وزارة الإرشاد الإسلاميّ، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.

٧. بعض الأعراض المصاحبة لاضطراب ما بعد الضغوط الصدميَّة وعلاقتها ببعض المتغيِّرات (لدى الأسرى العراقيِّين العائدين)، الشيخ رواء ناطق صالح نوري، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة الآداب، الجامعة المستنصريَّة، بغداد، ٢٠٠٢.

٨. بلاغات النساء وطرائف كلامهنَّ وملح نوادرهنَّ وأخبار ذوات الرأي منهنَّ

وأشعارهنَّ في الجاهليَّة والإسلام، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت٣٨٠هـ)، النجف الأشرف، المكتبة المرتضيَّة، ١٣٦١هـ.

٩. التفاوض الناجح، بادن أديسون، ترجمة: زكريَّا القاضي، مطبعة المجموعة العربيَّة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٨.

١٠. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكريّ، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١/ ١٩٨١م.

١١. حاشية زين العابدين، علاء الدين عليّ بن محمَّد بن إبراهيم البغداديّ، دار المعرفة، د.ت.

١٢. دلائل الإمامة: أبو جعفر محمَّد بن جرير بن رستم الطبريّ، منشورات المطبعة الحيدريَّة ومكتبتها، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.

١٣. الرشيديّ، بشير صالح، استراتيجيَّة المواجهة الشاملة لآثار العدوان، ط١، مكتب الانماء الاجتماعي، الكويت، ١٩٩٧.

١٤. سلسلة المتون الفقهيَّة، محمَّد بن محمَّد حجر ظافريّ حمديّ، إشراف: عبد الله ابن سلمان بن منيع، الطبعة الأولى، جدَّة، د.ت.

١٥. شرح نهج البلاغة، أبو حامد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمَّد ابن الحسين بن أبي الحديد المعتزليّ (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الكريم النمريّ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٦. الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٩.

١٧. علم البيان، عبد العزيز عتيق، مطبعة الأعلميّ، لبنان، ٢٠٠٢.

١٨. علم النفس الفسيولوجي، عليّ محمود كاظم الجبوريّ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١١.

١٩. فاطمة الزَّهراء عليها السلام نموذج المرأة القياديَّة في المجتمع، زهراء وحيدي، شبكة النبأ.

٢٠. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسَّسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسيّ، مؤسَّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢١. القرآن والعقل الحداثيّ، د. سيِّد روح الله الموسويّ، مؤسَّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديَّة، العراق، ٢٠١٨.

٢٢. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتيّ، راجعه وعلَّق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال، أستاذ الفقه والتوحيد بالأزهر الشريف، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، ١٩٦٨م.

٢٣. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ الأفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.

٢٤. مدخل علم النفس، لندال دافيدوف، دار ماكجروهيل للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٠.

٢٥. مقامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الكتاب والسنَّة، السيِّد محمَّد عليّ الحلو، ط٢، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء، العراق، ٢٠٠٤.

٢٦. الوعي مقدِّمة قصيرة جدًّا، سوزان بلاكمور، مطبعة الأنجلو، مصر، ٢٠١٦.

27. Bou jaude, S.B, 2000, Secondary School Students Difficulties, School Science Review, Vol. 81.
28. Arends, R, 1998, learning to teach, 4th editio Boston, McGraw Hill.
29. Lawson M.J. 1984, Being Executive about Meta Cognition (in) J.R. Kirby, cognitive strategies, Orlando: Academic Press, Inc
30. Hacher, D.J, 1996, Meta Cognition. Definition and empirical foundation, The University of Memphis magazine, Vol. 119.

دور فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الدِّفاع عن الإمامة

سندس سعدون مهدي عليّ الشمَّريّ

مُلخّصُ البحث

الحمد لله الذي جعل الإمامة أصلًا من أصول دينه، ووهبنا الشهادة لوليِّه الذي اصطفاه بالإمامة، وحباه بالولاية، والصلاة والسلام على محمَّد المصطفى وآله الطاهرين، وبعد:

إنَّ من أهمِّ سُنَن الله في الأرض، هو إحياء العدل ونبذ التَّفرقة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وإنَّ خاصيَّة التمييز عنده تعالى هي التقوى والقُربى، وحَث المسلم على تخليد نفسه بالعمل الصالح، فقد كانت الخطابات القرآنيَّة موجَّهة لكلٍّ من الرجل والمرأة من دون تمييز، إلَّا إذا ميَّز الله تعالى كلَّ جنسٍ بخصوصيَّات وقابليَّات مختلفة؛ ليكون تعدُّد في الأدوار، وتكاملًا في العمل.

انعقد هذا البحث ليوضِّح أنَّ الدين الإسلاميّ أسَّس أساسًا رصينًا في إعداد المرأة المؤمنة، وأبرز النساء اللاتي حدَّثنا القرآن الكريم عنهنَّ، والسنَّة المطهَّرة هي الزَّهراء عليها السلام، لذا بدا أن يكون البحث تعريفًا عن دور فاطمة الزَّهراء الرساليّ الخالد، فهو حركة ثورية بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي أوَّل ثورة ضدَّ الظلم، لقد شهدت أسخن الأحداث التي مرَّ بها الإسلام، وهي رزيَّة الخميس، فنُكثِت البيعة، وخالفوا وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، حتَّى بدأ الصراع على السلطة وانشقَّت الأمَّة؛ ممَّا حدا بأمير المؤمنين عليه السلام الصبر حفاظًا على وحدة الإسلام، والجهود التي بُذِلت في تأسيسه، فكان للزَّهراء عليها السلام دور أساسي

لا زال تأثيره ليومنا هذا، بالدفاع عن الإمامة، والوقوف بوجه السلطة الظالمة آنذاك، والمطالبة بالحقوق المغتصَبة، وبيان مظلوميَّة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال خطبتَيها الخالدتَين، حتَّى لا تنطلي مؤامرة المغتصِبين للخلافة.

فقد كان محور البحث هو دور فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الدِّفاع عن الإمامة.

تمَّ اختيار عبارات المحور نفسها، لتكون عنوانًا للبحث؛ لما فيه من تنسيقٍ جذَّابٍ ودقَّةٍ مميَّزةٍ للبحث، يمكن الوصول إلى حقيقة الإمامة الذي شرَّعها الله سبحانه من أجل التمسُّك بالدين الإسلاميّ، وتحقُّق الاقتراب منه تعالى بأوليائه الذين اصطفاهم، ونخصُّ منهم الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها الدعامة التي يرتكز عليها البحث.

المُقَدِّمَةُ

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين، وبعد..

لا شكَّ ولا ريب أنَّ الإمامة أصلٌ من أصول الدين الواجب على المسلم الاعتقاد به، والتسليم والانصياع للإمام الذي يمثِّل الامتداد الطبيعيّ للنبيّ صلى الله عليه وآله بعد رحليه، وهو تنصيب من الله تعالى، وليس بالانتخاب، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من يلي الأمر من بعده، وعين خليفته، بعد أن أكمل رسالة السماء، وأتمَّ نعمة الدين على المسلمين، أمَّا المسلمون لم يأخذوا بهذا النصّ، وما هي إلَّا سويعات حتَّى أصبح بيت النبيّ صلى الله عليه وآله عرضة للهجوم، وحدث ما حدث، فخرجت مولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام للدفاع عن إمام زمانها، فكان من واجبها (سلام الله عليها) أن تتصدَّى للدفاع عن الإمامة تنفيذًا لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لمكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

عندما وصلت دعوة المشاركة بالمؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقع الاختيار على محور دور فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الدفاع عن الإمامة، فقد تمَّ اختيار عبارات المحور نفسها لتكون عنوانًا للبحث؛ لما فيه من تنسيق جذَّاب ودقَّة مميِّزة للبحث. يمكن الوصول إلى حقيقة الإمامة التي شرَّعها الله سبحانه، من أجل التمسُّك بالدين الإسلاميّ، وتحقُّق الاقتراب منه تعالى بأوليائه الذين اصطفاهم، ونخصُّ منهم الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها الدعامة التي يرتكز عليها البحث.

ولتحقق أهداف البحث وغايته، كانت إجراءات البحث، ومنهجيَّته التحليليَّة، اعتمدنا فيها البحث التحليليّ الذي ساعد على تحديد المصطلحات العامَّة للبحث، وحدوده المتمثِّلة في بعضٍ من خطبتَيها عليها السلام، مستعينةً بآيات القرآن الكريم، ثمَّ تبويبها تحت عناوين جامعة، وعليه جاءت خطَّة البحث في تمهيد ومبحَثَين، انعقد التمهيد لتبيان المصطلحات العامَّة للبحث (الإمامة، الإمام، العصمة)، ثمَّ المبحث الأوَّل الذي أشرنا فيه على موقع الزَّهراء عليها السلام من الشريعة الإسلاميَّة، أوردنا فيه مطلَبَين، تضمَّن المطلب الأوَّل دلائل العصمة في القرآن، أمَّا المطلب الثاني فتحدَّث عن عصمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومن ثمَّ جاء المبحث الثاني الدور الرسالي للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد انعقد في مطلَبَين، دار الحديث في المطلب الأوَّل حول دفاع الزَّهراء عليها السلام عن الإمامة، أمَّا المطلب الثاني فكان بخصوص دفاع فاطمة الزَّهراء عليها السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام من خلال خطبتَيها الخالدَتَين.

ومن خلال ذلك توصَّلنا إلى مجموعة من النتائج، ذكرناها تحت عنوان الخاتمة، وأشرنا إلى التوصيات والمقترحات، ثمَّ مصادر البحث، وكذلك أشرنا إلى هدف البحث، وأهميَّته، والحاجة إليه، مع المشكلة ضمن المقدِّمة.

هدف البحث:

١. تتَّضح أهميَّة البحث وجدواه العظمى، من خلال عدم التمسُّك بالرأي، والبحث عن الحقيقة حتَّى لا يكون أعمى البصيرة، وينتهي به الأمر إلى الضَّلال، ويدرج مع الضَّالِّين.
٢. من الواجب تأهيل المجتمع أفرادًا وجماعات، وإعدادهم نفسيًّا بإزالة الخوف وإعادة الثقة إلى أنفسهم، وتنميه قدراتهم في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، هذا ما صنعته الصدِّيقة فاطمة عليها السلام عند مخاطبتها للمهاجرين والأنصار، هو إلفاتهم إلى ما غفلوا عنه، جمعًا أو بعضًا، من المقدرة على التصدِّي للظلم،

وإزالة الرهبة والرعب من قلوبهم، فإنَّ الناس والجماعات عادةً تتخاذل عن نصرة الحقِّ؛ لأسباب منها الخوف الكاذب، والانهزاميَّة، وضعف الثقة بالذات والقدرات.

٣. إنَّ مطالبة الزَّهراء بحقِّها من السلطة الغاصبة هي درس لكلِّ الأجيال، وخصوصًا النساء، بأن لا يسكُتنَ عن المطالبة بحقوقهنَّ، لتحقيق العدالة المنشودة.

٤. إن موقف فاطمة الزَّهراء عليها السلام يعطينا أصلًا قانونيًّا في الحثِّ على الاشتراك في المنظمات الإنسانيَّة التي تعمل على إغاثة المظلومين ونُصرتهم، والدفاع عن حقوقهم.

٥. الدعوة إلى نُصرة الحقِّ والدفاع عنه تأتي في مقدِّمتها نصرة أهل البيت عليهم السلام، والدفاع عنهم في المحافل والندوات وفي أي مكان، فإنَّ الله سبحانه وتعالى أوجب نُصرتهم، وحرَّم خُذلانهم، في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

الحاجة إلى البحث:

إنَّ الغاية من البحث هو جذب القارئ إلى التفكر في شجاعة السيِّدة الزَّهراء، وتصدِّيها للدفاع عن الحقِّ، والوقوف بوجه الظالمين، مهما كانت النتائج من تضحيات، لتحقيق العدالة، ورفع راية الحق، فقد تصدَّت لأصعب دور عرفته البشريَّة، دفعت ثمنه حياتها المباركة، فلذلك لا بدَّ أن يكون درسًا لكلِّ فرد من أفراد المجتمع في الوقوف ضدَّ الظلم ومجابهة الفساد والفاسدين، وإعلاء كلمة الحقِّ بوجههم، مهما كانت مناصبهم، بلا خوف، ولا وجل، ونشر العدل، كي ننال سعادة الدَّارَين.

---

(١) الشورى: (٢٣).

مشكلة البحث:

كانت مشكلة البحث هو الاختلاف في معنى الإمامة عند الفريقَين، وبما أنَّ الإمامة هي الركيزة التي استند عليها البحث، فقد عالجنا الموضوع ببيان المعنى من عدَّة جوانب.

أدوات الدراسة:

فقد تمَّ الاستعانة بعدد من الأدوات والمراجع الرئيسة، أوَّلها:

١. القرآن الكريم.

٢. الاعتماد على المصادر القديمة والحديثة في هذا البحث، في محاولة للوصول إلى لمعلومة المطلوبة عن طريق الكتب المقروءة بنسبة كبيرة؛ لأنَّ الاطِّلاع على الكتاب بصوره مباشرة فيه فائدة أكبر لكلٍّ من الباحث والبحث، مع الاستعانة بالمكتبات الإلكترونيَّة لسهولة الحصول على المصدر، وتوفير الوقت.

٣. المصادر المعتمدة التي تناولت خطبتَي فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

٤. بعض مصادر كتب العقائد المتعلِّقة بموضوع البحث.

التَّمهيدُ

الإمامة وعصمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

الغاية من وضع هذا التمهيد هو بيان ماهيَّة الإمامة والعصمة؛ للكشف عن المعاني والحقائق التي تتضمَّن هاتَين المفردَتَين، سواء كان في المفهوم أم في المصداق.

لذا اقتضى بنا البحث في هذا الجانب أن نوضِّح المصطلحات التي بُنيَ عليها البحث، وسوف نبيِّن تعريف الإمامة والإمام، ثمَّ تعريف العصمة.

أوَّلًا: تعريف الإمامة

١. **الإمامة في اللغة**: «من ائتمَّ، وأَمَّ القوم أي تقدَّمهم، والإمام: من ائتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالِّين»[١].

فهي من ناحية لغويَّة، عامَّة الهدى والضلال[٢]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣].

ومِن آمَ يئمُّ فهو إمام، والإمام كلُّ من اقتُدِي به، وقُدِّم في الأمور، والنبيّ صلى الله عليه وآله إمام الأئمَّة، والخليفة إمام الرعيَّة، وإمام الجند قائدهم[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص١٠١.

(٢) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلاميّ، ص١٣٩.

(٣) سورة الإسراء: (٧١-٧٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد=

إنَّ الإمامة مصدرها فعل (أمَّ)، إذ يُقال: (أمَّهم وأمَّ بهم: تقدَّمهم)، وأمَّ القوم وأمَّ بهم: تقدَّمهم، وهي الإمامة[1].

٢. **الإمامة في الاصطلاح**: الإمامة في مصطلح علم الكلام: «عباره عن الرئاسة والقيادة العامَّة الشاملة على الأمَّة الإسلاميَّة من كلِّ الأبعاد والجوانب الدينيَّة والدنيويَّة، وإنَّما وردَ ذِكر كلمة الدنيويَّة لأجل التأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها، وإلَّا فإنَّ تدبير القضايا الدنيويَّة للأمَّة الإسلاميَّة وإدارتها جزء من الدين الإسلاميّ»[2].

أمَّا الإمامة في الاصطلاح الشرعيّ، فهي: «المنصب الإلهيّ الذي أولاه الله تعالى بمن اختاره قدوةً للناس في أمور الدين والدنيا»[3].

جاء في مواهب الرحمن: «الإمامة في عرف المليِّين، هي: الزعامة الإلهيَّة، والرئاسة الربَّانيَّة على الناس، والإمام هو: الزعيم والمقتدى في أمور الدين والدنيا، فهو القوَّة المجرَّبة لأحكام الله تعالى وتدبيراته في خلقه، من حيث التشريع، فتكون رئاسته من الحقِّ وبالحقِّ»[4].

الإمامة عند الشيعة الإماميَّة: هي رئاسة عامَّة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص[5]، والإمامة إمرة إلهيَّة كالنبوَّة، وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله خُصَّ بالتشريع والوحي الإلهيّ، وشأن الخليفة التبليغ والبيان، وتفصيل المجمل، وتفسير المعضل، وتطبيق الكلمات بمصاديقها، والقتال من دون تأويل، كما يقاتل النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله من

=هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، ص١٨.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص١٠١.

(٢) دروس في العقيدة الإسلاميَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله، ص١٣٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيِّد عبد الأعلى السبزواريّ، ج٢، ص٩.

(٥) العقيدة: فصلية تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد. أ.م.د. محمَّد كاظم الفتلاوي، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة، يعنى بالإستراتيجيَّة الدينيَّة، النجف الأشرف، ربيع الأوَّل ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م، العدد ١٤، السنة الرابعة.

دون تنزيل، وإظهار ما لم يتسنَّ للنبيّ الإشادة به، إمَّا لتأخُّر ظرفه، أو لعدم تهيُّؤ النفوس له، أو لغير ذلك من العِلل[1].

ورد تعريفٌ آخر لمفهوم الإمامة عند الشيعة الإماميَّة، وإن اختلفت الألفاظ، إلَّا أنها متقاربة المعنى: هي زعامة ورئاسة إلهيَّة عامَّة على جميع الناس، وهي أصل من أصول الدين، لا يتمُّ الإيمان إلَّا بالاعتقاد بها، وهي لطف من ألطاف الله تعالى، إذ لا بدَّ أن يكون لكلِّ عصرٍ إمامٌ وهادٍ للناس، يخلف النبيّ صلى الله عليه وآله في وظائفه ومسؤوليَّاته، ويتمكَّن الناس من الرجوع إليه في أمور دينهم ودنياهم، بغية إرشادهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

والإمامة ليست إلَّا استمرارٌ لأهداف النبوَّة ومتابعة لمسؤوليَّاتها، ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفترَض الطاعة منصوب من قبل الله تعالى[2]، وذلك لقول الله تعالى: ﴿... إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[4].

الإمامة عند أهل السنَّة: الإمامة موضوعة لخلافة النبوَّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[5].

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتب الإسلامية، ايران، قم ط بلا، ج٧، ص ١٣١ ١٣٢.

(٢) مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية: اشراف: الشيخ صالح الكرباسي

(٣) سورة الرعد: (٧).

(٤) سورة فاطر: (٢٤).

(٥) أصول الدين في خطبَتي الزَّهراء عليها السلام الإمامة أنموذجًا: أ.م.د. محمَّد كاظم الفتلاويّ، كليَّة التربية، جامعة الكوفة، العقيدة، فصليَّة تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد، المركز الإسلاميّ.

ثانيًا: تعريف الإمام

١. **الإمام في اللغة**: الرئاسة العامَّة، وكلُّ من يتصدَّى لرئاسة جماعة يسمَّى الإمام، سواء كان في طريق الحقِّ أو الباطل، وقد أُطلق مصطلح أئمَّة الكفر في القرآن على رؤى الكفار، وأُطلق على من يقتدي به المصلُّون (إمام الجماعة)[١].

والإمام كـ(قيام، وصيام) مصدر لـ(أمَّ)، إذا قُصِد واتُّبع، والمراد به المعنى الأسمى، كـ(إزار) لما يأتَزِر به، وقوام للذي يقوم به الأمر يكون المصدر بمعنى المفعول، كالخلق بمعنى مخلوق، فيكون الإمام هو المتبوع والمقصود، ومن هذا الباب إطلاقه على إمام الجماعة، لكون المتبوع في أفعال الصلاة، وكذا إطلاقه على الدين والشريعة، والكتب السماويَّة[٢].

٢. **الإمام في الاصطلاح**: الإمام في رأي الشيعة: «هو يمتلك كلَّ مناصب النبيّ صلى الله عليه وآله سوى النبوَّة والرسالة، وكما أنَّ أحاديثه حجَّة في بيان الحقائق والتشريعات والأحكام الإسلامية، فكذلك تجب طاعته أوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكوميَّة»[٣].

الإمام عند أهل السنَّة: الإمام هو القائد العام للمسلمين، الذي يخلف النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله في كلِّ أو بعض لم يمتَّ له صلة»[٤]. والإمام: «هو صاحب الشَّرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[٥].

---

(١) دروس في العقيدة الإسلاميَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ج٢، ص٣٤٠.

(٢) الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، محمَّد حسن القزويني، دار القارئ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٤.

(٣) دروس في العقيدة الإسلاميَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ج٢، ص٣٤٠-٣٤١.

(٤) علم الأئمَّة المعصومين مقاربة فلسفيَّة كلاميَّة، ش. خليل رزق، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٦

(٥) مقدِّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد بن خلدون، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان،=

الإمام في الاستعمال القرآنيّ:

وقد استعمل القران الكريم كلمة (أئمَّة) بالمعنى المتقدِّم في إمامة الحقِّ والباطل على حدٍّ سواء، حيث قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ...﴾[1].

واستعمل القرآن الكريم (الأئمَّة) في كلٍّ من أئمَّة الحقِّ والباطل على انفراد، فقال تعالى في أئمَّة الحق: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3].

وقال تعالى في أئمَّة الباطل والضَّلال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[4]، وقال أيضًا: ﴿...فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[5].

ثمَّ إنَّ الإمام إمَّا أن تكون إمامته شاملة ومطلقة، فتكون عامَّة تشمل جميع الجهات، كقول الله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى النبيّ إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]، وإمَّا أن تكون غير شاملة، بل مقيَّدة بحدودٍ خاصَّة، فيكون الإمامُ إمامًا ضمن تلك الحدود، وفي تلك الجهة المصرَّح بها، كما في إمام الجماعة أو الجمعة، أو بالنسبة إلى إمامة الحجَّاج، أو غير ذلك.

=ط١، ص١٩١.

(١) الإسراء: (٧١).

(٢) سورة الأنبياء: (٧٣).

(٣) سورة السجدة: (٢٤).

(٤) سورة القصص: (٤١).

(٥) سورة التوبة: (١٢).

(٦) سورة البقرة: (١٢٤).

ثالثًا: تعريف العصمة

١. **العصمة في اللغة**: عصم: «العصمة في كلام العرب: المنع، وعصم الله عبده: أن يعصمه ممَّا يوبقه. عصمه يعصمه عصمًا: منعه ووقاه. وفي التنزيل: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾، أي لا معصوم إلَّا المرحوم، وقال الأخفش: لا عاصم اليوم يجوز أن يكون: لا ذا عصمة، أي لا معصوم، ويكون إلَّا من رحم رفعًا بدلًا من: لا عاصم، وقال الزجَّاج في قوله تعالى: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، أي: يمنعني من الماء والمعنى: من تغريق الماء»[١].

وجاء في كتاب العين: «أن يعصمك الله من الشرِّ، أي: يدفع عنك. اعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشرِّ. واستعصمت، أي: أبيت. وأعصمت، أي: لجأت إلى شيء اعتصمت به»[٢].

٢. **العصمة في الاصطلاح**: العصمة: هي «لطف يفعله الله سبحانه بالمكلَّف؛ بحيث يمتنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليها»[٣].

أو هي: «ملكة ربَّانيَّة تمنع من فعل المعصية والميل إليها، مع القدرة عليها»[٤].

أو هي: «كون المكلَّف بحيث لا يمكن أن يصدر عنه المعاصي، من غير إجبارٍ له على ذلك»[٥].

أو هي: «لطفٌ خفيٌّ يفعله الله تعالى بالمكلَّف، بحيث لا يكون له داعٍ إلى ترك الطاعة، وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك..»[٦].

(١) لسان العرب: ابن منظور، ج١٢، ص٤٠٣.
(٢) معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ج١، ص٣١٣.
(٣) النكت الاعتقاديَّة، الشيخ المفيد، ص٣، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
(٤) كتاب العصمة، أحمد بن زين الدين الأحسائيّ، ج١، ص٣٨.
(٥) قواعد العقائد، الخواجة نصير الدين الطوسّي، ج١، ص٩٣.
(٦) الباب الحادي عشر، العلَّامة الحِلِّيّ، ص٣٧.

قال السيِّد الطباطبائيّ: «إنَّ الأمر الذي تتحقَّق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبُّس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضَّلال، كما أنَّ سائر الأخلاق كالشجاعة والعفَّة والسخاء، كلٌّ منها صورة علميَّة راسخة موجِبة لتحقُّق آثارها، مانعة عن التلبُّس بأضدادها من آثار الجُبن والتهوُّر والخمود والشَّره والبُخل والتبذير»(١).

ومن هنا يتَّضح أنَّ المراد من العصمة، أنَّها الأساس في الهداية، فكيف بشخص يدَّعي الهداية، وهو غير معصوم؟ وكيف له أن يهدي الناس وهو لا يعرف الهداية؟.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٢).

(١) الجواهر النورانيَّة في العلوم الإنسانيَّة، محمَّد حسين الطباطبائيّ، إعداد: رضوان سعيد فقيه، دار المحجَّة البيضاء، ص١٥١.

(٢) سورة يونس: الآية (٣٥).

المبحث الأوَّل

موقع الزَّهراء عليها السلام من الشريعة الإسلاميَّة

موقع المعصوم هو الذي يكون قوله وفعله حجَّة علينا بشكلٍ عامٍّ، وباعتبار أنَّ الأدلَّة من القرآن الكريم ومن السنَّة المتواترة دلَّت على أنَّ فاطمة الزَّهراء معصومة، فيكون قولها وفعلها أيضًا حجَّة وسنَّة لا بدَّ من العمل بها، باعتبار أنَّنا لا يمكن أن نفترض فيها العصيان لله سبحانه وتعالى والذنب، كما لا يمكن أن نفترض الخطأ في أقوالها وأفعالها، وبالتالي لا بدَّ أن تكون هذه الأقوال والأفعال والتصرُّفات متطابقة تمامًا مع الشريعة، وتكون دليلًا وحجَّة على الحكم الشرعيّ، شأنها في ذلك شأن بقيَّة المعصومين، فإنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام حجَّة على الأنبياء، فضلًا عن الأئمَّة.

ومن هنا لا بدَّ أن ندعم أقوالنا بالحجَّة والدليل، أمَّا كونها حجَّة على الأنبياء يثبته الحديث المرويّ عن الإمام الذي يقول فيه: «ما تكاملت نبوَّة نبيٍّ حتَّى أقرَّ بفضلها ومحبتها، وهي الصدِّيقة الطاهرة، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»[1]، أمَّا كونها الحجَّة على الأئمَّة، لو تلونا وقرأنا زيارة الجامعة الكبيرة[2] الواردة بسندٍ صحيحٍ عن الإمام الهادي عليه السلام، لوجدنا أنَّها تذكر وتبيِّن شؤون الإمامة بصورة عامَّة، لنعرف الإمام المعصوم عليه السلام بمعرفة مشتركة لكلِّ الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، فكلُّ واحدٍ منهم ينطبق عليه

(١) ينظر: أصول الدين في خطبَتي الزَّهراء عليها السلام، أ.م.د. محمَّد كاظم الفتلاويّ، كليَّة التربية، جامعة الكوفة.

(٢) وردت في مفاتيح الجنان، في قسم الزيارات، فراجع.

ما جاء في فقرات الزيارة ومفرداتها، إلَّا أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لا تُزَار بهذه الزيارة، فلا يقال في شأنها أنَّها موضع سرّ الله وخزانة علمه وعيبته، فهذا كلُّه من شؤون حجَّة الله على الخلق، وفاطمة الزَّهراء عليها السلام هي حجَّة الله على حجج الله، كما ورد عن الإمام العسكريّ عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلائق، وأمُّنا فاطمة حجَّة الله علينا**»(١).

المطلب الأول: دلائل العصمة في القرآن

إنَّ القرآن الكريم يعدُّ مصدرًا هامًّا يرجع إليه المسلمون، في كشف الحقائق وحلِّ الخلافات الفكريَّة في دعم وتمويل العقيدة الإسلاميَّة، وتسديد الفكر بالمسلَّمات، والمنهل الذي ينهل منه العقل، ويستطلع في آياته حقائق الإيمان، وهي تزداد رسوخًا كلَّما أعاد الإنسان تجواله في رياضه وآفاقه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٢).

وممَّا يدعم العقيدة بالنبوَّة، وبعصمة النبوَّة، آيات من الكتاب العزيز، وهي آيات كثيرة في القرآن الكريم، وعلى غرار ذلك تلتمس من بعض الآيات المختارة، استنتاجات يمكن التوصُّل إليها، من بعض ما ورد بهذا الصدد، ممَّا يؤيِّد الاعتقاد بضرورة العصمة، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

إنَّ كلمة الاصطفاء مشتقَّة من مادَّة (الصفوة)، وصفوة الشيء خلاصته، والاصطفاء التخليص(٤).

(١) الأسرار الفاطميَّة، الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ، ص١٧، وينظر: أطيب البيان في تفسير القرآن، العلَّامة السيِّد عبد الحسين الطيِّب (ت ١٤١١هـ)، ١٩٩٠م.

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٣) آل عمران: (٣٣-٣٤).

(٤) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله، ص٩٢.

ومن الآيات التي يبين حقيقة الاصطفاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾(١).

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٢).

تعني كلمة يصطفي هنا الاختيار والانتخاب، أي اخترنا وانتخبنا من عبادنا، ويختار وينتخب من الملائكة ومن الناس(٣). تحصل من خلال ذلك أنَّ هناك اختلاف بين الشيعة وأهل السنَّة في موضوع الإمامة، ويدور في ثلاث مسائل:

١. يجب أن يُنصَّب الإمام ويعيَّن من قبل الله تعالى.
٢. يجب أن يمتلك الإمام العلم الموهوب له من الله تعالى، وأن يكون مصانًا عن الخطأ.
٣. يجب أن يكون الإمام معصومًا من المعصية.

المطلب الثاني: عصمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

ربَّما يتبادر سؤال للقارئ: هل إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام معصومة؟ أليس العصمة تختصُّ بالإمام الذَّكر؟ وما الدليل على عصمتها؟.

يمكن لنا أن نردَّ على هذه التساؤلات من خلال موقع ومكانة السيِّدة الجليلة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

حسب علمنا، فإنَّ أوَّل امرأة كاملة في الإسلام فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّها معصومة، والعصمة تنفي عن المعصوم كلَّ نقص، وإنَّ عصمة السيِّدة فاطمة عليها السلام من المسلَّمات التي لا تقبل النقاش؛ لأنَّها ثابتة بعشرات الأدلَّة كما أثبتناه سابقًا.

ومن الواضح أنَّ العصمة لا تختصُّ بالإمامة، وذلك لأنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام

(١) آل عمران: (٤٢).
(٢) سورة الحج: (٧٥).
(٣) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله، ص٩٣.

باعتقاد الشيعة كانت معصومة، ولكنَّها لا تمتلك مقام الإمامة، كما أنَّ مريم كانت تمتلك مقام العصمة، ويمكن أن يكون هناك بين أولياء الله مَن بلغ مقام العصمة، وإن لم نطَّلع عليهم، والإنسان المعصوم لا يتيسَّر التعرُّف عليه إلَّا عن طريق التعريف الإلهيّ[1].

فأمَّا العصمة من اقتراف الذنوب عمدًا أو سهوًا، فهي من عناصر سيِّدة النساء فاطمة الزَّهراء عليها السلام، أو من مقوِّماتها الذاتيَّة التي لا يمكن الجدل والشكُّ فيها، فقد زكَّاها الله تعالى من كلِّ إثم، وعصمها من كلِّ ذنب، وحباها بكلِّ فضل، وجعلها قدوة حسنة لجميع نساء العالم، فهي القدوة في عبادتها وعفَّتها، وطهارتها، وإحسانها وبرِّها في البؤساء والمحرومين[2].

وإليك عزيزي القارئ الدليل على ذلك:

أوَّلًا: الأدلة على عصمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

١. الإجماع القطعي الدالُّ على عصمتها، كما عند المشايخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم.

٢. آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فالله الطاهر طهّر أهل البيت عليهم السلام بإرادة تكوينية ومنهم فاطمة عليها السلام وعصمهم بعصمة ذاتية ومطلقة واجبة عقلا ونقلا.

٣. آية المباهلة، حيث قدّم النساء على الأنفس ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾»[3].

---

(١) دروس في العقيدة الإسلاميَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، ج٢، ص٣٤١.

(٢) فاطمة الزَّهراء عليها السلام المدرسة المثاليَّة في الإسلام، الشيخ جاسم محمَّد لايش العليَّاوي، ج١، ص٢٦٧، ط١ ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، إيران قم المقدَّسة. موسوعة سيرة أهل البيت، ج٩، ص٦١.

(٣) سورة آل عمران: (٦١).

٤. إنَّ الله يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها، ففي الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «**إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ!! أما علمت أنَّ فاطمة بضعة منّي أنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي**».

٥. إنَّها مفروضة الطاعة على الخلق مطلقًا، لكونها حجَّة، الحجج وأسوتهم كما ورد في الأخبار الشريفة، وكيف تكون مفروضة الطاعة على الإطلاق، وهي غير معصومة؟!.

٦. إنَّها حبل الله الممدود، فلا بدَّ أن يكون معصومًا، وإلَّا كيف يتمسَّك على الإطلاق بما لم يكن معصومًا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بهجة قلبي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلَّف عنه هوى**».

٧. امتحانها بالصبر، وهو أساس الكمال والأخلاق، وعلمها اللدنِّي.

٨. مصحف فاطمة عليها السلام.

ثانيًا: دلائل عصمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء في كتب المسلمين

هناك مجموعة ضخمة من الأحاديث تؤكِّد عصمة الصدِّيقة عليها السلام، وهي مبثوثة في كتب المسلمين على اختلاف مذاهبهم، منها:

١. صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، في باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة عليها السلام، روي بسنده عن المسوَّر بن مخرمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني**»[1].

٢. وفي صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذبِّ الرجل عن ابنته، روي عن

(١) صحيح البخاريّ، البخاريّ، حديث رقم ٣٧١٤.

المسوَّر بن مخرمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فإنَّما هي فاطمة بضعة منِّي، يريبني ما آرابها، ويؤذيني ما آذاها**»(١).

٣. في مستدرك الصحيحين، روي بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال سول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «**إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»(٢).

٤. الأحاديث الثلاثة دلالة على عصمتها عليها السلام.

ومن خلال هذا يتَّضح لنا أنَّ أهمَّ المفردات التي يُستفاد منها في عصمتها عليها السلام ثلاث أمور، هي: أوَّلًا: بضعة، ثانيًا: من أغضبها أغضبني، ثالثًا: إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة. وعليه إذا ما قمنا بتحليل هذه المفردات، فإننا ننتهي إلى عصمة الصدِّيقة عليها السلام.

(١) فضائل الخمسة من الصِّحاح الستَّة، السيِّد مرتضى الحسينيّ الفيروزآباديّ، تحقيق: المجمع العالميّ لأهل البيت، ج٣، إيران، قم، ص١١٨٤.
(٢) المصدر نفسه.

المبحث الثاني

الدور الرساليّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ شخصيَّة الزَّهراء، وظروفها كامرأة، وانتسابها للرسول صلى الله عليه وآله، له دور كبير في بيان الحقِّ وسماع الكلمة، فهي صرخة الحقِّ ضدَّ الباطل، والإعلام المدوِّي الذي انتهجته سلام الله عليها في إيصال الرسالة السماويَّة بعد رحيل أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ربَّما يُقال هل إنَّ انتساب السيِّدة فاطمة الزَّهراء للرسول صلى الله عليه وآله يكفي حتَّى يكون لها سلام الله عليها ارتباط بالإمامة وأهلًا للدفاع عنها؟.

يمكننا أن نجيب على ذلك بكلِّ سهولة، مع أنَّه بيَّنَّا سابقًا دليل عصمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فمثلًا: كان أبو لهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، فهو من أهل النار، ومثالٌ آخر ومن صميم النبوَّة، ودليل من القرآن الكريم، أنَّ ما جرى بين النبيّ نوح وولده حين طلب من الله تعالى أن يخلِّصه من الغرق، فما هو الرد على ذلك قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[1]، من هنا يمكننا أن نوضِّح الدور الرساليّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء في التصدِّي للدفاع عن الإمامة، وكشف الستار عن الحقائق، وفضح الغاصبين العاصين لله تعالى ورسوله في غصب الخلافة.

المطلب الأوَّل: دفاع الزَّهراء عليها السلام عن الإمامة

إنَّ أحد الأبعاد الأساسيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام هو البُعد السياسيّ، فقد قامت

(١) هود: (٤٦)

بدور يمكن أن نقول لولا موقفها في ذلك اليوم الذي قامت به إلى جانب أمير المؤمنين، لكان من الممكن أن تُخفى هذه الحقيقة التي جاءت بعد الإمام عليه السلام، وتتشوه وتتغيَّر على جميع المسلمين، وكانت الحقائق خافية على كثير من المسلمين إلى الآن، حتَّى من أتباع أهل البيت صلى الله عليه وآله، وتنطلي المؤامرة على الجميع لولا الزَّهراء سلام الله عليها.

تصدَّت كوثر الزَّهراء عليها السلام لهذا الدور الرساليّ العظيم بتكميلها دور عليّ عليه السلام في ذلك اليوم الذي كان من الممكن أن تُطمس حقائقه، ويبقى المسلمون في ضلال، وبُعد عن الواقع الذي جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والوضع السياسي الجديد، فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام بواجبه، برفض البيعة من البداية، رغم التهديد بالقتل وإحراق الدار عليه، لكنَّه مع ذلك كان جَلدًا لم يتنازل عن موقفه، وبقي مصرًّا حتَّى النَّفَس الأخير؛ لأنَّ هناك مسؤولية أخرى كانت ملقاة على عاتقه عليه السلام، وهي تسجيل موقفه من الخلافة الجديدة، ويبيِّن للمجتمع الإسلاميّ أنَّ الخلافة غير شرعيَّة، وهذا ما عمله عليّ عليه السلام.

كما صمد في موقفه الرافض، وبقي مصرًّا عليه حتَّى يسجله، ولم يكن المطلوب منه أن يقاتل؛ لأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله، كما بيَّنته النصوص المتواترة، أوصاه بعدم القتال، ووضَّح له كلَّ ما يجري بعده؛ لأنَّ القتال يُضعف شوكة المسلمين، ويكون الإسلام مهدَّدًا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أمَّا حقِّي فتركته مخافة أن يرتدَّ الناس عن دينهم»[1].

أمَّا الزَّهراء فكان لها دور استثنائيّ؛ لأنَّها بالأصل غير مكلَّفة بالجهاد، ولكن وجدت أنَّ عليًّا عليه السلام مهدَّد بالقتل، ومن المحتمل أن يُقتل بسبب رفضه البيعة، فكان من واجبها سلام الله عليها أن تقوم بالدفاع عن إمامها وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الشرعيّ، وتتصدىَّ لهذا الدفاع، فاستثمرت موقعها الخاص، واستفادت منه ومن ظروفها كامرأة، ومن قدرتها على الحديث والمناقشة، ومن كلِّ الطاقات التي أودعها الله تعالى فيها، سواء ارتباطها برسول الله صلى الله عليه وآله، وموقفها الروحيّ بين المسلمين، وقدرتها البيانيَّة والعلميَّة،

(١) بحار الأنوار، العلَّامة محمَّد باقر المجلسيّ، ج٤٣، ص١٧١.

والثقافية، وكلُّ ذلك لأجل أن تدافع عن أمير المؤمنين عليه السلام، وتبيِّن موقفه.

لم يقف الإمام يخطب بدلًا من فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فلو فعل ذلك فمن الممكن أن يُستغل من قبل النظام والخليفة الحاكم ضدَّ عليّ عليه السلام، ويكون مبرِّرًا لقتله، فاكتفى بأن يكون رفضه للبيعة، ويسجِّل موقف الرفض لها، لا أن يدخل في مواجهة مسلَّحة.

ناضلت الزَّهراء عليها السلام من أجل التظلُّم لعليّ عليه السلام ولنفسها، وكشف الحقيقة، الأمر الذي يصبُّ في موقف الإمام نفسه، وهو تسجيل الرفض تجاه الخلافة والأوضاع الجديدة.

فكلٌّ من الموقِفَين كان صلبًا؛ فإنَّ الزَّهراء قامت بواجبها ووظيفتها التي لم يكن من الممكن لعليّ عليه السلام؛ لأنَّ شخصية الزَّهراء وظروفها كامرأة، كما بيَّنَّا سابقا، وانتسابها للرسول صلى الله عليه وآله، يعطيها فرصة للحركة، وأمانًا نسبيًّا من القتل، وإن كانت لم تأمن الضرب والاعتداء والتجاوز، وكلٌّ منهما قام بدوره بالمستوى نفسه من الصلابة والصبر والصمود والتحمُّل، من أجل الوصول إلى الأهداف الشريفة النبيلة التي كانا يسعيان إليها، لتبقى الحقيقة واضحة لنا عبر التاريخ.

أوَّلًا: وقفة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في وجه السلطة

بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جوار ربِّه، كانت الزَّهراء قد واكبت كلَّ الأحداث التي حصلت في ذلك الوقت، فرسول الله صلى الله عليه وآله يأمر أصحابه باللحاق بأسامة، فيتخلَّف عنه الكثيرون، ويأمرهم أن يأتوه بدواة ليكتب لهم كتابًا لن يضلُّوا من بعده أبدًا فيقوم أحدهم ليقول: «إنَّ رسول الله يهجر»، وفي رواية أخرى عن سُليم بن قيس «إنَّ نبيَّ الله يهجر»[1]، ثمَّ يترك الجميع جسد النبيّ المبارك من دون تغسيل وتكفين، ويجتمعون سقيفة بني ساعدة، ويختلفون في أمر الخلافة، فما على السيِّدة فاطمة الزَّهراء إلَّا الوقوف

(١) ينظر: كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ، التابعيّ الكبير سُليم بن قيس الهلاليّ، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ، ص٢١١، دار زهرائيُّون، بيروت، لبنان، ٢ قبل الهجرة ١٦هـ.

في وجه المخالفين لنصرة الحقِّ، وإعلاء كلمة الإسلام، وبيان موقفها من الخلافة والميراث، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر، أفضل الجهاد كلمة حكم عند إمام جائر**»[1].

وقفت الزَّهراء عليها السلام في وجه السلطة، واحتجَّت بشأن سلب حقِّها في أرض فدك، ولم تكن المنفعة الشخصيَّة هي السبب الوحيد في الاحتجاج على الحكومة آنذاك، بل أرادت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله أن تكشف للأمَّة الإسلاميَّة من خلال قضيَّة فدك بداية التزييف، الذي بدا واضحًا في سلب أمير المؤمنين عليه السلام حقّه من الخلافة، واستغلال الانشغال بتكفين رسول الله صلى الله عليه وآله ودفنه، كي يثبت الحكم خارج البيت النبويّ، تدلُّ على استغراق الناكثين للبيعة، المنغمسين في حبِّ الدنيا ومصالحهم الشخصيَّة، بعيدًا عن مصلحة الإسلام التي هي فوق كلِّ شيء، فماذا نتوقَّع من الزَّهراء؟ هل تسكت على ذلك وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقد وقفت بكلِّ بسالة تمثِّل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في شخصيَّتها، على أن تقيم دعوى الاحتجاج على الخليفة، وكان لا بدَّ من ذلك حتَّى يفهم الناس وعورة الطريق الذي دخلوا فيه، وابتداء احتجاج الزَّهراء عليها السلام من خلال مواقف عدَّة، مرَّة مع الخليفة نفسه، ومرَّة أمام الأمَّة نفسها.

لقد واجهت الخليفة نفسه دون خوفٍ أو تردُّدٍ.. وأنَّى يكون ذلك وهي بضعة الرسول التي يغضب الله لغضبها..

ثانيًا: موقفها سلام الله عليها من الخلافة والميراث

عرفت الأمم والحضارات القديمة نظام الإرث بين الآباء والأبناء، إلَّا أنَّ التباين في التقسيم كان السمة الغالبة، بل إن بعض تلك الثقافات كانت تَحرِم الأنثى من إرث زوجها أو ولدها، وتبرِّر بعض القبائل العربيَّة قبل الإسلام هذا المنهج بحجَّة أنَّ النساء لا تحمل السيف وتذب عن الحياض، ولا يأخذون بالثأر أو يغزون على القبائل الأخرى

(١) ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ، ج٣، ص١٩٤٤.

لجلب الغنائم والمنافع، لذا حرصت الشرائع السماويَّة على تشريع نظامٍ دقيقٍ يبيِّن كيفيَّة تقسيم التَّركة.

قامت الزَّهراء عليها السلام بإطلاق موقفها الجهاديّ، فأرسلت إلى الخليفة الأوَّل تطالبه بميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله فدك، وهذه الخطوة الأولى التي انتهجتها في مطالبتها لحقوقها، لتصل إلى الهدف الحقيقيّ، وهو المطالبة بخلافة الإمام عليّ عليه السلام التي تراها امتدادًا لرسالة أبيها، وحين طالبت الصديقة الزَّهراء بفدك، لم تطالب بتلك البقعة من أرض الحجاز، بل كانت تلك البقعة من الأرض ترمز إلى السلطة التي كانت لأبيها في جميع الشؤون السياسيَّة والماديَّة وغيرهما، ولم يكن النزاع على أمرٍ مادِّيٍّ كما يحاول البعض حصره في هذا النطاق[1].

المطلب الثاني: دفاع فاطمة الزَّهراء عن أمير المؤمنين عليه السلام من خلال خطبتَيها الخالدَتَين

في هذا المطلب سيكون الحديث عن دفاع فاطمة الزَّهراء عن الإمامة بشكلٍ خاصٍّ من خلال خطبتَيها، الأولى في مسجد النبويّ، والأخرى بين المهاجرين والأنصار.

أوَّلًا: الإمامة في الخطبة الفدكيَّة

إنَّ من أهمِّ الأمور الأساسيَّة في الخطبة الفدكيَّة هي الإمامة التي تعدُّ أصلًا من أصول الدين، فقد ورد ذِكر الإمامة في خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وسوف نُشير إلى تلك المواضع التي منها: «**وطاعتنا نظامًا للملَّة**»، كلُّ أمَّة إذا أرادت اختيار نظام حاكم سائد، والنظام كلمة واسعة النطاق، كثيرة المصداق غزيرة المعاني. فالحكومات، وتشكيل الوزارات، وتنظيم الدوائر، وسنِّ القوانين، وفي شتَّى المجالات، يُقال لها: نظام، ولا بدَّ، طبعًا، من تنفيذ النظام، والخضوع والانقياد له، ويُقال له: التنظيم.

(١) دروس في سيرة الأئمَّة الأطهار، الشيخ خليل رزق، ص١٠١.

فإذا كان النظام صالحًا، انتشر الصلاح في العباد والبلاد، وإذا كان النظام فاسدًا، ظهر الفساد في البرِّ والبحر.

والأمَّة الإسلاميَّة التي تعتبر نفسها في طليعة الأمم الراقية المتحضِّرة، لا بدَّ أن يكون لها نظام، وإنَّ الله تعالى جعل طاعة أهل البيت عليهم السلام نظامًا للملَّة الإسلاميَّة.

ومعنى ذلك أنَّ الله جعل القيادة العامَّة المطلقة العليا، والسلطة لأئمَّة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله فقط، لا كلُّ من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصَّة القيادة تجب إطاعته وتنفيذ أوامره، وإنَّما جعل الله إطاعة أئمَّة أهل البيت نظامًا المسلمين؛ لأنَّ الله تعالى زودهم بالمواهب، ومنحهم الأهليَّة، وأحاطوا علمًا بكلِّ ما ينفع المجتمع ويضرّه، وبكلِّ ما يُصلِح الناس ويُفسِدهم[1].

تحصل من ذلك: إنَّ كلَّ دولة تحتاج إلى رئيس يدير شؤونها، فلا بدَّ من تشكيل الحكومات، والوزارات تنظيم الدوائر.. مع وجود دستور، وقوانين تُلزم جميع الأفراد بالخضوع والانقياد له، لما فيه النظام ومصلحة الجميع، فما بالك بنظام الأمَّة الإسلاميَّة بعد رحيل قائدها؟! كيف يترك رسول الله صلى الله عليه وآله الأمَّة بدون تنصيب قائد مؤهَّل يدير هذا النظام؟ فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله مرارًا وتكرارًا بهذا الأمر المهم، بدليل حديث الثَّقَلَين قائلًا: «**إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقَلين ما إن تَمَسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[2]. وقد أجمع المسلمون بكلِّ طوائفهم ومذاهبهم على التسليم بصحَّة صدور الحديث عنه، وتدلُّ هاتان العبارتان: «**وطاعتنا نظامٌ للملَّة**» على انتظام أمر الدين، وصلاح أمور المسلمين

فو الله لو أنَّ المسلمين فسحوا المجال، من أوَّل يوم، لأهل البيت وأطاعوهم، لكانت حياتهم روحًا وريحانًا وجنَّة نعيم، وكانت السعادة شاملة لجميع طبقات البشر،

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، ص١٨٤-١٨٥.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرُّ العامليّ، ج٢٧، ص٣٤.

وما كانت تحدث المفاسد والمجازر والمذابح على وجه الأرض، والأموال تسلب، والأعراض تهتك، والنفوس تزهق ظلمًا، وما كان الجهل والأميَّة والتفسخ منتشرًا بين الأمَّة الإسلاميَّة، وما كان في الأرض فقر ولا حرمان ولا اضطهاد ولا جوع[1].

«**وإمامتنا أمانًا للفرقة**»، وفي نسخة: «لما للفرقة»، إمام على وزن كتاب، هو المقتدى، انظر إلى إمام الجماعة كيف يقتدي به المأمومون في أفعال الصلاة من قيام إلى ركوع وسجود وهكذا، فهو مقتدى في أفعالٍ محدودة، ولهذا يُقال له: إمام صلاة الجماعة في الصلاة[2].

هنا تقول الزَّهراء عليها السلام «**وإمامتنا**»، وتقصد إمامة الأئمَّة الاثني عشر، وشخص زوجها العظيم أبا الأئمَّة عليّ عليه السلام[3].

وعليه قامت بنت رسول الله وأعلنت كلمتها في المسجد النبويّ، منتصرة لإمام زمانها وابن عمِّها ووصيِّ رسول الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب من السلطة الغاصبة.

ويثبت ذلك في خطبتها في المسجد بحضور أبي بكر وحشد كبير من المسلمين، للتأكُّد من هذه الحقيقة، وكان محور حديثها عن عليّ ومواقفه الخالدة في الإسلام، والتنديد بهم، ومخالفتهم الصريحة لكتاب الله، وهكذا كانت في جميع مواقفها تركِّز على هذه الناحية، وتوليها كلَّ اهتمامها وعنايتها، وكأنَّه لا يعنيها أمر فدك وغير فدك في شؤونها الخاصة.

ثانياً: الإمامة في خطبة الزَّهراء عليها السلام بين النساء (الإمام عليّ عليه السلام)

خطبة الزَّهراء عليها السلام بين المهاجرين والأنصار هي خطبة مختصرة، ولكنَّ مضمونها

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد: السيِّد محمَّد كاظم القزويني، ص ١٨٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٧.

مضمونًا خاصًّا، وقد قالتها في آخر أيَّامها على ما يبدو من النصوص، ويرويها أهل البيت عليهم السلام أب عن جد. يقول الصدوق في معاني الأخبار: حدَّثنا أحمد بن الحسن.. قال حدَّثنا عن عبد الله بن الحسن عن أمِّه فاطمه بنت الحسين عليها السلام قالت: لـمَّا اشتدَّت علَّة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، اجتمع عندها نساء المهاجرين والانصار (يردن توديعها على ما يبدو)، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحتِ من علَّتك؟ فقالت عليها السلام: «**أصبحت والله عائفة لدنياكم**[1]، **قالية لرجالكم لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم**[2]، **فقبحًا لفلول الحد**[3].. **وبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم، إنَّ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون**..»، إشارة إلى التوبيخ والتنديد بهم.

ثمَّ تشير لهم بكلامها مستغربة ومتعجِّبة: «**ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة؟**»، وفي نسخة: «زعزعوها»، تعجب عليها السلام من سوء اختيارهم، أي كيف نحوا خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله من مواضعها الثابتة التي هي بمنزلة الجبال لحركة الأرض وسيرها بصورة منظمة وحفظها من الاضطراب.

«**وقواعد النبوَّة**»، القواعد: جمع قاعدة، وهي هنا الأساس للبناء، فكما أنَّ البناء إذا بني على غير أساس ينهدم، فكذلك الخلافة إذا وُضِعت في غير موضعها اللائق بها انهار معنويًّا، واختلَّ نظامها، واضطربت أركانها.

«**ومهبط الروح الأمين**»، كان جبرئيل يهبط في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيوت أهل بيته، وبيت فاطمة مهبط الروح الأمين.

«**والطبين بأمور الدنيا والدين**»، الفطن الحاذق بأمور الدنيا المتعلِّقة بالحياة، وكذلك القضايا المتعلِّقة بالدين في جميع المجالات وشتَّى الأحكام، ونقصد بذلك أهل بيت

---

(١) عائفة: كارهة، قالية: مبغضة، لفظتهم: رميت بهم، عجمتهم: مضغتهم، شنئتهم: أبغضتهم.

(٢) سبرتهم: عرفت عمقهم، أي تأملتهم

(٣) فلول الحد: أي ثلمة حد السيف. (جميع معاني المفردات من المصدر نفسه).

رسول صلى الله عليه وآله، وتخصُّ زوجها الحكيم العظيم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

«**ألا ذلك هو الخسران المبين**» إي والله، خسران واضح خسرته الأمَّة الإسلاميَّة في جميع مجالات حياتها من الحياة الفرديَّة والزوجيَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والصحيَّة والسياسيَّة والعمرانيَّة والدينيَّة والدنيويَّة والأخرويَّة.

ومضت تقول: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عزَّ وجلَّ**»، النمر شديد الغضب، إذا غضب لنفسه لم يبالِ قلَّ الناس أم كثروا، ولا يردُّه شيء، ولا يحول دون هدفه حائل، ولا يمنعه مانع، والرجل الشجاع الذي يجاهد بلا مبالاة، ولا خوف، بل في كلِّ غضب وشجاعة، يُقال في حقه تنمَّر، أي صار شبيهًا بالنمر في الاقتحام[1]، واستطردت في حديثها تقول: «**ألا هلمَّ فاسمع، وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، ليت شِعري إلى أيِّ سنادٍ استندوا؟ وبأيِّ عروةٍ تمسَّكوا؟ استبدلوا والله الذناني بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا، ألا أنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**»[2].

إلى غير ذلك من مواقفها التي كانت تركِّز فيها على الخلافة والتدبُّر بمؤتمر السقيفة الذي تمخَّض عن استيلاء أبي بكر وعمر بن الخطَّاب وأبو عبيدة بن الجرَّاح، وبين فريق كبير من الأنصار كانوا يرون سعد بن عبادة أحقّ بها من أبي بكر وأمثاله، ممَّن لم تسجِّل لهم الأحداث التي مرَّت بها الرسالة منذ مطلعها إلى اليوم الأخير من حياة الرسول شيئًا، بجانب مواقف الأنصار.

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، ص٢٦١-٢٦٣.

(٢) ينظر: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، خطب وأحاديث السيِّد محمَّد باقر الحكيم، ج٣، ص٣٦٠-٣٦١، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

إنَّ الزَّهراء عليها السلام اجتمعت بفريق من أعيان المهاجرين والأنصار، وذكَّرتهم بمواقف عليّ عليه السلام في سبيل الإسلام منذ بزوغ فجره، وتضحياته في سبيله، وأعادت إلى أذهانهم قول الرسول ونصوصه على استخلافه وإعداده لتحمُّل المسؤولية من بعده، ونبَّهتهم على موقفهم المتخاذل منه، وانحرافهم مع الطامعين والمتقلِّبين على أعقابهم الذين كانوا يخطِّطون للاستيلاء على السلطة والنبيّ صلى الله عليه وآله لايزال حيًّا، وقد تأثَّر بموقفها جماعة من المسلمين، وأدهشهم أنَّ الأمور تجري بغير مجراها، وسائهم غضبًا، وقد أدهشهم غضبها، وموقفها الذي يعرِّضهم إلى غضب الله إن هم تخاذلوا عن نصرتها، ولكنَّ الذي أحسوا بذلك ومسَّهم الخوف كانوا بالقياس إلى الجمهور الأعظم ذوي الأطماع والأحقاد قلَّة لا تُغني شيئا. لم تكن ثورة الزَّهراء وعليّ عليه السلام إلَّا لتسجيل عدوانهم وانحرافهم عن الخطِّ الذي وضعه الرسول فيما يعود لخليفته الشرعي منذ بداية الدعوة حتَّى النَّفس الأخير من حياته.

بقي أن نفهم السر الحقيقيّ لقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

«بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلَّته السماء، فشحَّت عليها نفوس قومٍ، وسخَت عنها نفوس آخرين، ونِعم الحكم الله..»[1].

(١) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضيّ من كلام سيِّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علي السلام، الكتاب ٤٥، ج١٦.

خاتمة البحث ونتائجه

وفي نهاية المطاف نرجو أن يكون هذا البحث قد نال رضاكم، وأتقدَّم لكم بكلِّ الشكر والتقدير، وألتمس من أخوتي المؤمنين والمؤمنات، ولاسيما أهل البحث والتحقيق أن ينبِّهوني على ما قد يجدونه من الخطأ غير المقصود، ممَّا جرى به القلم، وزاغ عنه البصر، فإن الإنسان موضع الخطأ والنسيان، والكمال لله، والعصمة لأهلها، فإنَّ وُفِّقنا فمن الله عزوجل، وإن أخفقنا فمن أنفسنا، وكفانا شرف المحاولة، وأرجو من الله تعالى أن يكون هذا البحث المتواضع خطوة في تبصرة الأجيال بشخصيَّةِ الزَّهراء عليها السلام العظيمة، والتمسُّك بالعقيدة الحقَّة، والدفاع عن الإمامة.

وصلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارك تسليمًا كثيرًا على معلِّمنا الأوَّل وحبيبنا سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله الطيِّبين الطاهرين.

النتائج

١. أن تتعرَّف المرأة على حقوقها، وأن تكون واعية وتنتهج منهج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وتسير مسارها، وتجعلها قدوة في كلِّ شيء، ومن تلك المواقف المطالبة بالحقوق ونصرة المظلوم.

٢. الزَّهراء عليها السلام باعتبارها معصومة وإنسانة حضاريَّة يقع على عاتقها الإرشاد والتبليغ والبيان، فما كانت لتمزج أمورها الشخصيَّة مع الأمر الرساليّ، والأهم الإشارة إلى الخلافة.

٣. البلاء بالنسبة إلى المعصوم أمر طبيعيّ، بل ضروريّ، لأنَّه يجد كماله الأنور

فيه، فالبلاء سنَّة إلهيَّة من خلالها يفجِّر طاقات الإنسان، ومن أجل ذلك كان ضروريًّا للقادة، لاسيما قادة الأمم (آل محمَّد عليهم السلام) لكي يكونوا أسوة غيرهم، وهكذا الزَّهراء عليها السلام، فعدم ذكرها لمأساتها دليل على تجرُّدها عن الدنيا والمصالح الذاتيَّة.

٤. سجَّلت الزَّهراء عليها السلام موقفًا كليًّا ينطبق على الخليفة الأوَّل، وعلى كلِّ خليفة غير شرعيّ، فاعتبرت المقياس هم أهل البيت عليهم السلام، وكلُّ من مالَ عنهم فقد ضلَّ وأضلَّ.

٥. فاطمة الزَّهراء عليها السلام صاحبة المكانة العظيمة عند الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وآله، فالله خلقها وكرمها وأعظمها ورفع شأنها، فمن أغضبها فقد أغضب الله ورسوله، ومن آذاها فقد آذى الله ورسوله، وقد ماتت وهي غير راضية وخاصَّةً على أبي بكر وعمر، ومن سلب حقَّها وظلمها، وساعد في ظلمها مَن ظلمها، ولقد نجحت الزَّهراء في تسجيل غضبها واحتجاجها على الخليفَتَين، ووصل إلينا ذلك الاحتجاج، وهو بمثابة إدانة للخليفَتَين، وهو وثيقة للحكم عليهما.

٦. ركَّزت البتول الزَّهراء سلام الله عليها في خطبتها الثانية على مسألة الخلافة وموقع أمير المؤمنين، كما قالت فيها: «**أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة**».

٧. كانت فاطمة الزَّهراء عليها السلام المدافعة الأولى بعد أبيها النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وعن ولاية الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

٨. إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام قامت بنهضتها المعروفة المباركة، وإن أدَّت تلك النهضة إلى ظلمها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها واستشهادها وإخفاء قبرها، بفضح الباطل، وتبيان الحقِّ لمن أراد أن يُضيِّعه، وقامت بنفسها وأقامت أولادها وأتباعها إلى مكافحة الباطل في كلِّ الأعصار والأمصار.

التوصيات

١. ردُّ الشبهات عند سماعها، والانتصار لأهل البيت عليهم السلام، والتأسِّي بالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فقد سجَّلت تاريخًا حافلًا بالشجاعة والبطولة بالدفاع عن بيضة الإسلام، وحفظ مبادئه السامية، والدِّفاع عن الإمامة، فالشجاعة لا تعني حمل السلاح في المعارك، وإنَّما هي الثبات على المبدأ، والدفاع عنه بكلِّ غالٍ ونفيس.

٢. حفظ الوصيَّة والعمل بها، وعدم التهاون والتفريط بها.

٣. الواجب على المؤمنين الاقتداء بها عليها السلام، وذلك بما يناسب كلَّ زمان ومكان، وحسب الشروط الشرعيَّة المذكورة في الفقه، فإنَّ كلَّ قولٍ وعملٍ وتقريرٍ منها عليها السلام حجَّة شرعيَّة.

٤. استحباب ذِكر كلِّ ما يتعلَّق بفاطمة الزَّهراء عليها السلام ممَّا جرى عليها بعد أبيها رسول الله، بل قد يجب إذا كان مصداقًا للواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوى إلى الخير وترويج الدين الحنيف.

٥. الاهتمام باللغة العربيَّة وتفعيلها بالمجتمع، والرجوع إلى لغتنا الأصيلة التي ابتعدنا عنها كثيرًا، وبالخصوص طلَّاب العلم، والإعلاميِّين، وغيرهم.

المقترحات

١. نأمل أن تفعَّل خطبَتَي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والتشجيع على حفظهما في المدارس الدينيَّة ضمن درس السيرة، وكذلك المشاركات بالمحافل الدينيَّة والمناسبات، وتكريم الحفَّاظ للخطب من أجل رفع الغشاوة عن الأجيال الذين ابتعدوا عن هذه أمور دينهم؛ بسبب الانشغال ببرامج التواصل الاجتماعيّ والغزو الفكريّ لمخالفي المذهب والشريعة الحقَّة.

٢. الاهتمام بموضوع الخطابة في المدارس الدينيَّة، والاعتبار بقدرة وتمكُّن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من التكلُّم بطلاقة وفصاحة بالغة، رغم ما كانت خطاباتها ارتجاليَّة.

٣. عمل مسرحيَّات أو مشاهد تمثيليَّة على قدر أهميَّة الموضوع، بتمثيل الأحداث التي جرت على بيت النبوَّة من غصب الخلافة وظلامات وغيرها، والنهوض بها في كيفيَّة الدفاع عنها.

مصادر البحث ومراجعه

* القرآن الكريم.

١. الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، محمَّد حسن القزوينيّ، دار القارئ، بيروت، لبنان.

٢. الأسرار الفاطميَّة: الشيخ محمَّد فاضل المسعوديّ.

٣. أطيب البيان في تفسير القرآن، العلَّامة السيِّد عبد الحسين الطيِّب (ت ١٤١١هـ)، ١٩٩٠م.

٤. الباب الحادي عشر، العلَّامة الحِلِّيّ.

٥. بحار الأنوار، محمَّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١هـ).

٦. دروس في العقيدة الإسلاميَّة، محمَّد تقي مصباح اليزديّ، دار الرسول الأكرم.

٧. الجواهر النورانيَّة في العلوم الإنسانيَّة، محمَّد حسين الطباطبائي، اعداد: رضوان سعيد فقيه، دار المحجَّة البيضاء.

٨. صحيح البخاريّ، البخاريّ.

٩. فاطمة الزَّهراء عليها السلام المدرسة المثاليَّة في الإسلام، الشيخ جاسم محمَّد لايش العلياويّ، إيران، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.

١٠. فاطمة الزَّهراء عليها السلام، خطب وأحاديث السيِّد محمَّد باقر الحكيم، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١١. قواعد العقائد، نصير الدين الطوسيّ، تحقيق: عليّ الربَّانيّ الكلبايكانيّ، الناشر: لجنة إدارة الحوزة العلميَّة، قم.
١٢. كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ، التابعيّ الكبير سُليم بن قيس الهلاليّ، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزيجانيّ، دار زهرائيُّون، بيروت، لبنان، ٢ قبل الهجرة ١٦هـ.
١٣. كتاب العصمة، بحث مفصَّل في عصمة الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام، أحمد بن زين الدين الأحسائيّ، تحقيق: صالح أحمد الدَّباب، مؤسَّسة شمس هجر، بيروت لبنان.
١٤. العين: الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.
١٥. عيون أخبار الرضا، الشيخ الأقدم والمحدِّث الأكبر أبي جعفر بن محمَّد بن عليّ الصدوق، ط١، ٢٠١٢م، مؤسَّسة المراقد المقدَّسة العالمية.
١٦. علم الأئمَّة المعصومين مقاربة فلسفيَّة كلاميَّة، ش. خليل رزَّاق، دار الهادي، ط١.
١٧. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، عبد الحسين أحمد الأمينيّ، دار الكتب الإسلاميَّة، إيران، قم، ط.بلا.
١٨. لسان العرب: ابن منظور، نشر دار صادر، بيروت لبنان، ط.بلا.
١٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، نشر دار الفكر، ط.بلا، ١٩٧٩.
٢٠. مقدِّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد بن خلدون، دار إحياء التراث بيروت، لبنان، ط١.
٢١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيِّد عبد الأعلى السبزواريّ، بيروت، لبنان.

٢٢. ميزان الحكمة، محمَّد الريشهريّ.
٢٣. النكت الاعتقاديَّة، الشيخ المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ (٣٣٦-٤١٣هـ)، تحقيق رضا المختاري، ط٢، بيروت لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢٤. نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلاميّ، ط.بلا.
٢٥. نهج البلاغة، الجامع لخطب الإمام علي عليه السلام، محمَّد بن الحسين الشريف الرضيّ، شرح: محمَّد عبده، تحقيق: الشيخ حسين الأعلميّ، الطبعة الأولى المصحَّحة، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان.
٢٦. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرُّ العامليّ.

البحوث:

٢٧. أصول الدين في خطبتي الزَّهراء عليها السلام الإمامة أنموذجًا، أ.م.د. محمَّد كاظم الفتلاويّ، كلية التربية، جامعة الكوفة، العقيدة، فصليَّة تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد، المركز الإسلاميّ للدراسات الإستراتيجيَّة، يعنى بالإستراتيجيَّة الدينيَّة، النجف الأشرف، ربيع الأوَّل ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م، (العدد ١٤)، السنة الرابعة.
٢٨. مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية: مقالات ودراسات، شبهات وردود، اشراف: الشيخ صالح الكرباسي.

المعارضة والإصلاح في فكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. حسين لفته حافظ
جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة
م.د. ليث عبد الحسين العتَّابي
كليَّة الفقه الجامعة

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصَّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيِّبين الطاهرين

وبعد:

لا يمكن لنا أن نلتمس من التراث الفكريّ الإسلاميّ نصًّا مقدَّسًا غير قابل للتأويل ولا خاضع للمساومة والاستغفال غير القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، وما عداهما فهو دون ذلك خاضع للنقد والتحليل والاجتهاد والتأويل.

وهنا لا بدَّ أن نشير إلى مكانة أهل البيت عليهم السلام في التراث الفكريّ الإسلاميّ، كونهم عدل القرآن، والثقل الثاني، وتراجمة الوحي، وأساس الدين، وقادة المسلمين، وكلُّ هذا يعني أنَّ كلامهم حجَّة علينا، ومن الواجب على جميع المسلمين طاعتهم واتِّباعهم بنصِّ القرآن، ووصيَّة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

وهنا نقف مع نموذجٍ صادقٍ وحقيقي للتربية الإسلاميَّة للفرد المسلم بشكلٍ عام، و للمرأة المسلمة بشكلٍ خاص.

نقف مع فاطمة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة نساء العالمين، مثال المرأة المسلمة، والنموذج الإنسانيّ الخلَّاق، والمثال الصادق للتربية الإسلاميَّة الحقيقيَّة.

فقد شرَّع الإسلام أحكامًا وقوانين، ووضع مناهج متكاملة لإعداد المرأة المسلمة والمؤمنة، وللرقيِّ بها وبتربيتها وتعليمها ورفع مكانتها وحفظ مصالحها ورعاية شؤونها وبناء كيانها؛ لتكون المثال الصادق والنموذج الإنسانيّ الصادق والمعبِّر عن حقيقة المرأة.

وهنا يأتي نموذج الزَّهراء عليها السلام ليمثِّل بصدق حال نساء صدر الإسلام، وربيبات بيت الوحي والنبوَّة، لتكون دراسة نوجِّه النظر فيها إلى جانبٍ مهمٍّ من جوانب حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ألا وهو جانب المعارضة والإصلاح، وننوِّه إلى ما في البحث من صعوبة كبيرة، وبالخصوص لما يختصُّ بعمرها القصير عليها السلام، وقلَّة الدراسات المختصَّة عنها، والتي تناولت الجانب الإصلاحيّ، وفكر المعارضة.

لذا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا إلى أن نقف على هذا الجانب المهمِّ، إنَّه نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

و الحمد لله ربِّ العالمين.

دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الفرد المسلم

من المعلوم أنَّ دور أهل البيت عليهم السلام هو بناء الفرد المسلم بناءًا إنسانيًا وإيمانيًا وأخلاقيًا وعقائديًا، من خلال القول والفعل والتقرير أو الإقرار.

فلقد اعتنى أهل البيت عليهم السلام بتربية وتعليم أتباعهم وأصحابهم وتلامذتهم التربية الصحيحة المجسِّدة للتعاليم الإسلاميَّة مفهومًا وواقعًا، من خلال تربية الفرد المسلم وفق تعاليم كتاب الله تعالى وسنَّة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حتَّى يكون هذا الفرد النموذج الحقيقيّ لهذه التعاليم، وليكون محصَّنًا ضدَّ عوامل التخريب والانحراف، وليكون مهيَّئًا للقيام بالتغيير والإصلاح متى ما اقتضت الضرورة ذلك.

فنشاهد هذه الحقيقة جليَّة وواضحة في سلوكهم عليهم السلام، ونجده أيضًا جليًّا في وصاياهم وكلماتهم وأحاديثهم وتصرُّفاتهم؛ لتكون الدستور الذي يسير عليه أصحابهم ومحبُّوهم ومتَّبعوهم في كلِّ زمانٍ ومكان.

فنجد الأمام الباقر عليه السلام يقول: «والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجَّة، ولا يُتقرَّب إلى الله إلَّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعًا نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصيًا لم تنفعه ولايتنا»[1].

أهل البيت عليهم السلام وبناء فكر المعارضة و الإصلاح

إنَّ القارئ لفكر أهل البيت عليهم السلام، والباحث في كفاحهم العمليّ والدينيّ والسياسيّ، سواء أكان الظاهر منه أم الخفيّ، على مدى حياتهم عليهم السلام، وحتَّى زمان الغيبة الكبرى

(١) مكارم الأخلاق، الطبرسيّ، ص٣٩.

نجده يتركّز في أمور مهمَّة ورئيسة، هي:

١. بناء الأمَّة البناء الدينيّ والعقائديّ والأخلاقيّ الرصين.
٢. تربية الأمَّة على نبذ الظلم ومقاومة الظَّلَمة.
٣. تربية الأمَّة على أهميَّة إقامة العدل، والسعي إلى إقراره ونشره والعمل به.
٤. تربية الأمَّة على أسلوب المقاطعة حين تعجز الأساليب الأخرى.
٥. تربية الأمَّة على الثورة حين تتوفَّر الظروف المناسبة، وحين تحين ساعة حفظ الدين والدفاع عن بيضة الإسلام ضدَّ أعدائه من الداخل والخارج.
٦. أسلوب المعارضة الفكريَّة والسياسيَّة، وتبيين حقيقة الظَّلَمة ومواطن الظلم، ورفع شعار الإصلاح.

وهنا لا بدَّ لنا أن نقف مع هذا المورد المهم، فللمقاومة الفكريَّة والسياسيَّة الدور المهم في حياة الأمَّة الإسلاميَّة، فكلَّما ظهر حاكم ظالم ومغتصب ومجانب لتعاليم الإسلام، كان لا بدَّ من مقاومته ومقارعته، وهذا جليٌّ وواضحٌ للمتتبِّع لسيرة أهل البيت عليهم السلام من أوَّلهم حتَّى آخرهم.

المعارضة والإصلاح في فكر الزَّهراء عليها السلام

لقد خاضت السيِّدة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقيادة بعلها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله سبيلًا معتدلًا في معارضة السلطة الحاكمة آنذاك، بما يحفظ بيضة الإسلام ويصون المسلمين، فعزما عليهما السلام أن يخوضا معركة ومواجهة واسعة ومريرة، لكن بهدوء وحكمة ورويَّة، تؤدِّي إلى الحفاظ على الإسلام لكي لا تنهدم أركانه وتتداعى أُسسه، فكانت المواجهة على مراحل:

١. مرحلة التذكير بالحقِّ الطبيعيّ لآل البيت عليهم السلام، والموقع الحقيقيّ لهم في الكيان الإسلاميّ:

فقد أخذ الأمام عليّ وفاطمة الزَّهراء بيد الحسن والحسين عليهم السلام جميعًا، وطافوا على بيوت المدينة ورجالها وأشرافها، داعين إلى نصرتهم، مذكِّرين بوصايا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بحقِّهم[١]، و قد استطاعوا عليهم السلام أن يكسبوا من خلال تلك الحملة الإعلاميَّة والتذكيريَّة ثلَّة من المناصرين التي أثَّرت فيهم الحقيقة، وهداهم الله إلى سواء السبيل.

وكانت هذه المرحلة هي المرحلة الأولى من إعلان المعارضة للحاكم المتمثِّل في ذلك الوقت بشخص أبي بكر.

٢. رفض البيعة:

فقد رفض الأمام عليّ وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام المبايعة للحاكم، وأعلنوا سخطهم على النظام الحاكم والمتسلط والغاصب والمخالف لحقِّ أهل البيت عليهم السلام، فقد خالف الحقَّ الشرعيّ والوصيَّة الشرعيَّة والاختيار الإلهيّ، وقد أعلن أهل البيت عليهم السلام متمثِّلين بالأمام عليّ وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام المقاطعة للحكومة وكلِّ مظاهرها.

٣. المواجهة:

فبعد أن قام الطغاة باقتحام البيت النبويّ المطهَّر، واقتيادهم لأمير المؤمنين عليه السلام جبرًا وغصبًا، فما كان من الزَّهراء عليها السلام إلَّا أن تقوم بنصرة الحقِّ، وتدافع عن زوجها ووصي النبيّ صلى الله عليه وآله، والأمام المفترض الطاعة، وعن الإسلام، فخرجت على إثره كسيرة الضلع منهكة الجسد، لاحقة لهم إلى المسجد النبويّ قائلة: «خلُّوا عن ابن عمِّي، فوالذي بعث محمَّدًا بالحقِّ لئن لم تخلُّوا عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي، ولأصرخنَّ إلى الله»[٢]. فكادت عليها السلام أن تقلب نظام الحكم يومئذ.

(١) الإمامة و السياسة، الدينوريّ، ج١، ص١٢.
(٢) البحار، المجلسيّ، ج٤٣، ص٤٧.

٤. التصدّي للمغتصبين والمناداة بالحقّ علنًا:

وذلك من خلال المطالبة بالحقوق الخاصَّة لأهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص (فدك)؛ وفدك: قرية تبعد عن المدينة عدَّة فراسخ، كان فيها زرع وبساتين لليهود، فلمَّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، قذف الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوب أهل (فدك)، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف منها، فقبل منهم ذلك، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله[١]؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله لم يوجف عليها بِخَيلٍ ولا ركاب، فكان صلى الله عليه وآله يقسِّم منافعها في بني هاشم، وفقراء المدينة ومساكينهم، فلمَّا نزلت الآية الشريفة: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ (الأسراء ٢٦).

امتثل النبيّ صلى الله عليه وآله أمر الله، وأعطى فدكًا لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد وردت في ذلك عدَّة روايات، منها:

عن أبي سعيد الخدري قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة لك فدك**[٢].

وعن عطيَّة قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكًا[٣].

٥. موارد أخرى منها:

١. دلالات إشهاد الزَّهراء للشَّيخَين وإقرارهما على ظلامتها عند زيارتهما لها، وهي في فراش المرض.
٢. عدم السلام عليهما.
٣. وصيَّتها لأمير المؤمنين عليه السلام بدفنها ليلًا.

---

(١) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد، ج١٦، ص٢١٠.
(٢) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، ج٢، ص١٥٢، الدرُّ المنثور، السيوطيّ، ج٤، ص١٧٧.
(٣) المصدر نفسه.

٤. عدم وجود الظَّلَمة في جنازتها.

٥. إخفاء قبرها.

فكلُّ هذه الأمور تحمل دلالات كبيرة في أسلوب المعارضة، وبيان حقيقة القوم، ليكون البحث بشكله التامِّ والكامل.

البلاغة في مواجهة أسلحة الطغيان

كان للزَّهراء عليها السلام أسلوب آخر في إعلان معارضتها للسلطة الحاكمة، والمطالبة بالعدل والإصلاح، والدعوة لتقويم نظام الحكم، والإشارة الصريحة لأخطائه، وذلك عن طريق الخطب التي ألقتها، وهنا نشير إلى مضامين مهمَّة في خطب وكلمات الزَّهراء عليها السلام:

١. التعريف بمكانتها من الإسلام و المسلمين:

إذ قالت عليها السلام: «.. **وأشهد أن أبي محمَّد صلى الله عليه وآله عبده و رسوله..**»[١].

فهي أشارة جليَّة وواضحة إلى أنَّها بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، ولها المكانة العالية، وعلى الكلِّ الاعتراف بهذه المكانة، وإطاعة وصيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله بحقها وبحق أهل بيتها عليهم السلام، وعدم المخالفة في ذلك.

وقولها عليها السلام: «.. **أعلموا أنِّي فاطمة وأبي محمَّد صلى الله عليه وآله..**»[٢].

٢. التعريف بمكانة الأمام عليّ عليه السلام من الإسلام والمسلمين:

«.. **كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتَّى يطأ جناحها بأخمصه، ويُخمد لهبها بسيفه، مكدودًا في ذات الله، مجتهدًا في أمر الله، قريبًا من رسول الله، سيِّدًا في أولياء الله، مستمرًا ناصحًا مجدًا كادحًا لا تأخذه في الله لومة لائم..**»[٣].

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١، ص١٣١-١٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

٣. التعريف بمكانة أهل البيت عليهم السلام من المنظومة الإسلاميّة:

إذ قالت عليها السلام: «.. **فجعل الله.. العدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملّة، وإمامتنا أمانًا للفرقة..**»[١].

٤. التعريض بمغتصبي الخلافة ومجابهتهم و بيان صريح مخالفتهم للشرع:

«.. **ثمَّ أخذتم تورون وقدتها وتهيّجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال سنن النبيّ صلى الله عليه وآله الصفي..**»[٢].

و«.. **و أنتم الآن تزعمون أن لا أرث لنا، أفحكم الجاهليّة تبغون..**»[٣].

و«.. **أأغلب على إرثي! يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئًا فريًّا، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم..**»[٤].

و«.. **أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي و ابن عمّي..**»[٥].

سلاح الصمت

إنَّ لسلاح الاعتصام الأثر الكبير والمؤثر أكثر بكثير من سلاح الكلام في بعض الأحيان، لذا فقد استمرَّت فاطمة الزَّهراء عليها السلام بجهادها ومعارضتها للسلطة الحاكمة، واختارت في آخر حياتها سلاح الصمت والاعتصام عن الكلام مع السلطة الحاكمة المتمثِّلة بأبي بكر، إذ أعلنت أمام الملأ وقالت: «**والله لا أكلِّمك بكلمة ما حييت**»[٦].

و كان لهذا الأجراء الأثر الكبير على الحاكم والحكومة في ذلك الوقت، إذ ليست

(١) الاحتجاج، الطبرسيّ، ج١، ص١٣١-١٤١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) كشف الغمَّة، الأربلّيّ، ج٢، ص١٠٣.

الزَّهراء عليها السلام من سواد الناس، ولا بالفرد العادي، فهي القائل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع المسلمين: «**إن الله ليغضب لغضبك و يرضى لرضاك**»[1].

وبقيت على ذلك إلى شهادتها عليها السلام والتحاقها بالرفيق الأعلى، لتبعث برسالة إلى الأمَّة الإسلاميَّة، ولتوجِّه صفعة مؤلمة لنظام الحكم المستبد، ولتعطينا درسًا، بل هو درس للأجيال.

(١) كشف الغمَّة، الأربلِّيّ، ج٢، ص٨٤.

قائمة المصادر

* القران الكريم.

١. الاحتجاج، لابي منصور أحمد بن عليّ الطبرسيّ، دار الشريف الرضيّ، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.

٢. الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ، تحقيق: الأستاذ عليّ شيري، مطبعة دار الأضواء، ١٩٩٠م.

٣. بحار الأنوار، محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ، دار إحياء الكتب الإسلاميَّة، د.ت.

٤. الدرُّ المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٦. كشف الغمَّة، ابن أبي الفتح الأربلِّيّ، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

٧. مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ، مكتبة الألفين، الكويت، د.ت.

الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. حازم فاضل البارز
جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

ملخَّص البحث

إنَّ من الواجب علينا أن نتلقَّى العلوم والمعارف من بيت الوحي ومعادن العلم، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا، وفي هذا البحث نحاول إبراز الصورة الواقعيَّة والحقيقيَّة لما تمثَّلت به الزَّهراء عليها السلام من أبعاد دينيَّة وسياسيَّة وجهاديَّة، ومن خلال هذه الأبعاد حاولت عليها السلام إعادة صياغة الواقع الإنسانيّ، وتغيير السلوك القائم الذي رسمته الإيديولوجيَّات الأرضيَّة.

وقد عمدنا إلى وضع (الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام) عنوانا لهذه الدراسة، وقد وزِّعت إلى:

التمهيد: بعنوان (سيرة الزَّهراء- الصفات والخصائص).

المحور الأوَّل: بعنوان (البُعد الجهاديّ).

المحور الثاني: بعنوان (البُعد السياسيّ في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام).

المحور الثالث: بعنوان (البُعد الجهاديّ في سيرة الزَّهراء عليها السلام).

وبعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة تُفصِح عمَّا توصَّلت إليه من نتائج، إذ تعدُّ الزَّهراء عليها السلام النموذج الأمثل الذي ينبغي للغير أن يحذو حذوه، ومكوِّنات شخصيَّة

الزَّهراء عليها السلام هي المعيار للتقدُّم والرُّقيّ من حيث التفكير والسلوك، ويجب أن تُقاس عليها كلُّ النماذج الأخرى المتمثِّلة بالأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة، وصولًا إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها؛ للوصول إلى دراسةٍ عسى أن تكون مستوفيةً للبحث، ومن بعد ذلك ملخَّص باللغة العربيَّة والإنكليزيَّة.

مقدِّمة

إلى حيث الخلق العظيم والرحمة للعالمين نبينا الصادق الأمين أبي الزَّهراء محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين الأولياء الصالحين (صلَّى الله عليهم أجمعين).

إنَّ من الواجب علينا أن نتلقَّى العلوم والمعارف من بيت الوحي ومعادن العلم الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا. ولقد واجه الإسلام منذ بدء ظهوره مختلف المواجهات والممارسات العدائيَّة التي كان الهدف منها معاداة الإسلام، وفي هذا البحث نحاول إبراز الصورة الواقعيَّة والحقيقيَّة لما تمثَّلت به الزَّهراء عليها السلام من أبعاد دينيَّة وسياسيَّة وجهاديَّة، ومن خلال هذه الأبعاد حاولت عليها السلام إعادة صياغة الواقع الإنسانيّ، وتغيير السلوك القائم الذي رسمته الإيديولوجيَّات الأرضيَّة، ولهذا تحدَّث الباحث بأسلوب واضح ومفهوم عن جوانب مهمَّة من حياة الأمَّة الإسلاميَّة، وعليه تناولت دراسات عديدة سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بحثًا وتمحيصًا، وفي أغلب الوجوه التفسيريَّة والتحليليَّة والفنيَّة والفلسفيَّة، غير أنَّ سيرة الزَّهراء ما تزال بحاجة إلى دراسات كثيرة؛ لأنَّ في سيرتها عليها السلام كثيرًا من الظواهر نحتاج إلى أن نقف عندها.

وقد عمدنا إلى وضع (الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام) عنوانا لهذه الدراسة، وقد وزِّعت إلى:

التمهيد: (سيرة الزَّهراء- الصفات والخصائص).

المحور الأوَّل: (البُعد الدينيّ).

المحور الثاني: (البُعد السياسيّ في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام).

المحور الثالث: (البُعد الجهاديّ في سيرة الزَّهراء عليها السلام).

وبعد ذلك انتهت الدراسة بخاتمة تُفصِح عمَّا توصَّلت إليه من نتائج، إذ تعدُّ الزَّهراء عليها السلام النموذج الأمثل الذي ينبغي للغير أن يحذو حذوه، ومكوِّنات شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام هي المعيار للتقدُّم والرُّقيّ من حيث التفكير والسلوك، ويجب أن تُقاس عليها كلُّ النماذج الأخرى المتمثِّلة بالأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة، وصولًا إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها؛ للوصول إلى دراسةٍ عسى أن تكون مستوفيةً للبحث.

وترجع أهميَّة الدراسة إلى ما تتمتَّع به الزَّهراء عليها السلام، من أبعاد فكريَّة وإسلاميَّة؛ لتكون لنا هذه الأبعاد دافعًا للانطلاق نحو المستقبل، أدعو الله أن يوفِّق الجميع لما فيه رضاه، وأن يتقبَّل هذا الجهد المتواضع، ويهدينا إلى سواء السبيل.

التمهيد
مدخل تعريفيّ، سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

صفاتها

صفات فاطمة الزَّهراء صلوات الله عليها لا تُدرَك بالعقول البشريَّة العاديَّة؛ لأنَّ العقول قاصرة عن كنه معرفتها، كيف لا وهي النقطة الوسطى لدائرة التطهير، والعصمة تدور حولها، تجلس لجلوسها، وتقوم لقيامها، والعصمة زائرها وزائر بيتها، ومنها تُشمُّ رائحة الجنة، وأنَّها ليست كنساء الأدميِّين، بل الحوراء الإنسيَّة، وهي جوهرة فريدة اختصَّت بمكارم لم يرتقِ إليها أحدٌ من البشر، فهي ريحانة البيت الطاهر الذي احلَّه الله عزَّ وجلَّ مكانةً رفيعةً في قلوب المؤمنين ونفوس المحبِّين، ألا ترى إذا اجتمعت الفضائل والمعارج الراقية في طاقةٍ فوَّاحة بأريج العطر الزكيّ، ففاطمة عليها السلام البتول عنوانها، فما وسعت طاقة أحد ولا كتاب تتبُّع فضائلها مآثرها التي عطرَّت الأفواه والأسماع، وتتجلَّى فيها الأوقات، فعند جلالتها بهتت أرباب العقول، ونكست ضياء الشمس والقمر[1]

وهي عليها السلام من ناكسات الأصفياء، وصفيَّات الأنقياء، البتول، البضعة الشبيهة بالرسول صلى الله عليه وآله، ألصق أولاده بقلبه لصوقًا، وأوَّلهم بعد وفاته لحوقًا، كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[2].

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم: ٢/ ٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٣٩.

خصائصها

فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأحبهنَّ إليه، وقد قال صلى الله عليه وآله: «**أحبُّ الناس إليَّ فاطمة**»(١)، وكانت تكنَّى بـ«أم أبيها»(٢)، من البركات التي اختصَّت بها فاطمة الزَّهراء عليها السلام أن لها رائحة الجنَّة، كما قال صلى الله عليه وآله: «**إذا اشتقت إلى رائحة الجنَّة شممت ريح فاطمة، يا حميراء، إنَّ فاطمة ليست كنساء الأدميِّين**»(٣)

أمَّا من حيث الشبه، فقيل عنها: «ما رأيتُ أحدًا كانت أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبَّلها ورحَّب بها وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه..»(٤)، أمَّا من حيث الفضل، فقيل عنها: «ما رأيتُ أفضل من فاطمة غير أبيها»(٥)، وكيف لا وهي سيِّدة نساء العالمين، وبضعة الرسول صلى الله عليه وآله، وزوجها سيِّد الفرسان وفارس الأسياد، أبو الأئمَّة الأطهار، وسيِّد الأوصياء الأبرار عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وابنَيها سيِّدَي شباب أهل الجنَّة(٦). وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنَّما فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني ما أذاها وينصبني ما أنصبها**»(٧)، وقيل: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجب: يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمَّد حتَّى تمرّ**»(٨)، وقال: «**نزل ملك من السماء فاستأذن الله أن يسلِّم عليَّ فبشَّرني أن فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»(٩)، وقيل: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ وفاطمة، وهما يضحكان، فلمَّا رأيتماني

(١) المستدرك: ٣/ ١٠٠.
(٢) تاريخ الإسلام، الذهبيّ: ٤٣.
(٣) المعجم الكبير: ٢٢/ ٤٠١.
(٤) المستدرك، الحاكم: ٣/ ١٦٠.
(٥) المعجم الأوسط: ٣/ ٣٤٩.
(٦) إحراق بيت فاطمة، حسين غلامي: ٤-٤٣.
(٧) المستدرك، الحاكم: ٣/ ١٥٥.
(٨) المصدر نفسه: ٣/ ١٥٣.
(٩) المصدر نفسه: ٣/ ١٥١.

سكتما؟ فبادرت فاطمة فقالت: **بأبي أنت يا رسول الله! قال هذا: أنا أحبُّ إلى رسول الله منكِ، قلتُ: بلى أنا أحبُّ إليَّ رسول الله منكَ، فتبسَّم رسول الله وقال: يا بنيَّة، لكِ رقَّةُ الولد، وعليّ أعزُّ عليَّ منكِ**»[1]، وقيل: «ما رأيت أحدًا من خلق الله أشبه برسول الله دينًا ولا جلسة ولا مشية من فاطمة، وكانت إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّبت به وقامت من مجلسها وقبَّلت يده وأجلسته في مجلسها، وكانت إذا دخلت على رسول الله رحَّب بها وقام إليها وقبَّل يدها وأجلسها في مجلسه»[2]

(١) المستدرك، الحاكم: ٣/ ١٥١.

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ١٥١

المحور الأوّل

البُعد الدينيّ (الصبر والقناعة)

إنَّ القران الكريم يعتبر الإيمان بالله تعالى وبصفاته القاعدة البنائيَّة الضرورية في المجتمع، وتمييزه عن غيره من المجتمعات الجاهليَّة، فلا معنى للحضارة في القرآن الكريم إلَّا إذا كانت تنطلق من الإيمان بالله تعالى، والاعتقاد الكامل بوحدانيَّته، فهي الركيزة الأساسيَّة التي يعتمدها المجتمع للانطلاق نحو الكمال والرُّقيّ[1]، ويعتبر الإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله الركيزة الثانية في تكوين المجتمع، وذلك لما تمثِّله الشخصيَّة المبعوثة من قِبَل الله سبحانه وتعالى من دور في حياكة النسيج الفكريّ للأمَّة بخيوط ربَّانيَّة تحدِّد لها منهجًا علميًّا في الحياة يجعلها قادرة على بلوغ أهدافها الربَّانيَّة، وما يضع بين يديها من تعاليم وقيم تشكِّل العناصر الأساسيَّة في بنية الحضارة الإنسانيَّة، والتي لا يمكن أن تقوم حضارة إلهيَّة ما لم تعتمد عليها، فالإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله يعني الانخراط الكامل في هذه المسيرة الإلهيَّة، والالتزام المطلق بهذا المشعل الإلهيّ[2].

وجميع ما يذكر في بحث النبوَّة والإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله يأتي بعينه في موضع الإيمان بالإمام وبحث الإمامة ؛ لأنَّ الإمامة هي الامتداد الطبيعيّ للنبوَّة، وهي استمرار يقتضيه العقل قبل أن يدلَّ عليه النصّ، فهي ضرورة لأجل حفظ المجتمع وهدايته، وحفظ الدين وصيانته، وإقامة حدوده وأحكامه، وقال تعالى عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ

(١) ينظر: معالم الحضارة القرآنيَّة: عقيل الحيدريّ: ٤٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨.

بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، تبتدأ الآية الكريمة بإلزام المؤمنين بطاعة الله عزّ وجلّ، ثمَّ أردفته بإلزام ثاني يتوجَّه طاعة الرسول صلى الله عليه وآله، وأولي الأمر دفعة واحدة، ولا كلام في طاعة الله عزّ وجلّ، فهي ثابتة له بالذات، باعتبار مولويَّته وخالقيَّته، وأمَّا طاعة الرسول صلى الله عليه وآله فهي مترشِّحة عن طاعة الله سبحانه، ووجوبها ناتج عن الأمر الإلهيّ، فهو الذي أمر بطاعته وألزم المؤمنين كافَّة باتِّباعه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وقال تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3]، وكلُّ ما تحدَّثنا عنه، فهو مصداق لما تمثَّلت به فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومن الإيمان بالقران الكريم والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام.

والعبودية لله عزّ وجلّ هي الأساس والمحور لعلاقات الإنسان على الإطلاق، سواء أكانت علاقته بالله تعالى، أو علاقته بنفسه، أو علاقته بالطبيعة، أو علاقته بمجتمعه، وأبناء جنسه، فقد أعطى الإسلام العبوديَّة موقعًا مركزيًّا في حياة الإنسان؛ لتؤثِّر على مشاعره وعواطفه[4]، قال تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[5]، وقال تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[6].

وبهذا كانت الزَّهراء عليها السلام، وهي طفلة، تحضر ساحات الوغى، وهي تحفُّ أباها بدعواتها المتواصلة، فيهولها ما ترى من وجهه المدمَّى، فتهرع إليه مسرعة بالضماد والإسعاف، ولـمَّا ترى أنَّ غسل الجرح بالماء لا ينفع، تعمد إلى شيء من القماش أو غيره

(١) سورة النساء ٥٩.
(٢) سورة النساء: ٦٤.
(٣) سورة الحشر: ٧.
(٤) ينظر: معالم الحضارة القرآنيَّة: ٧٨.
(٥) سورة التوبة: ٣١.
(٦) سورة البيِّنة: ٥.

فتحرقه وتذري بالرماد على الجرح، فيقف حينها النزف، لتصلِّي شكرًا لله تعالى، أي قلبٍ غضٍّ شجاع يمكن أن تحتويه تلك الطفلة، وكيف يمكن للزوجة أن تبقى دون مأكل مع أطفالها طيلة ثلاثة أيام، وهي تحيا وتعيش تحت كفالة زوجها الصالح، دون أن تخبره بما تعاني، إلى أن يسألها زوجها أن تناوله شيئًا يأكله، فتخبره أن لا شيء في الدار منذ ثلاثة أيّام ليؤكَل، هذه الزوجة هي فاطمة عليها السلام التي سألها الإمام عليّ عليه السلام: ولِـمَ لَـمْ تخبريني من قبل؟ فقالت: **إنَّ أبي أوصاني أن لا أسألك شيئًا حتَّى تسألني**. وهذا يعني أنَّ الإمام عليه السلام ما كان ليقصِّر عن شيء لو كانت بيده الحيلة والوسيلة، وبهذا فقد بقيت فاطمة عليها السلام دون أن تُشعره بالحاجة، إلى أن سألها، أيّ زوجة تكون صابرة ومحتسبة وملتزمة وبعيدة عن التوقُّعات؟ وكيف يمكن للأم أن تستنهض ما تبقَّى من قواها فتغادر فراش الموت يوم وفاتها الذي أدركته مسبقًا، فتتَّكئ متباطئة على الجدار، وتتناول ثياب ولدَيها العزيزَين لتغسلهما، ومن ثمَّ تغسل رأسَي ولديها وتُلبسهما وتزيِّنهما، في تلك اللحظات العصيبة يسألها زوجها لماذا غادرت الفراش؟ فتجيب لأنَّهما سيصبحان يتيمَين بلا أم، وكيف يمكن للمرأة أن تدلي وتصرِّح بأكثر من مرَّة أنَّ من الخير للمرأة أن لا ترى الرجل ولا الرجل يراها، وبهذا تكون المرأة قد اجتثَّت أصول الفتنة من أساسها، وحقنت كلَّ المشاكل والملابسات، إنَّها بهذا تسمو، لو أدركت وتمعَّنت جيِّدًا على الفضائل والمعاني، فإن لم تستطع، فتحاول تدريجيًّا، قدر الإمكان، وسترى بعينها الفائدة المرجوَّة، وتجني بيديها الفرق الملموس؛ لأنَّها تبقى الجوهرة النفيسة التي لا يحقُّ لأيِّ أحدٍ كان أن يراها، ثمَّ نجد أنَّ من أولاها الله العصمة، كيف تغتنم الفرص والمنح الإلهيَّة، فتسأل أباها هل يكون مهرها، حينما أراد تزويجها، غير الدراهم والدنانير، بل تدعو الله أن يجعل مهرها الشفاعة في عصاة الأمَّة، والله جعل مهر فاطمة عليها السلام شفاعة المذنبين من أمَّة أبيها، وأوصت أن توضَع تلك الوصية على صدرها تحت الكفن، وقالت: **إذا حُشِرت يوم القيامة، رفعت تلك الوصيَّة بيدي، وشفعت في عُصاة أمَّة أبي**[1].

(١) مجلَّة بشرى، العدد ٤٨: ١١.

نجد الزَّهراء عليها السلام شمسًا منذ أن أطلَّت للحياة وحتَّى نهاية عمرها الشريف، فقد كان طلبها الذي فضَّلت أن يرافقها عند المحشر، شفاعة المذنبين، فهي لم تنسَ احتياج الأمَّة لمثل هذه الشفاعة، في حين أنَّها هي وكلٌّ من أهلها وابنائها مات، إمَّا مقتولًا أو مسمومًا، فأي فرق وبون هو؟ كيف قابلت الأمَّة جهود الزَّهراء عليها السلام؟ وكيف تردُّ الزَّهراء وتبقى مصرَّة على الشفاعة، وقد علمت ما جرى وما سيجري على أهلها وعترتها، ويبقى لنا ان نبقى متشبِّثين بأذيال الزَّهراء عليها السلام التي نجدها مادَّةً ذراعيها إلى كلِّ من يقدِّر ويعرف كرامة الزَّهراء عليها السلام، وجلالتها وعظمتها[1].

وعليه فإنَّ المفاهيم الإيمانيَّة تضع الإنسان المؤمن في مواجهة آفاق تربويَّة وإنسانيَّة جديدة، ويجب أن تكون لديه إرادة قويَّة وراسخة، تتعاطى بطريقة فائقة الفهم والإحاطة مع التحدِّيات، وقادرة على مقارعة الخطوب والتغلُّب عليها، غير آبهة بما يترتَّب على ذلك من آثار ونتائج، فالإنسان المؤمن قريب من الصبر والقناعة، فالدُّعاء يؤكِّد على أهميَّة الصبر والقناعة، وأهميَّة طلب المعونة من الله عزَّ وجلَّ أن يُعينه على ذلك، والذوبان المطلق في طاعة الله عزَّ وجلَّ تخلق لدى المؤمن الصابر حالة الاندفاع الكبير لتحمُّل المسؤوليَّة، من خلال الحفاظ على علاقته الوثيقة مع الله عزَّ وجلَّ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2]، ومن هنا فإنَّ هؤلاء يحبُّهم الله سبحانه وتعالى؛ لإيمانهم، كما يحبُّونه تعالى كونه أهلًا للربوبيَّة، والإيمان والتوحيد أنَّ الذين يريدهم الله هم أولئك الذين بادلوه الحب من خلال الذوبان في الأهداف، وهل هناك أعظم وسامًا من حبِّ الله للفرد وحبه له عزَّ وجلَّ؟ وهذا ما نجده جملة وتفصيلًا عند الزَّهراء عليها السلام.

(١) مجلَّة بشرى، العدد ٤٨: ١٢.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

المحور الثاني

البُعد السياسيّ في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

لعلَّنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إنَّ القرآن الكريم لم يهتم بشيءٍ كما اهتمَّ بالبُعد القياديّ والسياسيّ للمجتمع، وأنَّه لم يترك الأمَّة دون أن يحدِّد مسيرها السياسيّ، ويعيِّن لها القائد والزعيم الذي يأخذ بزمام أمرها نحو أهدافها المعيَّنة، ولعلَّ هذا الاهتمام القرآنيّ ناشئٌ من أَمرَين:

أوَّلًا: الضرورة الحاكمة باحتياج المجتمع الإنسانيّ إلى القوَّة والقدرة التي تستطيع فرض النظام، وتأمين حقوق الناس، واستقرارهم، وتدبير أمورهم، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِير بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ**»[1].

كما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملك من الملل بقوا وعاشوا إلَّا بقيم ورئيس، ولما لا بدَّ لهم منه في أمر الدين والدنيا، فيقاتلون به عدوهم، ويقسمون به فيئهم، ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم**»[2]، والبُعد السياسيّ والقيادة السياسيَّة استجابة طبيعيَّة لحاجة المجتمع الإنسانيّ، وحلٌّ لمشكلته.

(١) نهج البلاغة: ٧٩/ ٤٠.

(٢) مسند الإمام الرضا: ١/ ١١٠.

ثانيًا: شخص القائد ودوره في تعالي المجتمع ورقيِّه أو انحطاطه ودناءتهِ، فإنَّ القائد ليس هو من يأخذ بزمام الجماعة فحسب، ولا ينتهي حدُّه إلى مجرَّد إشباع شهواته ورغباته التي يحقِّقها من خلال السلطة، بحيث يكون المجتمع مستقلًّا في تعيين أمره. وإرساء ثقافته ونهجه، بل القائد له دور مباشر في رسم ثقافة المجتمع ونهجه، وارتقائه ونموِّه، وتفتح مواهبه وقابليَّته، وتعيين مصيره من حيث السعادة والشقاء، وعلى هذا الأساس اهتمَّ القرآن الكريم بشخص الحاكم، ومن يقود البشريَّة، ويسوس أمرها، ويدبِّر شؤونها، وبما أنَّ الله سبحانه له الحاكميَّة خاصَّة من دون الناس، وهي حقٌّ مختصٌّ به سبحانه، ولا حاكميَّة لسواه إلَّا بإذنه كما قال تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[1]، وقال تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[2]، وقال تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، لذا يرجع أمر التنصيص وتعيين الحاكم له سبحانه، ويأتي هذا التعيين إمَّا على أساس الاسم والشخص، كما إذا اقتضت المصلحة ذلك، كما في النصِّ الدالِّ على حاكميَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله وولاة الأمر من بعده، إذ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[4]، أو على أساس تعيين الصفات والشروط التي ينبغي توافرها في الحاكم[5]، وهذا ما دعت إليه فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

فوجود أهل البيت عليهم السلام لم يكن ليتَّخذ من الرجال فقط أساسًا لهم، بل تعدَّت هذه الفلسفة الإلهيَّة الكونيَّة إلى أن يكون للنساء المكانة والنصيب الوافر، المتمثِّل بنموذج راقٍ من النساء، وهو شخص فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهي ينابيع تلك الحضارة، وبما أنَّ

(١) سورة الأنعام: ٥٧.
(٢) سورة الأنعام: ٦٢.
(٣) سورة يوسف: ٤٠.
(٤) سورة النساء: ٥٩.
(٥) ينظر: معالم الحضارة القرآنيَّة: ١٥١.

الحضارة هي حضور الإنسان عند الإنسان، وهي ذلك التفاعل الروحيّ والخلقيّ المتمثِّل في تحمُّل الأمانة والمسؤوليَّة التي أوكلها الله للإنسان، ذكرًا كان أم أنثى، فلم تكن الزَّهراء عليها السلام تلك المرأة الغائبة عمَّا يدور حولها من منعطفات وأحداث ومحاور، ولم تكن منعزلة في البيت تهتم إلَّا بنفسها، كلَّا بل كانت تعايش الأحداث وتتابع التطوُّرات التي تمرُّ بها الرسالة الإسلاميَّة الجديدة بكلِّ عقلها وجوارحها منذ أن كانت في الخامسة من عمرها، حيث ذهبت تسمح الفرث والدم الذي ألقاه المشركون على رأس والدها رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان جالسًا يقرأ القرآن الكريم في البيت الحرام.

لم تستطع المرأة إلَّا في العقود الأخيرة من دخول ميادين العمل الإنسانيّ والسياسيّ، والحضور في الساحة، وتحليل الأحداث، بينما الزَّهراء عليها السلام سبقت نساء عصرها، بل حتَّى عصرنا منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، استطاعت أن تصل إلى أعلى مراتب الحضور الحضاريَّة، فخطبتها عليها السلام في المسجد أكبر دليل على مواكبة واقع المسلمين قبل البعثة وبعدها، فعندما رأت الحاجة إلى التحرُّك تحرَّكت عليها السلام، وقد كانت أوَّل صوت دويّ بعد الرسول صلى الله عليه وآله، صوت العدالة والحريَّة؛ لأنَّ العبوديَّة الخالصة لله وحده تفجِّر الحريَّة الحقيقيَّة، فكانت صرخة حضاريَّة لإنقاذ المسلمين من التداعي بسبب الانحراف السياسيّ، فوقفت موقفًا ساخطًا من رجال الانقلاب، ولم تكتفِ بذلك فقط، بل أخذت تدور على بيوت المهاجرين والأنصار في الليل، برفقة زوجها أمير المؤمنين وابنيها الحسن والحسين عليهم السلام، وهي تطرق أبوابهم بابًا بابًا، وتدعوهم لمناصرة الخليفة الشرعيّ الذي عيَّنه الله ورسوله، وتطالبهم بالوفاء لبيعتهم له يوم الغدير، والعودة عن انقلابهم، فكانت حاضرة دائمًا، وعند لزوم الأمر لكلِّ عمل مطلوب، وكانت الموالية الحقيقيَّة لإمام زمانها، أمير المؤمنين عليه السلام، مطالبة بإعادة الحقِّ لصاحبه، وبذلك كانت صرختها صرخة موجَّهة بالدرجة الأولى للشعوب المتخاذلة، التي تستسلم للخوف، أو الطمع؛ لأنَّ الأنظمة والحكومات هي وليدة المجتمعات، ولم يكن الجانب السياسيّ هو حقلها

الوحيد، بل كانت ذات خطط حضاريَّة بكلِّ أبعادها الثقافيَّة والعباديَّة والتربويَّة، فكانت أعظم مدرسة تربويَّة رساليَّة سياسيَّة، تخرَّج فيها نماذج قياديَّة متمثِّلة بأبنائها الأمامَين الحسن والحسين، والسيِّدة زينب عليهم السلام[1].

واجهت الزَّهراء الاضطهاد السياسيّ؛ لأنَّ اسمها ارتبط بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فكانت هي المعنيَّة بالإجراءات الانتقاميَّة، لكن رغم ذلك استطاعت الزَّهراء عليها السلام أن تجسِّد القيم الرساليَّة والثقة بين أبناء الأمَّة، وهي حالة التلاحم في المصير، والموقف بين المسلم ومبادئه الإسلاميَّة، وترسم صورة معبِّرة الإيمان الضمير الجماهيريّ بدور الإسلام والدفاع عنه، هنا فإنَّ المرأة كما وصفها الإمام عليّ عليه السلام، بأنَّها: «**ريحانة وليست بقهرمانة**»[2] تكريمًا لدورها الإنسانيّ، وإعلاءً لشأنها من أن تخضع للتهميش، هذه المرأة قادرة على الخروج من دائرة الأعراف والتقاليد، والانطلاق من قوقعة الانزواء والاستبداد إلى المجتمع، والتطلُّع السياسيّ للحياة، والتحرُّر من عوامل التردِّي والانحطاط، والسموّ إلى مجتمع أفضل رقيًّا وسموًّا، وهذا ما فعلته الزَّهراء عليها السلام.

(١) ينظر: مجلَّة بشرى، العدد ٣٨: ١٣.

(٢) الكافي، الكلينيّ: ٥/ ٥١٠.

المحور الثالث

البُعد الجهاديّ في سيرة فاطمة الزّهراء عليها السلام

الجهاد لغةً: الجهاد والجهد: لغتان فصيحتان بمعنى واحد، بلغ الرجل جهده ومجهوده إذا بلغ أقصى قوّته(١)، يُقال: جاهدوا في الله حقَّ جهاده، والجهد المجهود، والطاقة الاستطاعة(٢).

أمَّا الجهاد اصطلاحًا: هو بذل النفس والمال لمحاربة كلِّ من يحارب تعاليم الدين الإسلاميّ، أو يفرض هداية الناس إلى الإسلام، كما نصَّ زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وما بعده، فإنَّه لأعلاء كلمة الإسلام(٣).

والجهاد عمومًا في سبيل الله لا يحدَّد بزمان أو مكان، فحياة المسلم كلُّها جهاد في سبيل الله، إن كان جهاد النفس، وهو الأكبر، أو كان جهاد العدو، وهو الأصغر، والعلاقة بينهما تكمن من خلال تهذيب النفس من المهام الإنسانيَّة المناطة بكلِّ مؤمن، وعن طريقه تتحوَّل إلى ترجمتها كرسالة على أرض الواقع، أمَّا الوسيلة الوحيدة لإنجازها، فهي وسيلة العبادة والاستذكار، وتجنُّب الغفلة والانجرار وراء الشهوات والرغبات، فمن خلال الالتزام بالعبادة والمواظبة عليها، تتحوَّل إلى تنمية ملكة التقوى والوازع الأخلاقيّ، ويصبح في مقدور الإنسان التمتُّع بقوَّة الشخصيَّة، وقوَّة الإرادة

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (جهد).
(٢) ينظر: الجهاد والحرب في نهج البلاغة، خليل رزَّاق: ١١-١٢، وينظر: مقاربات تحليليَّة لنصوص قرآنيَّة مختارة، د. حازم البارز: ٣١٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.

والقدرة على التأثير في الظروف والواقع، بدلًا من الوقوع ضحيَّة لهم[1].

فالجهاد يخلق الفرد المسلم إنسانًا يشعر دومًا بعظمة الشخصيَّة وقوَّتها، وفاعلية تأثيرها في المجتمع، لما يزرع في وجدانه وضميره الشعور بالمسؤوليَّة العظمى للدفاع عن بيضة الإسلام[2].

وبهذا كانت حياة الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام تعجُّ بالمشاكل؛ لأنَّ الأعداء اجتهدوا في التنكيل بها، وقد عانت من كسر ضلعها طيلة أربعين يومًا، على بعض الروايات، إلى أن التحقت بربِّها صابرة محتسبة، ولا يكاد المرء يجد في حياتها عليها السلام كلمة واحدة تنمُّ عن عدم الرضا، رغم عظيم المصائب التي تعرَّضت لها، وفي خطبتها الخالدة لم تنطق إلَّا بحمد الله عزَّ وجلَّ، وإتمام الحجَّة على أبي بكر وعمر، ونساء المهاجرين والأنصار، وكأنَّها أرادت بذلك تعليم المسلمين حمدَ الله تعالى والثناء عليه حين المصاعب والمصائب[3].

وهناك الكثير من الروايات المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[4]، وقال صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «**واعلم يا عليّ أنِّي راضٍ عمَّن رضَيت عنه ابنتي فاطمة**»[5]، ومن هذه الأحاديث يظهر أنَّ على الجميع أن يرضوا بتقدير الله تعالى، الذي قرن رضاه برضا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهي الوحيدة التي قرن رضاها برضا الله تعالى، بل أُنيط رضا الربِّ برضاها وغضبه بغضبها، فإنَّ الله هو الخالق، ولا يمكن مقارنة المخلوق بالخالق، ولكنَّه قرن رضاه برضا أحد مخلوقاته، حيث قرن رضاه برضا الصدِّيقة البتول، وليس هناك أي رواية تُشير إلى أن الله يرضى لرضا الأنبياء، رغم ما هُم عليه من المقام المحمود، وبعد استشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله،

(١) ينظر: مقاربات تحليليَّة لنصوص قرآنيَّة مختارة: د. حازم البارز: ٣١٢.
(٢) ينظر: الجهاد والحرب في نهج البلاغة: خليل رزاق: ٧٠-٧١.
(٣) ينظر: نهج البلاغة الشيعة: السيِّد صادق الشيرازي: ١٣٨.
(٤) أمالي الصدوق: ٤٦٧.
(٥) بحار الانوار: ٢٢/ ٤٨٥.

خاطبت الذين آذوها قائلة: «**أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني**»[1]، وفيها قالت: «**لأدعونّ عليك في كلّ صلاة**»[2].

وقيل: «إنّ أبا بكر تفقّد قومًا تخلّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبَوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليّ، فإنّه زعم أنّه قال: **حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي علي عاتقي حتّى أجمع القرآن**. فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها فقالت: **لا عهد لي بقومٍ حضروا أسوءَ محضرًا منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردُّوا لنا حقًّا**، فأتى أبو بكر، فقال له مولى له: ألا تأخذ هذا المتخلِّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ، وهو مولى له: إذهب فادع لي عليًّا، قال: فذهب إلى عليّ، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ عليه السلام: **لسريع ما كذبتم على رسول الله**، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلًا، فقال عمر الثانية: لا تهمل المتخلِّف هذا عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه، فقل له خليفة رسول الله يدعوك لتبايع! فجاءه قنفذ فأدَّى ما أمر به، فرفع عليّ عليه السلام صوته فقال: **سبحان الله لقد ادَّعى ما ليس له**، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلًا، ثمَّ قام عمر، فمشى معه جماعة، حتّى أتوا باب فاطمة، فدقُّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: **يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن ابي قحافة، فإنّي أُشهِد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه، والله لأدعونّ الله عليك في كلّ صلاة أصلّيها..**»[3]

وقيل: «عليّ والعبّاس والزبير وسعد بن عبادة، أمّا عليّ والعبّاس والزبير فقعدوا في

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٣١.
(٢) ينظر: نهج الشيعة: ١٣٩.
(٣) الإمامة والسياسة: ١٢-١٣.

بيت فاطمة، حتَّى بعث إليها أبو بكر، عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة عليها السلام فقالت: **يا ابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا؟** قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!؟»[1].

وهكذا ركلوا باب بيت فاطمة عليها السلام، واقتحموا الدار، وكان الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة ينظران بدهشة إلى صحابة رسول الله الذين كانوا بالأمس يبتسمون لهما، وقد جاءوا اليوم يكشِّرون عن أنياب كالذئاب، ويسمعان صوت ابن صهَّاك حيث يقول: أحرقوا الدار بمن فيها[2]. لكن رغم ذلك لا يطفئ ولا يخمد نور الله عز وجل، والمصائب التي جرت على بيت النبوَّة، وعلى أهل بيته الطاهرين، لاسيَّما على حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ومهجة قلبه، سيِّدة نساء العالمين، بالهجوم على بيتها بالنار وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها (محسن)، ولم تتجاوز الثامنة عشر سنة، فاستشهدت محتسبة عند الله[3]. وقيل: «**إنَّ عمر رفس فاطمة فأسقطت بمحسن**»[4].

وهكذا يمكن فهم الاندفاع نحو الاستشهاد من خلال القيم العقائديَّة وانبعاث الأمَّة لإدراك حكمة الشريعة في فهمها للعلاقة بين الإنسان والعقيدة، فالإنسان الرساليّ يكون على الاستمرار مهيَّأ نفسيًّا وعقائديًّا للشهادة، فالشهادة منهج رساليّ يتطلَّع منه الإنسان إلى مُثل عليا يحقِّق من خلالها ترابطًا عضويًا يربط عالم الشهادة (الحياة المنظورة) بالغَيب، وتعيد ترتيب فهم الإنسان للشريعة في آنٍ واحدٍ عبر التجلِّي الواقعيّ للعقيدة في لحظة الاستشهاد، فالشهيد يمثِّل الشكل الأنقى في إدراك معنى العقيدة، مقتربًا بذلك من الكمال القيميّ للأنبياء والرسل والأوصياء، فقد قال تعالى عز وجل:

(١) العقد الفريد: ٥/ ١٣.
(٢) ينظر: أحراق بيت فاطمة، حسن غلامي: ٤٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥.
(٤) سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٥٧٨.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

ممَّا يوثِّق القيمة الفعليَّة للشهادة عهدًا فعليًّا وميثاقًا واقعيًّا بين الإنسان والخالق، كحسنة أزليَّة ومستمرة عبر حركة التاريخ، تشكِّل ميزة خصَّ بها الله بعض عباده الذين اختاروا الدفاع عن القيم السماويَّة؛ ليكونوا مراكز إشعاع لأممهم عبر العصور في سبيل الحفاظ على الشريعة، مضحِّين في سبيلها بالنفس والمال[2]، وخير مصداق على ذلك هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ويمكن فهم عظمة شهادة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فالشهادة قيمة عليا تتجذَّر عند حدود الطاعة المطلقة، فعمليَّة التخلِّي عن الحياة للفوز بما هو غيبيّ، وغير منظور لا يمكن أن تتحقَّق عبر فكرة ماديَّة لا تؤمن بالعلاقة بين الغيب وترتيب متطلَّبات مرحلة مستقبليَّة تعي الأمَّة آثارها على أثر التضحية الاستشهاديَّة التي مثَّلت فاطمة الزَّهراء قيمتها العليا، ليس فقط باعتبارها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لكن باعتبار إدراكها المطلق بإنَّ قيمومة التشريع الإلهيّ هي المحرِّرة للإنسان من عوائق الاستلاب، ولتعطي الأمَّة هدفًا ساميًا تسعى إليه في درب خلاصها المحفوف بالمخاطر، وبهذا لتكون الزَّهراء عليها السلام عاملًا قيمًا لكلِّ الثوَّار، ولكلِّ طالبي الشهادة على مرِّ العصور، وعلى رأسهم الأمام الحسين عليه السلام.

الخاتمة

بعد أن تمَّت بعون الله وفضله هذه الدراسة التي كانت غايتها الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، نلخِّص مجمل النتائج التي تمخَّضت عنها الدراسة، فكانت كالآتي:

(١) سورة النساء: ٦٩

(٢) ينظر: مجلَّة النبأ، العدد ٨٣: ٧٦.

١. تعدُّ الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة أمنية ورغبة أكيدة يتمنَّاها كلّ إنسان يعيش في هذه الحياة الدنيا، لما في هذه الأبعاد من معاني الطمأنينة، فهي تشمل جميع مناحي الحياة وأمور المسلمين، وتشمل الأفراد والجماعات والشعوب، وإذا وجدت بالمعنى المطلوب انتفت الحروب والأحقاد والضغائن بين الناس.

٢. تعدُّ هذه الأبعاد راسخة عند كلِّ إنسان، لكن بمستويات مختلفة تصدر عن الأفعال بسهولة ويسر، وهذه الأبعاد سواء أكانت دينيَّة أم سياسيَّة أم جهاديَّة أم غيرها، تصدر عنها أفعال محمودة، وقد تصدر عنها أيضًا أفعال مذمومة، فإن كانت الأولى، كانت الإبعاد حسنة، وطريقتها إلى رضا الله عزّ وجلّ، وإن كانت الثانية، كانت الأبعاد سيِّئة، وطريقها غضب الله عزّ وجلّ وسخطه.

٣. تعدُّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام النموذج الأمثل الذي ينبغي للغير أن يحذو حذوه، ومكوِّنات شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام هي المعيار للتقدُّم والرقيّ من حيث التفكير والسلوك، ويجب أن تُقاس عليها كلّ النماذج الأخرى المتمثِّلة بالأبعاد الفكريَّة والإسلامية.

٤. من الأسس التي ترتكز عليها فاطمة الزَّهراء عليها السلام هو البعد الدينيّ، الذي ينطلق من أعماق وجود الأنسان ويلامس الواقع، من خلال الاعتماد على الله عزّ وجلّ في بناء نظامه وحركته وسلوكه، فالإيمان بالله والاعتقاد به يحدِّد للإنسان بصورة عامَّة المسيرة والهدف الخالص، فمسيرة الزَّهراء عليها السلام تتمثَّل بتعاليم القرآن الكريم، وما جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهدفها عليها السلام هو الله عزّ وجلّ؛ لأنَّه الغاية من أي تحرُّك صالح، وهذا الارتباط الوثيق بالله سبحانه وتعالى شعور الإنسان بأنَّه تحت المظلَّة الإلهيَّة يلعب دورًا هامًّا في دفع هذه المسيرة وإعطائها زخمًا من الحركة نحو الله عزّ وجلّ.

٥. ومن الأسس الأخرى التي ترتكز عليها الزَّهراء عليها السلام البعد السياسي، وهو ما يحتاجه المجتمع، فليس من الممكن تأسيس أي شيء إذا لم يكن هناك استقرار سياسيّ وآمن في المجتمع، فالخوف والاضطراب والقلق كلُّها موانع تعيق الإنسان من الانطلاق نحو تحقيق الأهداف، وبناء المجتمع على جميع الأصعدة، ولا شكَّ أنَّ الذي يتولَّى أمور الناس ينبغي له أن يتَّصف بصفات خاصَّة، وتتوافر فيه شروط معيَّنة كالإيمان والعدالة والأمانة والتواضع وغيرها، وهذا ما نجده عن الزَّهراء عليها السلام، ولما تقدَّم من أهميَّة دورها، وخطورة مسؤوليَّتها، وما يترتَّب عليها من السعادة والشقاء، فالبعد السياسي هو المحرِّك الذي قامت عليه الزَّهراء، واستمدت منه النشاط والحيويَّة، ويحفظ لها وحدتها وتماسكها لتحقيق أهدافها المرسومة.

٦. ومن الأسس الأخرى التي ترتكز عليها الزَّهراء عليها السلام البعد الجهادي، وأنَّ جلَّ ما نملك من مُثل وقيم هو من بركات تضحيات الزَّهراء وأبيها وزوجها وبنيها عليهم السلام، فالزَّهراء هي التي غرست في أعماقنا مبادئ الإنسانيَّة والعبوديَّة لله عزَّ وجلَّ، والإثار وخدمة الآخرين، والعطف على المستضعف، والدفاع عن المظلومين، ويجب ان نستذكر استشهاد الزَّهراء عليها السلام دائمًا وأبدًا، وأن نبذل مهجنا دونها، لنضمن الرِّفعة والشموخ لنا وللأجيال من بعدنا، فالموت قدر لا يمكن تجاوزه، فالبحث عن المجد لايتم إلَّا بعد التضحية والجهاد والارتقاء عبر مراتب السموِّ والكمال، وهذه المراتب ترسم معالم المسيرة والتخطيط لمسارها وانطلاقها بفعَّاليَّة تتجاوز بها الكثير من المصاعب والعقبات، وصولًا إلى الأهداف والغايات المرجوَّة، وهذا ما فعلته فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المصادر والمراجع

* القران الكريم.

١. إحراق بيت فاطمة، الشيخ حسين نحيب غلامي، مطبعة قم المقدَّسة، إيران، ١٤١٧هـ.

٢. الأمالي، الشيخ أبو جعفر محمَّد بن كليف الحسين بن بابويه القمِّيّ الصدوق، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

٣. تاريخ الإسلام، لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد الذهبيّ، تحقيق: عمر عبد السلام ترمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.

٤. الإمامة والسياسيَّة، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، مؤسَّسة الشريف الرضيّ للطباعة، قم المقدَّسة، إيران، د.ت.

٥. الجهاد والحرب في نهج البلاغة، خليل رزق، دار الولاء للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٦. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، مؤسَّسة الرسالة، ط٩، د.ت.

٧. العقد الفريد ابن عبد ربِّه الأندلسيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٧م.

٨. الكافي، لأبي جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، إيران، ط٥، ١٣٦٣هـ.

٩. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ/ ٢٠١٠م.
١٠. مجلَّة بشرى، العدد (٨٣)، من يوميَّات الزَّهراء عليها السلام، هدى عدنان الموسويّ، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ/ حزيران ٢٠٠٥م.
١١. مجلَّة النبأ، العدد (٨٣) كربلاء وفلسفة الشهادة، وليد سعيد البياتيّ، جمادى الثاني ١٤٢٧هـ/ تموز ٢٠٠٦م.
١٢. المستدرك على الصحيحَين، لأبي عبدالله محمَّد بن عبدالله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشليّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
١٣. مسند الإمام الرِّضا، عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام، تحقيق: عزيز الله عطاردي، مكتبة الصدوق، طهران، إيران، ١٩٧٢م.
١٤. مقاربات تحليليَّة لنصوص قرآنيَّة مختارة، د. حازم فاضل البارز، مركز الكتاب الأكاديميّ، عمَّان، الأردن، ط١، ٢٠٢١م.
١٥. معالم الحضارة القرآنيَّة، عقيل الحيدريّ، منشورات الاجتهاد، قم المقدَّسة، إيران، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٦. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق: محمود الطحَّان، مكتبة المعارف، الرياض، السعوديَّة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٧. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مطبعة المعارف، الرياض، السعوديَّة، ط٢، ١٩٩٩م.
١٨. نهج البلاغة، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٥هـ.
١٩. نهج الشيعة، السيِّد صادق الحسينيّ الشيرازيّ، منشورات أم أبيها الثقافية، كربلاء المقدَّسة، العراق، ط٦، د.ت.

المحتويات

دِيبَاجَةُ المُؤْتَمَرِ ٧

كلمة اللجنة العلميَّة ١٨

كلمة مركز تراث الحِلَّة ٢١

محور الدِّراسات القرآنيَّة ٢٥

- النُّصُوصُ القُرْآنِيَّةُ النَّازِلَةُ بِحَقِّ فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ ٢٧
أ.د. سكينة عزيز الفَتْلِيّ/ جَامِعَةُ بَابِلَ- البَاحِثَةُ عَبِيرُ جبَّار المُلَّا/ تَرْبِيَةُ بَابِلَ
- آثار المضمون القرآنيّ من خطاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تحليليَّة للخطبة الفدكيَّة ٥١
الشيخ حيدر العريضي/ ماجستير علوم القرآن
- توظيف النصوص القرآنيَّة في الخطبة الفدكيَّة (دراسة تفسيريَّة تاريخيَّة) ٨٩
م.د. مازن خضير عبَّاس الغزِّي
- المقاصد القرآنيَّة في خطاب فاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام الحِجاجيّ دراسة في الدلالة العقديَّة والتشريعيَّة ١٢٥
الشيخ حيدر كاظم العريضي ماجستير علوم القرآن/ جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله
- مفهوم البيت في فكر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دراسة قرآنيَّة ١٦٥
أ.د. محمَّد حسين عبود جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

محور الدِّراسات العَقديَّة والفكريَّة ٢٠٣

- دفع الشبهات عن الخطبة الفدكيَّة ٢٠٥

م.د. محمَّد منصور حسين البياتيّ/ المديريَّة العامَّة لتربية بابل

- في رحاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام الرساليَّة المجاهدة ٢٤٩

أ.د. افتخار مضر طالب الشَّـرع/ جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الصِّـرفة

- مِحْوَرِيَّةُ الإِمَامَةِ فِي مَوَاقِفِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَاحْتِجَاجَاتِهَا ٢٩٩

أ.د. حَيْدَر عَلِيّ حُلُو الخِرْسَان جامعة ذي قار/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

- فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٣٧

العفراء نشأت شيله

- دور الزَّهراء في الدفاع عن حقِّ الإمامة ٣٦٣

نرجس مهدي عبهول/ جامعة سومر/ قسم اللغة العربيَّة/ دراسات عليا

- الزَّهراء بين سِفر التكوين والمعراج ٣٨٧

أ.م.د. زهور كاظم زعيميان الجامعة المستنصريَّة/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- فاطمة الزَّهراء عليها السلام ودورها الرِّساليّ في الدفاع عن الإمامة ٤٣٥

الباحث: منيف فيَّاض عبد

- الإيحائيَّة العقديَّة في خطب الزَّهراء عليها السلام الخطبة الفَدكيَّة أنموذجًا ٤٦٧

م.م. كرَّار إبراهيم عيسى/ جامعة ساوة الأهليَّة

- الخصائص والمناقب الفاطميَّة ٥٠١

المبلِّغة: فاطمة عبد الواحد كاظم/ بغداد

- إسهام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في إثبات ولاية عليّ عليه السلام (دراسة تحليليَّة) الجهاد الفاطميّ في إثبات ولاية عليّ عليه السلام ٥٣٥

د. حمزة حسن عبَّاس الموسويّ/ الأمانة الخاصَّة لمزار السيِّد عليّ بن طاووس قدس سره

- سُنن الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٥٧٥

د. إياد حمزة الشريفيّ

- صناعة الوعي عند المجتمع في فكر الزَّهراء عليها السلام (دراسة استقرائيَّة استنتاجيَّة) ٦١٩

أ.د. قصي سمير عبيِّس الحِلِّيّ كليَّة الامام الكاظم/ أقسام بابل

أ.د. سيف طارق حسين العيساويّ جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

- دور فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الدِّفاع عن الإمامة ٦٤٧

سندس سعدون مهدي عليّ الشمَّريّ

- المعارضة والإصلاح في فكر فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٦٨٣

أ.د. حسين لفته حافظ جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة

م.د. ليث عبد الحسين العتَّابي كليَّة الفقه الجامعة

- الأبعاد الفكريَّة والإسلاميَّة في سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام ٦٩٣

أ.د. حازم فاضل البارز/ جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة

تَمَّ الجزءُ الأوَّلُ مِنَ البحورِ

ويَليهِ الجزءُ الثَّاني

إِنْ شَاءَ اللهُ